الْمِيزَانِ

بَيْنَ

عَقِيدَةِ السَّلَفِ
وَعَقِيدَةِ الْأَشَاعِرَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ

تصنيف

أبو عمار محمد بن عبد الستار الفيديمني المصري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة التصنيف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، أما بعد :

فإن الله عز وجل قد امتن على هذه الأمة بمنة عظيمة إذ أرسل فيها هذا النبي الكريم وأنزل عليه هذا الكتاب العظيم وتكفل جل وعلا بحفظ كتابه ودينه، فسلم لهذه الأمة مصدر الخير والنور والهداية، كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمّد ﷺ، فتمسك بها أهل القرون الأولى من هذه الأمة تمسك الغريق بحبل النجاة وقارب السلامة، وقد أدركوا أن ذلك المصدر هو حبل الله المتين وطريقه القويم الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، فكانوا منه ينهلون وعليه يعولون وإليه يفزعون كلما حزبهم أمر أو اختلطت عليهم واقعة، فيجدون فيه فصل أمرهم وحكم ما بينهم .

فيثوبون منه إلى الحق وحلاوته والاجتماع وقوته وسلامة الصدر وراحته، وقد أدرك أعداء هذا الدين ما لهذا المصدر من الأثر العظيم وأن هذه الأمة لا تهلك وفيها كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ يحكمان في الصغيرة والكبيرة والدقيقة والجليلة، وقد أيقنوا أن لا سبيل إلى الوصول إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ بالتحريف أو التمزيق، وقد تكفل الله لوحيه بالحفظ والبقاء .

فأعملوا فكرهم واستحثوا عقولهم كيف يحجبون المسلمين عن مصدر

عزهم ومعدن فلاحهم؟ فوقعوا على داء الأمم قبلنا ومفرق الجموع إلى شيع وأحزاب مختلفة متناحرة، ألا وهو الجدل والكلام الذي أخبر عنه النبي ﷺ بقوله تحذيراً وتنبيها : « **ما ضل قوم بعدي هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم قرأ ﴿مَا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ .

فألقى هؤلاء الأعداء هذا الداء بين المسلمين، فتلقفه من لم يكن له في الإسلام سابقة ولا قدم في العلم راسخة، ونشره بين المسلمين فعُطِل به كتاب الله عز وجل وردت به سنة رسول الله ﷺ وظهر بسببه القيل والقال، وكثر التنقيب والتدقيق والسؤال، وقفا الناس به ما لا علم لهم به ولا سبيل لهم إليه إلا بالوحي الإلهي والنور الرباني ، فجادلوا في الحق وتخرصوا بالباطل وجعلوا كتاب الله وراءهم ظهريا، وهم في ذلك كله يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وأنهم لدين الله نصروا، ولعدوه كسروا، وهم في الحقيقة لم يكسروا إلا دينهم ولم يغلوا إلا قناة جماعتهم، ففاء المسلمون من هذا البلاء بالتحزب والتشيع والفرقة التي أوصلتهم إلى التباغض والتكفير والتلاعن كما فعل الذين من قبلهم .

وقد أصاب الأعداء بذلك من المسلمين مقتلا أفرز ما هو ظاهر من حال المسلمين لا يخفى على ذي عينين، ولولا أن الله قد تكفل من رحمته ولطفه وكرمه أن لا تستباح بيضة المسلمين وأن لا يطمس الحق والنور فيهم ببقاء طائفة على الحق ظاهرة وله محكمة لحاق بالأمة الإسلامية ما حاق بالأمم قبلها من اندثار الحق واندراس آثاره.

هذا وقد تأثر بأعداء الدين طائفة من المسلمين، فتعرضت جوانب العقيدة الإسلامية إلى كثير من صور التأويل والتشبيه، والتعطيل والتشويه .

وإن مسائل العقيدة قد حظيت باهتمام العلماء قديماً وحديثاً خاصة ما يتعلق منها بذات الله تبارك وتعالى إذ كان الحديث عنها مجالاً لجدل عنيف حصل بين طوائف الأمة الإسلامية، سيما بعد ظهور مدرسة علم الكلام التي كانت بدعة ممقوتة من جانب علماء السلف نظراً لأنه يبعد بأصحابه عن المصدر الأصلي للعقيدة الصافية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن المدارس الكلامية التي خالفت طريقة السلف الصالح ووقعت في البدع الكلامية والفلسفية فرقة « الأشاعرة »، وإنني لأعجب أشد العجب من هذه الفرقة الذي تدعى نصرة السنة ولا تأخذ بها، وترد النقل بالعقل ، وأعجب من ذلك أنها تدعى التفرد بلقب أهل السنة .

وهذا بحث قد بينت فيه أهم مواطن الخلاف بين السلف والأشاعرة ، معتمداً في ذلك على النقل من كتبهم وعزوا الكلام إلى أصحابه حتى تكون الصورة ناصعة، وتتضح لمن أراد أن يقف على حقيقة القوم ومدى مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة، وهدى سلف الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة .

ولست أخاطب شخصاً بعينه، وإنما هو توضيح المناهج ، وإظهار الحق من الباطل ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَّ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

ولا شك أن القارئ الفطن ذو الفطرة السليمة، والعقل السليم فضلاً عن المؤمن المستنير بنور الوحى يدرك فساد هذه الآراء والمذاهب الكلامية والاصطلاحات الدخيلة، وإن المرء ليحار عندما يقرأ في كتب المتكلمين، ولو أن الرجل أفنى عمره في كتب أهل الكلام ما خرج منها إلا بالحيرة والشك وضياع العمر دون أن يحصل زيادة علم أو يقين .

والذي دفعني لكتابة هذا الكتاب عدة أمور منها الآتي :-

- انتشار العقيدة الأشعرية في العالم الإسلامي، وتدريسها في كثير من المعاهد والجامعات والأزهر على وجه الخصوص .

- زعم الأشاعرة أنهم هم أهل السنة والجماعة، وأن عقيدتهم هى عقيدة الفرقة الناجية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أن بعض القوم ممن ينتسب إلى المنهج السلفي قد ظنوا أن مخالفات الأشاعرة يسيرة، ومن البدع العلمية الصغرى وأنها محصورة في باب الصفات فقط كما درج عليه بعض من تحدث عنهم وصنف فيهم .

- دعوة هؤلاء القوم وتحذيرهم من مغبة مخالفة الكتاب والسنة ومنهج السلف والأئمة، والوقوع في البدع التي جاءت من طريق الجهمية والمعتزلة .

- أنني وجت بعض من الأخوة لا يستطيع أن يميز بين منهج السلف ومنهج الأشاعرة في العقيدة .

- أهمية هذا الموضوع ، إذ هو من باب بيان الدين وإزالة الشبهة وتوضيح منهج أهل السنة والجماعة، وهو من أعظم الجهاد المأمور به لقوله تعالى ﴿**وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ .

هذا وينحصر الكتاب بعد المقدمة في تمهيد وعشرة مباحث وخاتمة ، مفصلة على النحو التالي :-

تمهيد : ويشتمل على مطلبين :-

- **المطلب الأول** : نشأة الفرق الإسلامية .
- **المطلب الثاني** : تعريف العقيدة والسنة والبدعة .

المبحث الأول : التعريف بعلم الكلام، ويشتمل على مطلبين :-

- **المطلب الأول** : التعريف بعلم الكلام ونشأته .
- **المطلب الثاني** : ذم الأئمة الأعلام لعلم الكلام .

المبحث الثاني : التعريف بكلا المذهبين ، ويشتمل على مطلبين :-

- **المطلب الأول** : التعريف بالسلف ومنهجهم العقدى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **المطلب الثاني** : التعريف بالأشاعرة وبيان معتقدهم ، ويشتمل على محورين .
  - المحور الأول : نشأة المذهب الأشعرى وتطوراته .
  - المحور الثاني : معتقد الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين .

المبحث الثالث : مصدر التلقي بين السلف والأشاعرة ، وفيه خمسة مطالب : -

- **المطلب الأول** : مصدر التلقي عند السلف .
- **المطلب الثاني** : مصدر التلقي عند الأشاعرة .
- **المطلب الثالث** : مدار العقل بين السلف والأشاعرة .
- **المطلب الرابع** : الأخبار بين السلف والأشاعرة .
- **المطلب الخامس** : التأويل والتفويض بين السلف والأشاعرة ، ويشتمل على محورين .
  - المحور الأول : التأويل بين السلف والأشاعرة .
  - المحور الثاني : التفويض بين السلف والأشاعرة .

المبحث الرابع : الإيمان والمعرفة بين السلف والأشاعرة، وفيه أربعة مطالب : -

- **المطلب الأول** : الإيمان بين السلف والأشاعرة .
- **المطلب الثاني** : أول واجب على المكلف .
- **المطلب الثالث** : حكم إيمان المقلد .
- **المطلب الرابع** : أدلة وجود الله بين السلف والأشاعرة .

المبحث الخامس : توحيد الله بين السلف والأشاعرة، ويشتمل على مطلبين : -

- **المطلب الأول** : التوحيد عند السلف الصالح .
- **المطلب الثاني** : التوحيد عند الأشاعرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث السادس : الأسماء والصفات بين السلف والأشاعرة ، ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :-

- تمهيد .
- **المطلب الأول** : أسماء الله تعالى بين السلف والأشاعرة .
- **المطلب الثاني** : الصفات الإلهية بين السلف والأشاعرة .
- **المطلب الثالث** : الصفات الإلهية بين إثبات السلف ونفى الخلف .

المبحث السابع : كلام الله عز وجل بين السلف والأشاعرة ، ويشتمل على تمهيد ومطلبين :-

- تمهيد .
- **المطلب الأول** : مسألة كلام الله تعالى بين السلف والأشاعرة .
- **المطلب الثاني** : مناقشة السلف لما ذهب إليه الأشاعرة .

المبحث الثامن : القدر وأفعال العباد ، ويشتمل على أربعة مطالب :-

- **المطلب الأول** : مسألة الحكمة والتعليل بين السلف والمتكلمين .
- **المطلب الثاني** : مسألة التحسين والتقبيح بين السلف والمتكلمين .
- **المطلب الثالث** : بيان خلاف الناس في أفعال العباد .
- **المطلب الرابع** : مسألة الكسب بين السلف والأشاعرة .

المبحث التاسع : رؤية الله تعالى بين السلف والأشاعرة، ويشتمل على مطلبين :-

- **المطلب الأول** : رؤية الله وبيان المذاهب فيها .
- **المطلب الثاني** : مسائل متعلقة بالرؤية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث العاشر : الموافقات والمفارقات بين السلف والأشاعرة، ويشتمل على مطلبين :-

- **المطلب الأول** : في الموافقات والمفارقات .
- **المطلب الثاني** : من هم أهل السنة ؟

الخاتمة : وفيها بعض النتائج والتوصيات .

وقد ذيلت الكتاب بفهرس للمراجع والصادر، وفهرس للموضوعات والمحتويات .

هذا وقد حرصت كل الحرص على أن يكون عرض المذهبين عرضاً علمياً يكل أمانة وإنصاف ، فأنقل نص كلامهم فى كل مسألة بحروفه تاماً موثقاً ، وأعزو الكلام إلى مصادره في الحاشية أو في صدر الكلام .

وقد جاء الكتاب بفضل الله ومنته ماتعاً وافياً لما أردت أسميته « **الميزان بين عقيدة السلف وعقيدة الأشاعرة أهل الكلام** » ، أرجوا الله تعالى أن ينفع به، كما أنوه بأنني لم أجمع فيه مسائل الخلاف وإنما تعرضت فيه لأهمها ، وما كان من توفيق فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأ أو زلل فمنى ومن الشيطان، كما أسأل الله تعالى أن يتقبل منى هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتي ، وأن يختم لي بخاتمة خير على منهج أهل السنة والجماعة .

كما أرجوا من إخوان الصفا أن يطالعوه بنظر الإنصاف ، ويصلحوا ما وقع فيه من الخطأ والخلل، وما أبرىء نفسي من السهو والزلل، وأستغفر الله تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي لا اله إلا هو الحي القيوم من زلة القلم، مما علمت ومما لم أعلم إن ربى غفور رحيم .

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو عمار محمد بن عبد الستار الفيديمينى

فيديمين – الفيوم – مصر

الأحد الموافق ٦ من المحرم ١٤٣٥ هـ - ١٠ / ١١ / ٢٠١٣ م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

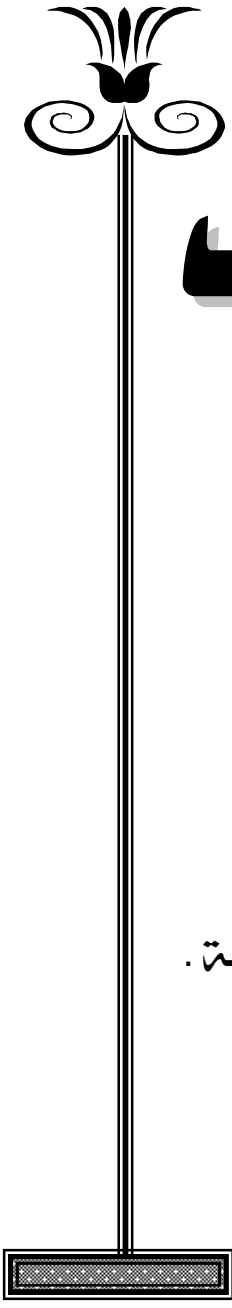

تمهيد

وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : نشأة الفرق الإسلامية .

المطلب الثاني : تعريف العقيدة والسنة والبدعة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهـيد

لقد جاء النهي الأكيد والتحذير الشديد من الفرقة، كما أن الله عز وجل توعد الساعي في تفريق الأمة، المفارق لجماعتها بالوعيد الشديد مما يلحق به الضرر البالغ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا** ﴾ (١) فمن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، وخالف ما اجتمعت عليه الأمة المحمدية، وخالف طريق المسلمين فقد عرض نفسه للعقاب الشديد من الله عز وجل في قوله تعالى:﴿ **نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا** ﴾أي : إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له كما قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا النار يوم القيامة .(٢)

ويكفي أهل الفرقة أصحاب البدع وعيداً لهم أن رسول الله ﷺ منهم بريء، وهم منه براء .، يقول الله عز وجل﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾(٣)

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمًا يَخْطُبُنَا، فَقَطَعُوا عَلَيْهِ كَلَامَهُ، فَتَرَامَوْا بِالْبَطْحَاءِ، حَتَّى جَعَلْتُ مَا أُبْصِرُ أَدِيمَ السَّمَاءِ، قَالَ:

(١) سورة النساء: الآية (١١٥).

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٤١٢ ، وما بعدها .

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٥٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَسَمِعْنَا صَوْتًا مِنْ بَعْضِ حُجَرِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقِيلَ: هَذَا صَوْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: أَلَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ، وَتَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾(١)

وقد حذرنا النبي ﷺ من الفرقة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ** »(٢) وفى رواية «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**» وهذا الحديث الذي رواه أهل السنن وأئمة الحديث من طرق عديدة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كأبي هريرة ومعاوية وأنس بين مالك وغيرهم .

يوضح لنا سبيل المؤمنين المذكور في الآية، من هم المؤمنون فيها؟ هم الذين ذكرهم الرسول عليه السلام في حديث الفرق حينما سئل عن الفرقة الناجية، عن منهجها، عن صفتها، عن منطلقها. فقال عليه السلام **ما أنا عليه وأصحابي**، إن كثير من الفرق القديمة والحديثة لا تنتبه لهذا القيد المذكور في الآية وفي هذا الحديث، حديث الفرق الضالة، حيث جعل من صفة الفرقة الناجية، بل علامة الفرقة الناجية: أنها تكون على ما كان عليه الرسول وأصحابه أيضاً.

---

(١) ذكره الشاطبى فى كتاب الاعتصام ١ /٨٨ ، وأورد نحوه السيوطي فى الدر المنثور ٣/٤٠٣ وعزاه لعبد بن حميد .

(٢) **صحيح بشواهده** : وأخرجه ابن ماجه برقم ٣٩٩٣ باب افتراق الأمة ، وابن أبي عاصم في السنة برقم ٦٤ باب أن الأمة ستفترق ، المروزي في السنة برقم ٥٣ ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم ١٤٨ ، وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالنجاة في سنة النبي ﷺ وأصحابه كما أخبر « **فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** » (١)

ولكن الأمة لم تتمسك بوصية نبيها ولا بسنة حبيبها فوقعت فى المخالفة ، وحادة عن السبيل وعملت بآرائها ، فتحقق المحظور وانتشرت محدثات الأمور ، فتفرقت وتمزقت فرقاً ومذاهب يبدع بعضهم بعضاً ، وغفلوا عن سبيل المؤمنين وتحكمت بهم أهواء المبدلين ، وإليك ما كان من نشأة التفرق والاختلاف .

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود برقم ٤٦٠٧ باب لزوم السنة ، والترمذي برقم ٢٦٧٦ باب جاء فى الأخذ بالسنة ، وابن ماجه برقم ٤٣ باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين ، وأحمد برقم ١٧١٤٤ مسند العرباض ، وغيرهم كثير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

نشأة الفرق الإسلامية

إنه لما أكمل الله الدين وأتم النعمة قال تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(٢) هنا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ وَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ نُعِيت إِلَيَّ نَفْسِي» وقال ابن عباس هُوَ أجلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ .

فلما مات النبي ﷺ ورفعة روحه إلى الرفيق الأعلى ، دب الخلاف فى الأمة فكان وأعظم ما وقع بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلّ سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان، وقد سهل الله تعالى فى الصدر الأول، فقد اختلف المهاجرون والأنصار فيها، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصاري، فاستدركه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى الحال بأن حضرا سقيفة بنى ساعدة فأخبرهم أبى بكر عن النبي عليه الصلاة والسلام أن : **(الأئمة من قريش)**.، فبايعه عمر وانكب الناس يبايعونه وسكنت الفتنة ، فانبرى أبو بكر للمرتدين ومانعي الزكاة فجيش الجيوش ومضى بنفسه إلى قتالهم ووافقه جماعة الصحابة بأسرهم ، فنصر الله به

(١) سورة المائدة : الآية (٣) .

(٢) سورة النصر: كاملة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدين وقمع كيد الكافرين .

فمضى أبا بكر وقد فاق أَصحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً وبرّاً وحِياطة وزهادة وكفاءة، فأعقبَ الله مَنْ ثَلَبه اللعائن إِلى يوم القيامة .

فولى أبو بكر عمر بالخلافة وقت الوفاة ، فقال بعض الناس : وليت علينا فظاً غليظاً ، فقال الصديق : لو سألنى ربى يوم القيامة لقلت: وليت عليهم خيرهم .

فكان والله عمر فى خلافته حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحلَّ الإيمان، وملاذَ الضعفاء، ومعقلَ الحنفاء، للخَلْق حصناً، وللناس عوناً، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أَظهر الله الدين وفتح الديار، وذُكِر الله في الأقطار والمناهل وعلى التلال وفي الضواحي والبقاع، وكان عند الخَنى وقوراً، وفي الشّدة والرخاء شكوراً، ولله في كل وقت وأَوان ذكوراً، فأَعقب الله من يبغضه اللعنة إِلى يوم الحسرة .

فلما مات اجتمع أهل الشورى واتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضى الله عنه، وانتظم الأمر واستمرت الدعوة فى زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال، وعاشر الخلق على أحسن خلق وعاملهم بأبسط يد، غير أن أقاربه من بنى أمية قد ركبوا نُهابر[1] فركبته، وجاروا فجير عليه ووقعت فى زمنه اختلافات كثيرة، وأخذوا عليه أحداثاً كلها محالة[2] على بنى أمية .

(١) مهالك، جمع نهبورة بضم النون فيها.

(٢) محالة أى: محمولة ومنسوبة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فذهب أعداء الدين من اليهود والمنافقين إلى بث سمومهم ونشر أحقادهم فقلبوا المسلمين على أميرهم ، وأشعلوا نار الفتنة مما نقموه عليه حتى خرج بعض المارقين فقتلوه فى بيته بين يديه مصحفه ، فكان مقتله مقدمة لأحداث جسام فى تاريخ أهل الإسلام .

فمات عثمان وكان والله أَكرم الحَفَدة، وأَوصلَ البررة، وأَصبرَ الغزاة، هجّاداً بالأَسحار، كثيرَ الدموع عند ذكر الله، دائمَ الفكر فيما يعنيه الليلَ والنهارَ، ناهضاً إِلى كل مكرمة، يسعى إلى كل منجية، فرّاراً من كل مُوبقة، وصاحب الجيش والبئر، وخَتَن المصطفى على ابنتيه، فأعقب الله من سبَّه الندامة إلى يوم القيامة .

ومن هنا كانت الخلافة هي المسألة التي اشتد نزاع المسلمين فيها وكان من أثره أن تكونت ثلاث فرق من أكبر الفرق الإسلامية وهي:

١ - الشيعة[١] الذين يرون أن على كان أحق بالخلافة من عثمان ، بل إن

(١) **الشيعة** : أقدم الفرق الإسلامية، وقد ظهروا بمذهبهم في آخر عصر عثمان رضي الله عنه ونما وترعرع في عهد علي رضي الله عنه، ولما لعلي من المكانة الممتازة في الإسلام أخذوا ينشرون نحلتهم على الناس .

ولما جاء العصر الأموي ووقعت المظالم على العلويين ورأى الناس في علي وأولاده شهداء هذا الظلم انتشر المذهب الشيعي وكثر أنصاره .

والشيعة : كلمة تعني باللغة العربية الفِرقة والجماعة والأتباع والأنصار والمحازبين لشخص أو عقيدة .

والشيعة : في الإسلام هم أنصار علي بن ابي طالب الذين يؤمنون أن خلافة النبي محمد في جميع الأمور محصورة في علي بن أبي طالب وذريته على مدار التاريخ انبثق من الشيعة فرق وأفكار ومدارس منها من خرج على ما يؤمن به جمهور الشيعة وهم من يوصفون بالغلاة ومنهم من ظل تحت اسم التشيع العام.

ومنها أيضا طوائف لم تلبث في تاريخ الدهر طويلا انقرضت وهي ما يعبر عنها بالطوائف المنقرضة.

تنقسم الشيعة في يومنا إلى ثلاث أجنحة رئيسية وكل جناح به بعض المدارس الفكرية والفقهية التي تختلف سويا في بعض المفاهيم والتفسيرات : الزيدية وقد تضمنت الزيدية أيضاً في بدايتها عدة فرق =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأحق بالخلافة بعد رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب، ومن هنا ذهبوا يطعنون في الصحابة وعلى رأسهم أبى بكر وعمر وعثمان .

٢ - والخوارج[١] القائلون بأن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر بين المسلمين .

= وتيارات كلها انقرضت .

الإمامية وتفرعت إلى : الإثنا عشرية وهو غالبية الشيعة الموجودين في زماننا، وبها ثلاث مدارس فكرية رئيسية : الأصولية ، الإخبارية ، الشيخية .

العلويون : أول طائفة من المسلمين الشيعة الإمامية .عقيدتهم هي نفس العقيدة الإمامية الجعفرية ولهم نفس تسلسل الأئمة الاثنا عشر وتقول مصادر أنهم قد افترقوا عن الاثنا عشرية ما بعد الإمام العاشر علي الهادي، ويقال الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، ولكن العلويون أنفسهم يؤكدون أن لهم نفس تسلسل أئمة الإثنا عشرية .

الإسماعيلية: وانقسمت الإسماعيلية عبر تاريخها : - الدروز ، النزارية وتسمى حديثا بالأغاخانية ، الحشاشون وكانوا بمثابة فرقة عسكرية تابعة للنزارية ، المستعلية الطيبية وتسمى حديثا بالبهرة .

وقد كان التشيع مبادءة خصبة لظهور القول بالرجعة والحلول والتناسخ والتجسيم والتشبيه وعدم ختم النبوة .

والحق الذي لا مراء فيه أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد. ومن يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها في الإسلام، ومن يريد استقلال بلاده والخروج على الدولة الإسلامية .

كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم . **انظر : (تبسيط العقائد الإسلامية ١ / ٣٠٠ ، موسوعة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ٥ / ١٣٣ وما بعدها)**

(١) **الخوارج** : هي فرقة إسلامية، نشأت في نهاية عهد الخليفة عثمان بن عفان وبداية عهد الخليفة علي بن أبي طالب، نتيجة الخلافات السياسية التي بدأت في عهده ، تتصف هذه الفرقة بأنها أشد الفرق دفاعا عن مذهبها وتعصبا لآرائها، كانوا يدعون بالبراءة والرفض للخليفة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحكام من بني أمية، كسبب لتفضيلهم حكم الدنيا، على إيقاف الاحتقان بين المسلمين . =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ - والمرجئة[١] وهم الذين كرهوا هذا الخلاف وابتعدوا عن الفريقين

= أصر الخوارج على الاختيار والبيعة في الحكم، مع ضرورة محاسبة أمير المسلمين على كل صغيرة ، كذلك عدم حاجة الأمة الإسلامية لخليفة زمن السلم .

- **أطلقوا على أنفسهم**: المؤمنين - جماعة المؤمنين - الجماعة المؤمنة .

- **أما تسمية الخوارج** : أطلق عليهم اسم «الخوارج» لخروجهم على أئمة الحق والعدل ، وثوراتهم المتعددة .

ولما شاع هذا الاسم، قبلوا به ولكنهم فسروه على أنه: خروج على أئمة الجور والفسق والضعف« وأن خروجهم إنما هو جهاد في سبيل الله ».

ومن مبادئهم : يجب أن تكون الخلافة باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير إمام لها فلا يصح أن يتنازل عنها أو يُحكم فيها، وليس بضروري أن يكون الإمام من قريش.، ومنهم من أجاز ولاية المرأة ، ويجب أن يخضع لما أمر الله وإلا وجب عزله .

ثم وضعوا مبدأ دينياً وهو: أن الإيمان ليس اعتقاداً وإنما هو اعتقاد وعمل، ومرتكب الكبيرة كافر ، وهذا هو خلافهم الأساسي مع أهل السنة - بالإضافة إلى قتال علي .

أجمع الخوارج على تنزيه الذات الإلهية عن أي شبه بالمحدثات بما في ذلك نفي مغايرة صفات الله لذاته أو زيادتها عن الذات. وانطلاقا من هذا الموقف قالوا «بخلق القرآن » . **انظر : المراجع السابقة .**

(١) **المرجئة** : هم فرقة إسلامية قد نشأة فى أعقاب الخلاف بين الصحابة لما انقسم أتباع علي بسبب رضائه التحكيم إلى خوارج وشيعة وكان الخوارج يكفرون علياً ومعاوية والقائلين بالتحكيم. والشيعة منهم من يقول بكفر أبي بكر وعمر وعثمان ومن ناصرهم وكلاهما يكفر الأمويين ويلعنهم ويرى أنهم مبطلون، كان هذا سبباً في ظهور جماعة كرهوا هذا النزاع وسلكوا طريقاً خاصاً حتى تنجلي الفكرة فقالوا بإيمان الجميع، وإن كان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً وحيث أننا لا نستطيع تعيين المصيب والمخطيء فلنرجئ أمرهم إلى الله ، لأنهم جميعاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وسميت هذه الجماعة بالمرجئة .

ثم تدرج بحثهم في أمور دينية فعرفوا الإيمان بأنه معرفة الله ورسوله ثم تغالت هذه الطائفة وقالت: الإيمان: الاعتقاد بالقلب، والعمل لا أثر له مطلقاً حتى قالوا: العبارة المشهورة لهم: (لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة)

ومن عقائد المرجئة الجهمية أن الكفر بالله هو الجهل به – وهو قول جهم -وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأرجئوا الحكم فيهما لله .

ولما انتهى المسلمون من الفتح ودخل في الإسلام كثير من أصحاب الديانات الأخرى :

اليهودية والنصرانية والمجوسية والدهرية وغيرها أخذت تظهر أفكار جديدة صيغت من أصحاب الديانات القديمة في ثوب دينهم الجديد. وكانت العراق وخصوصاً البصرة مظهراً لجميع الملل والنحل، فقامت جماعة يقولون بحرية الإرادة وعلى رأسهم معبد الجهني وتكونت منهم فرقة القدرية(١) كما

= وأنه لا يتبعض، ومنها أن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما ولا خلود لأحد فيهما .

يذكر العلماء أن الحسن بن محمد بن الحنفية هو أول من ذكر الإرجاء فى المدينة بخصوص على وعثمان وطلحة والزبير، حينما خاض الناس فيهم وهو ساكت ثم قال :قد سمعت مقالتكم ولم أر شيئاً أمثل من أن يرجأ على وعثمان وطلحة والزبير، فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم .[7]ولكنه ندم بعد ذلك على هذا الكلام وتمنى أنه مات قبل أن يقوله، فصار كلامه بعد ذلك طريقاً لنشأة القول بالإرجاء، وقد بلغ أباه محمد بن الحنيفة كلام الحسن فضربه بعصا فشجه، وقال: لا تتولى أباك علياً؟ ولم يلتفت الذين تبنوا القول بالإرجاء إلى ندم الحسن بعد ذلك، فإن كتابه عن الإرجاء انتشر بين الناس وصادف هوى فى نفوس كثيرة فاعتنقوه .

انظر : (تبسيط العقائد الإسلامية ١/٢٩٨ ، ومقالات الإسلاميين ١/٢١٣ ، والملل والنحل ١/١٣٩ ، ومجموع الفتاوى ٧/٢٩٧)

ولهم اعتقادات أخرى: كالقول بأن الإنسان يخلق فعله، وأن الله لا يرى فى الآخرة، وقد تأثروا فى هذه الآراء بالمعتزلة، وكذا رأيهم فى أن الإمامة ليست واجبة، فإن كان ولا بد فمن أى جنس كان ولو كان غير قرشى، وقد تأثروا بهذا الرأى من الخوارج الذين كانوا ينادون به ولم يطبقوه .

(١) **القدرية** : فرقة ظهرت في أواخر عهد الصحابة حيث كانت العراق مجمعاً لعناصر من الأمم ذوات الديانات المختلفة، وكانت البصرة بحراً يموج بالآراء والنحل، وقد سمع معبد بن عبد الله الجهني المتوفى سنة ٨٠ هـ - وكان ممن يجالس الحسن البصري - من يتعللون بالقدر فقام بالرد عليهم نافياً كون القدر سالباً للاختيار ، وتطرف في الدفاع حتى قال قولته المشهورة (لا قدر والأمر أنف) =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت هناك جماعة أخرى يسلبون الإنسان إرادته وعلى رأسهم جهم ابن صفوان[1] وتكونت منهم فرقة الجبرية .

= ولما بلغ هذا ابن عمر تبرأ منه ومن أصحابه .، وقد قال عنه الحسن البصري أنه ضال مضل ، وقد قيل أن أول من تكلم بهذا رجل نصراني أسلم وأخذ عنه معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وسمي أصحاب هذا الرأي بالقدرية .

وأساس مذهبهم إنكار قدر الله والمغالاة في إثبات القدرة للإنسان وأنه حر الإرادة في أعماله .، فالقدرية المحتجون بالقدر هم الذين يزعمون رضى الله عن كل عمل يعملونه ويحتجون على الله بالقدر والمشيئة فيقولون قدر الله علينا فكيف يعاقبنا؟. ومقصودهم أن الله تعالى لو كان يكره ما هم عليه من الشرك والسلوك لغيّر ذلك وعاقبهم ولكنه قد شاءه ورضيه وبذلك فلا عقوبة عليهم لأن الله قدره عليهم وجبرهم عليه لمشيئته النافذة له .

وقد وصل الغلو بهؤلاء إلى القول: «بأن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها وإن ما يفعله العباد أيضاً» لا يعلم به إلا بعد وقوعه فلا تأثير له في أي فعل يفعله العبد وهذا مذهب غلاة القدرية وقد انقرضوا فيما يذكره عنهم العلماء إلا أن المتأخرين منهم يثبتون علم الله بالأشياء قبل وقوعها ولكنه لا يتدخل في أعمال البشر بل هم الذين يخلقونها كما يريدون فهؤلاء القدرية (المعتزلة) هم نفاة القدر عن الله تعالى وهم ومن سبقهم على ضلال .

وأما الجبرية : فهم على النقيض من مذهب القدرية في أفعال العباد لأن المعتزلة القدرية لا يقولون بأن الله قدر على العبد فعله ولا جبره عليه فسلبوا عنه القدرة .

بينما الجبرية على النقيض من ذلك يقولون كل عمل يعمله العبد فإنه مقدر عليه من الله ومجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الريح فإن الله هو الفاعل الحقيقي بقوته وليس للعبد إلا نسبة الفعل إليه عن طريق المجاز، كما يقال تحركت الشجرة ونحو ذلك فسلبوا عن العبد القدرة والمشيئة التي أخبر الله تعالى عنها وجعلوا العبد أشبه ما يكون بالجماد المسير من غيره .، فيعلم مما سبق أن القدرية خرج منها الجبرية والجهمية والمعتزلة . **انظر : (تبسيط العقائد الإسلامية ١/ ٢٩٨ ، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ١/ ١٥٥، الموسوعة الحرة ويكيبيديا الشبكة العنكبوتية)**

(١) ولد الجهم بن صفوان في الكوفة و نشأ فيها، و هناك صحب الجعد بن درهم بعد قدومه إلى الكوفة هارباً من دمشق وتأثر بتعاليمه. و بعد مقتل الجعد بن درهم على يد خالد بن عبد الله القسري عام =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسط هذا الاضطراب الفكري والمبادئ التي كونتها كل فرقة لنفسها قام جماعة من المخلصين يشرحون عقائد المسلمين على طريقة القرآن والسنة، ومن أشهرهم الحسن البصري[1] وكان من أثر اختلافه مع تلميذه واصل بن عطاء أن

= ١٠٥ هـ واصل الجهم نشر أفكاره وصار له أتباع إلى أن تم نفيه إلى ترمذ في خراسان ،وفي ترمذ أخذ ينشر مذهبه، فانتشر في مدن خراسان، و خاصة في بلخ و ترمذ .وقد قتل الجهم بن صفوان عام ١٢٨هـ بعد اشتراكه مع الحارث بن سريج التميمي في الثورة على الدولة الأموية.

تنسب إليه فرقة الجهمية المبتدعة التي من مبادئها الأتي :

تنزيه الله و نفي التشبيه و تأويل الآيات : التي تشعر بالتشبيه، كيد الله و وجهه سبحانه و تعالى. و من الصفات التي أولوها صفة الكلام، فكانوا يقولون إن كلام الله إنما هو داخل نفسه – سبحانه و تعالى – و ترتب على ذلك القول بخلق القرآن، كما نفوا رؤية الله في الآخرة .

نفي صفات الله الأزلية : كالقدرة و الإرادة و العلم، وقالوا بأن هذه الصفات هي عين ذاته، و ليست مستقلة عنه؛ أي أنه ليس قادراً بقدرة غير ذاته، و ليس مريداً بإرادة غير ذاته، و ليس عالماً بعلم غير ذاته .

الإنسان لا يوصف بالاستطاعة على الفعل: بل هو مجبور بما يخلقه الله من الأفعال مثل ما يخلقه في سائر الجمادات، و نسبة الفعل إليه إنما هو بطريق المجاز ، و بسبب هذه النقطة يعدون من الجبرية.

الإيمان عقدٌ بالقلب : و إن تلفظ الشخص بالكفر، وأن الإيمان لا يضر معه شيء، و بسبب هذه النقطة يعدون من المرجئة أن الله موجود بالأمكنة كلها .

القول بفناء الجنة و النار: حيث قالوا أنه لا يتصور حركات لا تتناهى أولاً فكذلك لا يتصوَّر حركاتٌ لا تتناهى آخراً .

استمرت الجهمية بعد مقتل الجهم بن صفوان عام ١٢٨ هـ، و لكن مع بداية القرن الثالث بدأت بالإنحسار.، و يرى بعض العلماء والمؤرخين أن الجهمية لم تنته فعلاً، فقد جاء بعدهم من وافقهم في بعض معتقداتهم. فقد وافقهم المعتزلة في نفيهم صفات الله الأزلية، و تأويلهم للصفات التي تشعر بالتشبيه، وقولهم بأن القرآن مخلوق، و نفيهم رؤية الله في الآخرة. و أما الأشعرية و الماتريدية فقد وافقوهم في تأويلهم للصفات التي تشعر بالتشبيه، كاليد و الوجه، وفي تعطيل صفات الله الأزلية .**المراجع السابقة** .

(١) هو : الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد : من كبار أتباع التابعين ، كان إمام أهل البصرة، وحبر =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكونت فرقة المعتزلة[1] وكان هذا في أوائل القرن الثاني الهجري وفى بداية القرن الثالث الهجري ظهر أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان المتوفى سنة

= الأمة في زمنه .

وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة . ولد سنة ٢١ هجرية ومات سنة ١١٠ هجرية ، وقد ضعفه أهل الحديث مع فضله وعلمه ومكانته . **انظر : (السير للذهبى ، والأعلام للزركلى ، تهذيب الكمال للمزى)**

(١) **المعتزلة** : فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري(٨٠هـ- ١٣١هـ) في البصرة) في أواخر العصر الأموي (وقد ازدهرت في العصر العباسي .

اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي .

وأساس نشأتهم اختلاف واصل بن عطاء – المتوفى سنة ١٣١ هـ - مع أستاذه الحسن البصري في حكم مرتكب الكبيرة، وتبعه عمرو بن عبيد في رأيه وكان هذا في البصرة وانتشر مذهبهم في العراق واعتنقه بعض خلفاء بني أمية كما اعتنقه بعض الخلفاء العباسيين وكان لهم في العصر العباسي مدرستان، إحداهما بالبصرة والثانية ببغداد وقام بين المدرستين جدال وخلاف في كثير من المسائل .

مبادئ وأصول المعتزل :

١ – القول بالتوحيد، ولهذا نفوا صفات الله تعالى القديمة حتى لا يشبه المخلوقين .، وقد دعاهم إلى هذا قيام جماعة تجسد الإله وتشبهه بالحوادث .

٢ - القول بالعدل وهو أن العبد يخلق أفعال نفسه بقدرة أودعها الله فيه .

٣ - القول بالمنزلة بين المنزلتين فمرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً.

٤ – إنفاذ الوعيد وهو أن أصحاب الكبائر يخلدون فى نار جهنم يوم القيامة، وأن الله لا يقبل فيهم شفاعة .

٥ – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو وجوب الخروج على أئمة الجور والسلاطين لمجرد فسقهم .

أضف إلى ذلك قولهم بخلق القرآن ، وأن الله تعالى لا يرى فى الآخرة .

والاعتزال في حقيقته يحمل خليطاً من الآراء الباطلة التي كانت موجودة في ذلك العصر، فقد جمع المعتزلة =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٤٣ هـ ، فكان يرد على المعتزلة والجهمية وربما وافقهم لأنه ناظرهم بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولاً هم واضعوها، فلمّا أظهروا القول بخلْق القرآن، وقال أئمة السنة بل هُوَ كلامُ اللهَّ غير مخلوق، فأحدث ابن كُلاب القول بأنه كلامٌ قائمٌ بذات الربّ بلا قدرة ولا مشيئة. فهذا لَم يكن يتصوّره عاقل، ولا خطرَ ببال الجمهور، حتى أحدث القول بِهِ ابن كُلاب .(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين : فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها.

والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا.

فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلّق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها. ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري، وغيرهما. وأما الحارث المحاسبي: فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب، ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه، ثم قيل عن الحارث: إنه رجع عن قوله .اهـ(٢)

= بين أفكار الجهمية، والقدرية، والخوارج، والرافضة .

وقد سمي المعتزلة القدرية لأنهم وافقوهم في إثبات قدر العباد واختبارهم. كما لقبوا بالجهمية (الجبرية) لأنهم وافقوهم في نفي الصفات وخلق القرآن وعدم رؤية الله تعالى في الآخرة، والمعتزلة يتبرأون من الاسمين . **انظر : المرجع السابق** .

(١) التاريخ للذهبي ٥/٩٨١ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/٦. وانظر: مجموع الفتاوى ١٢/٣٦٦-٣٦٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فابن كلاب أحدث مذهباً جديداً، - الكلابية - فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية. وبذلك يكون قد أسس مدرسة ثالثة وهي مدرسة «الصفاتية» التي اشتهرت بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية .[١]

وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت بقية فرق أهل الكلام وهم **الأشاعرة** : المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري[٢] المتوفى سنة ٣٢٤هـ .

والماتريدية[٣] : أتباع أبي منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ وهي الفرق القائمة حتى زماننا هذا .

---

(١) كتاب العرش للذهبي ١ / ٥٤ .

(٢) ستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى .

(٣) **الماتريدية**: فرقة كلامية، تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، - هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، نسبة إلى (ماتريد) وهي محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر، ولد بها ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده، بل لم يذكر من ترجم له كثيراً عن حياته، أو كيف نشأ وتعلم، أو بمن تأثر. ولم يذكروا من شيوخه إلا العدد القليل مثل :نصير بن يحيى البلخي، وقيل نصر وتلقى عنه علوم الفقه الحنفي وعلوم الكلام .

قامت الماتريدية : على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية.، في محاولة لم يحالفها التوفيق للتوسط بين مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد ومذاهب المعتزلة والجهمية وأهل الكلام، فأعْلَوا شأن العقل مقابل النقل، وقالوا ببدعة تقسيم أصول الدين إلى عقليات وسمعيات مما اضطرهم إلى القول بالتأويل والتفويض، وكذا القول بالمجاز في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد، وبالقول بخلق الكتب ومنها: القرآن الكريم؛ وعلى أن القرآن الكريم كلام الله تعالى النفسي. مما قربَّهم إلى المعتزلة والجهمية في هذا الباب، وإلى المرجئة في أبواب الإيمان، وأهل السنة والجماعة في مسائل: القدر ، وأمور الآخرة وأحوال البرزخ، وفي القول في الإمامة، والصحابة رضي الله عنهم. ولما كان =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعد الماتريدية والأشعرية شقيقتين، وذلك لما بينهما من الائتلاف والاتفاق

= مفهومهم للتوحيد أنه يقتصر على: توحيد الخالقية، والربوبية، مما مكن التصوف الفلسفي بالتغلغل في أوساطهم، فغلب على كبار منتسبيهم وقوي بقوة نفوذ وانتشار المذهب؛ لوجود أكثر من دولة تحميه وتؤيده مثل: الدولة العثمانية ؛ فضلاً عن وجود جامعات ومدارس مشهورة تعمل على نشره، وكان لانتسابهم لمذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع أثره البالغ في انتشار المذهب الماتريدي إلى اليوم . ومع هذا فإن للماتريدية خدمات في الرد على: المعتزلة والباطنية والفلاسفة الملحدين والروافض ، ولهم جهود في خدمة كتب الحديث لا تخلو من ملحوظات .

وهناك مدراس مازالت تتبنى الدعوة للماتريدية في شبه القارة الهندية وتتمثل في:

- **مدرسة ديوبند و الندوية [١٢٨٣هـ ـ ...]** وفيها كثر الاهتمام بالتأليف في علم الحديث وشروحه، فالديوبندية أئمة في العلوم النقلية والعقلية ؛ إلا أنهم متصوفة محضة، وعند كثير منهم بدعٌ قبورية، كما يشهد عليهم كتابهم المهنَّد على المفنَّد لـ الشيخ خليل أحمد السهارنفوري أحد أئمتهم ، وهو من أهم كتب الديوبندية في العقيدة ، ولا تختلف عنها المدرسة الندوية في كونها ماتريدية العقيدة . وينتسب إليها مؤسسي جماعة الدعوة والتبليغ وكبار علمائهم ، وقد تناقل أفراد الجماعة أغلب كلام مشايخهم والذي بين طياته فكر وعقيدة المنهج الماتريدى .
- **مدرسة البريلوي [١٢٧٢هـ ـ...]** نسبة إلى زعيمهم أحمد رضا خان الأفغاني الحنفي الماتريدي الصوفي الملقب بعبد المصطفي [١٣٤٠هـ] وفي هذا الدور يظهر الإشراك الصريح، والدعوة إلى عبادة القبور، وشدة العداوة للديوبندية، وتكفيرهم فضلاً عن تكفير أهل السنة .
- **مدرسة الكوثري [١٢٩٦هـ ـ ...]** و تنسب إلى الشيخ محمد زاهد الكوثري الجركسي الحنفي الماتريدي (١٣٧١هـ) ويظهر فيها شدة الطعن في أئمة الإسلام ولعنهم، وجعلهم مجسمة ومشبهة، وجعل كتب السلف ككتب: التوحيد، الإبانة، الشريعة، والصفات، والعلو، وغيرها من كتب أئمة السنة، كتب وثنيةٍ وتجسيمٍ وتشبيهٍ، كما يظهر فيها أيضاً شدة الدعوة إلى البدع الشركية وللتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل. انظر تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، وكتاب مقالات الكوثري . **انظر : (الماتريدية رسالة ماجستير، أحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي - ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي. – العرش للذهبى - عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، د. أبو الخير محمد أيوب البنغلاديشي. - الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ١ /٩٥)**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى لكأنهما فرقة واحدة، ويصعب التفريق بينهما. ولذلك يصرح كل من الأشاعرة والماتريدية بأن كلاً من أبى الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي هما إماما أهل السنة على حد تعبيرهم .

ولعل هذا التوافق مع كونه يرجع إلى سبب رئيسي وهو توافق أفكار الفرقتين وقلة المسائل الخلافية بينهما وخاصة مع الأشعرية المتأخرة ، إلا أن هناك أسباب مهمة يرجع إليها ويجب اعتبارها وأخذها في الحسبان ولعل أهمها التزامن في نشأة الفرقتين مع كون كل فرقة استقلت بأماكن نفوذ لم تنازعها فيها الفرقة الأخرى.[1]

غير أن الماتريدية لم تتعرض للتطور الذي حصل على العقيدة الأشعرية والذي سيأتي بيانه في التعريف بالأشاعرة ، فالماتريدية بقيت على ما كانت عليه .

(١) كتاب العرش للذهبي ١/ ٦٨ ، وغاية الأماني للألوسى ١/ ٥٤٦ ، تبسيط العقائد ١/ ٢٩٩ ، مواقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/ ٤٧٧ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

تعريف العقيدة والسنة والبدعة

قبل الشروع فى البحث والكلام عن اعتقاد كل مذهب وتوضيح الحق من الباطل والخطأ من الصواب وما وافق الكتاب والسنة وما خالفها كان لابد من بعض التعريفات حتى يتثنى الترجيح والنظر بعين الإنصاف ومن هذه التعريفات .

أولاً : تعريف كلمة عقيدة : -

العقيدة لغةً : مأخوذة من العقد والرَّبط والشّدِّ بقوة، ومنه الإحكام والإبرامُ، والتماسك والمراصّة، يقال: عقد الحبل يعقده: شدّه، ويقال: عقد العهدَ والبيعَ: شدّه، وعقد الإزارَ: شده بإحكام، والعقدُ: ضد الحل .(١)

العقيدة اصطلاحًا :

العقيدة تُطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شكٌّ، وهي ما يؤمن به الإنسانُ ويعقد عليه قلبَه وضميرَه، ويتخذه مذهبًا ودينًا يدين به؛ فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحًا كانت العقيدة صحيحة، كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدةُ باطلة كاعتقاد فرق الضَّلال .(٢)

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الدال، فصل العين ٣/ ٢٩٦، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الدال، فصل العين ١/ ٣٠٠ ، وتاج العروس للذبيدى مادة عقد ٨/ ٣٩٤ .

(٢) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور ناصر العقل ص ٩ - ١٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد مرت كلمة عقيدة بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: وهي دور الموسوعية في المعنى وعدم الاختصاص، وهو المعنى اللغوي، فهي في اللغة تطلق ويراد بها :

العزم المؤكد - الجمع - النية - التوثيق للعقود - ما يدين به الإنسان سواء كان حقا أو باطلا.

المرحلة الثانية : وهي دور الفعل القلبي، وفيه تبرز العقيدة كمعنى يقوم بقلب العبد، وهو أخص من المرحلة قبله، ويعبر عنه بالمعنى المصدري وهو بهذا الاعتبار: الإيمان الذي لا يحتمل النقيض ...

المرحلة الثالثة : وهي الدور الذي نضجت فيه العقيدة، وأصبحت علما ولقبا على قضايا معينة، وهو دور الاستقرار وهو المعبر عنه: العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة اليقينية ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية .[1]

وقد وردت هذه الكلمة عن جماعة من العلماء في القرون الثلاثة، ومن ذلك ما هو في بعض المؤلفات المؤلَّفة في تلك القرون .

ومن هؤلاء العلماء أبو عبيد القاسم بن سلاَّم المتوفى سنة ٢٢٤هـ ، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: الإمام المشهور، ثقة فاضل مصنِّف ، قال في كتاب الإيمان له (ص: ٧٦) : «**فعمل القلب الاعتقاد**».

ومنهم إبراهيم بن خالد أبو ثور المتوفى سنة (٢٤٠هـ) قال عنه الحافظ في التقريب: الفقيه، صاحب الشافعي، ثقة، فقد روى اللالكائي في شرح أصول

(١) انظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم البريكان ص ٨ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعتقاد أهل السُّنَّة (١٥٩٠) بإسناده إليه أنَّه قال ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال: أشهد أنَّ الله عزَّ وجل واحد وأن ما جاءت به الرسل حق وأَقَرَّ بجميع الشرائع ثم قال: **ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم**، ولو قال: المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام قال: **لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنَّه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن ...**

ومنهم الإمام محمد بن نصر المروزي المتوفى سنة (٢٩٤هـ) قال عنه الحافظ في التقريب: الفقيه أبو عبد الله، ثقة حافظ إمام جبل، فقد ذكر (الاعتقاد) في مواضع من كتابه تعظيم قدر الصلاة، منها (٢/٧٣٣) : « **... إذا اعتقد أنَّ الله ليس بكريم ولا يستحق المدح الحسن فقد اعتقد الكفر** ولم يعرف، **وكذلك إن اعتقد أنَّه قد ظلمه وجار عليه فهو كافر لم يعرف الله ...** ».

ومنهم الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المولود سنة (٢٣٩هـ) ، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في لسان الميزان: قال أبو سعيد ابن يونس: كان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً، لم يخلف مثله، وهو **صاحب العقيدة المشهورة بالعقيدة الطحاوية**، قال في مطلعها: هذا ذكر بيان **عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة** على مذهب فقهاء الملَّة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، رضوان الله عليهم أجمعين، **وما يعتقدون من أصول الدِّين**، ويَدينون به ربَّ العالَمين، **نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله**: إنَّ الله واحدٌ لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يُعجزه، ولا إله غيره ... »[1]

ومن المؤلفات التي حملت اسم العقيدة أو الاعتقاد : العقيدة الطحاوية لأبى جعفر الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ هـ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي المتوفى سنة ٤١٨هـ ، عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ، والاعتقاد للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

مما سبق يتضح : أن هذه الكلمة كلمة عربية، واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، دالة على المقصود في هذا الموضع على أتم ما يكون؛ لأن العقيدة أو الاعتقاد مأخوذة في اللغة من العقد، وهو الربط والحزم والشد والتوثيق. وأهل العلم من السلف والخلف ـ رحمهم الله ـ أطلقوا هذا الوصف على أصول الإيمان لأنه مطلوب من المسلم أن يربط عليها قلبه، ويوثق عليها جنانه، وأن يكون إيمانه بها إيماناً جازماً لا شك فيه ولا ريب ولا تردد، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ [2] أي أيقنوا ولم يشكوا .

فالعقيدة للعلوم والأعمال كلها بمثابة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار. فكما أن البناء لا يقوم إلا على أساسه، والشجر لا يقوم إلا على أصوله، فإن أعمال المرء وعلومه لا تنفع إلا إذا قامت على اعتقاد صحيح .

فالعناية بالعقيدة مقدمة على العناية بسائر الأمور من طعام وشراب ولباس؛ لأن العقيدة هي التي يحيى بها المؤمن الحياة الحقيقية، وتزكو بها نفسه، وتستقيم

(١) انظر: الانتصار لأهل السنة والحديث للشيخ / عبد المحسن العباد ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢) سورة الحجرات : الآية (١٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بها أعماله، وتُتَقبَّل بها طاعاته، وترتفع بها درجاته عند الله عز وجل. وإذا اختلت العقيدة، أو فسدت، أو ذهبت انعكس ذلك على شؤونه كلها، وأعماله جميعها. ولهذا فإن للعقيدة الفاسدة شؤماً على صاحبها في أعماله وأخلاقه، وهي مردية ومهلكة له.(١)

ثانياً : تعريف السنة :-

السنة لغة: السنة والسنن بمعنى واحد، يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويقال: امض على (سننك) أي على وجهك، وتنح عن (سنن) الطريق، و (سننه) ثلاث لغات (السنة) السيرة.

السنة : الطريقة قبيحة كانت أو حسنة، وسن الطريق سنها سنا سار عليها، قال الهذلي:

فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَها ... فأول راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرُها

وقال الأزهري : السنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة أي من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة .(٢)

واصطلاحاً : ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل، أفعال الرسول وأقواله وتقريراته كلها سنة .

وللسنة تعريفات تختلف باختلاف أهل العلم ، فالسنة عند المحدثين هي كل

(١) شرح عقيدة الحافظ المقدسي ص ١١ .

(٢) انظر : الصحاح مادة سنن ٥/٢١٣٨ ، ومختار الصحاح باب س ن ن ١/١٥٥ ، والمصباح المنير ١/٢٩١ ، وتاج العروس مادة سنن ٣٥/٢٣٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما أسند إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو صفة خلقية .

أما عند الفقهاء فهي: كل شرع غير مفروض أو غير لازم ، بمعنى أنها المندوب الذي هو المستحب ، والذي حكمه: أنه يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه .

والسنة عند أهل العقيدة هي أصول الدين، هي: اعتقاد النبي ﷺ واعتقاد الصحابة رضوان الله عليهم، فهي مقابل البدعة، ولذلك ترى كتب العقيدة كلها تتحدث إما عن اعتقاد النبي ﷺ أو عن البدعة التي تخالف هذا الاعتقاد .

*** العلاقة بين مسمى العقيدة والسنة :**

لأهمية وخطورة مسائل الاعتقاد التي هي أصل الدين، وعليها يبنى غيرها من أعمال الإسلام، أطلق العلماء لفظ «السنة» على ما وافق الكتاب والسنة من قضايا الاعتقاد .

ولما كانت السنة مصدراً من مصادر العقيدة -كما سيأتي -، وطريقة من طرق إثبات العقيدة الصحيحة، اعتبر العلماء معنى السنة: إتباع العقيدة الصحيحة، وأطلقوا على عقيدة السلف الصالح اسم السنة، بسبب اتباعهم لطريقة رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في ذلك .

يقول ابن رجب الحنبلي[1] **رحمه الله** : السنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه النبي ﷺ هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات

(١) هو : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الواعظ. الإمام الحافظ، المحدّث، الفقيه، ولد في بغداد سنة ٧٣٦ هـ وسمع من أبي الفتح الميدومي. =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديما لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله .

وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات ، لأنها أصل الدين ، والمخالف فيها على خطر عظيم .[1]

وقد ساد اصطلاح السنة في القرن الثالث الهجري، وذلك حين ظهرت الفرق، وراجت عقائد المبتدعة .، فأخذ العلماء يطلقون على أصول الدين ومسائل العقيدة اسم «السنة» تمييزاً لها عن مقولات الفرق .، وأذكر فيما يلي بعضاً من المصنفات التي كتبوها تحت مسمى السنة :

١ - السنة لابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ .

٢ - السنة لأحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ .

٣- السنة للأثرم؛ أبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ البغدادي المتوفى سنة ٢٧٣هـ .

٤ - السنة لأبي علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال المتوفى سنة ٢٧٣هـ.

٥ - السنة لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ .[2]

= له مصنفات عديدة، منها: شرح الترمذي؛ شرح علل الترمذي؛ طبقات الحنابلة؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري لم يتمه؛ وجامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم؛ التوحيد وغيرها. توفي بدمشق سنة ٧٩٥ هـ .

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ١٢٠ ط شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٢) انظر : كتاب المفيد فى مهمات التوحيد د/عبد القادر عطا صوفى ص ١٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦ - السنة لأبو بكر بن أبي عاصم الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧هـ .

٧ - السنة لأبو عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِي المتوفى سنة ٢٩٤هـ .

ثالثاً : تعريف البدعة : -

البدعة لغة : قال ابن منظور: بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه أنشأه وبدأه ... البديع، والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ أي ما كنت أول من أرسل وقد أرسل قبلي رسل كثير .

والبدعة: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة قال الله تعالى: ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا** ﴾ وبدَّعه نسبه إلى البدعة .

واستبدعه: عده بديعاً. والبديع المحدث العجيب. والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال. والبديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ... [(١)].

وقال الراغب الأصفهاني: [الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ... والبديع يقال للمبدع نحو قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ قيل معناه مبدعاً لم يتقدمني رسول ... والبدعة في المذهب إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة] [(٢)].

(١) انظر : لسان العرب مادة بدع ١ / ٣٤١ - ٣٤٢.

(٢) انظر : المفردات ص ٣٨ - ٣٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البدعة اصطلاحاً :

اختلف العلماء في تعريف البدعة وتحديد مفهومها فمنهم من حصرها في باب العبادات فضيق مفهومها فقصرها على الابتداع في باب العبادات اصطلاحاً.

ومنهم من وسع مفهومها فأطلقها على كل محدث من الأمور وجعلها تنقسم إلى أقسام خمسة: واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة .(١)

وقد سار على أحد هذين المنهجين علماء أجلاء وعلماء أعلام لكل وجهة هو موليها وكل منهم يقصد الوصول إلى ما اعتقد أنه الحق والصواب ، وسأذكر المنهجين وأدلتهما وأبين ما أرى أنه الراجح مع الاستدلال .

المنهج الأول :

يرى جماعة من أهل العلم منهم الإمام عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء وابن الجوزي وأبو شامة المقدسي والنووي والعيني وابن الأثير والقرافي والحافظ ابن حجر والسيوطي وغيرهم أن البدعة تطلق على كل محدثة لم توجد في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا في سنة رسوله ﷺ سواء أكانت في العبادات أم العادات وسواء أكانت محمودة أو مذمومة .

---

(١) **انظر مسالك العلماء في تعريف البدعة في المصادر الآتية:** قواعد الأحكام ٢/ ١٧٢، الاعتصام ١/ ٣٧، تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٢، الباعث ص ١٣، اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٧٠، الأمر بالإتباع ص ٨١، تلبيس إبليس ص ١٦، فتح الباري ٥/ ١٥٦، جامع العلوم والحكم ص ٣٣٥، الفروق ٤/ ٢٠٢، تهذيب الفروق ٤/ ٢١٧، الإبداع ص ٢٦، البدعة ص ١٩٥، السنة والبدعة ص ١٩٥، السنن والمبتدعات ص ١٥، كلمة علمية هادئة في البدعة وأحكامها ص ١٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرى هؤلاء العلماء أن البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة فإن وافقت السنة فهي حسنة محمودة وإن خالفت السنة فهي سيئة مذمومة .(١)

وبناء على هذا الأساس قالوا إن البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة فهي إما أن تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة .

قال الإمام النووي : البدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة .

قال الشيخ الإمام العز بن عبد السلام(٢) رحمه الله في آخر كتاب القواعد : البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة، قال والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة أو في قواعد التحريم فمحرمة أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة .

وللبدع الواجبة أمثلة منها الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام ورسوله ، حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة، تدوين أصول الدين وأصول

(١) انظر من المراجع السابقة : قواعد الأحكام ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وتلبيس إبليس ، وفتح الباري ، والإبداع ، والفروق ، والأمر بالإتباع .

(٢) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء. فقيه أصولي شافعي كان يلقب بسلطان العلماء وبائع الملوك. ولد بدمشق سنة ٥٧٧ هـ ونشأ وتفقه بها على كبار علمائها .

له مؤلفات كثيرة منها: الفوائد؛ الغاية؛ القواعد الكبرى والقواعد الصغرى؛ الفرق بين الإيمان والإسلام؛ مقاصد الرعاية؛ مختصر صحيح مسلم؛ الإمامة في أدلة الأحكام؛ بيان أحوال الناس يوم القيامة؛ بداية السول في تفضيل الرسول؛ الفتاوى المصرية. توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفقه، الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم ، ذلك واجب لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها إلا بذلك وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وللبدع المحرمة أمثلة منها: مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة....

وللبدع المندوبة أمثلة منها إحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول ....

وللبدع المكروهة أمثلة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف .

وللبدع المباحة أمثلة منها المصافحة عقب الصبح والعصر ومنها التوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ..... وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة ويجعله آخرون من السنن المفعولة في عهد رسول الله ﷺ .....(١)

وقد استدلوا على ذلك بأثر عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ. يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ. فَقَالَ عُمَرُ: وَاللهَّ إِنِّي لَأَرَانِي «لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ»، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ»، «وَالَّتِي تَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي تَقُومُونَ» يَعْنِي آخِرَ اللَّيْلِ

(١) انظر : قواعد الأحكام لإمام العز بن عبد السلام ٢/ ٢٠٤ – ٢٠٥ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ .(١)

وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ الضُّحَى فِي الْمَسْجِدِ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ؟ فَقَالَ: بِدْعَةٌ ... (٢)

وعَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «لَقَدْ قُتِلَ عُثْمَانُ وَمَا أَحَدٌ يُسَبِّحُهَا وَمَا أَحْدَثَ النَّاسُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهَا»(٣)، وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَبَّحَ سُبْحَةَ الضُّحَى»، وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا .(٤)

قالوا إن ابن عمر سمى صلاة الضحى جماعة في المسجد بدعة واستحسنها .

واحتجوا بالأحاديث التي تفيد انقسام السنة إلى حسنة وسيئة فمن ذلك :

حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(٥)

---

(١) **صحيح** : أخرجه مالك فى الموطأ ١/١١٤ باب ما جاء فى قيام رمضان ، والمروزى فى مختصر قيام الليل ١/٢١٧ ، والبيهقى فى الشعب ٢٩٩٩ ، وشرح السنة للبغوى برقم ٩٩٠ ، وصححه الألباني فى صلاة التراويح ١/٤٩ .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ١٧٧٥ ، ومسلم برقم ١٢٥٥ وغيرهما .

(٣) **صحيح الإسناد** : أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه برقم ٤٨٦٨ .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ١١٧٧ ، والبيهقى فى الكبرى برقم ٤٩١١ .

(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ١٠١٧ ، والنسائي برقم ٢٥٥٤ ، وأحمد برقم ١٩٤٥٦ وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحديث كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ: **اعْلَمْ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ** قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلاَلَةٍ لاَ تُرْضِي اللهَّ وَرَسُولَهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئًا.** [(١)] وغيرها من الأحاديث.

قالوا إن هذه الأحاديث تدل على انقسام البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة. بل إن الإمام النووي يرى أن حديث جرير بن عبد الله : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ... الخ) يعتبر تخصيصاً لقوله ﷺ (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة [(٢)].

كما أنهم قد استدلوا بأدلة أخرى يطول المقام بذكرها .

المنهج الثاني :

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن البدعة مخالفة للسنة ومذمومة شرعاً

---

(١) **ضعيف** : أخرجه الترمذي برقم ٢٦٧٧ ، وابن ماجه برقم ٢١٠ ، والبزار فى مسنده برقم ٣٣٨٥ ، والطبراني فى الكبير برقم ١٠ ، والبيهقى فى الاعتقاد ٢٣١/١ ، وعبد بن حميد فى مسنده برقم ٢٨٩ كلهم عن كثير بن عبد الله أجمعوا على ضعفه قال يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال أحمد : لا تحدث عنه شيئاً ، وقال أبو زرعة : واهى الحديث ، ليس بالقوى ، وقال أبو حاتم : ليس بالمتين ، وقال النسائي والدراقطنى : متروك الحديث ، وقال ابن عدى : عامة ما يروية لا يتابع عليه ، وقال ابن حجر : ضعيف أفرط من كذبه ، وقال الذهبى واه الحديث . انظر : تهذيب الكمال للمزى ١٢٦/٢٤ ، والتاريخ للذهبى ٤٨٥/٤ .، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير برقم ٩٦٥ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٨٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأنها محدثة لا أصل لها في الشرع وعلى هذا الإمام مالك والبيهقي والطرطوشي وشيخ الإسلام ابن تيمية والزركشي وابن رجب والشُّمَنِي الحنفي وغيرهم، واختاره جماعة من العلماء المعاصرين .(١)

وأساس هذا المنهج هو تعريف البدعة بالمحدث المخالف للسنة الذي جعل ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً قال الشاطبى في أحد تعريفيه للبدعة : فالبدعة إذن عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه .

وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات ...

ثم قال : فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد، وهو ما رسم للسلوك عليه .

وإنما قيدت بالدين، لأنها فيه تخترع، وإليه يضيفها صاحبها، وأيضا؛ فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص، لم تسم بدعة؛ كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم .

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم، فمنها ما له أصل في الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها، خص منها ما هو المقصود بالحد، وهو القسم المخترع، أي: طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع، إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع .

(١) إتباع لا ابتداع - قواعد وأسس في السنة والبدعة لحسام الدين بن عفانة ص ٢٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين .... (١)

وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد فقد خرج عن هذه التسمية . (٢)

وقد استدل هذا الفريق بما يلي :

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى قد أكمل هذا الدين قبل وفاة الرسول ﷺ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ (٣). فلا يقبل من أي إنسان أن يزيد على الدين أو يخترع فيه شيئاً لأن هذه الزيادة والاختراع تعتبر استدراكاً على الله تبارك وتعالى وتوحي بأن الشريعة ناقصة وبأن محمداً ﷺ لم يبلغ الرسالة تبليغاً كاملاً (٤).

قال الإمام مالك بن أنس: «من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً (٥).

---

(١) الاعتصام للشاطبى ١ / ٥٠ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة المائدة : الآية (٣) .

(٤) انظر البدعة والمصالح المرسلة ص ١١١.

(٥) الاعتصام للشاطبى ١ / ٦٥ .، رواه عنه بسنده الإمام ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٦ / ٨٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولأن الزيادة على الشريعة فيها إظهار الاستظهار على الشارع وهو قلة أدب معه لأن شأن العظماء إذا حددوا شيئاً وقف عنده وعدَّ الخروج عنه قلة أدب.(١)

ثانياً: قالوا إن الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ في البدعة كلها على سبيل الذم، فمن ذلك حديث جابر عند مسلم « **فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة** »(٢) وفي رواية للنسائي: « **وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** »(٣). وكذلك ما جاء في حديث العرباض بن سارية تقدم وفيه «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** »(٤) .

قالوا : إن قول الرسول ﷺ (كل بدعة) كلية عامة شاملة مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم (كل) والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق وأنصح الخلق للخلق لا يتلفظ بشيء لا يقصد معناه .(٥)

وقال الإمام أبو حنيفة : «عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»(٦)

---

(١) تهذيب الفروق ٤ / ٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٨٦٧ باب تخفيف الصلاة والخطبة .

(٣) أخرجه النسائي برقم ١٥٧٨ باب كيف الخطبة .

(٤) سبق تخريجه .

(٥)انظر : الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع لابن عثيمين ص ١٢.

(٦)ذم التأويل لابن قدامة المقدسى برقم ٦٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال الإمام أحمد: « أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة »[١]

وأجاب الإمام الشاطبي[٢] عندما سئل : هل كل بدعة حسنت أو قبحت ضلالة لعموم الحديث أم تنقسم على أقسام الشريعة؟ فأجاب: إن قول النبي ﷺ (كل بدعة ضلالة محمول عند العلماء على عمومه لا يستثنى منه شيء ألبتة وليس فيها ما هو حسن أصلاً إذ لا حسن إلا ما حسنه الشرع ولا قبيح إلا ما قبحه الشرع فالعقل لا يحسن ولا يقبح وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيحه أهل الضلال» [٣]

واحتجوا أيضا بحديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[٤] وفى رواية لمسلم «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»

قال الإمام الشوكاني[٥] : « وهذا الحديث من قواعد الدين لأنه يندرج تحته

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة المقدسى برقم ٧١ .

(٢) هو : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية توفى سنة ٧٩٠ هـ ، من كتبه الموافقات في أصول الفقه ، و (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، و أصول النحو ، والاعتصام في أصول الفقه، و (شرح الألفية) سماه المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية .

(٣) فتاوى الشاطبى ص ١٨٠ -١٨١ نقلاً عن اتباع لا ابتداع ١/ ٣٢ .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخارى برقم ٢٦٩٧ ، ومسلم برقم ١٧١٨ وغيرهما .

(٥) هو : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، ولد ببلدة =

=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الأحكام ما لا يأتي عليه الحصر وما أصرحه وأدله على إبطال ما فعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام وتخصيص الرد ببعضها بلا مخصص من عقل ولا نقل فعليك إذا سمعت من يقول هذه بدعة حسنة بالقيام في مقام المنع مسنداً له بهذه الكلية وما يشابهها من نحو قوله ﷺ (كل بدعة ضلالة) طالباً لدليل تخصيص تلك البدعة التي وقع النزاع في شأنها بعد الاتفاق على أنها بدعة فإن جاءك به قبلته وإن كاع - أي جبن وهاب - كنت قد ألقمته حجراً واسترحت من المجادلة. ومن مواطن الاستدلال لهذا الحديث كل فعل أو ترك وقع الاتفاق بينك وبين خصمك على أنه ليس من أمر رسول الله ﷺ وخالفك في اقتضائه البطلان أو الفساد متمسكاً بما تقرر في الأصول من أنه لا يقتضي ذلك إلا عدم أمر يؤثر عدمه في العدم كالشرط أو وجود أمر يؤثر وجوده في العدم كالمانع فعليك بمنع هذا التخصيص الذي لا دليل عليه إلا مجرد الاصطلاح مسنداً لهذا المنع بما في حديث الباب من العموم المحيط بكل فرد من أفراد الأمور التي ليست من ذلك القبيل قائلاً هذا أمر ليس من أمره وكل أمر ليس من أمره رد فهذا رد وكل رد باطل فهذا باطل فالصلاة مثلاً التي ترك فيها ما كان يفعله

= شوكان باليمن سنة ١١٧٣ هـ ونشأ في صنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، وجد في طلبه فأكثر من المطالعة والحفظ والسماع، حتى صار عالمًا كبيرًا يشار إليه بالبنان، توافد عليه الطلاب من كل مكان . اشتغل بالقضاء والإفتاء وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، ترك التقليد وسلك طريق الاجتهاد بعد أن اجتمعت فيه شرائطه كاملة. ترك مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وسلامة منهجه. كثر خصومه كما كثر المعجبون به بسبب دعوته إلى الاجتهاد والتجديد. توفي بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ .، من مصنفاته : نيل الأوطار في الحديث؛ فتح القدير في التفسير .، إرشاد الفحول فى الأصول .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله ﷺ أو فعل فيها ما كان يتركه ليست من أمره فتكون باطلة بنفس هذا الدليل سواء كان ذلك الأمر المفعول أو المتروك مانعاً باصطلاح أهل الأصول أو شرطاً أو غيرهما فليكن منك هذا على ذكر »[1].

واحتجوا بما ورد عن السلف في ذم البدعة وأنهم قد فهموا من الأحاديث الواردة في ذم البدعة الإطلاق والعموم كقول ابن عمر: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً»[2] .

وقول ابن مسعود: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا، فَقَدْ كُفِيتُمْ»[3] .

وقول حذيفة: «كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً فاتقوا الله يا معشر القرآء وخذوا طريق من كان قبلكم»[4] .

وقول ابن عباس: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِّ، وَالِاسْتِقَامَةِ، اتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ» وغير ذلك من الآثار .

وبناء على ما تقدم فهؤلاء العلماء يرون أن كل بدعة في الدين ضلالة فلا

---

(١) نيل الأوطار ٢/٩٣ – ٩٤ .

(٢) أخرجه ابن بطه فى الأبانة الكبرى برقم ٢٠٥ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى برقم ١٢٦ ، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقى برقم ١٩١ ورجاله ثقات .، وصححه الألبانى فى أحكام الجنائز ١/٢٠١ .

(٣) أخرجه الدارمى برقم ٢١١ ، والمروزى برقم ٧٨ ، والطبراني فى الكبير برقم ٨٧٧٠ ، والإبانة لابن بطه برقم ١٧٤ ، والبيهقى فى الشعب برقم ٢٠٢٤ وسنده حسن بمجموع طرقه .

(٤) أخرجه الدارمى برقم ١٤١ ، وابن بطه برقم ١٥٧ ، وفيه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنقسم البدعة في الدين إلى حسنة وسيئة بل هي قسم واحد وهي البدعة السيئة وأن البدع لا تكون إلا قبيحة مذمومة .

كما أنهم قد استدلوا بأدلة أخرى يطول المقام بذكرها .

قلت : فالراجح - والله أعلم - أن البدعة لا تطلق إلا على ما خالف السنة، فليس في البدع محمود .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (واعلم أن هذه القاعدة وهي: الاستدلال بكون الشيء بدعة على كراهته، قاعدة عامة عظيمة، وتمامها بالجواب عما يعارضها، وذلك أن من الناس من يقول: البدع تنقسم إلى قسمين: حسنة، وقبيحة. بدليل قول عمر رضي الله عنه - في صلاة التروايح: ((نعمت البدعة هذه)) .

وهؤلاء المعارضون يقولون: ليست كل بدعة ضلالة .

والجواب : أما القول « أن شر الأمور محدثاتها، وأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ، والتحذير من الأمور المحدثات: فهذا نصُّ رسول الله ﷺ، فلا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذمّ البدع، ومن نازع في دلالته فهو مراغم.....

(ولا يحلُّ لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ، وهي قوله: ((كل بدعة ضلالة)) . بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة رسول الله ﷺ أقرب منه إلى التأويل .[1]

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم . لابن تيميه ٢/٩٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ظهر من الأدلة وكلام أهل العلم أن المحل الذي تدخله البدعة هو الذي عينت الشريعة له حدوداً بمكان أو زمان أو عدد أو اتجاه أو صفة أو حال، وكانت هذه الحدود مما لا يُعقل لها معنى على التفصيل .

وتدخل البدعة بهذا الاعتبار في أي عمل سواء أُريد به القربة ؛ كالصلاة والصيام والحج والذكر والدعاء، أو لم تُرد به القربة ؛ كالأعياد والطلاق وعِدَد النساء .

فهذا هو المحل الذي تدخله البدعة .

كما ظهر أن الحكم بالبدعة على الشيء يدور على قواعد ثلاث :

القاعدة الأولى: أن كل تغيير في ذلك المحدود بالزيادة أو النقص أو الصفة أو إبدال المكان أو الزمان أو الموضع أو الحال على وجه لم يأذن به الله كله بدعة في الدين .

القاعدة الثانية: أن نية التعبد المحض في فعل وترك الأمور العادية على وجه لم ترد به الشريعة تحيل العمل والترك إلى عبادة محضة فيصير بدعة .

القاعدة الثالثة: مضاهاة المكلف للتعبدات المحضة.، ويجري على صورتين :

الصورة الأولى: تخصيص العبادة المحضة، أو تقييدها بمكان أو زمان أو حال أو صفة؛ سواء كان ذلك باعتقاد المشروعية على الوجه الخاص أو المقيد، أو أن يقع هذا التخصيص أو التقييد بمحض العادة، ومطلق المداومة .

والصورة الثانية : تخصيص العادات بمحدودات من مكان أو زمان أو حال أو صفة لا يُعقل لهذه المحدودات معنى على التفصيل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أسباب نشأة البدع :

الابتداع هو الإحداث في الدين، والإحداث في الدين له أسباب عدة، منها :

الجهل بأدوات الفهم.، الجهل بالمقاصد.، تحسين الظن بالعقل.، إتباع الهوى.، القول في الدين بغير علم وقبول ذلك من قائله.، الجهل بالسنة، ويشمل:

الجهل بالتمييز بين الأحاديث المقبولة وغيرها.، الجهل بمكانة السنة من التشريع.، إتباع المتشابه.، الأخذ بغير ما اعتبره الشارع طريقاً لإثبات الأحكام.، الغلو في بعض الأشخاص .

وقد تجتمع هذه الأسباب، وقد تنفصل، فإذا اجتمعت، فتارة يجتمع منها اثنان، وتارة يجتمع ثلاثة .(١)

أسباب انتشار البدع :

انتشار البدع له أسباب عدة، منها :

١ - سكوت كثير من العلماء على تلك المبتدعات الضآلة، والعوام إذا رأوا سكوت العالم على أمر حسبوا أن ذلك الأمر لا يخالف الشرع .

وأدهى من ذلك، أن بعض العلماء الذين فسدت نياتهم، آثروا الدنيا على الآخرة، فأخذوا يروِّجون تلك البدع ويحسنونها للمسلمين، لينالوا الشهرة بينهم، وتكون هذه الشهرة طريقاً لجمع المال وتحصيله منهم من طرق عدة .

(١) البدع الحوليه للتويجرى ص ٣٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- عمل العالم بالبدعة وتقليد الناس له، لوثوقهم بأنه لا يفعل إلا ما فيه الصواب، وربما كان عمله على وجه المخالفة، فيظن الناس أن ذلك مشروعاً .

٣- تبني الحكام للبدعة، وتأييدهم لها، وعملهم على انتشارها، لموافقتها أهواءهم، كما حدث من المأمون ومن بعده في القول بخلق القرآن؛ وذلك أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزيَّنُوا له القول بخلق القرآن، ونفي الصفات عن الله عز وجل .

٤- تحول البدع إلى عادة يصعب الانصراف عنها إلا بعد جهد كبير .

٥- موافقة البدعة لأهواء النفوس وغرائز الناس التي حرص الدين على تنظيمها، والحد من الانطلاق معها، وعدم وجود مقاومة فعالة تمنع من انتشارها، وامتداد أخطارها وتغلغلها في النفوس .[١]

حكم البدعة في الدين :

لاشك أن كل بدعة في الدين ضلالة، ومحرّمة، لقول النبي ﷺ « إياكم ومُحْدَثات الأمور، فإن كل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وقوله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فدل الحديثان على أن كل مُحْدَثٍ في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، فالبدع في العبادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة :

(١) انظر : المرجع السابق ص ٧١ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله : أن إثم المبتدع ليس على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة، واختلافها يقع من جهات، على النحو الآتي :

١ - من جهة كون صاحب البدعة مُدَّعياً للاجتهاد أو مقلداً .

٢ - من جهة وقوعها في الضروريات : الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال أو غيرها .

٣ - من جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً .

٤ - من جهة كونه داعياً إليها أو غير داعٍ لها .

٥ - من جهة كونه خارجاً على أهل السنة أو غير خارج .

٦ - من جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية .

٧ - من جهة كون البدعة بيِّنة أو مشكلة .

٨ - من جهة كون البدعة كفراً أو غير كفر .

٩ - من جهة الإصرار على البدعة أو عدمه .

وبيّن رحمه الله أن هذه المراتب تختلف في الإثم على حسب النظر إلى دركاتها .

وأوضح رحمه الله أن هذه المراتب منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، وأن وصف الضلال ملازم لها، وشامل لأنواعها .

ولا شك أن البدع تنقسم على حسب مراتبها في الإثم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : كفر بواح .

القسم الثاني : كبيرة من كبائر الذنوب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القسم الثالث : صغيرة من صغائر الذنوب ، وللبدعة الصغيرة شروط، هي:

الشرط الأول : لا يداوم عليها، فإن المداومة تنقلها إلى كبيرة في حقه .

الشرط الثاني : لا يدعو إليها؛ فإن ذلك يعظم الذنب لكثرة العمل بها .

الشرط الثالث : لا يفعلها في مجتمعات الناس، ولا في المواضع التي تقام فيها السنن .

الشرط الرابع : لا يستصغرها ولا يستحقرها، فإن ذلك استهانة بها ، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب .

واسم الضلالة يقع على هذه الأقسام الثلاثة؛ لأن النبي ﷺ جعل كل بدعة ضلالة، وهذا يشمل البدعة المكفرة، والبدعة المفسقة: سواء كانت كبيرة أو صغيرة .(١)

وهذا ونسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن وأن يعصمنا من الضلالة ويهدنا طريق الحق والرشاد إنه ولى ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين .

(١) انظر شرح هذه الشروط كتاب الاعتصام للإمام الشاطبى ١/ ٢١٦ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

التعريف بعلم الكلام

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : التعريف بعلم الكلام ونشأته .

المطلب الثاني : ذم الأئمة الأعلام لعلم الكلام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

التعريف بعلم الكلام ونشأته

أولاً: تعريف علم الكلام : -

عرف علم الكلام بعدة تعريفات منها :

١ - قال أبو حيان التوحيدي[١]: « وأما علم الكلام فإنه من باب الاعتبار في أصول الدين يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين والتقبيح، والإحالة والتصحيح، والإيجاب والتجويز، والاقتدار والتعجيز، والتعديل والتجوير، والتوحيد والتكفير .

والاعتبارُ فيه ينقسم بين دقيق يتفرد العقل به، وجليل يُفْزَع إلى كتاب الله تعالى فيه ».

٢ - وعرفه ابن خلدون[٢] رحمه الله بقوله : « علم يتضمن الحجاج عن

---

(١) هو : علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان: فيلسوف، متصوف معتزلي، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء.، وقال ابن الجوزي: كان زنديقا.، ولد في شيراز (أو نيسابور) وأقام مدة ببغداد.، توفى سنة ٤٠٠ هـ .، وشي به إلى الوزير المهلبي فطلبه، فاستتر منه ومات في استتاره، عن نيف وثمانين عاما. من كتبه «المقابسات » و «الصداقة والصديق » و «البصائر والذخائر » .

(٢) هو : عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة.، أصله من إشبيلية، ومولده سنة ٧٣٢ هـ ومنشأه بتونس.، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والاندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس.

ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق.، وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده.، وعزل، وأعيد.، توفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية» .

٣- وعرفه الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله بقوله : «هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء بالكتاب والسنة » [١].

وقد عرف أيضاً بأنه علمٌ حادث بعد عصر الصحابة، أحدثه قوم من النظار المائلين عن طريقة الأئمة من الفقهاء والمحدثين .

وهو مركب من ثلاث مواد: الأولى: مادة فلسفية مفصلة .

الثاني: مادة من الكليات العقلية العامة .

الثالثة: مادة من الجمل الشرعية العامة. [٢]

ثانياً : نشأة علم الكلام : -

كانت الهمة الأساسية والأولى للإسلام هي تقرير التوحيد تقريراً واضحاً صريحاً لا لبس فيه، وإقراره في العقول والقلوب إقراراً يدفعها إلى العمل به، والتزام شريعته ومنهاجه في كافة نواحي الحياة ، ثم نفي الشرك -المضاد لهذا التوحيد- نفياً تاماً في أي صورة من صوره ، وتحت أي اسم أو شعار يختفي من وراءه .

وقد انتهج القرآن الكريم منهجاً خاصاً في تقرير تلك العقيدة وإقرارها، فاتجه إلى الفطرة الإنسانية يخاطب ما هو مركوز فيها من معانٍ تجعل الإيمان

(١) انظر : مصطلحات في كتب العقائد ١ /٨٩ .

(٢) شرح القواعد السبع من التدمرية دروس مفرغة للشيخ يوسف محمد الغفيص د/٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بوجود الخالق، وضرورة عبادته وحده أمراً بديهياً لا حاجة فيه لجدل أو سفسطة.

لقد لفت القرآن الأنظار إلى الآيات المبثوثة في الكون والنفس، قال تعالى ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** [(١)]﴾ ، وقال تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[(٢)]، وحمل الإنسان على التفكير في خلق نفسه، وفي خلق آيات الكون، وفي إخراج النبات الحي من الأرض الميتة، ليدفعه من خلال تلك الصور إلى التفكر ثم التعقل فالتذكر .

ثم عرض لصفات الباري سبحانه فأوضحها بأسهل طريق وأبين لفظ، قال تعالى ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** [(٣)]﴾ ، وقال تعالى:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[(٤)]

بهذه النصاعة الرائقة، وبهذا الأسلوب البين، وبهذا المنهج الهين اللين الذي لا عوج فيه ولا أمتا، قرر القرآن التوحيد، هذا المنهج الذي يتوجه إلى الفطرة السليمة يلتمس فيها مواطن البديهة العاقلة فيهديها برفق وعمق إلى الحق

(١) سورة الغاشية : الآيات (١٧ : ٢٠) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٩٠) .

(٣) سورة الإخلاص كاملة .

(٤) سورة الشورى : الآية (١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتعتقده، ويزكي فيها مكنونات الوجدان والشعور فيدفعها بقوة إلى التعلق برب العالمين [1].

وقد أحسن الرعيل الأول من أصحاب الرسول ﷺ في استيعابهم لمقررات القرآن على الطريقة التي قررها، فأحكموا المحكم منه، وردوا إليه متشابهه ليستبين لهم وجه الحق فيه، ولم يضربوا آياته بعضها ببعض ليجعلوا القرآن عضين، بل ركزوا جهودهم على القيام بحقه عملاً لا قولاً، ففتح الله بهم البلاد، وهدى بهم قلوب العباد، حتى أصبح اقتفاء آثارهم هدى، والعدول عن نهجهم ضلالة تفترى .

وعندما انتشرت الفتوحات الإسلامية، ودخل الفرس والهند في دين الله، ودخلت ممالك كبيرة في دين الله عز وجل، كانت هذه الأماكن لها أديان وتصورات وأفكار ومناهج وعقائد، فبقي بعضهم على ما هم عليه، وآمن بعضهم بهذا الدين الحق والتزمه بصدق وعقيدة، وبعضهم أظهر الالتزام بالإسلام نفاقاً .

ومن هنا نشأ علم الكلام وذلك بسبب العلاقة التي حصلت بين أبناء البلدان المفتوحة من أصحاب الديانات المختلفة وبين بعض المسلمين، فظهرت طائفة من المسلمين تناقش الطوائف والأديان والعقائد والفلسفات المختلفة التي واجهها المسلمون، فظهر من ناقش السومنية وهم طائفة من الهنود، وظهر من

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ٤٣ في تفصيل الدلالات لمعرفة الله سبحانه، وقد جعلها الله ثلاث دلالات: دلالة النفس، والآفاق، والمعجزات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ناقش الزرادشتية مثلاً، وظهر من ناقش فلاسفة اليونان، وغيرهم من أصحاب المذاهب والفلسفات المختلفة، الذين ظهروا لمناقشة هؤلاء، وليس هم أهل الحديث وأهل العلم الأئمة الكبار الذين كان لهم قدم صدق في الأمة، وكانت الأمة ملتفة حولهم، وإنما هم مجموعات بسيطة من الذين يهوون العقليات، وتأثروا بالجلوس مع أبناء البلدان المفتوحة، ولم يكونوا من أهل العلم .

هذا إلى جانب اتساع نطاق الترجمة والنقل من الثقافات الأخرى خاصة اليونانية في مجال الفلسفة والمنطق .

كل تلك العوامل أدت إلى نشأة ما عرف بعلم «الكلام» أو «علم التوحيد» كما أطلقوا عليه .

وقد ارتبط علم الكلام هذا منذ أول نشأته بظهور فرقة المعتزلة أو ظاهرة «الاعتزال» في الواقع الإسلامي، بل شاع في أوساط كثير من العلماء وكتاباتهم منذ عهد أبي الحسن الأشعري ومن انتسب إليه من الأشاعرة الذين وإن خالفوا المعتزلة في العديد من القضايا، إلا أنهم وافقوهم في انتهاج منهج الكلام في صياغة العقيدة، وقد سمي من انتمى لذلك النهج «المتكلمين»، فكان هناك متكلموا المعتزلة، ومتكلموا الأشاعرة والماتريدية ، ومتكلموا الروافض ...

يقول الشهرستانى[1] : وأما الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيام

(١) هو : محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام .، كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة .، يلقب بالأفضل .، ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) سنة ٤٧٩ هـ وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده ، وتوفي بهاسنة ٥٤٨ هـ . من كتبه (الملل والنحل)، (نهاية الإقدام في علم الكلام) ، (الإرشاد إلى عقائد العباد)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحابة بدعة معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، ويونس الأسواري في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال، وكان تلميذ الحسن البصري، وتلمذ له عمرو بن عبيد، وزاد عليه في مسائل القدر، وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص أيام بني أمية، ثم والي المنصور وقال بإمامته، ومدحه المنصور يوما فقال: نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو بن عبيد.، والوعيدية من الخوارج، والمرجئة من الجبرية .

والقدرية ابتدءوا بدعتهم في زمان الحسن، واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول منه بالمنزلة بين المنزلتين. فسمي هو وأصحابه معتزلة. وقد تلمذ له زيد بن علي وأخذ الأصول فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة .....، ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حيث نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام. وأفردتها فنا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام، إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتاقتلوا عليها، هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان .[1]

ثم قال : أما رونق الكلام فابتداؤه من الخلفاء العباسيين : هارون، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل؛ وانتهاؤه من الصاحب بن عباد وجماعة من الديالمة .

(١) الملل والنحل ١/ ٢٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين، مثل ضرار بن عمرو، وحفص الفرد، والحسين النجار، ومن المتأخرين خالفوا الشيوخ في مسائل، ونبغ منهم جهم بن صفوان وأظهر بدعته في الجبر وقتل فى أخر ملك بنى أمية .

وكانت بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات ...

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1] - ملاحظاً هذا التطور لعلم الكلام :- في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء الرأي، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة.

وقد مر علم الكلام بمراحل مختلفة يمكن ذكرها فيما يلي:

المرحلة الأولى - وهي مرحلة قدامى المتكلمين، كواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وغيرهم .

---

(١) هو : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، فقيه أصولي ومفتي الدين الحصيف وصاحب الآثار الكبرى في علوم الدين والفكر الإسلامي. ولد بحرَّان بتركيا سنة ٦٦١ هـ ، ورحل إلى دمشق مع أسرته هربًا من غزو التتار .

وقد ظهرت عليه علامات النجابة منذ نعومة أظفاره، فكان قوي الذاكرة سريع الحفظ. نهل من منهج النبوة، حتى آلت إليه الإمامة في العلم والعمل سنة ٧٢٠هـ.

كان ابن تيمية صالحاً مصلحاً، داعيا إلى الإصلاح والعودة إلى القرآن والسنة، وكان ذا باع طويل في اللغة العربية وعلومها، وفي مختلف العلوم. تربو مصنفاته على ثلاثمائة مجلد في علوم الإسلام المختلفة من أهمها: اقتضاء الصراط المستقيم في الرد على أهل الجحيم؛ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية؛ الصارم المسلول على شاتم الرسول؛ الواسطة بين الخلق والحق؛ العقيدة التدمرية؛ الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان؛ العقيدة الواسطية؛ بيان الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن؛ تفسير سورة البقرة؛ درء تعارض العقل والنقل؛ منهاج السنة النبوية؛ مجموعة الفتاوى.، توفى سنة ٧٢٨ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد تميزت هذه المرحلة بالتأثر بالمصطلحات اليونانية، وخاصة عند المتأخرين منهم كالعلاف، حيث ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، وقد كانت المباحث الكلامية في هذه المرحلة متناثرة حسب موضوعاتها التي يتفق الكلام فيها دون وضع قواعد صريحة لهذا العلم، كما خلت هذه المرحلة من الاستعانة بعلم المنطق الأرسطي .

المرحلة الثانية - وهي المرحلة التي دخل فيها الأشاعرة معترك الكلام في مقابل المعتزلة، وتعد هذه المرحلة أكثر تطوراً، نظراً لوضع قواعد علم الكلام ومقدماته التي يحتاج إليها الدارس مثل إثبات الجوهر - الفرد وغيره -.

المرحلة الثالثة - حيث تتميز هذه المرحلة بمناقشة كلام الفلاسفة وإدخال ذلك في علم الكلام كما تتميز أيضاً باستعمال المنطق الأرسطي في مقدمات علم الكلام ودراسة أدلته وبراهينه. المرحلة الرابعة - تتميز بالخلط بين مذاهب الفلسفة والكلام واشتباه الأمر فيها على الكاتب والقارئ جميعاً. ثم التقليد المحض لتلك الآراء من غير نظر في أصولها .[1]

فأسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، وأن يعصمنا من البدع والأهواء والمعاصي والزلات، وأن يختم لنا بالباقيات الصالحات إنه نعم المولى ونعم النصير .

(١) المعتزلة بين القديم والحديث ص ٣٧ – ٣٩ ، وأبجد العلوم لصديق خان ص ٤٥٠ – ٥٤١ .، نقلاً عن موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ١/ ٢٠٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

ذم الأئمة الأعلام لعلم الكلام

قد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام، والتقصي والتدقيق فيما زعموا أنه قضايا برهانية، وحجج قطعية يقينية، وقد شحنوا ذلك بالقضايا المنطقية، والمدارك الفلسفية، والتخيلات الكشفية، والمباحث القرمطية. وكان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي، يبالغون في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله، حتى أن هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس قال يوما: بلغني أن بشرا المريسي يقول: إن القرآن مخلوق، ولله علي إن أظفرني به الله لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحدا. فأقام بشر متواريا أيام الرشيد نحوا من عشرين سنة. (١)

يقول أبو عمر بن عبد البر(٢): أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والفهم . (٣)

---

(١) لوامع الأنوار البهية لشمس الدين السفارينى ١/١٠٨ .

(٢) هو : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة.يقال له حافظ المغرب.، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ. ورحل رحلات طويلة في غربي الاندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣ هـ .

له مؤلفات كثيرة نذكر منها : التمهيد شرح الموطأ ، الاستذكار شرح مذاهب علماء الأمصار ، والإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف ، جامع بيان العلم وفضله ، والاستيعاب فى تراجم الصحابة ، والكافي فى الفقه وغيرهما من الكتب .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٤٢ برقم ١٧٩٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن أن ننقل ذم الأئمة الأربعة لعلم الكلام، وهذا كافٍ في حد ذاته ؛ لأن عامة المتأخرين من المتكلمين ينتسبون إلى واحد من هؤلاء الأئمة ، إما يكون حنفياً أو يكون مالكياً أو يكون شافعياً أو يكون حنبلياً ، فالمتأخرون أكثرهم ينتسبون إلى الأئمة في الفقهيات ويخالفونهم في العقائد .

من أقوال الأئمة قول لـ أبي حنيفة رحمه الله، خصوصاً أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله كان متخصصاً في علم الكلام وعرفه، وكان يوماً من الأيام يقول بخلق القرآن ثم رجع عنه وتاب رحمه الله تعالى، سئل الإمام أبو حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟

قال هذه مصطلحات عند أهل الكلام وهي متعلقة بدليل الحدوث، وهو أكبر دليل موجود عندهم، عطلوا من أجله الصفات ، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة. هذا قول الإمام أبي حنيفة، ففيه رد على الماتريدية الذين ألفوا الكتب في علم الكلام، وهم ينتسبون إليه في الفقهيات والفروع .

وذكر ابن أبي خيثمة، ثنا محمد بن شجاع البلخي قال: سمعت الحسن بن زياد اللؤلؤي، وقال له رجل في زفر بن الهذيل : أكان ينظر في الكلام ؟ فقال: سبحان الله ما أحمقك ما أدركت مشيختنا زفر ، وأبا يوسف ، وأبا حنيفة ، ومن جالسنا وأخذنا عنهم يهمهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم .[1]

(١) المرجع السابق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذكر ابن أبى العز الحنفي[١] فى شرح الطحاوية : عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة. أراد بالجهل به اعتقاد عدم صحته، فإن ذلك علم نافع، أو أراد به الإعراض عنه أو ترك الالتفات إلى اعتباره. فإن ذلك يصون علم الرجل وعقله، فيكون علما بهذا الاعتبار .

وعنه أيضا أنه قال: من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب .[٢]

وكان مالك بن أنس يقول: «الكلام في الدين أكرهه وكان أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل فأما الكلام في الدين وفي الله عز وجل فالسكوت أحب إلي؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل» قال أبو عمر: « قد بين مالك رحمه الله أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده وعند

(١) هو : العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي ولد سنة ٧٣١ هـ .، اشتغل بالعلوم، وكان ماهرًا في دروسه وفتاويه، وخطب بحسبان قاعدة البلقاء مدة، ثم ولي قضاء دمشق في المحرم سنة ٧٧٩، ثم ولي قضاء مصر فأقام شهرًا ثم استعفى، ورجع إلى دمشق على وظائفه .

له كتب، منها « شرح العقيدة الطحاوية » ، « التنبيه على مشكلات الهداية » فقه، و « النور اللامع فيما يعمل به في الجامع » أي جامع بني أمية ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٧٩٢ هـ .

(٢) شرح الطحاوية ١ /١٧ ط مؤسسة الرسالة – بيروت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل بلده يعني العلماء منهم رضي الله عنهم .... والذي قاله مالك عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديما وحديثا من أهل الحديث والفتوى ... (١)

وقال مالك بن أنس : «كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله »(٢)

وقال: يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي، يوم ناظره حفص الفرد قال لي: «يا أبا موسى لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام» لقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه .

وقال «اعلم أني اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولئن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام»

«لو علم الناس ما في الكلام في الأهواء لفروا منه كما يفر من الأسد»

«حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل، هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام»(٣)

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «لا يفلح صاحب كلام أبدا، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»(٤)

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: كتب رجل إلى أبي فسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم فأملى علي جوابه.«أحسن الله عاقبتك ودفع عنك

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٣٨ برقم ١٧٨٦ .

(٢) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٦٣ .

(٣) انظر كل هذه الآثار : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/٩٤٠ وما بعدها .

(٤) المرجع السابق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل مكروه ومحذور، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ وإنما الأمر بالتسليم والانتهاء إلى ما في كتاب الله - جل وعلا»[1]

قال ابن أبى العز : فكيف يرام الوصول إلى علم الأصول، بغير اتباع ما جاء به الرسول؟ ! ولقد أحسن القائل:

أيها المغتدي ليطلب علماً ... كل علم عبد لعلم الرسول

تطلب الفرع كي تصحح أصلاً ... كيف أغفلت علم أصل الأصول

ونبينا ﷺ أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والآخرية على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرا، قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليل، كثير البركة، لا كما يقوله ضلال المتكلمين وجهلتهم: إن طريقة القوم أسلم، وإن طريقتنا أحكم وأعلم، وكما يقوله من لم يقدرهم قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: إنهم لم يتفرغوا لاستنباطه، وضبط قواعده وأحكامه اشتغالا منهم بغيره! والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه! ! فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم

(١) المسائل والرسائل ٢ / ٣٩٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء. فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرا.(١)

ثم أسرد قائلاً : والسلف لم يكرهوا التكلم بالجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لمجرد كونه اصطلاحاً جديداً على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ لعلوم صحيحة، ولا كرهوا أيضاً الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل، بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها للكتاب والسنة، ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين، فضلاً عن علمائهم .

ولاشتمال مقدماتهم على الحق والباطل، كثر المراء والجدال، وانتشر القيل والقال، وتولد لهم عنها من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح ما يضيق عنه المجال .

وإنما سمي هؤلاء: أهل الكلام، لأنهم لم يفيدوا علما لم يكن معروفا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما علم بالحس، وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر، ومع من ينكر الحس، وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول، فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه، بل قال: ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** (٢)﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ**

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ١/ ١٨ وما بعدها ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللهَّ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك، كما قال ابن رشد الحفيد، وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم، في كتابه تهافت التهافت : ومن الذي قال في الإلهيات شيئا يعتد به؟ وكذلك الآمدي، أفضل أهل زمانه ، واقف في المسائل الكبار حائر، وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية ، ثم أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ ، فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره. وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه: أقسام اللذات :

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: {الرحمن على العرش استوى} ، {إليه يصعد الكلم الطيب}، وأقرأ في النفي: {ليس كمثله شيء} {ولا يحيطون به علما}، ثم قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معرفتي».

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وكذلك قال أبو المعالي الجويني[1]: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور. وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي، وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي، لبعض الفضلاء، وقد دخل عليه يوما، فقال: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون ، فقال : وأنت

(١) هو : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي .، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) سنة ٤١٩ هـ ، ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين .

وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك «المدرسة النظامية» فيها. وكان يحضر دروسه أكابر العلماء . توفي بنيسابور سنة ٤٧٨ هـ .

له مصنفات كثيرة، منها «غياث الأمم والتياث الظلم » و «العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية » و «البرهان » في أصول الفقه ، و«نهاية المطلب في دراية المذهب - في فقه الشافعية، اثنا عشر مجلدا، و« الشامل في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة » و«الإرشاد في أصول الدين » و«الورقات - في أصول الفقه » وغيرها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ أو كما قال ، فقال : نعم، فقال: أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته. ولابن أبي الحديد. الفاضل المشهور بالعراق:

فيك يا أغلوطة الفكر ... حار أمري وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا أذى السفر

فلحى الله الأولى زعموا ... أنك المعروف بالنظر

كذبوا إن الذي ذكروا ... خارج عن قوة البشر

وقال الخوفجي عند موته: ما عرفت مما حصلته شيئا سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت وما عرفت شيئا. وقال آخر: أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء.(١)

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفي ١/ ٢٠٧ وما بعدها ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني
التعريف
بكلا المذهبين

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : **التعريف بالسلف ومنهجهم العقدي .**

المطلب الثاني : **التعريف بالأشاعرة وبيان معتقدهم .**

ويشتمل على محورين :-

المحور الأول : نشأة المذهب الأشعري وتطوراته .

المحور الثاني : معتقد الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

التعريف بالسلف ومنهجهم العقدي

أولاً : التعريف بالسلف : -

السلف لغة : سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته ، قال تعالى ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ**﴾ ، ومنه قول الرسول ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها- «**فإنه نعم السلف أنا لك**» أخرجه مسلم، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح ، وسلفت القوم وأنا أسلفهم سلفا إذا تقدمتهم .(١)

والسلف الصالح قد تقدمونا وهم قدوتنا ولهذا فلا منافاة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي من تلك الناحية إلا من حيث الخصوص والعموم كما سيتضح هذا عند ذكر التعريف الاصطلاحي لهم فيما يلي:

السلف اصطلاحاً :

قال الله تعالى ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾(٢) وعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ : « **خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** ... الحديث »(٣) قال النووي : قرنه ﷺ الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم .

---

(١) انظر : تاج العروس ٢٣/٤٥٥ مادة سلف ، ولسان العرب لابن منظور ٩/١٥٩ فصل السين المهملة ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٩٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية (١٠٠) .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٣٦٥١ ، ومسلم برقم ٢٥٣٣ وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولذا؛ فالصَّحابة والتابعون أَحق بالإتباع من غيرهم، وذلك لصدقهم في إيمانهم، وإخلاصهم في عبادتهم، وهم حُرَّاس العقيدة، وحُماة الشريعة العاملون بها قولا وعملا، ولذلك اختارهم الله تعالى لنشر دينه، وتبليغ سُنَّة نَبيِّه ﷺ .

قال ابن مسعود : «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ»(١)

وقد اختلف العلماء في المفهوم من إطلاق تسمية السلف على من تطلق وفي أي زمن أطلقت وهل هذا الوصف باق يصح الانتساب إليه أم لا ؟

ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن مفهوم السلف عند الإطلاق يراد به الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان وأتباع التابعين من أهل القرون الثلاثة الوارد ذكرهم في الحديث ومن سلك سبيلهم من الخلف .

قال القلشاني(٢): «السلف الصالح، وهو الصدر الأول الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي ﷺ الحافظون لسنته، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه،

(١)أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١/ ٣٠٥ ، والبغوى فى شرح السنة ١/ ٢١٤ .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس القلشاني: قاض تونسي، من فضلاء المالكية. تولى قضاء قسنطينة سنة ٨٢٢ ثم قضاء الجماعة بتونس. وانقطع للإمامة بالزيتونة إلى أن توفي سنة ٨٦٣ هـ .
من كتبه (شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني) و (شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي) سبعة مجلدات و (شرح المدونة) . نسبته الى قلشان، من نواحي تونس .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمة للأمة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، وأفرغوا في نصح الأمة ونفعهم، وبذلوا في مرضاة الله أنفسهـم ».

وهناك من خصص لفظ السلف عند الإطلاق بالصحابة فقط .، ومنهم من خص لفظ السلف بالصحابة ومن تبعهم دون غيرهم.، ومنهم من خص السلف بالقرون الثلاثة فقط .

ويتضح من هذه التعريفات أنه لا خلاف بين أحد من المسلمين أن الصحابة هم السلف الصالح الأخيار الأبرار وأن أفضل الناس بعد الصحابة هم التابعون لهم بإحسان ثم أتباع التابعين ثم من سار على نهج الجميع دون تقييد بزمن[1]، وذلك بخلاف من رمي ببدعة من الخوارج والروافض أو الجهمية أو المعتزلة ونحوهم .

والتحديد الزمني ليس شرطا في ذلك؛ بل الشرط هو موافقة الكتاب والسنَّة في العقيدة والأَحكام والسلوك بفهم السَّلف، فكل من وافق الكتاب والسُّنَة فهو من أتباع السَّلف، إن باعد بينه وبينهم المكان والزمان، ومن خالفهم فليس منهم وإن عاش بين ظهرانيهم .

وقد كتب الأوزاعي إلى صالح بن بكر، أما بعد : .... وأنا أوصيك بواحدة، فإنها تجلو الشك عنك وتصيب بالاعتصام بها سبيل الرشد إن شاء الله تعالى، تنظر إلى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من هذا الأمر؛ فإن كانوا اختلفوا فيه، فخذ بما وافقك من أقاويلهم، فإنك حينئذ منه في سعة، وإن كانوا اجتمعوا

(١) فرق معاصرة د/ غالب بن علي عواجي ١/١٠٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه على أمر واحد لم يشذ عنه منهم أحد، فأين المذهب عنهم، فإن الهلكة في خلافهم، وإنهم لم يجتمعوا على شيء قط، فكان الهدى في غيره وقد أثنى الله عز وجل على أهل القدوة بهم، فقال {**والذين اتبعوهم بإحسان**} ، واحذر كل متأول للقرآن على خلاف ما كانوا عليه منه ومن غيره .(١)

وقال: اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم.(٢)

قال أحمد بن محمد بن حنبل(٣) يقول : أصول السنة عندنا : التمسك بما كان

(١) الإبانة لابن بطه برقم ١٨٥٥ .

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى ١/ ١٧٤ برقم ٣١٥ .

(٣) هو : الإمام الفقيه والمحدث أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. ، صاحب المذهب .، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ونشأ بها، كان من أكبر تلاميذ الشافعي ببغداد. كما تعلم على يد كثير من علماء العراق، ورحل إلى مكة والمدينة والشام واليمن فسمع من علمائها ، ثم أصبح مجتهدًا صاحب مذهب مستقل وبرز على أقرانه في حفظ السنة وجمع شتاتها حتى أصبح إمام المحدثين في عصره، يشهد له في ذلك كتابه المسند الذي حوى نيفًا وأربعين ألف حديث. وقد أعطى الله أحمد من قوة الحفظ ما يتعجب له، يقول الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم ولا أحفظ من ابن حنبل .

تعرض لمحنة خلق القرآن وهي أنه في عصر خلافة المأمون العباسي أثيرت في سنة ٢١٢هـ مسألة القول بخلق القرآن، التي كانت عقيدة المعتزلة. وكان ابن حنبل على خلاف ما يقولون ولم يعترف بقولهم، وكان في ذلك كالطود الثابت الراسخ، لم يركن إلى ما قاله المأمون، فكان نتيجة ذلك أن طبق عليه العقاب ومنع من التدريس وعذِّب وسجن في سنة ٢١٨هـ على يد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي نائب المأمون، ثم سيق مكبلاً بالحديد حيث يقيم المأمون خارج بغداد، غير أن الخليفة المأمون مات قبل وصول أحمد بن حنبل إليه. وتولى الخلافة بعد المأمون أخوه، المعتصم، فسار على طريقة المأمون في هذه المسألة بوصية منه فسجن أحمد وأمر بضربه بالسياط عدة مرات حتى كان يغمى عليه في كل مرة من شدة الضرب، =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ... (١)

وأسماء السلف الصحيحة التي أطلقت عليهم هي:

١ - أهل السنة والجماعة .
٢ - السلف الصالح .
٣ - الفرقة الناجية .
٤ - أهل الحديث والسنة .
٥ - أهل الأثر .
٦ - الطائفة المنصورة .

ثانياً : منهج السلف العقدي : -

إن المُتَتبع لما أُثِر عن سلفنا الصالح في أصول الدين، يجد اتفاقًا في جُلِّ مسائِله، ويجد اعتناءً خاصاً بقضايا العقيدة، واهتمامًا بها في التعليم والتوجيه والدعوة .

ومن هنا فإن عقيدة السلف التي يعتقدونها وقد عقدوا العزم على العمل بها هي جملة ما أخذوه عن كتاب الله وسنة نبيه وهو الاعتقاد الصحيح والواقع الحق الذي لا يزيغ عنه إلا هالك ، ذلك لأنه قد انقطع التشريع بموت الرسول ﷺ

= واستمر في ضرب أحمد وتعذيبه نحو ثمانية وعشرين شهرًا. ولما لم يغير أحمد ولم يرجع عن عقيدته ومذهبه أطلق سراحه وعاد إلى التدريس. ثم مات المعتصم سنة ٢٢٧هـ وتولى بعده الواثق بالله فأعاد المحنة لأحمد ومنعه مخالطة الناس ومنعه من التدريس أكثر من خمس سنوات، حتى توفي الواثق سنة ٢٣٢هـ، وتولى الخلافة بعده المتوكل، فأبطل بدعة خلق القرآن سنة ٢٣٢ وترك للناس حرية اعتقادهم وكرَّم أحمد وبسط له يد العون وظل الإمام أحمد على منهاجه ثابتًا حتى توفي ببغداد سنة ٢٤١ هـ.، ومن هنا لقب بإمام أهل السنة والجماعة .

(١) المرجع السابق ١/ ١٧٥ برقم ٣١٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يبق في مفهوم السلف إلا الاجتهاد حول فهم النصوص واستخراج الحق منها .

ذلك لأنهم يعلمون أن الطريق الواضح هو ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ عن ربه تاماً كاملاً الذي لا يقبل الله ديناً سواه ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ وقوله : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ ولقد جعلوا هذه الآية هي أساس منهجهم وأبرز صفاتهم فكانوا المثل الأول في التسليم لنصوص الشرع لاعتقادهم أن التسليم هو الطريق الذي فيه النجاة وأنه ثمرة الإيمان الحقيقي لحب الله له والثناء على أهله وقد تواصى السلف بالتزام ذلك قولاً وعملاً وصرحوا به ورغبوا فيه الناس نصحاً منهم لله ولرسوله ولعامة المسلمين لمعرفتهم أنه أساس بناء الإسلام لأن من لم يسلم للشرع أمره سلمه إلى الشيطان والبدع والخرافات وشاق الله ورسوله وخالف سبيل المؤمنين وحال المخالفين أقوى شاهد على ما هم فيه من التخبط والاضطراب والضعف.(١)

يتمثل منهج السلف الصالح في الأمور التالية :

١ - التمسك بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما وتحكيمهما والعمل بهما في كل ما يعرض لهم من قضايا العبادة وغيرها دون رد أو تأويل سواء كانت الأخبار الواردة عن الرسول متواترة أو آحاداً لا فرق فيها بعد صحتها وثبوتها إذ

(١) فرق معاصرة د/ غالب بن علي عواجي ١ /١٣٠بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفريق بينهما إنما هو من سمات أهل البدع .

٢ - العمل بما ورد عن الصحابة في قضايا العقيدة والدين وغيرهما والسير على نهجهم وسننهم لأنهم أعرف بالحق من غيرهم .

٣ - الوقوف عند مفاهيم النصوص وفهم دلالاتها وعدم الخوض فيما لا مجال للعقل فيه مع الاستفادة من دلالة العقل في حدوده وعدم الخوض فيها بالتأويلات الباطلة .

٤ - الإعراض عن البدع وعن أهلها فلا يجالسونهم ولا يسمعون كلامهم ولا شبههم بل يحذرون منهم أشد تحذير خصوصاً من عرف منهم بعناده وإتباعه الهوى .

٥ - لزوم جماعة المسلمين ونبذ التفرق والتحذير منه .[١]

هذا هو منهجهم وكان لهذا المنهج مزايا قيمة من أهمها :

١ - أن هذا المنهج هو ما دل عليه كتاب الله تعالى ودلت عليه سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ودل عليه عمل الصحابة ومن تبعهم بإحسان .

٢ - أن هذا المنهج الذي ساروا عليه كان من أقوى أسباب بقاء عقيدتهم صافية نقية لا تشوبها شوائب الضلال وهي نعمة من الله عليهم لما علمه من حسن نياتهم وصدق عزائمهم .

ومن خصائص منهج السلف :

الاتفاق على مسائل الاعتقاد، فلا تجدهم يختلفون فيها، **يقول الإمام**

(١) موسوعة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ١/١٣٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السمعانى[1] : « ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ **أَفلا يتدبرون الْقُرْآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِّ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافا كثيرا** ﴾[2] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا وَلا تفَرقُوا** ﴾[3] .

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً، بل يرتقون إلى التفكير، يكفر الابن أباه والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبداً في تنازع وتباغض، واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم

(١) هو : منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر: مفسر، من العلماء بالحديث .، من أهل مرو، مولدا ووفاة .، ولد سنة ٤٢٦ هـ وتوفى سنة ٤٨٩ هـ .، كان مفتى خراسان، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو .، له من الكتب (تفاسير السمعاني) ثلاث مجلدات، و (الانتصار لأصحاب الحديث) و(القواطع) في أصول الفقه ، و (المنهاج لأهل السنة) .

(٢) سورة النساء : الآية (٨٢) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٠٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قوم لَا يعْقلُونَ﴾.[1][2]

أشهر الأئمة من السلف الصالح :

لقد يسر الله تعالى لحفظ دينه رجالاً وهبوا أنفسهم لخدمة هذه العقيدة المباركة ويسر لهم الأمور ورزقهم الذكاء والإخلاص فنبغ منهم العلماء الفطاحل أصحاب البيان والسحر الحلال فكانوا جنوداً أوفياء لدينهم ما إن تظهر فتنة إلا ودفنوها ولا صاحب بدعة أو هوى إلا وحذروا منه فأقام الله بهم حجته على الناس، ومن الصعوبة بمكان حصرهم هنا وإنما نذكر ما يتيسر ذكره منهم كمثال على الثراء الفكري عند علماء السلف ومن هؤلاء :

أبو عبد الله سفيان الثوري .، سفيان بن عيينة.، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.، أحمد بن حنبل.، علي بن المديني.، أبو ثور إبراهيم بن خالد.، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.، مسلم بن الحجاج.، أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم.، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .، **الأئمة الأربعة** (أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل).

أبو عمر بن عبد البر ، سهل بن عبد الله التستري.، ابن خزيمة. ابن تيمية.، ابن القيم. ابن كثير.، الذهبي .

وغيرهم الكثير ممن أثروا المكتبات الإسلامية بمؤلفاتهم القيّمة التي تشهد بإخلاصهم وتوفيق الله وعونه لهم ولا نزكي على الله أحداً .

---

(١) سورة الحشر : الآية (١٤) .

(٢) انظر : الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ٢/٢٣٩ – ٢٤٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهم مؤلفات علماء السنة في بيان العقيدة السلفية والرد على المخالفين :

وقد ألّف علماء السلف في بيان عقيدتهم وإيضاحها والرد على المخالفين، المؤلفات الكثيرة مدعومة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهي من الكثرة بحيث لا يكاد أحد يستطيع حصرها .

ومن أجلّ علماء السلف ومؤلفيهم الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله وله مؤلفات في بيان عقيدة السلف والذب عنها، منها ما دونه بنفسه ومنها ما دونه تلامذته في مؤلفاتهم. ومن كتبه في الحديث المسند وقد جمع فيه أحاديث كثيرة بيّن فيها عقيدة السلف ضمن تلك الأحاديث التي أوردها، وكتب في بيان

العقيدة الكتب الآتية :

(السنة)، (الإيمان)، (الرد على الزنادقة)، (فضائل الصحابة).

ومنهم الإمام البخاري رحمه الله وقد أودع في (صحيحه) كثيراً من بيان عقيدة السلف وكذا كتابه (خلق أفعال العباد) و (الأدب المفرد) ومنهم الإمام مسلم رحمه الله وقد أودع في (صحيحه)

أيضاً كثيراً من أبواب العقيدة، ومنهم :

ابن ماجه في (سننه).، أبو بكر بن الأثرم في كتابه (السنة).، عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه

(الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية).، عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية) وكتابه (الرد على بشر المريسي).، ابن أبي عاصم في كتابه (السنة).، عبد الله ابن الإمام أحمد في كتابه (السنة).، محمد بن نصر المروزي في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتابه (السنة).، الإمام الطبري في كتابه (صريح السنة).، الخلال في كتابه (السنة).، ابن خزيمة في كتابه (التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجلّ).، الطحاوي في كتابه (العقيدة الطحاوية).

الأشعري بعد رجوعه إلى مذهب السلف في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) والمقالات .

عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه (الرد على الجهمية).، الحسن بن علي البربهاري في كتابه (السنة).، الآجري في كتابه (الشريعة) وكتابه (التصديق بالنظر إلى الله تعالى).، أبو حمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصفهاني في كتابه (العظمة).، الدارقطني في كتابه (أحاديث النزول) كتاب (الصفات).، ابن بطه - عبيد الله بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري في كتابه (الإبانة - الصغرى والكبرى).، ابن منده أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده في كتابه (الرد على الجهمية)، (الإيمان)، (التوحيد) .

ابن أبي زمنين في كتابه (أصول السنة).، اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي في كتابه (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) .، وقوّام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصفهاني في كتابه (الحجة في بيان المحجة) .، أبو المظفر السمعاني في (تفسيره).

شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب الباع الطويل في بيان عقيدة السلف وكتبه كثيرة مشهورة وقد احتوت الفتاوي على كثير منها .، وابن قيم الجوزية وله عدة مؤلفات مشهورة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما ذكر فإنما هو من باب التمثيل إذ أن حصر كتب السلف يكاد أن يكون مستحيلاً جمعه في هذه العجالة فالمكتبة الإسلامية ثرية بمؤلفات متنوعة بين الضخم والمختصر والنثر والنظم والأسئلة والأجوبة ولا يزال الخير في أهل السنة إن شاء الله إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ.[1]

رحم الله جميع علماء السلف ونفع بمؤلفاتهم جميع أهل الأرض إنه على كل شيء قدير .

(١) فرق معاصرة لغالب عواجى ١/ ٢٠٤ نقلاً عن موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ١/ ١٨٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

التعريف بالأشاعرة وبيان معتقدهم

المحـــور الـأول

نشأة المذهب الأشعري وتطوراته

أولاً : نشأة المذهب الأشعري : -

للحديث عن نشأة الأشاعرة وكيف ظهرت ، لابد من الحديث أولاً عن الظروف والملابسات التي أدت إلى ظهور هذا المذهب على خشبة تاريخ الفرق الإسلامية، إذ أنها من أكثر الفرق الكلامية انتشاراً إلى يومنا هذا، رغم اندثار واندراس كثير من الفرق القديمة .

ولتحديد هذه النشأة كان لابد من النظر إلى حقيقة المذهب الذي تميز به الأشاعرة عن غيرهم، فهنا لا ترتبط النشأة بأبي الحسن الأشعري[1]، وإنما ترتبط بابن كلاب ومدرسته الكلابية .

فالكلابية أسبق في الظهور من الأشاعرة والماتريدية، فقد نشأت الكلابية في منتصف القرن الثالث، وهي أول الفرق الكلامية بعد الجهمية والمعتزلة، فقد توفي ابن كلاب سنة ٢٤٣هـ .، وذلك في أخر حياة الإمام أحمد بن حنبل لأنه

(١) هو : العلامة إمام المتكلمين علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري . مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وصعِد يوم الجمعة كُرْسيًّا بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته: مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلْق القرآن، وأنّ الله لا يرى بالأبصار، وأنّ أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائبٌ معتقد الرّدّ على المعتزِلة، مُبيّنٌ لفضائحهم.قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توفى سنة ٢٤١ هـ .

وفي أول القرن الرابع الهجري نشأت بقية فرق أهل الكلام وهم الماتريدية والأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ .

يعتبر أبو الحسن الأشعري امتداداً للمذهب الكلابي فأبو الحسن الأشعري الذي عاش في الفترة ما بين (٢٦٠هـ -٣٢٤هـ) كان معتزلياً إلى سن الأربعين، حيث عاش في بيت أبي علي الجبائي[١] شيخ المعتزلة في البصرة، ثم رجع عن مذهب المعتزلة وسلك طريقة ابن كلاب وتأثر بها مدة طويلة، ولعل السبب في ذلك أنه وجد في كتب ابن كلاب وكلامه بغيته من الرد على المعتزلة وإظهار فضائحهم وهتك أستارهم، وكان ابن كلاب قد صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم. ولكن فات الأشعري أن ابن كلاب وإن رد على المعتزلة وكشف باطلهم وأثبت لله تعالى الصفات اللازمة، فقد وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالى وقدرته، فنفى كما نفت المعتزلة أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته. كما نفى أيضاً الصفات الاختيارية مثل الرضى، والغضب، والبغض، والسخط وغيرها.

وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويلقى الدروس في الرد على المعتزلة سالكاً هذه الطريقة.

(١) هو : أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن جمران بن أبان، مولى عثمان ، المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة؛ كان إماما في علم الكلام، وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره، وله في مذهب الاعتزاك مقالات مشهورة، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ، توفى سنة ٣٠٣ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم التقى بزكريا بن يحي الساجي فأخذ عنه ما أخذ من أصول أهل السنة والحديث، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى وذلك بآخر أمره.

ولكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة، فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك .(١)

قال ابن تيمية : أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاَّب البصري، وأبو الحسن الأشعري كانا يخالفان المعتزلة ويوافقان أهل السنة في جمل أصول السنة.، ولكن لتقصيرهما في علم السنة وتسليمهما للمعتزلة أصولاً فاسدة، صار في مواضع من قوليهما مواضع فيها من قول المعتزلة ما خالفا به السنة، وإن كانا لم يوافقا المعتزلة مطلقاً .(٢)

وقد استبصر الأشعري الحق وعرف أنه إنما انتصر بتعويله على كتاب الله وسنة رسوله ؟ ونصره للسنة وأهلها، ووقوفه مع أئمة السلف الآخرين .

ثم تراجع عن مقولاته في الصفات وغيرها التي سلك فيها مسلك التأويل والتعويل على العقل، والكلام في أمور الغيب والصفات والقدر، فقرر أن يلحق بركب أهل السنة والجماعة فأبان عن ذلك في كتابه الإبانة ووفقه الله للتخلص

(١) العرش للذهبي ١ /٥٧ .

(٢) الاستقامة (١ /٢١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من التلفيق العقدي فقال: ... وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد ﷺ وما روى عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون ...[1]

وكذلك أنه قرر معتقدات السنة فى كتبه الأخرى الأخيرة مثل (اللمع) و (رسالة إلى أهل الثغر) و (مقالات الإسلاميين) هذا في الجملة؛ لكنه عند التفصيل بقيت عنده بعض الشوائب الكلامية التي تابع فيها ابن كلاَّب أو انفرد بها، مثل: القول بأن أفعال الله لا تتعلق بمشيئته، ومنها الكلام، وأن الكلام هو الكلام النفسي، وأن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله، والقول بالكسب، ومشروعية علم الكلام، ونحو ذلك .[2]

ثم إنه كان من أسباب نسبة المذهب إلى الأشعري كثرة مؤلفاته، ورسائله، فمؤلفاته قد تزيد على ثلاثمائة كتاب، كما أن الأسئلة كانت تأتيه من الآفاق ويكتب في ذلك رسائل مختلفة، وسرعان ما تشتهر وتنتشر بين الناس، وهذا بخلاف ابن كلاب الذي كانت مؤلفاته قليلة، ولم تكن تلقى قبولا بسبب موقف أئمة أهل السنة منه، بل وصل الأمر إلى أن يتستر الكلابية بما عندهم كما حدث

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبى الحسن الأشعري ص ٢٠ .

(٢) أصول وتاريخ الفرق ١ /٤٧٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتلامذة ابن خزيمة الموافقين لابن كلاب، لم يستطيعوا أن يظهروا ما عندهم فضلا عن أن ينشروه أو يدرسوه .

ثانياً : تطورات المذهب الأشعري :-

قد مرت الأشعرية بأطوار ومراحل كان أولها زيادة المادة الكلامية، ثم الجنوح الكبير للمادة الاعتزالية، ثم خلط هذه العقيدة بالمادة الفلسفية .

فالأشعرية المتأخرة مالوا إلى نوع التجهم بل الفلسفة وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه(١).

فقدماء الأشاعرة يثبتون الصفات الخبرية بالجملة، كأبي الحسن الأشعري وأبي عبد الله بن مجاهد، وأبي الحسن الباهلي والقاضي أبي بكر الباقلاني(٢)، وأبي إسحاق الاسفرائيني، وأبي بكر بن فورك، وأبي محمد بن اللبان، وأبي علي بن شاذان، وأبي القاسم القشيري، وأبي بكر البيهقي وغير هؤلاء .(٣)

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه ٧/٩٧ .

(٢) **هو** : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي. فقيه بارع، ومحدث حجة، ومتكلم على مذهب وطريقة الأشعري. انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق في عصره .

له مؤلفات كثيرة، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية: كان الباقلاني لا ينام حتى يكتب عشرين ورقة في كل ليلة مدة طويلة من عمره. ومن هذه المؤلفات الكثيرة التي كتبها الباقلاني: شرح الإبانة؛ شرح اللمع؛ الإمامة الكبرى والإمامة الصغرى؛ التبصرة بدقائق الحقائق؛ أمالي إجماع أهل المدينة؛ المقدمات في أصول الديانات؛ إعجاز القرآن؛ مناقب الأئمة؛ حقائق الكلام؛ التعريف والإرشاد؛ التمهيد في أصول الفقه؛ المقنع في أصول الفقه ؛ كتاب في الرد على الباطنية الفاطميين، سماه: كشف الأسرار وهتك الأستار؛ تمهيد الأوائل وتلخيص المسائل. توفي ببغداد .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيميه ٤/١٤٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن المتأخرين من أتباع أبي الحسن الأشعري كأبي المعالي الجويني وغيره لا يثبتون إلا الصفات العقلية، وأما الخبرية فمنهم من ينفيها ومنهم من يتوقف فيها كالرازي والآمدي وغيرهما.

ونفاة الصفات الخبرية منهم من يتأول نصوصها ومنهم من يفوض معناها إلى الله تعالى .

وهذا الاضطراب في العقيدة الأشعرية بين المتقدمين والمتأخرين سببه ما أسلفنا من ميل الأشاعرة بأشعريتهم إلى الإعتزال أكثر فأكثر بل إنهم خلطوا معها الفلسفة.(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيميه : فالأشعرية وافق بعضهم المعتزلة في الصفات الخبرية، وجمهورهم وافقهم في الصفات الحديثية، وأما الصفات القرآنية فلهم قولان : فالأشعري والباقلاني وقدماؤهم يثبتونها، وبعضهم يقر ببعضها؛ وفيهم تجهم من جهة أخرى .

فإن الأشعري شرب كلام الجبائي شيخ المعتزلة، ونسبته في الكلام إليه متفق عليها عند أصحابه وغيرهم .

وابن الباقلاني أكثر إثباتاً بعد الأشعري، وبعد ابن الباقلاني ابن فورك، فإنه أثبت بعض ما في القرآن .

وأما الجويني ومن سلك طريقته فمالوا إلى مذهب المعتزلة فإن أبا المعالي كان

(١) العرش للذهبى ١/٦٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثير المطالعة لكتب أبي هاشم[١]، قليل المعرفة بالآثار، فأثر فيه مجموع الأمرين.[٢]

فما إن جاء أبوبكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ ، فتصدى للإمامة في تلك الطريقة وهذبها ووضع لها المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة، وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الإيمانية من حيث وجوب الإيمان بها [٣] وأسهم إلى حد كبير في تنظير المذهب الأشعري الكلامي وتنظيمه مما أدى إلى تشابه منهجي بين المذهب الأشعري والمذهب المعتزلي فقد كان الأشعري يجعل النص هو الأساس والعقل عنده تابع، أما الباقلاني فالعقيدة كلها بجميع مسائلها تدخل في نطاق العقل [٤] ويعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري [٥].

ثم جاء بعده إمام الحرمين الجويني المتوفى ٤٧٨هـ فاستخدم الأقيسة المنطقية في تأييد هذه العقيدة، وخالف الباقلاني في كثير من القواعد التي وضعها.، وإن كان الجويني قد استفاد أكثر مادته الكلامية من كلام الباقلاني، لكنه مزج أشعريته بشيء من الاعتزال استمده من كلام أبي هاشم الجبائي المعتزلي على مختارات له، وبذلك خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة

(١) هو : أبو هاشم الجبائى واسمه عبد السلام ابن أبى على الجبائى السابق ترجمته كان هو وأبيه من أئمة المعتزلة ، ولد سنة ٢٤٧ هـ وتوفى سنة ٣٢١ هـ ببغداد .

(٢) انظر : منهاج السنة لابن تيميه ٢/٢٢٣ ، والعرش للذهبى ١/٦٠ .

(٣) انظر : مقدمة ابن خلدون ص٤٦٥، ط: مصطفى محمد .

(٤) انظر : مقدمة التمهيد للباقلاني ص١٥ ، بتحقيق الخضيري وأبو ريدة.

(٥) نشأة الأشعرية وتطورها ص٣٢٠ .، والعرش للذهبى ١/٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعتزلة .

وأما كلام أبي الحسن الأشعري فلم يكن يستمد منه، وإنما ينقل كلامه مما يحكيه عنه الناس .[1] وعلى طريقة الجويني اعتمد المتأخرون من الأشاعرة، كالغزالي (ت٥٠٥هـ) وابن الخطيب الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ وخلطوا مع المادة الاعتزالية التي أدخلها الجويني مادة فلسفية، وبذلك ازدادت الأشعرية بعداً وانحرافاً.

فالغزالي مادته الكلامية من كلام شيخه الجويني في الإرشاد والشامل ونحوهما مضموماً إلى ما تلقاه من القاضي أبي بكر الباقلاني .، ومادته الفلسفية من كلام ابن سينا ، ولهذا يقال أبو حامد أمرضه الشفا ، ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا ورسائل أبي حيان التوحيدي ونحو ذلك.

وأما الرازي[2] فمادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري عن أبي المعالي، وله مادة اعتزالية

---

(١) بغية المرتاد ص ٤٤٨ - ٤٥١ بتصرف .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان سنة ٥٤٤ هـ ، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة ، أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير، فحوى تفسيره كل غريب وغريبة كما قال ابن خلكان.

قال الذهبى : وَقَدْ بدَتْ مِنْهُ فِي تَوَالِيفِهِ بلايَا وَعظَائِمُ وَسِحْرٌ وَانحرَافَاتٌ عَنِ السُّنَّةِ، وَاللهُ يَعْفُو عَنْهُ، فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ عَلَى طرِيقَةٍ حَمِيدَةٍ، وَاللهُ يَتولَّى السّرَائِرَ ، توفى سنة ٦٠٦ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوية من كلام أبي الحسين البصري المتوفى ٤٣٦هـ . وفي الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني ونحوهما.(١)

العوامل المؤدية إلى انتشار المذهب الأشعرى :

هناك عدة عوامل أدت إلى انتشار الأشعرية واشتهارها لعل من أبرزها ما يلي :

أولاً:- نشأةُ المذهب في بغداد التي كانت حاضرة الخلافة العباسية ومحط أنظار طلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها من شتى الأقطار، فهذا العامل أدى بدوره إلى تبني البعض للمذهب الأشعري والسعي لنشره في الأقطار الأخرى.، بسبب تواجد كثير من أعيان المذهب الأشعري في بغداد في ذلك الحين .

ثانياً : التقارب الذي كان موجوداً بين الأشعرية والحنبلية وما نفقت الأشعرية وراجت إلا بتوالفها مع الحنبلية .، ولولا ذلك لكان مصيرها مصير المعتزلة الذين كان للحنابلة دور كبير في مقاومتهم والرد عليهم .، وقد كان بين الأشعرية والحنبلية شيء من التوالف والمسالمة وكانوا قديما متقاربين .

فإن أبا الحسن الأشعري ما كان ينتسب إلا إلى مذهب أهل الحديث، وإمامهم عنده أحمد بن حنبل، وكان عداده في متكلمي أهل الحديث .

والأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون به من القياس العقلي فرع عليهم .

(١) بغية المرتاد ص ٤٤٨ - ٤٥١ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيري[١] وكان تلميذاً لابن فورك[٢] الذي كان من أشعرية خراسان الذين انحرفوا إلى التعطيل، فلما صنف القاضي أبو يعلى الحنبلي كتابه «إبطال التأويلات» رد فيه على ابن فورك شيخ القشيري وكان الخليفة وغيره مائلين إليه.، فلما صار للقشيرية دولة بسبب السلاجقة جرت تلك الفتنة.[٣]

ثالثاً : انتساب بعض الأمراء والوزراء للمذهب الأشعري وتبنيهم له ومن أبرزهم :

أ- **الوزير نظام الملك** الذي تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة فتولى الوزارة

---

(١) **هو** : عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير. علت له شهرة كأبيه .

زار بغداد في طريقة إلى الحج، ووعظ بها، فبالغ فى التعصب للأشاعرة والعض على الحنابلة فوقعت بسببه فتنة وقامت على ساق وبلغ الأمر إلى حد السيف، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان (إطفاء للفتنة ببغداد) فذهب إليه ولقي منه إكراماً .، وعاد إلى نيسابور، فلازم الوعظ والتدريس إلى أن فلج. وتوفي بها سنة ٥١٤ هـ .

له (تفسيره لطائف الارشادات) (والرسالة القشيرية) (المقامات والآداب) تصوف ووعظ

(٢) **هو** : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية. سمع بالبصرة وبغداد. وحدث بنيسابور، وبنى فيها مدرسة. وتوفي على مقربة منها، فنقل إليها سنة ٤٠٦ هـ .

وفي النجوم الزاهرة: قتله محمود بن سبكتِكين بالسم، لقوله: كان رسول الله ﷺ رسولا في حياته فقط، وإن روحه قد بطل وتلاشى. له كتب كثيرة، قال ابن عساكر: بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريبا من المئة .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيميه ٦/ ٥٢ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لألب أرسلان وملكشاه مدة ثلاثين سنة وذلك من سنة (٤٥٥هـ- إلى ٤٨٥هـ).

وفي عهده أنشئت المدارس النظامية نسبة إليه وذلك في عدة مدن منها البصرة، وأصفهان، وبلخ، وهراة، ومرو، والموصل، وأهمها وأكبرها المدرسة النظامية في نيسابور وبغداد .

وكان نظام الملك معظماً للصوفية والأشعرية، إذ كان هؤلاء الذين يلقون الدروس في هذه المدارس، فكان لذلك دوره الكبير في نشر أصول العقيدة الأشعرية .

ب- **المهدي بن تومرت (٥٢٤هـ)** صاحب دولة الموحدين واسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، الذي تلقب بالمهدي، وكان قد ظهر في المغرب في أوائل المائة الخامسة، وكان قد دخل إلى بلاد العراق، وتعلم طرفاً من العلم، وكان فيه طرف من الزهد والعبادة، ولما رجع إلى المغرب صعد إلى جبال المغرب ونشر دعوته بين أناس من البربر وغيرهم من الجهال الذي لا يعرفون من دين الإسلام إلا ما شاء الله فعلمهم بعض شرائع الإسلام واستجاز أن يظهر لهم أنواعاً من المخاريق ليدعوهم بها إلى الدين، وادعى أنه المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ.، وعظم اعتقاد أتباعه فيه، واستحلوا بسبب ما علمهم من المعتقد الأشعري والفلسفي دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا على معتقد أهل السنة واتهموهم زوراً وبهتاناً أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جـ- صلاح الدين الأيوبي : وكان صلاح الدين الأيوبي أشعرياً، فقد حفظ في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري أحد أعلام الأشعرية وصار يحفظها صغار أولاده، ولذلك نشأ هو وأولاده على المعتقد الأشعري، فحمل صلاح الدين الكافة على عقيدة أبي الحسن الأشعري، وتمادى الحال على ذلك في جميع أيام ملوك بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك .

وقد كان لذلك دوره الكبير في نشر الأشعرية في سائر أنحاء العالم الإسلامي، فمصر التي كانت مقر الدولة الأيوبية كانت هي حاضرة العلم في تلك العصور وقد كان للأزهر دور كبير في نشر العقيدة الأشعرية التي أدخلها صلاح الدين في مصر بعد أن قضى على الدولة العبيدية الإسماعلية، ومنذ زمن صلاح الدين والأزهر يقرر عقيدة الأشاعرة إلى يومنا هذا .[1]

وكذلك كان من أسباب انتشار المذهب الأشعري أن جمهرة من العلماء اعتمدوه ونصروه، وخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين[2]، والأعلام الذين تبنوه : الباقلاني، وابن فورك، والبيهقي، والإسفراييني، والشيرازي،

(١) مجموع الفتاوى لابن تيميه ٤٧٥/١١ ، والخطط للمقريزي ٣٥٨/٢، والعرش للذهبى ٦٢/١ وما بعدها ،وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن صالح ٤٤٩/٢ ، ومقالة التعطيل لمحمد خليفة ١٠٠/١ .

(٢) ومن المعلوم أن أبا الحسن الأشعري تجاذبه أصحاب المذاهب الأربعة، ولذلك ترجم له في طبقات الشافعية والمالكية والحنفية، أما الحنابلة فقد صرح هو في مقدمة الإبانة بانتسابه إلى الإمام أحمد في الأصول.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجويني، والقشيري، والبغدادي، والغزالي، والرازي، والآمدي، والعز ابن عبد السلام، وبدر الدين ابن جماعة، والسبكي، وغيرهم كثير، ولم يكن هؤلاء أشاعرة فقط، بل كانوا مؤلفين ودعاة إلى هذا المذهب، ولذلك ألفوا الكتب العديدة، وتخرج على أيديهم عدد كبير من التلاميذ .

كما انتشر في أنحاء عديدة بواسطة هؤلاء، ففي الحجاز انتقل إليه المذهب الأشعري بواسطة أبي ذر الهروي ، كما انتقل عن طريقه إلى المغرب عن طريق المغاربة الذين كانوا يأتون إلى الحج ، وكان ممن له أثر في نشره في المغرب بين المالكية أبو بكر الأبهري ، والباقلاني وتلامذته ، والباجي وابن العربي ، وغيرهم ، كما دافع كل من ابن أبي زيد القيرواني ، وأبي الحسن القابس عن الأشعري.[1]

وفي العصور المتأخرة كان لتبني كثير من دور العلم والجامعات عقيدة ومذهب الأشاعرة دور في نشره، ومن أهمها الجامع الأزهر في مصر مع ماله من مكانة علمية في العالم الإسلامي .

(١) انظر: صون المنطق ١/١٢٢ ، ودرء التعارض ١/٢٧١، ٢/١٠١ .، تبيين كذب المفتري ص ١٢٠-١٢١ - ٤١٠، والتطور المذهبي بالمغرب ص ٢٨-٣٠ .، نشأة الفكر الفلسفي١/٢٨٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحـــور الثاني

معتقد الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين

بعد عرض نشأة الأشعرية، وأسباب انتشار مذهبهم، لابد لاستكمال الموضوع من عرض عقيدة الأشاعرة، ولما كان المذهب الأشعري قد مر بعدة أطوار حتى في حياة مؤسسة فضلاً عن التطورات الأخرى الكبيرة التي مر بها هذا المذهب عبر القرون، فإن هناك صعوبة في تحديد العقيدة الأشعرية والصعوبة تأتي من خلال ما يلي :

١ - هل المعتبر في تحديد المذهب ما يقوله مؤسسة فقط، أم لابد أن يدخل في ذلك ما قاله الأتباع ؟ وفي مذهب الأشاعرة كثيراً ما يعرض المتأخرون مذهب الأشاعرة كما طوروه، ثم إذا رد عليهم أو هوجموا ورموا بالابتداع رجعوا يحتجون بأقوال شيخهم الأشعري التي تخالف في كثير منها أقوالهم ومنهجهم .

٢ - هل المعتبر في المذهب الأقوال أو الأشخاص؟ أم أن المعتبر الأقوال الموافقة للمذهب الأشعري فقط؟ وإذا كان فما المقياس في تحديد هذه الأقوال؟ ومن الأمثلة على ذلك أن الفخر الرازي يعتبر من أهم أعلام وأئمة الأشعرية وله في ذلك جهود ومؤلفات كبرى، ومع ذلك فقد دخل في الفلسفة وألف فيها أحيانا كتباً مستقلة، ففي هذه الحالة هل يؤخذ الرازي وكتبه على أنه أشعري أراد موج عقيدة الأشاعرة بالفلسفة، أو تفصل الفلسفة عنده عن العقيدة الأشعرية وتعتمد أقواله الموافقة لها فقط ؟

٣- الرجوع عن المذهب، كثيراً ما وقع لأعلام الأشاعرة، ومع انتشار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتب التي تمثل المرحلتين لعلم ما، تصبح نسبة الأقوال إليه غير مستقرة على وضع معين، فالأشعري نفسه هل تعرض أقواله من خلال الإبانة فقط، وما عداها لا قيمة له لأن المفترض أن يكون قد رجع عنه، أو لابد من اعتماد كتبه الأخرى التي شاعت وتلقفها الناس واعتمدوها ... وهكذا بقية أعلام الأشاعرة .

٤ - التطور الذي وقع في المذهب الأشعري - كما سبق - هل يعتبر الطور الأول أو الثاني أو الثالث، إذا قيل يعتمد ما استقر عليه مذهب الأشاعرة، فما المصدر في ذلك ؟[١]

ونستطيع أن نجمل الأفكار والمعتقدات عن الأشاعرة فيما يلى :

١ - مصدر التلقي عند الأشاعرة: الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام؛ ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في أساس التقديس والآمدي وابن فورك وغيرهم .

٢ - عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة لأنها لا تفيد العلم اليقيني ولا مانع من الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي.، والمتواتر منها يجب تأويله، ولا يخفى مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ومن سار على نهجهم .

(١) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن صالح ٢/٥٠٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ - مذهب طائفة منهم وهم: صوفيتهم كالغزالي والجامي في مصدر التلقي، تقديم الكشف والذوق على النص، وتأويل النص ليوافقه. ويسمون هذا «العلم اللدني» .

٤ - يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام :

ـ قسم مصدره العقل وحده وهو معظم الأبواب ومنه باب الصفات ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل « عقلية » وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف على الوحي عندهم، أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل الكتاب والسنة عليها فإنهم يؤولونها .

ـ قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية ـ على خلاف بينهم فيها .

ـ قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان وهو مما لا يحكم العقل باستحالته .

فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكماً، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً، وفي الرؤية جعلوه مساوياً .

٥ - خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث وعدم حلوله فيها. ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسمٍ ولا في جهة ولا في مكان. وقد رتبوا على ذلك من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر مثل: إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحوادث في القديم من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى .

٦- التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة. وفي ذلك يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له. ولذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وترتب على ذلك أنهم أنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم. وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند سلف الأمة ومن تبعهم ، وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته .

٧- إن أول واجب عند الأشاعرة إذا بلغ الإنسان سن التكليف هو النظر أو القصد إلى النظر ثم الإيمان، ولا تكفي المعرفة الفطرية ثم اختلفوا فيمن آمن بغير ذلك بين تعصيته وتكفيره .

٨ - الأشاعرة في الإيمان بين: المرجئة التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية التي تقول يكفي التصديق القلبي .

٧- الأشاعرة مضطربون في قضية التكفير فتارة يقولون لا نكفر أحداً، وتارة يقولون لا نكفر إلا من كفرنا ، وتارة يقولون بأمور توجب التفسيق والتبديع أو بأمور لا توجب التفسيق والتبديع.

٨ – يعتقدون بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ولكنه كلام الله النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧ - يعتقد الأشاعرة أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاته، وأن الله تعالى أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته .[١]

هذا مجمل اعتقادهم وسيأتي تفصيل مذهبهم وبيانه من كتبهم على التفصيل إن شاء الله في المباحث القادمة فالله المستعان وعليه التكلان .

المبحث الثالث

(١) انظر : الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ١ /٨٦ وما بعدها بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصدر التلقي
بين السلف والأشاعرة

ويشتمل على خمسة مطالب :-

المطلب الأول : مصدر التلقي عند السلف .

المطلب الثاني : مصدر التلقي عند الأشاعرة .

المطلب الثالث : مدار العقل بين السلف والأشاعرة .

المطلب الرابع : الأخبار بين السلف والأشاعرة .

المطلب الخامس : التأويل والتفويض بين السلف والأشاعرة .

المطلب الأول
مصدر التلقي عند السلف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين كان منهجهم الأساسي في التلقي والاستدلال في مسائل الاعتقاد والعبادات والمعاملات مستمداً من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والإجماع ، وتجدهم يقتفون الآثار ويرحلون بين الديار والأمصار على مدى الليل والنهار سعياً خلف الحديث وبحثاً عن الدليل ، فكان مذهبهم قبول ما نطق به كتاب الله تعالى، وصحت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا معدل عن ما ورد به ولا سبيل إلى رده، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة، مضمونا لهم الهدى فيهما، مشهودا لهم بأن نبيهم ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، محذرين في مخالفته الفتنة والعذاب الأليم .

مستندين فى ذلك إلى قوله تعالى ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً** [(١)]﴾ وقوله تعالى ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾[(٢)] وقوله تعالى ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾[(٣)]

ولقد جعلوا هذه الآية هي أساس منهجهم وأبرز صفاتهم فكانوا المثل الأول في التسليم لنصوص الشرع لاعتقادهم أن التسليم هو الطريق الذي فيه النجاة وأنه ثمرة الإيمان الحقيقي لحب الله له والثناء على أهله وقد تواصى السلف بالتزام ذلك قولاً وعملاً وصرحوا به ورغبوا فيه الناس نصحاً منهم لله

(١) سورة المائدة : الآية (٣) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٠٣) .

(٣) سورة النساء : الآية (٦٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولرسوله ولعامة المسلمين لمعرفتهم أنه أساس بناء الإسلام لأن من لم يسلم للشرع أمره سلمه إلى الشيطان والبدع والخرافات وشاق الله ورسوله وخالف سبيل المؤمنين .(١)

وقوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾(٤).

وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن الهدى كله في كتاب الله تعالى وفي هدي نبيه ﷺ وأن الواجب على كل مسلم الانقياد والإذعان والتسليم التام دون أي تردد أو شك .

واستناداً أيضاً جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ** » فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ... (٥)

(١) فرق معاصرة – د/غالب عواجى ١/١٣٣ .

(٢) سورة النور : الآية (٥١) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٥٣) .

(٤) سورة السجدة: الآية (٢٢) .

(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٢٤٠٨ باب فضائل على رضى الله عنه ، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله ﷺ «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».(١)

وجاء من حديث عَبْدِ اللهَّ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ، قَالَ عَبْدُ اللهَّ: فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللهَّ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ، وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**» وفى رواية جَابِرٍ «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**» .(٢)

*** أقوال السلف في الحث على التمسك بالكتاب والسنة : -**

وقد وردت عن السلف الكرام أقوال كثيرة في الحث على التمسك بكتاب

(١) تقدم تخريجه .

(٢) **حسن بشواهده** : أخرجه أحمد برقم ١٥١٥٦ - ١٥٨٦٤، وعبد الرزاق فى مصنفه برقم ١٠١٦٤ ، وابن أبى شيبة فى مصنفه برقم ٢٦٤٢١ ، وجامع بيان العلم لابن عبد البر برقم ١٤٩٧ ، أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٧٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي ولم أَرَ مَن ترجمه، وبقية رجاله موثقون.، وحسنه الألباني في الإرواء برقم ١٥٨٩ وذكر له شواهد كثيرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله تعالى وأن الهدى والخير والفلاح كله في ذلك وأنه يجب على كل المسلمين الرجوع إلى كتاب الله والتمسك به في كل أحوالهم واختلافاتهم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ** ﴾.

وهذا هو منهج كل من جاء بعد السلف الكرام من التابعين ومن تبعهم من علماء المسلمين وعامتهم وفى كتب الأئمة من رواة السنة وشارحوها ما لا مزيد عليه في وجوب التمسك بكتاب الله والعمل به والرجوع إليه .

وعلى هذا فقد اتفق المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا أن الواجب عند الاختلاف في أي أمر من أمور الدين بين الأئمة والمجتهدين هو الرد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ الناطق بذلك الكتاب العزيز ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾ ومعنى الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه ومعنى الرد إلى رسوله ﷺ هو الرد إلى سنته بعد وفاته وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين .(١)

وعن بكير بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن ناسا يجادلونكم بشبيه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى»(٢)

وعن ابن عباس قال « من أحدث رأيا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله » .(١)

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ٥٩٦ من الجامع الفريد.، نقلاً عن فرق معاصرة .

(٢) أخرجه الآجرى فى الشريعة برقم ٩٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن ابن سيرين قال « كانوا يقولون ما دام على الأثر فهو على الطريق »[٢]

قال عمر بن عبد العزيز «لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدى»[٣]

وقال أيضاً : «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ومن عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى»[٤]

وقال سفيان الثوري: « إنما الدين الآثار ». وقال بندار: ذكر الآراء عند عبد الرحمن بن مهدي بالبصرة فأنشأ يقول :

(دين النبي محمد آثار ... نعم المطية للفتى الأخبار)

(لا تخدعن عن الحديث وأهله ... فالرأي ليل والحديث نهار)

(فلربما غلط الفتى سبل الهدى ... والشمس بازغة لها أنوار) [٥]

قال الإمام ابن القيم[١] : «وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علما، وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي وآداب

---

(١) أخرجه الآجرى فى الشريعة برقم ٩٣ .

(٢) ذم الكلام وأهله للهروى برقم ٣٣٢ .

(٣) ذم الكلام وأهله للهروى برقم ٢٧٢ .

(٤) أخرجه أبو بكر بن الخلال فى السنة برقم ١٣٢٩ .، والآجرى فى الشريعة برقم ٩٢ ، والإبانة الكبرى لابن بطه برقم ٢٣٠ ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر برقم ٢٣٢٦ .

(٥) الحجة فى بيان المحجة ١ / ٢٢٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجماع والنوم والقيام والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصمت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسي والملائكة والجن والنار والجنة ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأي عين، وعرفهم معبودهم وإلههم أتم تعريف حتى كأنهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله، وعرفهم الأنبياء وأممهم وما جرى لهم، وما جرى عليهم معهم حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها ما لم يعرفه نبي لأمته قبله، وعرفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرف به نبي غيره، وكذلك عرفهم ﷺ من أدلة التوحيد والنبوة والمعاد والرد على جميع فرق أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده، اللهم إلا إلى من يبلغه إياه ويبينه ويوضح منه ما خفي عليه، وكذلك عرفهم ﷺ من مكايد الحروب ولقاء العدو وطرق النصر والظفر ما لو علموه وعقلوه ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدو أبدا، وكذلك عرفهم ﷺ من مكايد إبليس وطرقه التي يأتيهم منها وما يتحرزون به من كيده ومكره وما

---

(١) هو : الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، من أعلام الإصلاح الديني في القرن الثامن الهجري. ولد في دمشق سنة ٦٩١ هـ وتتلمذ على يد ابن تيمية، حيث تأثر به تأثرًا كبيرًا وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. وسُجن ابن قيم الجوزية وعُذِّب عدة مرات، وأطلق من سجنه بقلعة دمشق بعد وفاة ابن تيمية.، توفى سنة ٧٥١ هـ .

ومن أبرز كتب ابن قيّم الجوزية في مجال السياسة كتابه الشهير الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، كما أن له العديد من المؤلفات الأخرى في الشريعة والتفسير والفقه نذكر منها: أعلام الموقّعين؛ زاد المعاد؛ مدارج السالكين؛ الوابل الصيّب من الكلم الطيّب؛ التبيان في أقسام القرآن .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يدفعون به شره ما لا مزيد عليه، وكذلك عرفهم ﷺ من أحوال نفوسهم وأوصافها ودسائسها وكمائنها ما لا حاجة لهم معه إلى سواه، وكذلك عرفهم ﷺ من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة .

وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه، فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها؟ ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك وقلة نصيبه من الفهم الذي وفق الله له أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به، واستغنوا به عما سواه، وفتحوا به القلوب والبلاد، وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا، وهو عهدنا إليكم، وقد كان عمر ﷺ يمنع من الحديث عن رسول الله ﷺ خشية أن يشتغل الناس به عن القرآن، فكيف لو رأى اشتغال الناس بآرائهم وزبد أفكارهم وزبالة أذهانهم عن القرآن والحديث؟ فالله المستعان.اهـ[1]

المطلب الثاني
مصدر التلقي عند الأشاعرة

(١) إعلام الموقعين ٤/٢٨٦ ، والصواعق المرسلة ١/١٥٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن مصدر التلقّي عند الأشاعرة هو الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام؛ ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، وخالفوا ما أمر الله به ورسوله وما كان عليه سلف الأمة، وقد وقع بينهم الخلاف في تحديده، إلا إنه يجمعهم الاعتماد على العقل، فيجعلونه الأساس في تقرير مسائل المعتقد . ، وقد صرح بهذا أئمتهم المتقدمين منهم والمتأخرين .

قال القاضي الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ : « فإن قال قائل فعلى كم وجه ينقسم الاستدلال قيل له على وجوه يكثر تعدادها فمنها أن ينقسم الشيء في العقل على قسمين أو أقسام يستحيل أن تجتمع كلها في الصحة والفساد فيبطل الدليل أحد القسمين **فيقضي العقل على صحة ضده** وكذلك إن أفسد الدليل سائر الأقسام **صحح العقل الباقي منها لا محالة ...** [١]

فانظر كيف جعل العقل هو الدليل والحكم .

وقال زروق فى شرح عقيدة الغزالي ص ٥٢ : **قال الشيخ أبو بكر ابن فورك – المتوفى سنة ٤٠٦ – رحمه الله** : إذا تعارضت الأدلة العقلية مع الظواهر النقلية فإن صدقناهما لزم الجمع بين النقيضين ، وإن كذبنهما لزم رفعهما ، وإن صدقنا الظواهر النقلية وكذبنا الأدلة العقلية لزم الطعن فى الظواهر النقلية لأن الأدلة العقلية أصول الظواهر النقلية وتصديق الفرع مع تكذيب أصله يفضى إلى تذيبهما معاً .

(١) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل للباقلانى ص ٣١ باب الكلام فى الاستدلال .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فانظر كيف جعل العقل أصلاً والنقل فرعاً تعالى الله ورسوله عن هذا الإفك .

وقال الإمام الجوينى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ : المسائل القطعية فتنقسم إلى العقلية والسمعية، فأما العقلية فهي التي تنتصب فيها أدلة القطع على الاستقلال وتفضي إلى المطلب من غير افتقار إلى تقرير الشرع وذلك معظم مسائل العقائد نحو إثبات حدث العالم واثبات المحدث وقدمه وصفاته .... وإما الشرعية فكل مسألة تنطوي على حكم من أحكام التكليف مدلول عليها بدلالة قاطعة من نص أو إجماع .[١]

فانظر كيف جعل معظم مسائل الاعتقاد تقريرها العقل .

وقال في البرهان : **فصل فيما يدرك بالعقل لا غير وفيما يدرك بالسمع لا غير وفيما يجوز فرض إدراكه بهما جميعا .**

فأما مالا يدرك إلا بالعقل فحقائق الأشياء .... وأما ما لا يدرك إلا بالسمع فوقوع الجائزات وانتفاؤها وأما ما يشترك فيه السمع والعقل وبذكره ينضبط ما تقدم من القسمين فنقول فيه كل مدرك يتقدم على ثبوت كلام صدق فيستحيل دركه من سمع .... وبيان ذلك بالمثال: أن وجود الباري سبحانه وتعالى: وحياته وأن له كلاما صدقا لا يثبته سمع فأما من أحاط بكلام صدق ونظر بعده في جواز الرؤية وفي خلق الأفعال وأحكام القدرة فما يقع من هذا الفن بعد ثبوت مستند السمعيات لا يمتنع اشتراك السمع والعقل فيه .

(١) الاجتهاد لإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى ص ٢٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فجعل الإلهيات مصدرها العقل ، والسمعيات مصدراها النقل ، والرؤية مشتركة بينهما .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي[1] المتوفى سنة ٥٠٥ هـ : فصل فيما يستدرك بمحض العقل دون السمع أو ما يشتركان فيه : والقول الضابط في ذلك أن كل ما يمكن إثباته دون إثبات كلام الباري كمعرفة الله تعالى وصفاته ودرك استحالة المستحيلات وجواز الجائزات ووجوب الواجبات العقلية دون التكليفية بأسرها فيستحيل دركه من السمع وأما الذي لا يدرك إلا بالسمع فكل ما لا يمكن إثباته إلا بعد إثبات الكلام فلا يدر بمحض العقل إذ السمع مستنده الكلام فلا يثبت أولا دون إثبات الكلام وتردد بين جهة الجواز فمأخذه السمع على التجرد ومنها ما يجوز أن يؤخذ منهما كخلق الأعمال وجواز الرؤية ... [2]

وقال الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ : المسألة العاشرة : الدلائل النقلية لا تفيد اليقين ..... وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية وأن العقلية قطعية والظن لا يعارض القطع . [3]

---

(١) هو : محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف . مولده سنة ٤٥٠ هـ ووفاته سنة ٥٠٥ هـ في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته .، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف .، من كتبه (إحياء علوم الدين - ط) أربع مجلدات، و (تهافت الفلاسفة - ط) و (الاقتصاد في الاعتقاد - ط)

(٢) المنخول ص١٢٢ .

(٣) معالم أصول الدين للرازي ١ / ٢٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال : اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلوا الحال من أحد أمور أربعة :

أولاً : إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال .

ثانياً : وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال .

ثالثاً : وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على يد محمد ﷺ ولو جوزنا القدح فى الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول ، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول فى هذه الأصول ، إذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة . فثبت أن القدح فى العقل لتصحيح النقل يفضى إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل ، ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال أنها غير صحيحة أو يقال : إنها صحيحة إلا أنَّ المراد منها غير ظهواهرها ثم إن جوزنا التأويل اشغلنا على سبيل التبرع يذكر تلك التأويلات على التفصيل ، وإن لم يجز التأويل فوضنا بها إلى الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى .، وهذا هو القانون الكلى المرجوع إليه في جميع المتشابات وبالله التوفيق . (١)

قال الآمدى[٢] المتوفى سنة ٦٣١ هـ بعد عرضه لمسألة الرؤية : فلسنا نعتمد في هذه المسألة على غير المسلك العقلي الذي أوضحناه إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعية والاستبصارات العقلية وهى مما يتقاصر عن إفادة القطع واليقين .... وإذا عرف جواز الرؤية عقلا فيدل على وقوعها شرعا قوله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ... [٣]

وذهب السنوسى[٤] في شرح أم البراهين إلى : أن أصول الكفر ستة .... وذكر السادس فقال : والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية ..... وقال : والتمسك في أصول العقائد بمجرد بظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة فى

---

(١) أساس التقديس في علم الكلام الفصل الثاني والثلاثين ص ٢٢٠ – ٢٢١ .

(٢) هو : أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، أصولي، كان حنبليًا، ثم تحول إلى المذهب الشافعي. قَدِمَ بغداد فتعلم القراءات، وبرع في الخلاف، وتفنن في أصول الدين وأصول الفقه والفلسفة. رحل إلى مصر وتصدّر للإقراء والفقه الشافعي، فتتلمذ عليه خلق كثير. ومن مصر خرج إلى الشام وتُوفي بها سنة ٦٣١ هـ .

من كتبه : الإحكام في أصول الأحكام، وأبكار الأفكار في علم الكلام ولباب الألباب .

(٣) غاية المرام فى علم الكلام للآمدى ص ١٧٤ .

(٤) هو : محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي نسبة لقبيلة بالمغرب ، ولد بعد سنة ٨٣٠ هـ.، وتوفي سنة ٨٩٥ هـ .

كتبه ومؤلفاته : الشرح الكبير على الحوفية ، العقيدة الكبرى ، العقيدة الوسطى ، العقيدة الصغرى (أم البراهين) ، شرح قصيدة الحباك في الاصطرلاب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقل هو أصل ضلال الحشوية فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملاً بظواهر قوله تعالى ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وقوله ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ وقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ .، ونحو ذلك .[1]

وهذا دفعهم إلى تقسيم العقائد إلى إلهيات ونبوات يستقل بإثباتها العقل، وسمعيات لا تدرك إلا بالسمع والعقل يجوز ذلك .

وهذا المنهج الذي تحاول به الأشعرية التوسط بين العقل والنقل، قائم على أساس فكرة باطلة ، وهى أن نصوص الوحى متعارضة مع أحكام العقل ، وهذا التعارض المزعوم إنما هو في الواقع مسلك الفلاسفة في الأصل ، الذين لا يثبتون النبوات ولا يرون أن إرسال الرسل وما جاءوا به حقائق ثابتة ، فمصدرهم في الاستدلال على إثبات الأمور هو العقل ، فما أثبته العقل هو الثابت وما نفاه هو المنفى .

ولهذا كان واجباً علينا بيان مدار العقل فى الاستدلال وموقعه من الشرع ، وهذا ما سنقرره في المطلب القادم إن شاء الله تعالى .

المطلب الثالث

(١) شرح أم البراهين ص ٢٩٢ – ٢٩٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدار العقل بين السلف والأشاعرة

مما سبق يتضح لنا أن الأشاعرة قد نحوا منحى المعتزلة والجهمية ، وقرروا أن العقل هو الميزان الصحيح وأن أحكامه يقينية ، وأقحموه فى مجالات ليست من مجال بحثه، فخرج العقل بأحكام باطلة فاسدة وهى بزعمهم يقينية ، ثم أرادوا أن يجمعوا بين هذه الأحكام ونصوص الوحي فتولد لديهم تعارض بين الأحكام العقلية التى توصلوا إليها وبين نصوص الوحي ، فأرادوا أن يتخلصوا من هذا التعارض، فوضعوا قانوناً يسمى بقانون التأويل على زعمهم ، الذي حاصله أنه يجب تقديم العقل على النقل ، وتأويل النقل حتى يتفق مع العقل أو تفويضه .

ولهذا قال الإمام أبى المظفر السمعانى : اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الإتباع والمأثور تبعا للمعقول وأما أهل السنة قالوا الأصل في الدين الإتباع والعقول تبع ...[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه : إن التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع.، ولهذا كان كل قول ابتدعه هؤلاء قولا فاسدا وإنما الصواب من أقوالهم ما وافقوا فيه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ....[2]

الرد على الأشاعرة في هذه المسألة نقول :

---

(١)الانتصار لأهل الحديث، ضمن صوت المنطق للسيوطي ص ١٨٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٩٢/٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ - إن الكلام في باب العقائد من الغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى ، والذي لا يمكن معرفته إلا بالوحي وخصوصاً في باب صفات الله تعالى وأفعاله ، فإنه من الممكن أن يهدى الله إليه العبد من خلال العقل والنظر والتفكر إلى وجوده ، أما معرفة صفاته تعالى وأفعاله وأسمائه فهذا لا يُهتدى إليه بمجرد العقل ، فالله سبحانه أعلم بحقيقة صفاته وأفعاله ، فكيف يعتمد في هذه العقائد على دليل عقلي ؟ بل كيف يتحكم العقل المحصور في عالم المشاهدات والمحسوسات والمرئيات في عالم الغيب ؟ وما هي الميزة التي تميز بها الذين يؤمنون بالغيب ؟

فلا شك أن إقحام العقل في هذا الباب قدح في العقل ومعارضة صريحة للدلائل العقلية .

٢ - أن الدلائل العقلية مختلف فيها كثيراً بل ومتناقضة ومتضاربة ، فقد اتفق الفلاسفة وعلماء الكلام على الاعتماد على الدلائل العقلية دون النقلية ، ولكن الدلائل العقلية عند الفلاسفة تختلف عن المتكلمين ، بل بين علماء الكلام خلاف عظيم ، فما يراه الجهمية دليلاً عقلياً قطعياً لا يراه المعتزلة كذلك ، وما يراه الأشاعرة والماتريدية دليلاً عقلياً قاطعاً يدل على إثبات الصفات السبع مثلاً ، يراه الجهمية والمعتزلة براهين ضعيفة وحججاً سقيمة .

وما يراه المعتزلة أدلة عقلية قطعية لوجوب خلق القرآن يراه الأشاعرة والماتريدية وغيرهم أدلى ضعيفة واهية .، وما يراه القدرية دلائل قطعية على نفى القدر وإثباته يراه الجبرية سخفاً من القول وهجراً من الكلام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما يعتمده المرجئة والأشاعرة والماتريدية من أدلة عقلية قطعية لإثبات عقيدتهم فى الإيمان والإرجاء يعده المعتزلة مذهباً مناقضاً لصرائح العقول ومصادماً لقواطع الأدلة .

وهكذا في أشياء عديدة ومسائل كثيرة يطول تتبعها ، فأي قواطع عقلية يقصد الأشاعرة ؟ وعند من ؟[1]

يقول شيخ الإسلام: « إن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلي على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسولﷺ إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا .

ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم: ﴿ **قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾[2]» ... .[3]

*** بيان عدم تعارض العقل والنقل :-**

إن العقل الصريح لا يُعارض النقل الصحيح ، بل يشهد له ويؤيده لأن المصدر واحد فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل ، ومن المحال أن

(١) عقائد الأشاعرة – مصطفى باحو ص ٧٢ بتصرف . ط المكتبة الإسلامية بالقاهرة ، ط الأولى ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م .

(٢) سورة الأنعام : الآية (١٢٤) .

(٣) شرح الأصفهانية ص٣٠- ٣١ – ت / السعوي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يُرسل إليه ما يُفسده ، وإذا حدث تعارض بين العقل والنقل فذلك لسببين ، لا ثالث لهما ، إما أن النقل لم يثبت وإما أن العقل لم يفهم النقل .

فلن تجد إنساناً فطرته سليمة وعقله واضح يختلف في هذا، فالذي صنع العقل هو الله ، والذي أنزل إليه النقل الممثل في الكتاب والسنة كنظام يسير عليه الإنسان فيَسلم في الدنيا والآخرة هو الله ، فمن المحال أن يُرسل إلى صنعته منهجاً يُفسدها ، فالإنسان لا يقبلها على نفسه ، فكيف يقبلها على رب العزة والجلال ؟

قال شيخ الإسلام : ولهذا تجد هؤلاء الذين تتعارض عندهم دلالة العقل والسمع في حيرة وشك واضطراب، إذ ليس عندهم معقول صريح سالم عن معارض مقاوم، كما أنهم في نفس المعقول الذي يعارضون به السمع في اختلاف وريب واضطراب .

وذلك كله مما يبين أنه ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقدماً علي ما جاءت به الرسل، وذلك لأن الآيات والبراهين دالة علي صدق الرسل، وأنهم لا يقولون علي الله إلا الحق، وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب، لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ، كما اتفق علي ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم .

فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق، لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي .[1]

(١) درء تعارض العقل والنقل – شيخ الإسلام ابن تيميه ١/ ١٧٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقال لهم : « لو قدر تعارض العقل لوجب تقديم الشرع ، لأن العقل قد صدق الشرع، ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره ، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل، ومعلوم أن هذا المسلك إذا سلك أصح من مسلكهم ، كما قال بعض أهل الإيمان : يكفيك من العقل أن يعرفك صدق الرسول، ومعانى كلامه، ثم يخلى بينك وبينه .

وقال آخر : العقل سلطان ولَّى الرسول، ثم عزل نفسه، ولأن العقل دل على أن الرسول يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، ولأن العقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة ، ولأن العقل يغلط الحس وأكثر من غلطه بكثير ، فإذا كان حكم الحس من أقوى الأحكام ، ويعرض فيه من الغلط ما يعرض فما الظن بالعقل ».[1]

ويقول الإمام السمعانى : ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئا حتى يعقلوا. ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات الجنة، وصفات

(١) الصواعق المرسلة ٣/٨٠٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئا من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكنا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنا به، وصدقنا، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، وقال الله تعالى في مثل هذا: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ [2] .

ثم نقول لهذا القائل الذي يقول: بني ديننا على العقل، وأمرنا بإتباعه: أخبرنا إذا أتاك أمر من الله يخالف عقلك فبأيهما تأخذ؟ بالذي تعقل، أو بالذي تؤمر؟ فإن قال: بالذي أعقل، فقد أخطأ، وترك سبيل الإسلام وإن قال: آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله: وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيمانا وتصديقا، وما لم نعقله قبلناه استسلاماً وتسليما، وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم .

فنسأل الله التوفيق فيه، والثبات عليه، وأن يتوفانا على ملة رسوله ﷺ بمنه وفضله .[3]

والخلاصة أن يقال : إن كون الدليل عقلياً أو سمعياً ليس هو صفة تقتضي

(١) سورة الإسراء : الآية (٨٥) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٥٥) .

(٣) الحجة في بيان المحجة ١ / ٣٢٠ – ٣٢٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدحاً ولا ذماً ولا صحة ولا فساداً، بل ذلك يبين الطريق الذي به علم، وهو السمع أو العقل، وإن كان السمع لا بد معه من العقل، وكذلك كونه عقلياً أو نقلياً، وأما كونه شرعياً فلا يقابل بكونه عقلياً، وإنما يقابل بكونه بدعياً، إذ البدعة تقابل الشرعة ...، ثم الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً، فإن كون الدليل شرعياً يراد به كون الشرع أثبته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً، ولكن الشرع نبه عليه ودل عليه، فيكون شرعياً عقلياً .

وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالي عليها في كتابه العزيز، من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة علي توحيده وصدق رسله، وإثبات صفاته وعلي المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية، وهي مع ذلك شرعية .

وإما أن يكون الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق، فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً .

وكثير من أهل الكلام يظن أن الأدلة الشرعية منحصرة في خبر الصادق فقط، وأن الكتاب والسنة لا يدلان إلا من هذا الوجه، ولهذا يجعلون أصول الدين نوعين: العقليات، والسمعيات، ويجعلون القسم الأول مما لا يعلم بالكتاب والسنة .

وهذا غلط منهم، بل القرآن دل علي الأدلة العقلية وبينها ونبه عليها، وإن كان من الأدلة العقلية ما يعلم بالعيان ولوازمه، كما قال تعالى ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

وأما إذا أريد بالشرعي ما أباحه الشرع وأذن فيه، فيدخل في ذلك ما أخبر به الصادق ، وما دل عليه ونبه عليه القرآن ، وما دلت عليه وشهدت به الموجودات.

والشارع يحرم الدليل لكونه كذباً في نفسه، مثل أن تكون إحدى مقدماته باطلة، فإنه كذب، والله يحرم الكذب، لاسيما عليه، كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾[2].

ويحرمه لكون المتكلم به بلا علم، كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [4]﴾، وقوله ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ [5]﴾.

ويحرمه لكونه جدالاً في الحق بعد ما تبين، كقوله تعالى ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ [6]، وقوله تعالى ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ

(١) سورة فصلت : الآية (٥٣) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٦٩) .

(٣) سورة الإسراء : الآية (٣٦) .

(٤) سورة الأعراف : الآية (٣٣) .

(٥) سورة آل عمران : الآية (٦٦) .

(٦) سورة الأنفال : الآية (٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْحَقَّ﴾[1].

وحينئذ فالدليل الشرعي لا يجوز أن يعارضه دليل غير شرعي، ويكون مقدماً عليه، بل هذا بمنزلة من يقول: إن البدعة التي لم يشرعها الله تعالي تكون مقدمة علي الشرعة التي أمر الله بها، أو يقول: الكذب مقدم علي الصدق، أو يقول ، خبر غير النبي ﷺ يكون مقدما علي خبر النبي ، أو يقول : ما نهي الله عنه يكون خيراً مما أمر الله به، ونحو ذلك، وهذا كله ممتنع .

وأما الدليل الذي يكون عقلياً أو سمعيا من غير أن يكون شرعيا، فقد يكون راجحا تارة ومرجوحا أخري، كما أنه قد يكون دليلا صحيحا تارة، ويكون شبهة فاسدة أخري، فما جاءت به الرسل عن الله تعالي إخباراً أو أمراً لا يجوز أن يعارض بشيء من الأشياء، وأما ما يقوله الناس فقد يعارض بنظيره، إذ قد يكون حقا تارة وباطلاً أخري، وهذا مما لا ريب فيه لكن من الناس من يدخل في الأدلة الشريعة ما ليس منها، كما أن منهم من يخرج منها ما هو داخل فيها، والكلام هنا علي جنس الأدلة، لا علي أعيانها.[2]

(١) سورة الكهف : الآية (٥٦) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه ١ /١٩٨ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع

الأخبار بين السلف والأشاعرة

إذا تأملنا كتب الأشاعرة نجدهم يجعلون العقل هو الأساس، والنقل تبعاً له وذلك كما قررناه في المطالب السابقة ، ولا يخلو النقل مع العقل عنهم من إحدى الحالات الآتية :

١) إما أن يكون النقل قطعي الثبوت كالمتواتر مثلاً، موافقاً للعقل، فهذا يقبلونه، لموافقته مقتضى العقل وكونه موجباً للعمل .

مثال ذلك : صفات المعانى على قولهم وهى صفة القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والكلام ، والسمع ، والبصر .

٢) وإما أن يكون قطعياً، مخالفاً للعقل. وله حالتان :

١ - أن يمكن تأويله بما يوافق العقل فيجب تأويله، ويقبل النقل ويؤول .

مثال ذلك : صفة الاستواء ، والعلو والفوقية ، والنزول ، واليدان ، والعينان ، والوجه ، والنفس ، والمجيء والإتيان .

٢ - أن لا يمكن تأويله. وهذا يرد لمخالفته العقل، والعقل مقدم على النقل عندهم .

مثل ذلك : الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله عز وجل وقدرته .

٣) وإما أن يكون النقل ليس بقطعي - عندهم - كخبر الآحاد وله ثلاث حالات :

١ - أن يكون موافقاً لمقتضى العقل: فهذا يقبل لموافقته العقل لا لذاته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ - أن يكون مخالفاً لمقتضى العقل، لكن يمكن تأويله بما يوافق مقتضى العقل. فهذا يشتغل بتأويله على سبيل التبرع، وإلا فليسوا ملزمين بتأويله؛ لأنه ليس يجب تأويل إلا ما كان موجباً للعلم وهو المتواتر، أما الآحاد فليس كذلك .

٣ - أن يكون مخالفاً لمقتضى العقل ولا يمكن تأويله، فهذا حكمه الرد بعدم إيجابه للعلم أصلاً، وعدم إمكان تأويله .

هذه خلاصة موقف القوم من النقل، وإليك كلامهم من كتبهم في بيان موقفهم من النقل، مراعياً الترتيب الزمني لنقف على تطور موقفهم :

١) **كلام ابن فورك المتوفى ٤٠٦هـ قال:** ... وأما ما كان من نوع الآحاد، مما صحت الحجة به، من طريق وثاقة النقلة وعدالة الرواة، واتصال نقلهم، فإن ذلك وإن لم يوجب العلم والقطع فإنه يقتضي غالب الظن وتجويز حكم ....[1]

٢) **كلام البغدادي المتوفى ٤٢٩هـ قال:** والأخبار عندنا ثلاثة أقسام: متواتر، وآحاد، ومتوسط، بينهما مستفيض جارٍ مجرى التواتر بعض أحكامه .

فالمتواتر: هو الذي يستحيل التواطؤ على وضعه وهو موجب للعلم الضروري بصحة مخبره. وأخبار الآحاد: متى صح إسنادها، وكانت متونها غير مستحيلة، في العقل، كانت موجبة للعمل بها دون العلم، وكانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم، يلزم الحكم بها في الظاهر وإن لم يعلم صدقهم في الشهادة....

وقال في شروط قبول خبر الآحاد: والشرط الثالث: أن يكون متن الخبر مما

(١) مشكل الحديث وبيانه ص ٥ ، ص ٢٦٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجوز في العقل كونه .

فإن روى الراوي ما يحيله العقل، ولم يحتمل تأويلاً صحيحاً فخبره مردود ... وإن كان ما رواه الراوي الثقة يروع ظاهره في العقول ولكنه يحتمل تأويلاً يوافق قضايا العقول قبلنا روايته وتأولناه على موافقة العقول ... .[1]

٣) كلام الجويني المتوفى ٤٧٨ هـ : وليس يتحتم علينا أن نتأول كل حديث مختلف، كيف وقد بينا أن ما يصح في الصحاح من الآحاد لا يلزم تأويله، إلا أن نخوض فيه مسامحين، فإنه إنما يجب تأويل ما لو كان نصاً لأوجب العلم .[2]

٤) كلام الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ : وأما ما قضى العقل باستحالته، فيجب تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول.

وظواهر أحاديث التشبيه أكثرها غير صحيحة، والصحيح منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل.، فإن توقف العقل في شيء من ذلك فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، وجب التصديق أيضاً لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط اشتماله على القضاء بالجواز .

ثم بين أن هذا القسم غير جائز اعتقاد ما جاء به في حق الله تعالى لتوقف العقل فيه، وإنما يجوز في حق الله ما دل العقل على جوازه فقال: «وبين الرتبتين

---

(١) أصول الدين ص ١٢ ، ص٢٣ .

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد١ / ٥٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرق ربما يزل ذهن البليد حتى لا يدرك الفرق بين قول القائل: اعلم أن الأمر جائز، وبين قوله: لا أدري أنه محال أم جائز، وبينهما ما بين السماء والأرض، إذا الأول جائز على الله تعالى، والثاني غير جائز، فإن الأول: معرفة بالجواز. والثاني: عدم معرفة بالإحالة، ووجوب التصديق جائز في القسمين جميعاً» (١)

وقد تقدم كلام الرازي في قانونهم الكلى، وهؤلاء يقضي قانونهم الكلي الذي وضعوه، بالرجوع عند الاختلاف إلى العقل كما تقدم ..، فما جوزه قبل، وما اعتبره مستحيلاً وجب تأويله إن كان قطعي الثبوت، وإن كان ظنياً اشتغل بتأويله على سبيل التبرع، أو رد لعدم حجيته .

وبذلك ردوا، وأولوا كثيراً من نصوص الشرع، مما أفضى بهم إلى القول بقول الجهمية تارة، كما في مسألة الإيمان مثلاً، والقدر، وبقول المعتزلة تارة في نفي وتأويل بعض الصفات التي جاء بها السمع الصحيح .

مسألة

حجية خبر الآحاد وأنه يفيد العلم والعمل

إن الذي عليه السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وأصحاب الحديث، والفقه والأصول، أن خبر الواحد حجة من حجج الشرع يحتج به، ويلزم من بلغه العلم والعمل به، ولو لم يحتف بقرائن خارجية، تدل على تأكيد طلب العمل به، إذا كان هذا الخبر عند أهل الحديث مقبولاً، بأن تحققت فيه الشروط الخمسة المتفق عليها لصحة الحديث ، من اتصال السند، وعدالة الراوي، وضبطه، وعدم

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٢ – ١٣٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشذوذ، وعدم العلة .

وقد ثبتت حجية خبر الآحاد بالكتاب والسنة والإجماع :

*** أولاً : الكتاب : -**

قال الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ (١) والطائفة من الشيء بعضه، وتقع في لغة العرب على الواحد فصاعدا .

قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ (٢) وقال النبي ﷺ « **بلغوا عنى ولو آية** » ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ويحصل به العلم، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العباد، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم .

قوله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (٣) ، أمر بسؤال أهل الذكر، ولم يفرق في المأمورين بين المجتهد وغيره، وسؤال المجتهد لغيره منحصر في طلب الأخبار بما سمع دون الفتوى، لأن المجتهد لا يقلد غيره، ولو لم يكن القبول واجباً، لما كان السؤال واجباَ .

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٢٢) .

(٢) سورة المائدة: الآية (٦٧) .

(٣) سورة النحل : الآية (٤٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[1] فدل هذا على أن العدل لا تثبت في خبره، إذ لو كان الفاسق والعدل سواء، لم يكن لتخصيص الفاسق بالذكر فائدة .

*** ثانياً : السنة :-**

قد بعث النبي ﷺ الرسل إلى الملوك إلى كسرى وقيصر وملك الإسكندرية وإلى أكيدر دومة وغيرهم من ملوك الأطراف وكتب إليهم كتبا على ما عرف ونقل واشتهر وإنما بعث واحدًا واحدًا ودعاهم إلى الله تعالى وإلى التصديق برسالته لإلزام الحجة وقطع العذر .

وقد كتب البخاري في صحيحه كتاباً في ذلك والأحاديث التي نوهنا عليها ظاهرة معلومة .

قال الإمام أبى المظفر السمعانى : وهذه المعاني لا تحصل إلا بعد وقوع العلم لمن أرسل إليه بالإرسال والمرسل وأن الكتاب من قبله والدعوة منه ، وقد كان نبينا ﷺ بعث إلى الناس كافة وكثير من الأنبياء بعثوا إلى قوم دون قوم وإنما قصد بإرسال الرسل إلى هؤلاء الملوك والكتاب إليهم بث الدعوة في جميع الممالك ودعاء الناس عامة إلى دينه على حسب ما أمره الله تعالى بذلك فلو لم يقع العلم بخبر الواحد في أمور الدين لم يقتصر ﷺ على إرسال الواحد من أصحابه في هذا الأمر .[2]

---

(١) سورة الحجرات : الآية (٦) .

(٢)الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ص١٤٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثالثاً : الإجماع :-

ومن ذلك اتفاق الصحابة والتابعين على أن من نزلت به النازلة منهم سأل الصاحب عنها وأخذ بقوله فيها بروايته له من النبي ﷺ، فصح بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ.

روى ابن عبد البر بإسناده عن أبي حمزة السكري أنه قال: سمعت أبا حنيفة يقول: إذا جاء الحديث الصحيح الإسناد عن النبي ﷺ أخذنا به، ولم نعده .(١) يظهر من صنيع الإمام أبي حنيفة الاستدلال بخبر بالآحاد ، بل إنه قد استدل في جوانب من العقيدة بأخبار الآحاد ومنه حديث الجارية .، وهذا ما عليه الإمام أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد. فقد قرر الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه .

والقول بحجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام هو مذهب مالك رحمه الله كما حكاه ابن خويزمنداد(٢) عن مالك بن أنس واختاره، وأطال في تقريره .(٣)

قال الإمام الشافعى رحمه الله المتوفى ٢٠٤ هـ : وجدنا محمد بن جبير بن مطعم، ونافع بن جبير بن مطعم، ويزيدَ بن طلحة بن رُكَانة، ومحمد بن طلحة بن ركانة، ونافعَ بن عُجَير بن عبد يزيدَ، وأبا أسامة بن عبد الرحمن، وحُميدَ بن عبد الرحمن، وطلحةَ بن عبد الله بن عوفٍ، ومصعبَ بن سعد بن أبي وقاص،

(١) الانتصار لأصحاب الحديث ص٣٨ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز المالكي، العراقي، فقيه أصولي، من آثاره: كتاب كبير في «الخلاف» «كتاب في أصول الفقه» توفي سنة تسعين وثلاثمائة هـ، ا. هـ. **معجم المؤلفين ٨/ ٢٨٠.**

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ١٣٢ ، إرشاد الفحول للشوكانى ١/ ١٣٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وخارجة بن زيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن كعب بن مالك، وعبد الله بن أبي قتادة، وسليمان بن يسار، وعطاء بن يسار، وغيرهم من محدثي أهل المدينة : كلُّهم يقول: حدثني فلان لرجل من أصحاب النبي عن النبي، أو من التابعين عن رجل من أصحاب النبي. فنُثَبِّت ذلك سنة .

ووجدنا عطاءً، وطاوسً، ومجاهدً، وابن أبي مليكة، وعكرمة بن خالد، وعبيد الله بن أبي يزيد، وعبد الله بن باباه، وابن أبي عمارٍ، ومحدثي المكيين، ووجدنا وهب بن مُنَبِّهٍ هكذا، ومكحولً بالشام، وعبد الرحمن بن غنم، والحسن، وابن سيرين بالبصرة، والأسود، وعلقمة، والشعبي بالكوفة، ومحدثي الناس، وأعلامَهم بالأمصار: كلُّهم يُحفظ عنه تثبيت خبر الواحد عن رسول الله، والانتهاء إليه، والإفتاء به، ويقبله كل واحد منهم عن من فوقه، ويقبله عنه مَن تحته .

ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة : أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد، والانتهاء إليه، بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبَّته جاز لي . (١)

إلى أن قال : ولم يزل سبيل سلفنا والقرونِ بعدهم إلى من شاهدنا هذا السبيل.

وهو منقول عن الإمام أحمد فقد قال له المروزي : هنا إنسان يقول الخبر

(١) الرسالة ص ٤٥٣ تحقيق الشيخ /أحمد شاكر .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوجب عملا، ولا يوجب علماً فعابه وقال : لا أدري ما هذا .[1]

قال ابن حزم الظاهري[2] المتوفى ٤٥٦ هـ : والقسم الثاني من الأخبار : ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا إذا اتصل برواية العدل إلى رسول الله ﷺ، وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضاً »[3]

قال الخطيب البغدادي[4] المتوفى ٤٦٣ هـ : لا خلاف بين أهل الفقه في قبول

---

(١) التحبير شرح التحرير ٤ / ١٨١٠ للمرداوى .

(٢) **هو** : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، شاعر وكاتب وفيلسوف وفقيه. ولد في مدينة قرطبة سنة ٣٨٤ هـ وكان يلقب القرطبي إشارة إلى مولده ونشأته .

عَمُرَت حياته في صباه بالدرس والتحصيل، ودرس المنطق والحديث والفقه عن شيوخ قرطبة ، ونشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عرف بابن حزم الظّاهري .

تفرغ ابن حزم للعلم والتأليف. فأثرى المكتبة العربية بمؤلفات مفيدة في مختلف فروع المعرفة من أشهرها: الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل؛ طوق الحمامة؛ جمهرة أنساب العرب؛ نُقَطُ العروس؛ ورسالته في بيان فضل الأندلس وذكر علمائه؛ الإمامة والخلافة؛ الأخلاق والسير في مداواة النفوس والمحلّى بالآثار؛ الإحكام في أصول الأحكام.

ولكن فقهاء عصره حنقوا عليه وألبوا ضده الحاكم والعامة، إلى أن أحرقت مؤلفاته ومزقت علانية بإشبيلية. توفي بقرية منتليشم من بلاد الأندلس سنة ٤٥٦ هـ .

(٣) النبذة الكافية ص ٣٠ .

(٤) **هو** : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت- بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين ، مولده سنة ٣٩٢ هـ في (غُزية) - بصيغة التصغير - منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد.

رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، ثم عاد إلى بغداد ، ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث .، توفى سنة ٤٦٣ هـ .

له مؤلفات كثيرة : من أشهرها تاريخ بغداد ، والفقيه والمتفقه ، والكفاية فى علم الرواية ، والرحلة فى طلب الحديث ، وغيرها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خبر الآحاد ، إذا عدلت نقلته وسلم من النسخ حكمه ، وإن كانوا متنازعين في شرط ذلك ، وإنما دفع خبر الآحاد بعض أهل الكلام لعجزه - والله أعلم - عن علم السنن ، زعم أنه لا يقبل منها إلا ما تواترت به أخبار من لا يجوز عليه الغلط والنسيان ، وهذا عندنا منه ذريعة إلى إبطال سنن المصطفى ﷺ .(١)

قال الإمام السمعانى المتوفى ٤٨٩ هـ : إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم ، هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول ...

إلى أن قال : ومشهور معلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم إليها فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد، وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث في صفات الله عز وجل وفي مسائل القدر والرؤية وأصل الإيمان والشفاعة والحوض وإخراج الموحدين المذنبين من النار وفي صفة الجنة والنار وفي الترغيب والترهيب والوعد والوعيد وفي فضائل النبي ﷺ ومناقب أصحابه وأخبار الأنبياء المتقدمين عليه وكذلك أخبار الرقائق والعظات وما أشبه ذلك مما يكثر عده وذكره .

(١) الفقيه والمتفقه ١ / ٢٨١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه الأشياء كلها علمية لا عملية وإنما تروى لوقوع علم السامع بها فإذا قلنا إن خبر الواحد بها لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمة في نقل هذه الأخبار على الخطأ وجعلناهم لاغين هاذين مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً ولا ينفعه ويصير كأنهم قد دونوا في أمور الدين ما لا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه ...[1]

قال الشوكانى : وعلى الجملة: فلم يأت من خالف في العلم بخبر الواحد بشيء يصلح للتمسك به، ومن تتبع عمل الصحابة، من الخلفاء وغيرهم وعمل التابعين فتابعيهم بأخبار الآحاد وجد ذلك في غاية الكثرة بحيث لا يتسع له إلا مصنف بسيط وإذا وقع من بعضهم التردد في العمل به في بعض الأحوال فذلك لأسباب خارجة عن كونه خبر واحد من ريبة الصحة أو تهمة للراوي أو وجود معارض راجح أو نحو ذلك .[2]

وبعد هذا العرض للأدلة وأقوال الأئمة يتبين لك أن القول بأن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم يفضى إلى الطعن في عمل النبي ﷺ والصحابة وفى دعوتهم إلى دين الله تعالى ، وهو أيضاً خرقاً لإجماع الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين الذي هو معلوم بالضرورة من الدين ، وهو موافق للجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج . نعوذ بالله من شناعة القول وقبح العمل .

(١) الانتصار لأصحاب الحديث ص٣٤ وما بعدها .، والحجة في بيان المحجة ٢/٢٢٨ .

(٢) إرشاد الفحول إلى تحيق الحق من علم الأصول ١/١٣٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الخامس

التأويل والتفويض بين السلف والأشاعرة

من الأمور المسلمة لدى الأشاعرة وغيرهم أن أقوال الأشاعرة تعددت واختلفت في مسائل عديدة من مسائل العقيدة، ويعتبر الأشاعرة مثل هذا الاختلاف أو التعدد في الأقوال اجتهادا داخل المذهب لا يؤثر عليه، ويجددون التفسير المناسب لمثل ذلك، فيقولون مثلا في بعض الصفات الخبرية، قال قدماء أصحابنا أو شيوخنا بإثباتها مع التفويض ونفي التشبيه، ثم يذكرون القول الثاني بالتأويل تنزيها لله عن مشابهة المخلوقات، والقولان - عندهم - صحيحان ولا تعارض بينهما .(١)

ومما تقدم بيانه من منهج الأشاعرة فى تقرير العقائد ، وأن أصل قبول النقل هو الدليل العقلي؛ وبما أن جمع النقيضين ممتنع ورفعهما ممتنع لم يبق عندهم إلا تقديم العقل على النقل .

قالوا وإذا قدم الدليل العقلي القاطع على الظواهر النقلية فهذه الظواهر فيها مسلكان : التأويل والتفويض .

فكان لا بد من تعريف مرادهم بالتأويل والتفويض وموقف السلف من ذلك حتى تتضح الصورة وتنجلى الحقيقة، وبيانه فيما يلي على محورين :

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ١/٢١٧ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحـــور الأول

التأويل بين السلف والأشاعرة

١ - معنى التأويل عند الأشاعرة : -

إن التأويل والتفويض هما أصل من الأصول المنهجية التي يقوم عليها منهج الأشاعرة فى تقرير العقيدة .

والتأويل عندهم هو صرف اللفظ من الحقيقة إلى المجاز، أي صرف اللفظ عن ظاهره[١] إلى احتمال أخر ، وقيل : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به .[٢]

وقد خالفوا شيخهم الأشعري في ذلك ، ثم إن الأشاعرة وصفوا طريقة التأويل - وهي طريقة المتأخرون - « بأنها أعلم وأحكم » لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم وهي الأرجح، وأما طريقة السلف وهي التفويض فأسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى .

والذي دفعهم إلى ذلك زعمهم أن ظواهر النصوص توهم التشبيه والتجسيم ، وهذا ما لا يليق بالله.، ثم إنها تعارض العقل والعبرة بما يقتضيه العقل فهو الحجة والمصدر .

وهذا جرياً منهم خلف قواعدهم وأسسهم العقلية التي وضعوها ، فدفعهم ذلك إلى ما توهموه من الجسمية وغيرها .

---

(١) انظر : تحفة المريد ص ٩١ ، المستصفى للغزالي .

(٢) انظر : أساس التقديس للرازي ص٢٣٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنهم استدلوا على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث وعدم حلوله فيها.

ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسمٍ ولا في جهة ولا في مكان .

فدفعهم ذلك إلى **تأوليلهم صفات الرضا والغضب والاستواء**، على ما سيأتي بيانه .

ودفعهم قولهم في التوحيد أنه هو نفي التثنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة .

وفي ذلك يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له.، ومن ذلك **أولوا صفات الوجه واليدين والعين** ، على ما سيأتي بيانه .

ولم يقتصروا على تأويل آيات الصفات بل توسعوا في باب التأويل حيث شمل أكثر نصوص الإيمان، خاصة فيما يتعلق بإثبات الزيادة والنقصان، وكذلك موضوع عصمة الأنبياء .

واستخدموا في التأويل القول بالمجاز في اللغة .

مسألة
المجاز عند الأشاعرة والمتكلمين

وقد سار الأشاعرة في ضرب المعتزلة والجهمية من القول بالمجاز في اللغة والقرآن والحديث ، فهم يقسمون الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقصدون بالحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له ، وبالمجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له ، فالمجاز عندهم هو : قسيم الحقيقة أي بمعنى الشيء المقابل للحقيقة ، وقد اعتمدوا عليه فى تأويلهم لنصوص القرآن والسنة ، ولذلك نجدهم يستدلون على قولهم بالمجاز بقوله تعالى ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ونحوها من الآيات ، ويقولون : بأن الإستهزاء حقيقة لا يتصور منه تعالى فهو مجاز عن الجزاء المشابه له .[1]

* **المجاز في اللغة العربية :**

ونقول أما المجار فى اللغة : فقد اختلفوا في أصل وقوعه قال أبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو عليٍّ الفارسيُّ: إنه لا مجاز في اللغة أصلاً، كما عزاه لهما ابن السُّبكي[2]..، وقد نقل عن الفارسى : أن المجاز هو غالب اللغة ، وهذا القول معلوم الفساد .

وكل ما يسميه القائلون بالمجاز مجازًا فهو -عند من يقول بنفي المجاز- أسلوب من أساليب اللغة العربية .

فمن أساليبها : إطلاق الأسد مثلاً على الحيوان المفترس المعروف، وأنه ينصرف إليه عند الإطلاق وعدم التقييد بما يدل على أن المراد غيره .

ومن أساليبها : إطلاقه على الرجل الشجاع إذا اقترن بما يدل على ذلك ، كقولك: «رأيت أسدًا يرمي» فالقرينة هنا الرمي ، فعلم أن المقصود ليس الأسد

(١) انظر : الماتريدية دراسة وتقويماً – د/أحمد عوض الله الحربى ص ١٥٥ بتصرف .

(٢) انظر : جامع الجوامع مع حاشية البنانى ١/٣٠٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحيوان ولكنه الرجل الشجاع .

ومع الاقتران بالدليل يقوم مقام الظاهر المستغني عن الدليل .، فوقع بذلك أنه أسلوب من أساليب اللغة العربية .

*** المجاز في القرآن الكريم :**

ثم إن القائلين بالمجاز في اللغة العربية اختلفوا في جواز إطلاقه في القرآن .

فقال قوم : لا يجوز أن يقال في القرآن مجاز، منهم ابن خُوَيز مِنداد من المالكية، وابن القاص من الشافعية، والظاهرية .

وبالغ في إيضاح منع المجاز في القرآن الشيخ أبو العباس ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى؛ بل أوضحا منعه في اللغة أصلًا.

قال العلامة الشنقيطى[1] **رحمه الله** : والذي ندين الله به ويلزم قبوله كل منصف محقق : أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مطلقاً على كلا القولين .

أما على القول بأنه لا مجاز في اللغة أصلاً - وهو الحق- فعدم المجاز في القرآن واضح، وأمَّا على القول بوقوع المجاز في اللغة العربية فلا يجوز القول به

(١) هو : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن) سنة ١٣٢٥ هـ ، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وآثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها وتتلمذ على كثير من علمائها، تولى التدريس في المعاهد العلمية والكليات الشرعية في الرياض والمدينة، وكان ضمن هيئة كبار العلماء وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي .

ترك عدة كتب أبرزها تفسيره المشهور أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الذي وصل فيه إلى سورة المجادلة، وأتمه فيما بعد تلميذه الشيخ عطية سالم .، ومذكرة فى أصول الفقه ، والمصالح المرسلة ، وغيرها .، توفى بمكة سنة ١٣٩٣ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في القرآن .

وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه، ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر، فتقول لمن قال: رأيت أسداً يرمي، ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع، فيلزم على القول بأن في القرآن مجازاً أن في القرآن ما يجوز نفيه .

ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن، وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم .[1]

قال شيخ الإسلام : تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى (حقيقة ومجاز) وتقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة، فإن هذا كله قد يقع في كلام المتأخرين. ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم. وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه. ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة. وإنما عنى بمجاز

(١) منع جواز المجاز للعلامة الشنقيطى ص٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآية ما يعبر به عن الآية، ولهذا قال من قال من الأصوليين - كأبي الحسين البصري وأمثاله - إنما تعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها : نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا : هذا حقيقة وهذا مجاز ، فقد تكلم بلا علم ، فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا: هذا ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها .

وإنما هذا اصطلاح حادث والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين فإنه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف. وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ (الحقيقة والمجاز) ، وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في «الجامع الكبير» وغيره، ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز. وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم ... [1]

فإنْ قيل: إذا منعتم المجاز في آيات الصفات فما معنى الحقيقة فيها ؟

فالجواب : أن الصفات تختلف حقائقها باختلاف موصوفاتها ، فللخالق جل وعلا صفات حقيقية تليق به، وللمخلوق صفات حقيقية تناسبه وتلائمه، وكل من ذلك حقيقة في محله .

ومعاني صفات الله جل وعلا معروفة، وكيفياتها لا يعلمها إلا الله، كما قال مالك وأم سلمة: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول».

والدليل على أن الكيف غير معقول قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ .

(١) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيميه ص ٧٣ – ٧٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ - معنى التأويل عند السلف : -

إن التأويل عند السلف وقع على معنيان .

المعنى الأول: بمعنى التفسير، وبيان المعنى، ومن ذلك قول الله عزّ وجل: ﴿ **نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ** ﴾ سورة يوسف ، ومنه حديث جابر وَرَسُولُ الله ﷺ « بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ ... »[١] ومعنى التأويل هنا التفسير.

المعنى الثاني : بمعنى الحقيقة وهي: ما يؤول إليه الكلام ويرجع إليه، فإن كان الكلام خبراً كان تأويله بهذا المعنى: نفس الشيء المخبر به، وإن كان الكلام طلباً كان تأويله بهذا المعنى هو: فعل هذا الشيء المطلوب .

ومن تأويل الخبر قوله عزّ وجل ﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** [٢]﴾ ، فتأويل الخبر هذا هو حدوث الشيء المخبر به .

وقول الله عزّ وجل: ﴿ **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً** [٣]﴾، فالسجود هو الذي آلت إليه رؤيا يوسف عليه السلام .

وأما الاستدلال على الكلام إن كان طلباً، فحديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا،**

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ١٢١٨ باب حجة النبي ﷺ ، وأبى داود وابن ماجه والدارمى وغيرهم .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٥٣) .

(٣) سورة يوسف : الآية (١٠٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ» [1].

وهناك معنى الثالث للتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن دل عليه دليل، فهو محمود النوع ويكون من القسم الأول، وهو التفسير، وإن لم يدل عليه دليل، فهو مذموم، ويكون من باب التحريف، وليس من باب التأويل .

وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله عز وجل . [2]

يلزم القائلين بهذا النوع من التأويل ما قاله ابن القيم رحمه الله : لزم من ذلك لوازم باطلة :

الأول : منها أن يكون الله سبحانه قد أنزل في كتابه وسنة نبيه ﷺ من هذه الألفاظ ما يضلهم ظاهره ويوقعهم في التشبيه والتمثيل .

الثاني : ومنها أن يكون قد ترك بيان الحق والصواب ولم يفصح به، بل رمز إليه رمزا وألغزه إلغازا لا يفهم منه إلا بعد الجهد الجهيد .

الثالث : ومنها أن يكون قد كلف عباده ألا يفهموا من تلك الألفاظ

حقائقها وظواهرها، وكلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك .

الرابع : ومنها أن يكون دائما متكلما في هذا الباب بما ظاهره خلاف الحق بأنواع متنوعة من الخطاب، تارة بأنه استوى على عرشه، وتارة بأنه فوق عباده،

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٨١٧ ، ومسلم برقم ٤٨٤ وغيرهما .

(٢) شرح الواسطية لابن عثيمين ص ٨٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتارة بأنه العلي الأعلى، وتارة بأن الملائكة تعرج إليه، وتارة بأن الأعمال الصالحة ترفع إليه، وتارة بأن الملائكة في نزولها من العلو إلى أسفل تنزل من عنده، وتارة بأنه رفيع الدرجات، وتارة بأنه في السماء، وتارة بأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وتارة بأنه فوق سماواته على عرشه، وتارة بأن الكتاب نزل من عنده، وتارة بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وتارة بأنه يرى بالأبصار عيانا يراه المؤمنون فوق رءوسهم، إلى غير ذلك من تنوع الدلالات على ذلك، ولا يتكلم فيه بكلمة واحدة يوافق ما يقوله النفاة ولا يقول في مقام واحد ما هو الصواب فيه لا نصا ولا ظاهرا ولا بينة .

الخامس : ومنها أن يكون أفضل الأمة وخير القرون قد أمسكوا من أولهم إلى آخرهم عن قول الحق في هذا النبأ العظيم الذي هو من أهم أصول الإيمان، وذلك إما جهل ينافي العلم، وإما كتمان، ولقد أساء الظن بخيار الأمة من نسبهم إلى ذلك، ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد بينهما جهل الحق وإضلال الخلق، ولهذا لما اعتقد النفاة التعطيل صاروا يأتون من العبارات بما يدل على التعطيل والنفي نصا وظاهرا ولا يتكلمون بما يدل على حقيقة الإثبات لا نصا ولا ظاهرا، وإذا ورد عليهم من النصوص ما هو صريح أو ظاهر في الإثبات حرفوه أنواع التحريفات، وطلبوا له مستكره التأويلات .

السادس : ومنها أنهم التزموا لذلك تجهيل السلف وأنهم كانوا أميين مقبلين على الزهد والعبادة والورع والتسبيح وقيام الليل، ولم تكن الحقائق من شأنهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السابع : ومنها أن ترك الناس من إنزال هذه النصوص كان أنفع لهم وأقرب إلى الصواب ، فإنهم ما استفادوا بنزولها غير التعرض للضلال، ولم يستفيدوا منها يقينا ولا علما لما يجب لله ويمتنع عليه، إذ ذاك إنما يستفاد من عقول الرجال، فإن قيل: استفدنا منها الثواب على تلاوتها وانعقاد الصلاة بها، قيل: هذا تابع للمقصود بها بالقصد الأول وهو الهدى والإرشاد والدلالة على إثبات حقائقها ومعانيها والإيمان بها، فإن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة وانعقاد الصلاة، بل أنزل ليتدبر ويعقل ويهتدى به علما وعملا، ويبصر من العمى ويرشد من الغي، ويعلم من الجهل ويشفي من العي، ويهدي إلى صراط مستقيم، وهذا القصد ينافي قصد تحريفه وتأويله بالتأويلات الباطلة المستكرهة التي هي من جنس الألغاز والأحاجي فلا يجتمع قصد الهدى والبيان وقصد ما يضاده أبدا.[1]

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٣١٤ ، ومختصره ص ٥٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحـــور الثاني

التفويض بين السلف والأشاعرة

أولاً : التفويض عند الأشاعرة : -

إن التفويض عند الأشاعرة هو في الحقيقة من شر أقولهم وقبح أعمالهم ، وذلك لمناقضته ومعارضته نصوص التدبر للقرآن واستلزامه تجهيل الأنبياء والمرسلين برب العالمين .

معنى التوفيض عندهم : يعنون به تفويض المعنى المراد من النص الموهم للتشبيه - على حد زعمهم - وهذا التفويض إنما يكون بعد التأويل الإجمالي - وهو: صرف اللفظ عن ظاهره .

قال صاحب الجوهرة :

وكـل نـص أوهم التشبيها أولـه أو فـوض ورم تـنزيهـا

وقال صاحب التحفة : وقوله (أوله) : أى احمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد ، فالمراد أوله تأويلاً تفصيلياً ، كما هو مذهب الخلف ، وقوله (أو فوض) : أي بعد التأويل الاجمالى الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، فعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم على طريقة السلف ... [1]

قالوا: وهذه هي طريقة السلف وهي أسلم. ولهم حجتان في ذلك :

الأولى: قول الله تعالى ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ** ﴾ على قراءة الوقف على اسم الجلالة .

(١) تحفة المريد للبيجورى ص ١٠٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثانية : اتفاق السلف على أنها تمر كما جاءت كما في قول الإمام مالك رحمه الله: « الاستواء معلوم والكيف مجهول ... » وكقول بقية السلف: أمروها كما جاءت .(١)

وقال بعد أن عرض الطريقتين التأويل والتفويض : وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم ، وهى الأرجح ..... وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى .(٢)

قال الدردير(٣)في شرح الخريدة : وأجاب أئمتنا سلفهم بأن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث، مع تفويض معاني هذه النصوص إليه تعالى إيثاراً للطريق الأسلم ..... وخلفهم بتعيين محامل صحيحة إبطالاً لمذهب الضالين، وإرشاداً للقاصرين ..... ومن ثم قيل إن طريق السلف أسلم ، وطريق الخلف أعلم .، والحاصل : أنه لابد من تأويل ، أي حمل اللفظ على غير ظاهره ، إلا أن تأويل الخلف تفصيلي وتأويل السلف إجمالي .(٤)

---

(١) انظر : المرجع السابق .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، فاضل من فقهاء المالكية ، ومن شيوخ الصوفية ولد في بني عَدِيّ (بمصر) سنة ١١٢٧ هـ وتعلم بالأزهر، وتعين شيخاً على المالكية، ومفتياً ناظراً على وقف الصعايدة، وشيخاً على طائفة الرواق، توفي بالقاهرة سنة ١٢٠١ هـ .
من كتبه (أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك) و (منح التقدير) مجلدان، في شرح مختصر خليل، فقه، و (تحفة الإخوان في علم البيان) (ونظم الخريدة البهية في العقيدة الأشعرية وشرحها).

(٤) شرح الخريدة البهية لأبى البركات الدردير ص ١٧١ – ١٧٢ .، وهى تدرس للمرحلة الثانوية بالأزهر .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فادعوا بذلك أمرين :

- أن الاتفاق حاصل على عدم إرادة الظاهر، إذ الظاهر يوهم التشبيه .

- أن آية آل عمران دالة على صحة التفويض - وهو الإمساك عن المعنى المراد .

فالحاصل من مرادهم بالتفويض هو التجهيل الذي ينتج عنه من اللوازم الباطلة ما يترتب عليه :

- تكذيب القرآن الكريم الذي أمرنا فيه بتدبر ألفاظه ومعانيه، ونصوص الصفات فيه كثيرة وهى من أعظم ما فيه حيث تدل على الله سبحانه وتعالى .

- تجهيل النبي ﷺ وأصحابه الذين كانوا يقرؤون آيات الصفات وهم لا يعرفون معناها .

قال شيخ الإسلام : فعلي قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه ..... ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدي وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته، أو عن كونه خالقاً لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمر ونهي، ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر ـ لا يعلم أحد معناه، فلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين .

وعلي هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به.[1]

ثانياً : معنى التفويض عند السلف :-

التفويض في باب صفات الله تعالى عند السلف هو التفويض في الكيف فقط، دون المعنى، فالسلف كانوا يعرفون معاني الصفات ويفوضون علم كيفيتها إلى الله تعالى؛ فيكون الكيف هو المجهول عندهم لا المعنى فكانوا مثبتين للصفات لا مفوضين لها، وهذا هو التفويض الحق الذي ندين الله تعالى به، ونصوص السلف في ذلك متواترة، منها المقالة الرَّبَعِيَّةُ، والمالكية التي سارت كالمثل السائر: « الاستواء معلوم والكيف مجهول » ، فالمعنى معلوم لكن الكيف علمه إلى عالمه .

إن الأئمة مع قولهم أمروها كما جاءت، صرحوا بأن ظواهر النصوص مرادة مع قطع الطمع عن إدراك الكيفية، وهذا يتعارض مع زعم الأشاعرة بأن الظاهر غير مراد .

وكل ما ذكر من أقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام يرد هذا الزعم .

وهذا حقيقة مذهب السلف، يؤمنون بالصفات الواردة، ويفهمون ما دلت

(١) درء تعارض العقل والنقل ١ / ٢٠٤ – ٢٠٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه من المعاني اللائقة بالله تعالى، أما الكيفية فيفوضونها لعالمها .

*** ردود العلماء على من قال طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم :**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فلو كان قد بين وتبين لهذا وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات، وفهم ما دلت عليه، وتدبره وعقله، وإبطال طريقة النفاة، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول، علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وأهدى إلى الطريق الأقوم، وأنها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر به، وفهم ذلك ومعرفته، وأن ذلك هو الذي هو الذي يدل عليه صريح المعقول، ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب، وأن طريقة النفاة المنافية لما أخبر به الرسول طريقة باطلة شرعاً وعقلاً، وأن من جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الآيات، وعدم إثبات ما تضمنته من الصفات فقد قال غير الحق، إما عمداً، وإما خطأ، كما أن من قال على الرسول أنه لم يبعث بإثبات الصفات، بل بعث بقول النفاة كان مفترياً عليه.[1]

قال العلامة ابن الوزير[2]: الفريقان المشبهة والمعطلة إنما أتوا من تعاطي علم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٥ /٣٧٨ – ٣٧٩ .

(٢) هو : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن .، ولد في هجرة الظهران (من شطب: أحد جبال اليمن) سنة ٧٧٥ هـ ، وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة. وأقبل في أواخر أيامه على العبادة .، ومات بصنعاء سنة ٨٤٠ هـ . له كتب نفائس، منها «إيثار الحق على الخلق » و «تنقيح الأنظار في علوم الآثار » في مصطلح =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما لا يعلمون ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الإيمان بما ورد من غير تشبيه لسلموا فقد أجمعوا على أن طريقة السلف أسلم ولكنهم ادعوا أن طريقة الخلف أعلم فطلبوا العلم من غير مظانه بل طلبوا علم ما لا يعلم فتعارضت أنظارهم العقلية وعارض بعضهم بعضا في الأدلة السمعية فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات ويدعون فيها ما ليس من التشبيه والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة الإسلام جميعا إلى التشبيه ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار والاقتداء بالسلف الأخيار والاقتصار على جليات الأبصار وصحاح الآثار .[١]

وقال : قد قال العلماء رضي الله عنهم: إن طريقة السلف أسلمُ وطريقة الخلف أعلم ، والأفضلُ للمسلم الاقتداءُ بالسلف، فإنَّهم كانوا على طريقةٍ قد رآهم عَليها رسولُ الله ﷺ وأقرَّهم عليها، ووالله ما يَعْدِلُ السلامة شيء، فنسأل اللهَ السلامة .[٢]

قال العلامة السفارينى[٣] : وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة

= الحديث، و «قبول البشرى بالتيسير لليسرى » و «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم » .

(١) إيثار الحق على الخلق ص ٩٣ .

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ٢/٤٢٢ .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون : عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق .، ولد في سفارين (من قرى نابلس) سنة ١١١٤ هـ ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها ، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها سنة ١١٨٨ هـ.

من كتبه : (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) و (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية) و (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور، وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين باطلين: الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم .[1]

وقال أبو الثناء الألوسى[2]: فهذا الظن الفاسد أوجبه اعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله، كيف يكون هؤلاء المتأخرون- لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم[3] ... ثم ساق أقوال من وقع في الحيرة من علمائهم .

---

(١) لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٥ .

(٢) هو : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني فقيه ومفسر ومحدث. ولد في بغداد سنة ١٢١٧ هـ ، وتلقى العلوم على شيوخ عصره، وكان شديد الحرص على التعلم ذكياً فطنًا، لا يكاد ينسى شيئًا سمعه، حتى صار إمام عصره بلا منازع. اشتغل بالتأليف والتدريس في سن مبكرة، فذاع صيته وكثر تلاميذه، تولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتى سنة ١٢٦٣هـ .

له عدة كتب قيِّمة، أبرزها تفسيره الكبير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .، توفي ببغداد ودُفن فيها سنة ١٢٧٠ هـ .

(٣) غاية الأماني في الرد على النبانى ٢/ ٢٢٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال العلامة ابن عثيمين : هذه الكلمة من أكذب ما يكون نطقاً ومدلولاً، «طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم»، كيف تكون أعلم وأحكم وتلك أسلم ؟!

لا يوجد سلامة بدون علم وحكمة أبداً ! فالذي لا يدري عن الطريق، لا يسلم، لأنه ليس معه علم ، لو كان معه علم وحكمة، لسلم ، فلا سلامة إلا بعلم وحكمة .

إذا قلت: إن طريقة السلف أسلم، لزم أن تقول: هي أعلم وأحكم وإلا لكنت متناقضاً .

إذاً، فالعبارة الصحيحة: «طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم»، وهذا معلوم .

قال العلامة الأمين الشنقيطى : من السلامة وما كان يفوق غيره ويفضله في السلامة فلا شك أنه أعلم منه وأحكم ثانياً اعلموا أن المؤولين ينطبق عليهم بيت الشافعي رحمه الله ... رام نفعاً فضر من غير قصد ... ومن البر ما يكون عقوقا ...[1]

(١) منهج ودراسات لآيات الصفات ص٤٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الرابع

الإيمان والمعرفة

بين السلف والأشاعرة

ويشتمل على أربعة مطالب :-

المطلب الأول : حقيقة الإيمان بين السلف والأشاعرة .

المطلب الثاني : أول واجب على المكلف .

المطلب الثالث : حكم إيمان المقلد .

المطلب الرابع : أدلة وجود الله تعالى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

الإيمان بين السلف والأشاعرة

قد وقع الخلاف بين الطوائف في معنى وحقيقة الإيمان، وهل الأعمال داخلة فيه وحكم مرتكب الكبيرة على أقوال :

١- قول أهل السنة والجماعة وجماهير السلف، إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قالوا ومرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وفي الآخرة تحت المشيئة .

٢- قول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء يقولون: الإيمان قول واعتقاد وعمل، وأما مرتكب الكبيرة ، فحكمه في الدنيا عند المعتزلة أنه ليس بمؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلين، ومن ثم فليس مباح الدم .، وأما عند الخوارج فهو كافر مباح الدم والمال .، وأما حكمه في الآخرة فقد اتفق الخوارج والمعتزلة على أنه مخلد في النار كالكفار .

٣- قول مرجئة الفقهاء - من أتباع أبي حنيفة - أن الإيمان قول واعتقاد، وأما الأعمال فغير داخلة فيه.، وأما حكم مرتكب الكبيرة عندهم فهو موافق لمذهب أهل السنة .

٤- قول الجهمية: أن الإيمان هو المعرفة فقط، وما عداها من تصديق القلب وإقراره، ومن القول والعمل، فغير داخل في الإيمان، وهذا قول الجهم .

٥- قول الماتريدية: أن الإيمان هو التصديق، وأما قول اللسان فهو دليل عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وليس داخلا فيه، وأما العمل فغير داخل فيه .

٦- قول الكرامية: أن الإيمان قول باللسان فقط. وهذا لإثبات إيمانه في الدنيا، أما في الآخرة فمن لم يوافق قوله ما في قلبه من الاعتقاد الصحيح - كالمنافق - فهو مخلد في النار .

٧- قول الكلابية والأشعرية : ولهم في الإيمان قولان :

أحدهما : أنه قول واعتقاد وعمل، وهذا قول أبي علي الثقفي، والقلانسي، وإليه مال ابن مجاهد، وهو أحد قولي أبي الحسن الأشعري، ذكره في المقالات[١] - ضمن مقالة أصحاب الحديث وأهل السنة، وقال إنه بكل ما قالوه يقول .

والثاني : القول الثاني لأبي الحسن الأشعري - الذي ذكره في الموجز - ووافقه عليه جمهور الأشاعرة ، كالباقلاني، والجويني وغيرهما. وهو أن الإيمان مجرد تصديق القلب ومعرفته. ويختلف تعبير الأشاعرة هنا فتارة يقولون هو المعرفة كقول جهم، وتارة يقولون هو التصديق .

أما مذهبهم في مرتكب الكبيرة فهو موافق لقول أهل السنة .[٢]

وموضوع بحثنا هو مدار الإيمان وحقيقته ودخول العمل في مسمى الإيمان، وزيادة الإيمان ونقصانه بين الأشاعرة والسلف ، وإليك بيان مسائلة :

(١) مقالات الإسلاميين ص ٢٩٣-٢٩٤ ت / ريتر .

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٣٤٩/٣ عبد الرحمن صالح .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسألة الأولى

معنى الإيمان وحقيقة

أولاً : معنى الإيمان لغةً : له معنيان حسب الاستعمال؛ الأمن والتصديق، والمعنيان متداخلان .(١)

ودليل الأول : قال الله تعالى: ﴿ **وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ فآمن، أي: أصبح داخلاً في الأمن .، ومنه اسم الله - تبارك وتعالى - (المؤمن) ؛ لأنه - سبحانه - أمن عباده أن يظلمهم .

ودليل الثانى : قول إخوة يوسف لأبيهم قال تعالى ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ أي: لا تقر بخبرنا، ولا تثق به، ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين .

ولكن لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - له رأي آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان .

قال : (ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد)

وقال أيضاً : (إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب ؛ كلفظ التصديق ؛ فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت، أو كذبت ، ويقال :

---

(١) انظر معاجم اللغة مادة (أمن) : تهذيب اللغة للأزهري ١٥/٥١٣.، والصحاح للجوهري ٥/٢٠٧١ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٥١٨. ولسان العرب لابن منظور١٣/ ٢١-٢٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صدقناه ، أو كذبناه ، ولا يقال: لكل مخبر: آمنا له، أو كذبناه .

ولا يقال: أنت مؤمن له، أو مكذب له؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب)[1]

ولهذا؛ لو فسر (الإيمان) بـ (الإقرار) لكان أجود؛ فنقول : الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق، فتقول أقر به، كما تقول: آمن به، وأقر له كما تقول: آمن له)[2]

واعلم أن التعريف الشرعي قد يتفق مع التعريف اللغوي، وقد يختلف؛ بحيث يكون بالمعاني الشرعي أشمل من اللغوي، ولكن العبرة بالمعني الشرعية الذي نتعبد الله تعالى به .

وهكذا في مسمى الإيمان؛ إذ التصديق أحد أجزاء المعنى الشرعي على الصحيح المشهور عند أئمة أهل السنة والجماعة، وعلى ذلك دلت نصوص الكتاب والسنة .

فالمعنى المختار للإيمان لغة : هو الإقرار القلبي: ويكون الإقرار: باعتقاد القلب: أي تصديقه بالأخبار.، وعمل القلب: أي إذعانه وانقياده للأوامر .[3]

ثانياً : معنى الإيمان في الاصطلاح الشرعي :

* **معناه الاصطلاحي عند الأشاعرة** : ذهب جمهور الأشاعرة في هذه المسألة

(١) مجموع الفتاوى ٦٣٨/٧ - ٢٩١ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢٢٩/٢ .

(٣) الإيمان حقيقته وخوارمه ونواقضه عند أهل السنة ص ٢٤ – لعبد الله بن عبد الحميد الأثري .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى القول بأن الإيمان الشرعي هو شيء واحد فقط لا تعدد فيه وهو التصديق القلبي، بالله تعالى، وبنبوة محمد ﷺ، وتصديقه فيما أخبر به عن الله عز وجل وصفاته، وأنبيائه، وغير ذلك، فالإيمان عندهم تصديق قلبي فقط، وهذا هو المذهب المشهور عندهم .(١)

قال القاضي الباقلانى : الإيمان هو التصديق بالله تعالى وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب.(٢)

قال الآمدى : الإيمان هو تصديق القلب. وهو مذهب الشيخ أبى الحسن والقاضي أبى بكر، والأستاذ أبى إسحاق، وأكثر الأئمة، ووافقهم على ذلك الصالحى، وابن الراوندى من المعتزلة .

ثم ذكر المذاهب في الإيمان وقال : ومنهم من قال: هو الإقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان؛ وهذا هو مذهب القلانسى من أصحابنا، والنجار من المعتزلة .

ثم قال : وأما من قال: بأنه لا يخرج عن المركب من أعمال القلب والجوارح قال: هو المعرفة بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. وهو مذهب أكثر أهل الأثر، وابن مجاهد .

والحق في هذه المسألة غير خارج عن مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعري : وهو أن الإيمان بالله - تعالى - هو تصديق القلب به .، فإن التّصديق من أحوال

(١) الإيمان بين السلف والمتكلمين – أحمد بن عطية الغامدى ص ١٥١ .

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص ٣٨٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النفس، ومن ضرورته المعرفة شرعاً.(١)

قال أبو المعالي الجوينى : وحقيقة الإيمان مما اختلف فيها مذاهب الإسلاميين ، فذهبت الخوارج إلى أن الإيمان هو الطاعة وما إليه كثير من المعتزلة واختلفت مذاهبهم في تسمية النوافل إيماناً ، **وذهب أصحاب الحديث إلى أن الإيمان هو معرفة الجنان ، وإقرار اللسان ، وعمل بالأركان** ، ... ثم ذكر باقي المذاهب مما تقدم ذكره .

ثم قال : **المرضى عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى ، فالمؤمن بالله من صدقه .**(٢)

قال التفتازانى(٣): فاعلم أن الإيمان في الشرع (هو التصديق بما جاء به من عند الله تعالى) أي تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به من عند الله -تعالى- إجمالا ....

ثم قال : هذا الذي ذكره – يقصد الإمام النسفى - من أن الإيمان هو التصديق والإقرار مذهب بعض العلماء. وهو اختيار الإمام شمس الأئمة وفخر

---

(١) أبكار الأفكار للآمدى ٥ /٧ وما بعدها .

(٢) الإرشاد ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٣) هو : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، من أئمة العربية والبيان والمنطق . ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) سنة ٧١٢ هـ وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس سنة ٧٩٣ هـ .، كانت في لسانه لكنة.، من كتبه : شرح المقاصد في علم الكلام ، شرح التلويح على التوضيح ، شرح العقائد النسفية ، حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب، وغيرها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام -رحمهما الله-.

وذهب جمهور المحققين إلى أنه التصديق بالقلب، وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا .... **وقال** : إن الأعمال غير داخلة في الإيمان، لما مر من أن حقيقة الإيمان هو التصديق ...[1]

وقال اللقانى[2] فى الجوهرة :

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

فقيل شرطٌ كالعمل وقيل بل شطرٌ والإسلامَ اشرحنَّ بالعمل

قال البيجورى[3] : وبالجملة فالإيمان شرعاً هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة ، وأما لغة فهو مطلق التصديق .... وهذا القول – أي بالشرطية – لمحققي الأشاعرة والماتريدية ولغيرهم وقد فهم

(١) شرح العقائد النسفية ص ٧٨ وما بعدها .

(٢) **هو** : إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الإمداد، برهان الدين: فاضل متصوف مصري مالكي . نسبته إلى (لقانة) من البحيرة بمصر. توفي بقرب العقبة عائدا من الحج سنة ١٠٤١ هـ .

له كتب منها (جوهرة التوحيد - ط) منظومة في العقائد، و (بهجة المحافل - خ) في التعريف برواة الشمائل، و (حاشية على مختصر خليل) فى فقه .

(٣) **هو** : إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري : شيخ الجامع الأزهر.، من فقهاء الشافعية. نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية، بمصر) ولد ونشأ فيها سنة ١١٩٨ هـ ، وتعلم في الأزهر، تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ واستمر إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٢٧٧ هـ .، كتب حواشي كثيرة منها (حاشية على مختصر السنوسي) في المنطق، و (التحفة الخيرية) حاشية على الشنشورية في الفرائض، و (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) و (تحقيق المقام) حاشية على كفاية العوام للفضالي، في علم الكلام، و (حاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي) توحيد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمهور أن مرادهم أنه شرط لإجراء أحكام المؤمنين عليهم ....وفهم الأقل أن مرادهم أنه شرط في صحة الإيمان .... والقول الأول هو الراجح .[١]

وقال الدردير في الخريدة : الإيمان لغة هو مطلق التصديق ، وشرعاً : هو تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة ....

ثم قال : فالنطق إنما هو شرط كمال فيه كبقية الأعمال ...[٢]

فبهذا تبين لك أن الإيمان الشرعي عند الأشاعرة هو بعينه الإيمان اللغوي، إلا أن الإيمان الشرعي خاص فيما أمرنا بالتصديق به من الأمور الشرعية، واللغوي عام، على خلاف بينهم في دخول النطق بالشهادتين في مسمى الإيمان، هل هو شرط كما أم شرط صحة كما تقدم تقريره من كلامهم .

وقد أوردوا أدلة تؤيد ما ذهبوا إليه، فمما أوردوه كدليل على إخراج الإقرار عن الركنية قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ** ﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [٤]، وقوله سبحانه: ﴿ **وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ** ﴾ [٥]، وقوله ﷺ : « **اللهم ثبت قلبي على دينك** ». حيث نسب فيها وفي نظائرها الغير محصورة الإيمان إلى القلب، فدل ذلك على أنه فعل القلب وهو التصديق .[٦]

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢) شرح الخريدة البهية لأبى البركات الدردير ص ٢٥١ – ٢٥٤ .

(٣) سورة المجادلة : الآية (٢٢) .

(٤) سورة الحجرات : (١٤) .

(٥) سورة النحل : (١٠٦) .

(٦) انظر : العقائد للإيجي، ٢ / ٢٨٦ ، ومراجعهم السابقة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومما تقدم يتلخص لنا أن عقيدة الأشاعرة في معنى الإيمان وحقيقته ما يأتي:

١ ـ أن الإيمان الشرعي: هو الإيمان المعروف في اللغة وهو التصديق المخصوص .

٢ ـ أن التصديق محله القلب فقط، بدليل الآيات التي تنسبه إليه دون غيره، وذلك دليل على أن الإقرار والعمل لا دخل لهما في التصديق .

٣ ـ أن العمل خارج عن الإيمان ومغاير له، بدليل عطف العمل على الإيمان والعطف دليل على المغايرة .

٤ ـ أن القرآن الكريم ولغة العرب، والإجماع، تدل على بقاء الإيمان على أصله اللغوي .

٥ ـ أن الإقرار والعمل شرط في الإيمان، يلزم الإتيان بهما، ومَن فرَّط فيهما فهو معَّرض للعقاب .

فهذه النقاط الخمس هي ملخص مذهب جمهور الأشاعرة في حقيقة الإيمان .، لذا فإن القول بإخراج العمل من الإيمان غير صحيح والسلف جميعاً ضد هذا الرأي لما له من نتائج خطيرة على الإسلام الذي هو دين عملٍ وكدٍّ وكفاحٍ، لا يعرف الكلل، ولا يركن إلى السلبيات، بل يبحث عن الإيجابيات التي تحرك المسلم، وتدفع به إلى الإنتاج النافع، الذي يرتفع بمستوى هذا الدين إلى المكانة اللائقة، التي يجب أن نحاول الوصول بديننا الحنيف إليها .

فالمسلمون كانوا في الصدر الأول مدركين لهذه الحقيقة، إذ ورد في وصفهم بأنهم كانوا رهباناً بالليل، أسوداً بالنهار، فينبغي أن يسلك المسلمون في هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العصر، وفي كل زمان بعده، مسلك أولئك الرجال الذين كانوا خير مثل في تطبيق تعاليم هذا الدين الحنيف .[1]

*** معنى الإيمان الاصطلاحي عند السلف :**

إن الإيمان عند السلف الصالح هو: التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه .

وأن محمد بن عبد الله ﷺ رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به ﷺ عن ربه - جل وعلا - وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له ﷺ بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه ﷺ وزجر؛ ظاهراً وباطناً، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك .

ويجب أن يتبع ذلك كله قول اللسان، وعمل الجوارح والأركان، ولا يجزيء واحد من الثلاث إلا بالآخر؛ لأن أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، وجزء منه .

فمسمى الإيمان عند السلف الصالح من الأئمة والعلماء هو: (تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية) .

(١) الإيمان بين السلف والمتكلمين – أحمد عطية الغامدى ص ١٨٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أصولهم التي اتفقوا عليها في مسمى الإيمان على اختلاف عباراتهم في التعبير - إجمالاً وتفصيلاً - وذلك خوفاً من الاشتباه، أو الالتباس؛ أن الإيمان مركب من : (قول، وعمل) . أو (قول، وعمل، ونية) . أو (قول، وعمل، ونية، وإتباع السنة) .[١]

وإليك بيان أقوال أئمة السلف :-

قال أبو سلمة الخزاعي، قال: قال مالك وشريك وأبو بكر بن عياش وعبد العزيز بن أبي سلمة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد: « **الإيمان: المعرفة، والإقرار، والعمل** »[٢]

قال أبو ثور: «الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح»[٣]

قال الشافعي : «كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر»[٤]

قال المزني : « لا خلاف بين الناس أن النبي ﷺ طاف بالبيت فقال: إيمانا بك وتصديقا بكتابك، وهذا دليل على أن جميع الأعمال من الإيمان »[٥]

قال ابن جرير الطبري : المعنى الذي يستحق به اسم مؤمنٌ بالإطلاق، هو الجامع لمعاني الإيمان، وذلك أداء جميع فرائض الله -تعالى ذكره- من معرفةٍ

(١) الإيمان حقيقته وخوارمه ونواقضه عند أهل السنة ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢) السنة لأبى بكر بن الخلال برقم ١٠٠٦ .

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى برقم ١٥٩٠ .

(٤) المصدر السابق برقم ١٥٩٢ .، وكتاب الأم باب النية فى الصلاة .

(٥) المصدر السابق برقم ١٥٩٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإقرارٍ وعملٍ .[1]

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم، سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص .... [2] وأقوال الأئمة كثيرة لا يسعنا المجال لسردها فأكتفى بما ذكر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : مبيناً عبارات السلف « والمقصود هنا، أن مَن قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يُفهَم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب .

ومن قال : قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يُفهَم منه النية ، فزاد ذلك . ومن زاد إتباع السنة، فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا بإتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال، والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل. والذين جعلوه أربعة، بينوا مرادهم، كما سُئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو فقال:

(١) التبصير في معالم الدين ص ١٩٠ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، برقم ٣٢١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل، فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذاك كان قولاً وعملاً ونية لا سنة فهو بدعة»(١)

مما سبق : يتضح لك أن السلف الصالح قالوا بدخول الأعمال فى الإيمان وأنها ركن ثالث من أركانه ، واعتبروا ما عدا هذا الرأي رأياً خاطئاً، معارضاً لما ورد من نصوص تطلق على الأعمال إيماناً، فنصوص الكتاب والسنة، مليئة بما يصعب حصره مما يدل على هذا الرأي .

وكمثال لهذا الاستدلال الذي يتضمن الرد على الرأي المخالف، ما ذكره الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ من نصوص صريحة ورتَّبها ترتيباً قصد به الرد على من أخر العمل عن الإيمان .

وإليك بعضاً من النصوص التي أوردها والمنهج الذي سلكه، فقد وضع ـ رحمه الله ـ تراجم، وأدرج تحتها ما يدل عليه من آية أو حديث حيث قال: « **باب أمور الإيمان** » ثم ساق قول الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون** ﴾(٢) وساق بعد هذه الآية حديث شعب الإيمان .

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية ص ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة (١٧٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم بدأ بعد ذلك يعقد باباً لكل خصلة من خصال الإيمان فقال: « **باب المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده** » وساق حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ».

وقال أيضاً: « **باب قيام ليلة القدر من الإيمان** » وساق حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ».

و« **باب الجهاد من الإيمان** » و « **باب تطوع قيام رمضان من الإيمان** » و « **باب الصلاة من الإيمان** » وساق قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾[1]، إلى غير ذلك مما ذكره رحمه الله.[2]

وقد عُرف هذا المنهج واشتهر بين العلماء .، وهو منهج قصد به الرد على المرجئة، ومن وافقهم في إخراج العمل عن الركنية في الإيمان .، ووجه الاستدلال بما تقدم ذكره : أن كتاب الله وسنة رسوله أطلقت على الأعمال اسم الإيمان، فالجهاد من الإيمان والصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة وجميع أعمال البر، فكيف يصح القول بأن الأعمال ليست من الإيمان مع أن الشارع الحكيم أطلق عليها إيماناً. وزعم خلاف ذلك باطل يشتمل على مخالفة واضحة، وصريحة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فواجبنا الإتباع فيما قرره الوحي .

(١) سورة البقرة (١٤٣) .

(٢) انظر : كتاب الإيمان من صحيح البخاري .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما قاله البخاري وقرره، هو بعينه رأي السلف جميعاً، وقد بدَّعوا من خالفه وأنكروا عليهم رأيهم.، وقد قرر هذا المعتقد، وبين هذا الموقف من جانب السلف (الإمام أحمد) في كتاب السنة، حيث بين أن المذهب الصحيح هو القائل بتركب الإيمان من أمور ثلاثة وأن الأعمال أحد هذه الأركان، وقرر الأدلة التي قال بها البخاري ومن نحا نحوه .[1]

فإذاً السلف تمسكوا بالوحي الذي يؤمن به الجميع وردوا على مخالفيهم بالنصوص الصحيحة الصريحة.، وبالإضافة إلى هذه الطريقة المثلى في إثبات المعتقد والرد على الخصوم ـ سلكوا طريقاً آخراً لإفساد رأي من أخَّر العمل عن الإيمان وهو طريق الإلزام .

فمن ذلك ما ورد عن أبي ثور من قوله في الرد على أصحاب هذا الرأي .... فأما الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من الإيمان، فيقال لهم: ماذا أراد الله من العباد إذ قال لهم: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾[2] الإقرار بذلك أو الإقرار والعمل؟ فإن قالت: إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل، فقد كفرت .

وإن قالت : أراد منهم الإقرار والعمل ـ قيل: فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً، لِمَ زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر، وقد أرادهما جميعاً؟ أرأيتم لو أن رجلاً قال: أعمل جميع ما أمر به الله ولا أقرّ به، أيكون مؤمناً؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإن قال: أقرُّ بجميع ما أمر الله به، ولا أعمل به يكون مؤمناً؟ فإن

(١) سورة البقرة : (٤٣) .

(٢) انظر : كتاب السنة للإمام أحمد ص٧٢-١٠٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالوا: نعم، قيل: ما الفرق. فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعاً، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا عمل به ولم يقر مؤمناً، ولا فرق بين ذلك .

فإن احتجّ فقال: لو أن رجلاً أسلم فأقرَّ بجميع ما جاء به النبي ﷺ أيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمل. قيل له: إنما يطلق له الاسم بتصديق أن العمل عليه بقوله أن يعمله في وقته إذا جاء وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمناً، ولو قال: أقر ولا أعمل لم يطلق عليه اسم الإيمان ـ يعني أنه لا يكون مؤمناً إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار، وإلا فلو أقر ولم يلتزم بالعمل لم يكن مؤمناً .(١)

فإذاً العمل ركن في الإيمان على رأي السلف والقول بإخراجه غير صحيح والسلف جميعاً ضد هذا الرأي .

وأما ما استدل به الأشاعرة على رأيهم من النصوص التي عطفت الأعمال على الإيمان ـ كقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾(٢) إذ قالوا: إن العطف دليل على المغايرة، فإن هذا غير صحيح أيضاً، فدلالة العطف على المغايرة، ليست في كل حال من أحوال العطف والعطف هنا لا دليل لهم فيه، إذ أنه من باب عطف الخاص على العام، وأمثلته في القرآن كثيرة. منها قوله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**

(١) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى برقم ١٥٩٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴾[1] فلا أحد ينكر أن جبريل وميكال من الملائكة، ولو كان العطف يقتضي المغايرة في جميع أحواله، لدلَّت هذه الآية على أن جبريل وميكال من جنس آخر غير الملائكة، وذلك ما لا يقول به أحد. ومنها قوله تعالى : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى** [2]﴾ إلى غير ذلك من الأمثلة التي أجاب بها السلف .

وقد وجد المتكلمون أن النصوص المستفيضة تطلق على العمل اسم الإيمان، فلم يجدوا مخرجاً منها إلا بأن قالوا: دلالة لفظ الإيمان على الأعمال مجاز، وعلى تصديق القلب كما في حديث جبريل حقيقة .

وأجاب العلماء عليهم بما قررناه في مسألة المجاز فيراجع في المبحث السابق .

وبعد أن اتضح لنا رأي السلف في حقيقة الإيمان القائل بتركُّبه من أمور ثلاثة، تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، واتفاقهم جميعاً على هذا الاعتقاد، إليك عرضاً لأدلتهم التي استندوا إليها .

١ - أدلة اعتقاد القلب ركن من الإيمان :

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** [3]﴾ .، وقال سبحانه: ﴿ **مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ**

(١) سورة البقرة : الآية (٩٨) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٣٨) .

(٣) سورة المائدة : الآية (٤١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .، وقال سبحانه: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ... ﴾[2] وغير ذلك من الآيات التي تضيف الإيمان إلى القلب .

قالوا: وهذه الآيات دالة على ما لزم القلب من فرض الإيمان ، وهو التصديق الجازم ، ولا ينفع القول به إذا لم يكن القلب مصدقاً بما ينطق به اللسان مع العمل.

ومن السنة حديث أبى برزة الأسلمى أن النبي ﷺ قال : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، ... »[3]

٢ - أدلة إقرار اللسان ركن من الإيمان :

قوله سبحانه﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ... ﴾[4].، وقال سبحانه ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾[5]

(١) سورة النحل : الآية (١٠٦) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٩٨) .

(٣) **صحيح** : أخرجه أبو داود برقم ٤٤٨٠ باب الغيبة ، وأحمد فى مسنده برقم ١٩٧٧٦ ، وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم ٧٩٨٤ .

(٤) سورة البقرة : الآيات (١٣٦ ، ١٣٧) .

(٥) سورة آل عمران : الآية (٨٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال النبي ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،.... »[١]

وحكى الإجماع على أن النطق ركن من الإيمان إسحاق بن راهويه والبخاري وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن عبد البر وابن تيمية وغيرهم .[٢]

٣- أدلة ركنية الأعمال :

تسميته سبحانه للصلاة إيماناً في قوله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ** [٣]﴾ ،. وقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام قوله تعالى: ﴿ **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾[٤] ، وقوله سبحانه: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ** [٥]﴾. أوردها كدليل على أن العمل من الإيمان، وقال بعد ذلك: أفلست تراه تبارك وتعالى، قد امتحنهم بتصديق القول بالفعل، ولم يكتفِ منهم بالإقرار دون العمل، حتى جعل أحدهما من الآخرة؟ فأي شيء يتَّبع بعد كتاب الله .

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٣٩٢ ، ومسلم برقم ٢٠ وغيرهما .

(٢) السنة للخلال ٥٨٢/٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى ٩٥٦/٥ ، ومجموع الفتاوى ٢٠٩/٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية (١٤٣) .

(٤) سورة العنكبوت: الآية (١: ٣) .

(٥) سورة العنكبوت: الآية (١٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أدلة السلف أيضاً على دخول الأعمال في الإيمان، حديث وفد عبد القيس الذي قال فيه النبي ﷺ : **أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ**، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الخُمُسَ**»(١).

وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود .(٢)

والأدلة التي أوردها السلف كثيرة جداً ولعل فيما ذكر يتضح الحق والصواب، والله الهادي إلى الرشاد .

المسألة الثانية
زيادة الإيمان ونقصانه

هذه المسألة مبنية على التي قبلها فإن الأشاعرة لما قالوا بأن الإيمان هو التصديق ، وأن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان ، قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه ، وبنوا ذلك على أن التصديق لا يقبل الزيادة ولا النقص .، ومنهم من أثبت الزيادة والنقصان وبعض آخر أثبت الزيادة ومنع النقصان ولكلٍّ وجهة تختلف عن وجهة الآخر ودليل غير دليله .

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٥٣ ، ومسلم برقم ١٧ وغيرهما .

(٢) شرح الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ص ٣٣١ .، ط الأوقاف السعودية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقد ذكر البغدادي أن من ذهب من الأشاعرة إلى القول بأن الإيمان تصديق بالقلب فقط منع القول بالنقصان، واختلفوا في الزيادة[١]، وإليك أقوالهم في ذلك :

١ - من قال بأنه لا يزيد ولا ينقص مطلقاً :

قال القاضي الباقلانى : فأما التصديق فمتى انخرم منه أدنى شيء بطل الإيمان[٢] .... لكنه جوز الزيادة والنقصان من حيث قول اللسان وعمل الجوارح، وأما من حيث حقيقة الإيمان فلا .

قال أبو المعالي الجوينى : إذا حملنا الإيمان على التصديق ، فلا يفضل تصديق تصديقا كما لا يفضل علم علما ، ومن حمله على الطاعة سرا وعلنا ، وقد ما إليه القلانسى ، فلا يبعد إطلاق القول بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، **وهذا مما لا نأثره .** [٣]

وقال الرازي : الإيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص ، ... ثم حمل النصوص التي تدل على زيادة الإيمان ونقصانه ، على الإيمان الكامل . [٤]

قال التفتازانى : إن حقيقة الإيمان لا تزيد ولا تنقص، لما مر من أنه التصديق القلبي ، الّذي بلغ حد الجزم والإذعان .، وهذا لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان ،

---

(١) انظر: الإنصاف ص ٥٧ .

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي، ص٢٥٢، ط مطبعة الدولة باستانبول، سنة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م .

(٣) انظر: الإرشاد للجوينى ص ٣٩٩ .

(٤) انظر: المحصل ص ٥٧١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى أن من حصل له حقيقة التصديق، فسواء أتي: بالطاعات أو ارتكب المعاصي، فتصديقه باق على حاله لا تغير يه أصلا .(١)

٢- من قال بأنه يزيد ولا ينقص : هو قول لأبى الحسن الأشعري حكاه عنه ابن فورك في المجرد .(٢)

٣- من قال بأنه يزيد وينقص :

قال به الإيجى في المواقف ، وعبد الملك الجوينى في العقيدة النظامية .(٣)

قال اللقانى :

ورجحت زيادة الإيمان بما تزيد طاعة الإنسان

ونقصه بنقصها وقيل لا وقيل : لا خلف ، كذا قد نقلا

قال الباجورى : ورجح جماعة من العلماء وهم جمهور الأشاعرة القول بزيادة الإيمان ....

ثم ساق الخلاف فقال : قد اشتهر بين القوم خلافاً حقيقياً وقيل لا خلاف ، : أي وقال جماعة منهم الفخر الرازى وإمام الحرمين : ليس الخلاف بين القوم حقيقياً بل لفظياً ، ونفى الخلاف على الإطلاق لا يصح ، ووجه كون الخلاف لفظياً أن القول بأنه يزيد وينقص محمول على ما به كمال الأعمال ، والقول على أن لا يزيد ولا ينقص محمول على أصله وهو التصديق الباطنى .(٤)

---

(١) انظر: شرح العقائد النسفية ص ٨١ .

(٢)انظر : المجرد لابن فورك ص ١٥٣ .

(٣) انظر: المواقف ص ٣٨٨ ، والعقيدة النظامية ص ٢٦٨ .

(٤) انظر: تحفى المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورجحه النووي وهو من محدثي الأشاعرة فقال : فإذا تقرر ما ذكرناه من مذاهب السلف وأئمة الخلف فهي متظاهرة متطابقة على كون الإيمان يزيد وينقص وهذا مذهب السلف والمحدثين وجماعة من المتكلمين وأنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة كان شكا وكفرا قال المحققون من أصحابنا المتكلمين نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها قالوا وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف وبين أصل وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهرا حسنا فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة . (١)

وقد رجح الدردير زيادة الإيمان ونقصانه فقال : الراجح أن الإيمان يزيد وينقص بزيادة الأعمال ونقصها، للقطع بأن إيمان الفساق لا يساوى إيمان الصديقين والأنبياء والمرسلين .... ثم قال وظاهر التصديق قد يقوى بقوة الأسباب، ولذا يقال ليس الخبر كالعيان .... وما يدل على عدم الزيادة والنقص، فمحمول على أصل الإيمان وهو التصديق ، وفيه نظر . (٢)

ويتبين لنا مما تقدم أن الأشاعرة اختلفوا في زيادة الإيمان ونقصه على النحو التالي :

١ ـ أن الإيمان هو التصديق، وهو لا يزيد ولا ينقص، ولهم في ذلك حجة

(١) شرح صحيح مسلم للنووى ١/١٤٨ .

(٢) شرح الخريدة البهية ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عقلية بحتة وهي أن الإيمان عبارة عن التصديق الجازم البالغ حد اليقين. واليقين لا يقبل التفاوت، لأن التفاوت فيه إنما هو لاحتمال النقيض، واحتمال النقيض الذي هو الشك ينافي اليقين. وهذا قول جماعة قليلة من الأشاعرة .

٢ ـ أن الإيمان الذي هو التصديق أيضاً يزيد وينقص، ولأصحاب هذا القول مسلكان :

أـ القول بأن التصديق نفسه يزيد وينقص، فيصح إطلاق القول بالزيادة والنقصان على الإيمان بحسب الذات الذي هو التصديق، وبحسب المتعلق، وهو أفراد ما جاء به الرسول ﷺ مما يجب الإيمان به .

ب ـ المسلك الثاني: القول بأن الإيمان يزيد وينقص بحسب متعلقه فقط، أما التصديق نفسه فلا يزيد ولا ينقص، وقد ذهبوا هذا المذهب ليكون جمعاً بين رأي السلف القائل بأن الإيمان يتجزأ

والتصديق داخل فيه، وقول القائلين بأنه التصديق فقط ولم ينكروا أنه يتجزأ.

٣ ـ أما الرأي الثالث وهو القول بأن الإيمان يزيد ولا ينقص ـ فهذا رأي قليل الأنصار واضح البطلان ، إذ أنه لا يتصور شيء قابل للزيادة، غير قابل للنقصان .

والراجح من هذه الآراء الذي عليه جمهور الأشاعرة هو الرأي القائل بأن الإيمان يزيد وينقص وإن كان هو التصديق وحده .[١]

(١) الإيمان بين السلف والمتكلمين ص ١٦٧ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا القول هو الذي أجمع السلف وأصحاب الحديث على القول به واعتقاده .

عن عبد الرزاق قال: سمعت مَن أدركتُ من شيوخنا، وأصحابنا، سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبيد الله بن عمر، والأوزاعي، ومعمر بن راشد، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. وهذا قول ابن مسعود، وحذيفة، والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وعبد الله بن المبارك .[1]

واستدلوا لذلك بأدلة كثيرة منها :

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً** ﴾[4]، وقوله تعالى : ﴿ **لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً** ﴾[5].

---

(١) شرح النووي على مسلم ١ /١٤٦ .

(٢) سورة الأنفال : الآية (٢) .

(٣) سورة التوبة : الآية (١٢٤) .

(٤) سورة الفتح : الآية (٤) .

(٥) سورة المدثر : الآية (٣١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن السنة حديث معاذ بن أنس أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ، وَأَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَنْكَحَ للهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ**»(١) .

وحديث أبى سعيد الخدرى قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(٢).

وقوله ﷺ «**وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ ...**»(٣)

ومن الآثار قول ابْنَ مَسْعُودٍ، فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقِينًا، وَفِقْهًا»(٤)

وعن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»(٥)

و عَنْ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: « الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَقِيلَ: وَمَا زِيَادُهُ وَمَا نُقْصَانُهُ ؟ فَقَالَ : إِذَا ذَكَرْنَا اللهَ فَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ؛ فَذَلِكَ زِيَادَةٌ، وَإِذَا أَغْفَلْنَا وَضَيَّعْنَا وَنَسِينَا، فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ » (١).

---

(١) **حسن** : أخرجه الترمذي برقم ٢٥٢١ ، والحاكم برقم ٢٦٩٤ وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، وحسنه الألباني فى صحيح وضعيف الترمذي ٦/ ٢١ .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٤٩ ، وابن ماجه برقم ٤٠١٣ وغيرهما .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٣٠٤ ، ومسلم برقم ٧٩ ، وغيرهما .

(٤) أخرجه ابن الخلال فى السنة برقم ١١٢٠ ، والإبانة الكبرى برقم ١١٣٢ ، واللالكائى فى شرح الاعتقاد برقم ١٧٠٤ .

(٥) أخرجه ابن ماجه برقم ٦١ ، وابن الخلال فى السنة برقم ١٥٩٣ ، والإبانة الكبرى برقم ١١٣٦ ، واللالكائى فى شرح الاعتقاد برقم ١٧١٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»(٢)

فهذه النصوص وغيرها كثير تدل على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته بالطاعة ونقصه بالمعصية وتقع الزيادة والنقصان على ما في القلب والجوارح .

اللهم زدنا إيماناً وتسليماً ويقيناً وخشوعاً وعلماً وفقهاً يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم .

(١) أخرجه ابن أبى شيبة برقم ٣٠٢٣٧ ، وابن الخلال في السنة برقم ١٥٨٣، والشريعة للآجرى برقم ٢١٥.

(٢) أخرجه ابن الخلال في السنة برقم ١١١٩ ، والإبانة الكبرى برقم ١١٣٨ ، واللالكائى فى شرح الاعتقاد برقم ١٧٠٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

أول واجب على المكلف

هذه المسألة مبنية على مسألة أخرى – سيأتي بيانها -، وهي كيفية حصول المعرفة بالله عند الإنسان، حيث وقع الخلاف فيها على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر، وهذا قول كثير من المعتزلة والأشاعرة وأتباعهم من أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم .

القول الثاني : أن المعرفة يبتديها الله اختراعا في قلوب العباد من غير سبب يتقدم، ومن غير نظر ولا بحث، وهذا قول كثير من الصوفية والشيعة، ومعنى هذا القول أن المعرفة بالله تقع ضرورة فقط .

القول الثالث : أن المعرفة بالله يمكن أن تقع ضرورة، ويمكن أن تقع بالنظر، وهذا قول جماهير المسلمين .[1]

إذا تبين هذا فالذين قالوا بأن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر – وهم المعتزلة الأشاعرة - اختلفوا في أول واجب على المكلف :

١ - فقال بعضهم: أول واجب النظر[2] الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم .

٢ - وقالت طائفة: أول واجب القصد[3] إلى النظر الصحيح .

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٥٢ وما بعدها بتصرف .

(٢) المراد بالنظر عندهم : هو الطريق الموصل إلى المعرفة أو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة الظن .

(٣) القصد عندهم : هو تفريغ القلب عن الشواغل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- وقالت طائفة أخرى: أول واجب الشك .

٤ - وقالت طائفة رابعة: أول واجب المعرفة بالله .(١)

ويقابل هذه الأقوال من يرى – هم السلف الصالح - أن أول واجب على المكلف الشهاداتان : شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، وإفراد الله بالعبودية .(٢)

وإليك بيان مذهب كلا الفريقين :

أولاً : مذهب الأشاعرة :-

قال القاضي الباقلانى : أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد. **النظر في آياته** ، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته .... والثاني: من فرائض الله عز وجل على جميع العباد، الإيمان به والإقرار بكتبه ورسله، وما جاء من عنده ....(٣)

قال إمام الحرمين الجوينى : أول ما يجب على البالغ ، استكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً ، **القصد إلى النظر** الصحيح المفضي إلى العلم بحوث العالم .(٤)

قال الغزالي : الشكوك هي الموصلة إلى الحق. **فمن لم يشك لم ينظر**، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر، بقي في العمى والضلال .(٥)

---

(١) المعرفة عندهم معناها معرفة وجود الله وتفرده بخلق العالم .

(٢) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ٩٣٤ .

(٣) الإنصاف للقاضي الباقلانى ص ٣٣ .

(٤) الإرشاد للجوينى ص ٣ .

(٥) ميزان العمل للغزالى ص ٤٠٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الآمدى : الفصل الثامن في أول واجب على المكلف ، وقد اختلف في ذلك : فقال بعض أصحابنا: أول واجب على المكلف **معرفة الله**- تعالى- إذ هي أصل المعارف الدينية، والواجبات الشرعية .

وقال غيره : **النظر** فى معرفة الله- تعالى- واجب بالاتفاق؛ وبه تحصل المعرفة؛ وهو متقدم عليها؛ فهو أول واجب على المكلف .

وقال غيره : بل أول واجب، **أول جزء من النظر**؛ إذ النظر متقدم على المعرفة، وأول جزء من النظر، متقدم على النظر؛ وهو اختيار القاضي .

وقال غيره : بل أول واجب: إنما هو **القصد إلى النظر**؛ إذ النظر يستدعى القصد إليه، والقصد إليه، متقدم عليه؛ وهو اختيار الأستاذ أبى بكر .

وقال أبو هاشم – الجبائى المعتزلى -: وجوب النظر، والقصد إليه، يستدعى سابقة الشك في اللهّ- تعالى-، وإلا كان النظر في تحصيل الحاصل؛ وهو محال. **والشّكّ سابق على إرادة النظر**؛ فكان هو الواجب الأول. وزعم أن الشك في الله- تعالى- حسن .اهـ[1]

قال الباجورى : وجملة الأقوال في أول الواجبات اثنا عشر قولاً ، **أولها** : ما قاله الأشعري إمام هذا الفن **أنه المعرفة** .

وثانيها : ما قاله أبى إسحاق الاسفراينى أنه **النظر** الموصل للمعرفة ويعزى للأشعري أيضاً .

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين ١ / ١٧٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثالثها : ما قاله القاضي الباقلانى أنه **أول النظر** ..... **ورابعها** : ما قاله إمام الحرمين أنه **القصد** إلى النظر ..... **وخامسها** : ما قاله بعضهم أنه التقليد ، **وسادسها** : أنه النطق بالشهادتين ، **وسابعها** : ما قاله أبو هاشم وطائفة من المعتزلة أنه **الشك** ، **وثامنها** : الإيمان ، **وتاسعها** : الإسلام .... ، **وعاشرها** : اعتقاد وجوب النظر ، **وحادي عشرها** : أنه وظيفة الوقت كصلاة ونحوها ، **وثاني عاشرها** : التخيير بين المعرفة والتقليد .....

ثم أراد أن يجمع بين الثلاثة أقوال التي للأئمة الأشاعرة فقال : والأصح أن أول واجب مقصداً المعرفة ، وأول واجب وسيلة قريبة النظر ، ووسيلة بعيدة القصد إلى النظر ، وبهذا يجمع بين الأقوال الثلاثة .[١]

وقد اختار الدردير المعرفة فقال: واعلم أن المعرفة أول واجب على المكلف، إذ جميع الواجبات متوقفة عليها .[٢]

قال الحافظ ابن حجر[٣] : وقال أبو جعفر السمناني وهو من رؤوس

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٤٧ .

(٢) شرح الخريدة البهية ص ١٣٣ .

(٣) هو : شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، الكناني، العسقلاني، الشافعي. صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده سنة ٧٧٣ هـ ووفاته بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ .

عالم محدِّث فقيه أديب ولع بالأدب والشعر فبلغ فيه الغاية، ثم أقبل على الحديث فسمع الكثير، ورحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي. رحل إلى اليمن، والحجاز، وغيرهما لسماع الشيوخ، وصارت له شهرة كبيرة .

أما تصانيفه فكثيرة جداً منها : فتح الباري في شرح صحيح البخاري؛ الإصابة في تمييز أسماء الصحابة؛ =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأشاعرة إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة وتفرع عليها أن الواجب على كل أحد معرفة الله بالأدلة الدالة عليه وأنه لا يكفي التقليد في ذلك .انتهى .[١]

وقد اعتبر الإيجي[٢] أن الخلاف لفظي فقال : والنزاع لفظي إذ لو أريد بالواجب القصد الأول فهو المعرفة ، وإلا فالقصد إلى النظر ، وإلا فإن شرطنا كونه مقدوراً فالنظر ، وإلا فالقصد إلى النظر .[٣]

وقال شيخ الإسلام : والنزاع لفظي، فإن النظر واجب وجوب الوسيلة، من باب ما لا يتم الواجب إلا به، والمعرفة واجبة وجوب المقاصد .

فأول واجب وجوب الوسائل هو النظر، وأول واجب وجوب المقاصد هو المعرفة .

ومن هؤلاء من يقول: أول واجب هو القصد إلى النظر.، وهو أيضاً نزاع لفظي فإن العمل الاختياري مطلقاً مشروط بالإرادة .[٤]

= تهذيب التهذيب؛ تقريب التهذيب في أسماء رجال الحديث؛ لسان الميزان؛ أسباب النزول؛ تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة؛ بلوغ المرام من أدلة الأحكام، وغيرها كثير .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ /٣٤٩ . ، شرح عقيدة الغزالى لزروق ص ٢٠٤ .

(٢) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاما. وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا سنة ٧٥٦ هـ، من تصانيفه (المواقف) في علم الكلام، و (العقائد العضدية) و (الرسالة العضدية)

(٣) المواقف ص ٣٢ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٥٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهذا تحليل لحقيقة الخلاف، وأن من قال: إن أول واجب النظر أو القصد، لم يقصد حقيقة ذلك، وإنما قصد أنهما مؤديان إلى المعرفة بالله فوجوبهما لذلك .

أما القول بأن أول واجب هو الشك - وهو قول منسوب إلى أبي هاشم الجبائي المعتزلي، وقد أخذ به الغزالي - كما تقدم - .

فيرى شيخ الإسلام أنه مبني على أصلين: أحدهما: أن أول الواجبات النظر، فلا يكون في حال النظر عالما [1]، أي أنه لو كان غير شاك لما احتاج إلى النظر .

وواضح أن هذا من المقاييس العقلية، وليس المراد مجرد النظر في آيات الله المستلزم معرفة المراد دون توسط أي حد وسط، كما هو في القياس، وسيأتي بحث إثبات وجود الله تعالى وبيان صعوبته والإشكالات الواردة عليه .

ولما عدد شارح الجوهرة المطالب السبعة التي يتوصل بها إلى إثبات وجود الله تعالى قال : وهذه المطالب السبعة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم !

ثم قال: قال السنوسي: وبها ينجو المكلف من أبواب جنهم السبعة ! [2] ولم يتعقبه بشيء، كأنه يقره على مقالته .

فانظر كيف جعل السنوسي عاقبة ترك هذه المطالب على المكلف سواء كان من العوام أو من العلماء الراسخين في العلم!، وانظر اعتراف الباجوري بأنه لا يعلمها إلا الراسخون في العلم !، فيكونون على هذا هم الناجين فقط دون سواهم !، ويكون العوام، وهم أكثر المسلمين ليسوا بناجين من النار، بل حتى

(١) المرجع السابق ٤١٩/٧ .

(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للباجورى ص ٥٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلماء الذين ليسوا براسخين في العلم !. وفي هذا تحجير لواسع وتضييق لرحمة الله، وابتداع لقول لم يسبقوا إليه .(١)

وهذا الذي ذهبوا إليه خلاف مذهب السلف ، بل خلاف دعوة الأنبياء جميعاً فإنه لا يوجد من بين الأنبياء من قال لقومه إنكم مأمورون بطلب معرفة وجود الخالق ، أو قال لهم أنظروا واستدلوا حتى تعرفوه ، بل أول ما أوجبه الله على نبيه أن قال له ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ ولم يقل له انظر واستدل حتى تعرف الخالق ، وإليك مذهب وأدلة السلف .

ثانياً : مذهب السلف : -

إن أول واجب على المكلف عند السلف الصالح هو النطق بالشهادتين، بأن يشهد بأنه لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ، كم أنهم متفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لا يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه ، بل يؤمر بالطهارة والصلاة إذا بلغ أو ميز، ولم يوجب أحد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشهادتين .(٢) وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع .

فمن كتاب الله :

قوله تعالى﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾(٣) قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ**

(١) موسوعة الفرق المنسبة للإسلام ١/ ٢٤٥ .

(٢) تفنيد أهل السنة والجماعة لمذهب الأشاعرة ص ١٠١ السيد أبو سيف .

(٣) سورة الأنبياء : الآية (٢٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطَّاغُوتَ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾**[2]

وهذا صريح في أن الرسل ما بعثوا إلا لعبادة الله وحده، وأن أو ما يؤمر به المكلف هو عبادة الله وحده دون ما سواه .

ومن السنة :

حديث ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ** ،... الحديث .، وفى رواية للبخاري « **فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَّ تَعَالَى،....**[3]

وقد وردت رواية عند البخاري ومسلم وهي: « **إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَّ، ...**» [4] فتمسك بها من قال إن أول واجب هو المعرفة .

والجواب كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: إن الأكثر رووه بلفظ: «**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك**».

---

(١) سورة النحل : الآية (٣٦) .

(٢) سورة البينة : الآية (٥) .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ١٣٩٥ ، ٧٣٧١ ، ومسلم برقم ١٩ وغيرهما .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ١٤٥٨ ، ومسلم برقم ١٩ وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومنهم من رواه بلفظ: «**فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك**» ، ومنهم من رواه بلفظ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله**» ، ....

ووجه الجمع بينهما أن المراد بالعبادة: التوحيد، والمراد بالتوحيد: الإقرار بالشهادتين، والإشارة بقوله «**ذلك**» إلى التوحيد: وقوله «**فإذا عرفوا الله**» أي عرفوا توحيد الله، والمراد بالمعرفة: الإقرار والطواعية[1]، فبذلك يجمع بين الألفاظ المختلفة في القصة الواحدة ...[2]

ومن السنة أيضاً حديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، ....**[3]

وعلى هذا فإن دلالة هذه الأحاديث على المطلوب واضحة، فلو كانت المعرفة هي أول واجب على المكلف لأمر النبي ﷺ بالدعوة إليها أولاً، ولما أمر بتوحيد الله في عبادته أولاً، لأنه لا يعقل أن يؤمر بعبادة الله من لا يقر به، ومعلوم أن الإقرار به ومعرفته فطرية.، ومركوزة في النفوس فقد قال ﷺ «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، ...**[4]

---

(١) أي التوحيد الذي فسره بالإقرار بالشهادتين، لا المعرفة ولا النظر ولا القصد إلى النظر كما زعم الأشاعرة.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلانى ١٣ /٣٦٧ .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٢٥ ، ومسلم برقم ٢٢ وغيرهما .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ١٣٥٨ ، ومسلم برقم ٢٦٥٨ وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد بين النبي ﷺ الفطرة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَلَى الْفِطْرَةِ**» ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ**» فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًى .[1] – أي راعى ماعز -.

والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً، بل ولا يصير مؤمناً بأن يعلم أنه رب كل شيء حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يصير مؤمناً بذلك حتى يشهد أن محمداً رسول الله .

قال أبى المظفر السمعانى : لم يرو أنه ﷺ دعاهم إلى النظر والاستدلال وإنما يكون حكم الكافر في الشرع أن يدعى إلى الإسلام فإن أبى وسأل النظرة والإمهال لا يجاب إلى ذلك ولكنه إما أن يسلم أو يعطي الجزية أو يقتل وفي المرتد إما أن يسلم أو يقتل وفي مشركي العرب على ما عرف.

وإذا جعلنا الأمر على ما قاله أهل الكلام لم يكن الأمر على هذا الوجه ولكن ينبغي أن يقال له أعني الكافر عليك النظر والاستدلال لتعرف الصانع بهذا الطريق ثم تعرف الصفات بدلائلها وطرقها ثم مسائل كثيرة إلى أن يصل الأمر إلى النبوات .

ولا يجوز على طريقهم الإقدام على هذا الكافر بالقتل والسبي إلا بعد أن

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٣٨٢ ، والبيهقى فى الكبرى برقم ١٩٠٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يذكر له هذا ويمهل لأن النظر والاستدلال لا يكون إلا بمهلة خصوصاً إذا طلب الكافر ذلك وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدة يسيرة فيحتاج إلى إمهال الكفار مدة طويلة تأتي على سنين ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال وهو خلاف إجماع المسلمين .اهـ(١)

أما الإجماع فقال ابن المنذر (٢): وأجمع أهل العلم : على أن الكافر إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق ويبرأ من كل دين خالف دين الإسلام وهو بالغ صحيح العقل أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدا يجب قتله إذا لم يتب .(٣)

قال ابن حزم : قال سائر أهل الإسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقاد لا يشك فيه وقال بلسانه لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإن كل ما جاء به حق وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك .(٤)

قال شيخ الإسلام : وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يدعى إلى

---

(١) الانتصار لأصحاب الحديث ص ٦٢ للسمعانى ، والحجة فى بيان المحجة لقوام السنة ص ١٢٢/٢ .

(٢) هو : محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر: فقيه مجتهد، من الحفاظ.، كان شيخ الحرم بمكة .، توفى سنة ٣١٩ هـ .، قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها.، منها « المبسوط » في الفقه، و « الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف » و « الإشراف على مذاهب أهل العلم » ، و «اختلاف العلماء »

(٣) الإقناع ٥٨٨/٢ .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ٢٩/٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشهادتين، سواء كان معطلاً، أو مشركاً، أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك .(١)

ومما سبق : يلاحظ أن كل أقوال الأشاعرة أساسها أن المعرفة نظرية لا فطرية !.

وزعمهم بأن من تابع القرآن والسنة في المعرفة يكون مقلداً ناشئ من ظنهم أنهما دليلان لفظيان خبريان لا يتضمنان براهين عقلية وهذا ظن باطل - والتحقيق هو أن النظر يجب على من لم يحصل العلم والإيمان إلا به، على أن يكون هذا النظر صحيحاً غير ملتزم لباطلٍ .(٢)

ويقال للأشاعرة إن النظر الوارد الأمر به في الآيات القرآنية واجب، فأما إيجابه على كل أحد فلا نسلم به بل ولا نسلم بأنه أول الواجبات، مع التفريق بين النظر الصحيح - فهو المأمور به -، وبين النظر المفضي إلى الباطل - فلا تدل عليه الآية .

فالذي يلاحظ من القرآن هو أن النظر يجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به، فمثال ذلك قول الله تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** ﴾(٣)، فهذه الآية والتي قبلها جاءت بعد قوله تعالى﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ**

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٧ .

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ١/ ٢٤٩ .

(٣) سورة الأعراف : الآية (١٨٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١)

ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾(٢) ، فهذه جاءت بعد قوله ﴿ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٣)، فمن آيتي الأعراف والروم السابقتين يعلم أن النظر واجب على المكذبين والذين لا يعلمون وكل من كان لا يقوم بالواجب عليه من عبادة الله إلا بعد النظر، فظهر من هذا أن هذا الوجوب جاء من جهة أنه واجب على كل من لا يؤدي واجباً إلا به ، وعلق شيخ الإسلام على هذا القول بأنه : «أصح الأقوال». (٤)

وقولهم عن أول واجب على المكلف هو النظر يشمل كل المكلفين، وبما أنه واجب فيلزم أن الشخص حال الاشتغال به يكون مقيماً على الطاعة ولو كان على غير ملة الإسلام !

ولهذا ألزمهم أبو المظفر السمعاني قوله : وينبغي على قولهم إذا مات في مدة النظر والمهلة قبل قبول الإسلام أنه مات مطيعاً لله مقيماً على أمره لابد من إدخاله الجنة كما يدخل المسلمون .

---

(١) سورة الأعراف : الآية (١٨٢ - ١٨٣) .

(٢) سورة الروم : الآية (٨) .

(٣) سورة الروم : الآية (٥ - ٦) .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٨/٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد جعلوا غير المسلم مطيعاً لله مؤتمراً بأمره في باب الدين وأوجبوا إدخاله الجنة وقد قال تعالى ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ وقال النبي ﷺ «**لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة**» وهذا حديث ثابت لا شك فيه .(١)

وإذا قدر أن أول الواجبات هو النظر، أو المعرفة، أو الشهادتان، أو ما قيل، فهذا لا يجب على البالغ أن يفعله عقب البلوغ، فإنه لا يجب عليه فعله مرة ثانية، لا سيما إذا كان النظر مستلزماً للشك، المنافي لما حصل له من المعرفة والإيمان، فيكون التقدير: اكفر ثم آمن، واجهل ثم أعرف، وهذا كما أنه محرم في الشرع، فهو ممتنع في العقل، فإن تكليف العالم الجهل من باب تكليف ما لا يقدر عليه، فإن الجاهل يمكن أن يصير عالماً، فإذا أمر بتحصيل العلم كان ممكناً، أما العالم فلا يقدر أن يصير جاهلاً، كما أن من رأى الشيء وسمعه لا يمكن أن يقال لا يعرفه، فمن كان الله قد أنعم عليه وشرح صدره للإسلام قبل بلوغه، فحصل له الإيمان المتضمن للمعرفة، لم يمكن أن يؤمر بما يناقض المعرفة، من نظر ينافي المعرفة، أو شك أو نحو ذلك، بل الأمر لمن حصل له علم ومعرفة أن يقدم ذلك ثم يحصله، مثل تكليف من حصل له قصد الصلاة ونيتها، بأن يقدم ذلك ثم تحصل النية .(٢)

(١) الانتصار لأصحاب الحديث ص ٦٤ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ترتب على إيجابهم النظر على جميع المكلفين اختلافهم في حكم التقليد في معرفة العقائد وهذا ما سنبينه في المطلب القادم إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

حكم إيمان المقلد

إن البحث في هذه المسألة كان نتيجة لإيجاب المتكلمين النظر والاستدلال على كل مكلف فإنهم لما جعلوا النظر أول الواجبات وأصل العلم اختلفوا في حكم من آمن ولم ينظر ويستدل، على ثلاثة أقوال :

الأول أنه يصح إيمانه ويكون كافرا .

الثاني أن إيمانه صحيح ولكنه آثم على تركه النظر والاستدلال .

الثالث أن يكون مقلدا لا علم له بدينه لكنه ينفعه هذا التقليد ويصير به مؤمنا غير عاص .

وقبل سرد أقوال الأشاعرة فى حكم إيمان المقلد ومناقشتها كان لابد من تعرف التقليد .

تعريف التقليد :-

التقليد لغة : وضع الشيء في العنق محيطاً به .

واصطلاحاً : أخذ قول الغير من غير حجة .

والرجوع إلى الرسول وإلى الإجماع ليس بتقليد لقيام الحجة .، وإنما التقليد هو من أوجب إتباع طريقة شيخ من مشايخ الدين والصلاح ، أو إمام معين من أئمة العلم والدين وألزم الناس الاقتصار عليه في كل ما قاله أو أمر به أو نهى عنه .[1]

(١) انظر : التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق - سليمان بن عبد الله، ص ٥٣ - ٥٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقوال الأشاعرة في إيمان المقلد : -

قال اللقانى في الجوهرة :

إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد

ففيه بعض القوم يحكى الخلفا وبعضهم حقق فيه الكشفا

قال الباجورى في الشرح : فبسبب تحيره وتردده – أى المقلد – اختلف العلماء فى إيمانه من حيث الصحة وعدمها ، وحاصل الأقوال فيه ستة :

الأول : عدم الاكتفاء بالتقليد بمعنى عدم صحة التقليد **فيكون المقلد كافر** ، وعليه السنوسى فى الكبرى .

الثاني : الاكتفاء بالتقليد مع **العصيان مطلقاً** ، أي سواء فيه أهلية للنظر أم لا.

الثالث : الاكتفاء به مع العصيان إذا كان فيه أهلية للنظر وإلا فلا عصيان .

الرابع : أن من قلد الكتاب والسنة القطعية صح إيمانه لإتباعه القطعي ، ومن قلد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم .

الخامس : الاكتفاء به من غير عصيان مطلقاً .، لان النظر شرط كمال فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر فقد ترك الأولى .

السادس : أن إيمان المقلد **صحيح** ويحرم عليه النظر ، وهو محمول على المخلوط بالفلسفة .

ثم قال : والحق الذي عليه المعول من هذه الأقوال القول الثالث ... [1]

قال الدردير : أما التقليد وهو الأخذ بقول الغير من غير حجة .... فقد

(١) انظر : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٤٣ – ٤٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختلف فيه فقيل :

١ - يكفى في عقائد الإيمان ، وهو الصحيح .، ويكون مع صحة إيمانه عاصياً بترك النظر الموصل للمعرفة .

٢ - أو لا بل هو شرط كمال .

٣ - وقيل : لا يكفى ، فالمقلد كافر .

٤ - وقيل : يكفى إن قلد القرآن والسنة القطعية ، وفيه نظر .

٥ - وذهب بعضهم إلى تحريم النظر ، لأنه مظنة الوقوع في الشبه والضلال، وليس بشيء.(١)

قال شيخ الإسلام : والذين أوجبوا النظر من الطوائف العامة نوعان : أحدهما : من يقول : إن أكثر العامة تاركوه ، وهؤلاء على قولين فغلاتهم يقولون : إن إيمانهم لا يصح .

وأكثرهم يقولون **يصح إيمانهم تقليداً**، مع كونهم **عصاة بترك النظر** .(٢)

- **إنكار السلف عليهم** : -

وهذا الذي أوجبوه إنما يقال لهم إن هذه الطريقة لم تنقل عن السلف مع اشتمالها على طرق محرمة كما قال الإمام أبو المظفر السمعاني: وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام فيما أسسوا فإنهم قالوا: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري عز وجل. وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة

(١) انظر : شرح الخريدة البهية للدردير ص ١٣٢ – ١٣٣ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٤٤١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدين.، وكيف يجوز أن يخفى عليهم أول الفرائض وهم صدر هذه الأمة والسفراء بيننا وبين رسول الله ﷺ ، ولئن جاز أن يخفى الفرض الأول على الصحابة والتابعين حتى لم يبينوه لأحد من هذه الأمة مع شدة اهتمامهم بأمر الدين وكمال عنايتهم حتى استخرجه هؤلاء بلطيف فطنتهم وزعمهم فلعله خفي عليهم فرائض أخر .

ولئن كان هذا جائزا فلقد ذهب الدين واندرس لأنا إنما نبني أقوالنا على أقوالهم فإذا ذهب الأصل فكيف يمكن البناء عليه ، نعوذ بالله من قول يؤدي إلى هذه المقالة الفاحشة القبيحة التي تؤدي إلى الانسلاخ من الدين وتضليل الأئمة الماضين .[1] اهـ

فتراه أنكر عليهم طريقتهم لاشتمالها على ما لم ينقل عن السلف من أن أول واجب على المكلف النظر .

وقد خطأ مذهبهم الإمام النووى رحمه الله : والجماهير من السلف والخلف على أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقادا جازما لا تردد فيه كفاه ذلك وهو مؤمن من الموحدين ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها خلافا لمن أوجب ذلك وجعله شرطا في كونه من أهل القبلة وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين وهو خطأ ظاهر فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل ولأن النبي ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به ﷺ ولم يشترط المعرفة بالدليل فقد تظاهرت بهذا

(١) الانتصار لأهل الحديث ١/ ٦٠ – ٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحاديث في الصحيحين يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي ...[1]

وكذا أبو محمد بن حزم بعد أن ساق أقوال المتكلمين فى المقلد : أما قولهم قد أجمع الجميع على أن التقليد مذموم وأن ما لا يعرف باستدلال فإنما هو أخذ تقليد إذ لا واسطة بينهما فإنهم شغبوا في هذا الإمكان وولبوا فتركوا التقسيم الصحيح ونعم أن التقليد لا يحل البتة وإنما التقليد أخذ المرء قول من دون رسول الله ﷺ ممن لم يأمرنا الله عز وجل بإتباعه قط ولا يأخذ قوله بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه وأما أخذ المرء قول رسول الله ﷺ الذي افترض علينا طاعته وألزمنا إتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة أمره وتوعدنا على ذلك أشد الوعيد فليس تقليدا بل هو إيمان وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عز وجل وأداء للمفترض فموه هؤلاء القوم بأن أطلقوا على الحق الذي هو اتباع الحق اسم التقليد الذي هو باطل ...[2]

وأما ابن حجر رحمه الله فقد أبطل هذا المسألة فقال : وقد استدل من اشترط النظر بالآيات والأحاديث الواردة في ذلك **ولا حجة فيها** لأن من لم يشترط النظر لم ينكر أصل النظر وإنما أنكر توقف الإيمان على وجود النظر بالطرق الكلامية إذ لا يلزم من الترغيب في النظر جعله شرطاً واستدل بعضهم بأن **التقليد لا يفيد العلم** إذ لو أفاده لكان العلم حاصلاً لمن قلد في قدم العالم ولمن قلد في حدوثه **وهو محال لإفضائه إلى الجمع بين النقيضين** وهذا إنما يتأتى في

(١) شرح النووي على مسلم ١/ ٢١٠ – ٢١١ .

(٢) انظر : الفصل في الملل والنحل ٤/ ٢٩ – ٣٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقليد غير النبي ﷺ وأما تقليده ﷺ فيما أخبر به عن ربه فلا يتناقض أصلاً واعتذر بعضهم عن اكتفاء النبي ﷺ والصحابة بإسلام من أسلم من الأعراب من غير نظر بأن ذلك كان لضرورة المبادئ وأما بعد تقرر الإسلام وشهرته فيجب العمل بالأدلة **ولا يخفى ضعف هذا الاعتذار** والعجب أن من اشترط ذلك من أهل الكلام **ينكرون التقليد وهم أول داع إليه** حتى استقر في الأذهان أن من أنكر قاعدة من القواعد التي أصلوها فهو مبتدع ولو لم يفهمها ولم يعرف مأخذها **وهذا هو محض التقليد فآل أمرهم إلى تكفير من قلد الرسول** ﷺ في معرفة الله تعالى والقول بإيمان من قلدهم وكفى بهذا ضلالا ...[1]

وإنما وقع المتكلمون ومنهم الأشاعرة في هذا الغلط، لأنهم استدلوا على وجود الله تعالى بدعوى عقلية وطرق كلامية لم تكن من هدى السلف الصالح ، وهذا ما سيتم إيضاحه في المطلب القادم إن شاء الله تعالى .

(١) انظر : فتح الباري ١٣ / ٣٥٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع

أدلة وجود الله تعالى بين السلف والأشاعرة

إن هذه المسألة من أهم المسائل، بل هى مفترق الطريق إذا عليها بنا الأشاعرة ما سبق وما يأتي ، وقد خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى على ما سيأتي بيانه .

أولاً : بيان منهج الأشاعرة في إثبات وجود الله تعالى :-

إن الأشاعرة بدأوا كتبهم في العقيدة والتوحيد بإثبات وجود الله تعالى، باعتبار أن أول ما يجب على الإنسان قبل أن يدخل في هذا الدين أن يعرف الله عز وجل ، وقبل أن يعرفه فعليه إثباته والإقرار بوجوده .

وقد جعلوا عمدتهم في الاستدلال لإثبات الربوبية الاستدلال بحدوث العالم.، وسلكوا في إثبات ذلك مسلكاً وعراً ومنهجاً عسراً ، لا يتناسب مع خطورة المسألة وأهميتها ألا وهي وجود الله عز وجل ، وإضافة إلى ذلك فإنهم جعلوا أول واجب على المكلف النظر في معرفة الله تعالى كما تقدم تحريره ، وهذه المعرفة مبنية على إثبات حدوث العالم ، فإذا كان حادثاً فلابد له من محدث، وهو الله تعالى .

ولإثبات ذلك سلكوا طرقاً منها : الطريقة الأولى: الاستدلال بحدوث الأجسام أو الجواهر أو الأعراض، ولإثبات ذلك مقدمات :

أولها: إثبات الأجسام أو الجواهر أو الأعراض . ، **ثانيها:** إثبات حدوثها . ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثها: إثبات استحالة تعري الجواهر أو الأجسام عن الأعراض .، **رابعها**: إثبات استحالة حوادث لا أول لها .، **خامسها**: أن الجواهر لا تسبق الحوادث .، **سادسها**: أن ما لا يسبق الحادث فهو حادث. وكل حادث لابد له من محدث، وهذا المحدث هو الله عز وجل .

الطريقة الأخرى: الاستدلال عليه بالإمكان والوجوب.، ومعنى هذه الطريقة أن الموجودات منقسمة إلى قسمين، إما **واجب** الوجود لذاته، وإما **ممكن** الوجود لذاته .

وهذا الدليل مبني على مقدمات عندهم :

أولها : أن الممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا لمرجح.، **ثانيها**: بيان أن هذه الحاجة حاصلة في حال الحدوث أو في حال البقاء.، **ثالثها**: أن ذلك المرجح يجب أن يكون موجوداً.، **رابعها**: أنه يجب أن يكون موجوداً حال حصول الأثر.، **خامسها**: أن الدور[1] باطل .، **سادسها** : أن التسلسل[2] باطل .

ثم عند تمام الكلام في تقرير هذه المقدمات الست يحصل الجزم بأنه لابد من الاعتراف بوجود موجود واجب الوجود لذاته.، ثم إذا تبين أن هذا العالم المحسوس يمتنع أن يكون واجب الوجود لذاته، فعند ذلك نعلم أن هذا العالم

---

(١) الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، مثل: لا يوجد هذا إلا مع هذا، ويسمى الدور المعي أو الإقتراني، وقد يراد به أنه لا يوجد هذا إلا بعد هذا، ولا هذا إلا بعد هذا وهو الدور البعدي . انظر درء التعارض ٣/١٤٣، التعريفات ص١٤٠.

(٢) التسلسل هو ترتيب أمور غير متناهية، وهو على أنواع تسلسل في الآثار والشروط، والتسلسل في الفاعلين والعلل الفاعلة، والأخيران ممتنعان. انظر درء التعارض ٣/١٤٤، التعريفات ص٨٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحسوس يحتاج في وجوده إلى وجود موجود واجب الوجود لذاته، وهو الله تعالى .(١)

قال الجوينى رحمه الله: إن العالم جواهر وأعراض ، فالجوهر هو المتحيز وكل ذى حجم متحيز ، والعرض هو المعنى القائم بالجوهر .... والجسم هو المتألف ، فإذا تألف جوهران كان جسماً ... ثم حدث الجوهر ينبنى على أصول : منها إثبات الأعراض ، ومنها إثبات حدثها ، ومنها إثبات استحالة تعرى الجواهر عن الأعراض ، ومنها إثبات استحالة حوادث لا أول لها .

فإذا ثبتت هذه الأصول ، ترتب عليها أن الجواهر لا تسبق الحوادث ، ولا يسبق حادث حادث .(٢)

قال الرازى رحمه الله : أنه يستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالى : والدليل عليه أن كل ما كان قابلا للحوادث فإنه يستحيل خلوه عن الحوادث وكل ما كان يمتنع خلوه عن الحوادث فهو حادث ينتج أن كل ما كان قابلا للحوادث فإنه يكون حادثا .

وعند هذا نقول الأجسام قابلة للحوادث فيجب كونها حادثة ونقول أيضا إن الله تعالى يمتنع أن يكون حادثا فوجب أن يمتنع كونه قابلا للحوادث .(٣)

قال ابن التلمسانى شارحاً كلام الرازي في تعليقاته ص ٢٠٦ : يعنى أن

(١) أصول مسائل العقيدة – لسعود بن عبد العزيز الخلف ١/ ١٠٥ .

(٢) الإرشاد للجوينى ص ١٧ .

(٣) معالم أصول الدين للرازي ص ٤٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدليل بعينه هو الدال على حدوث الأجسام .اهـ

فصار من أصول الأشاعرة أنه لا يمكن إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع إلا بنفى حلول الحوادث به .

وقال الآمدى رحمه الله : العالم مؤلف من أجزاء حادثة؛ والمؤلف من الأجزاء الحادثة حادث فالعالم حادث .، وبيان المقدمة الأولى: هو أن أجزاء العالم منحصرة في الجواهر والأعراض، والجواهر والأعراض حادثة؛ فأجزاء العالم حادثة .، وبيان المقدمة الثانية، أما أن الأعراض حادثة؛ فلأنا بينا أن الأعراض ممتنعة البقاء، وكل ممتنع البقاء؛ فهو حادث مسبوق بعدم نفسه، فكل واحد من الأعراض حادث؛ مسبوق بعدم نفسه . (١)

قال اللقانى :

وكل ما جاز عليه العدم عليه قطعاً يستحيل القدم

قال الباجورى في الشرح : أنتج هذا القياس أن العالم من العرش إلى الفرش استحال عليه القدم فثبت حدوثه ، وإذا ثبت حدوثه فلا بد له من محدث ...

ثم قال : والحاصل أنك تثبت أولاً حدوث الأعراض بمشاهدة تغيرها من عدم إلى وجود وعكسه .... وكل ما هو كذلك فهو حادث ينتج أن الأعراض حادثة ، ثم تثبت حدوث الأجرام واستحالة القدم عليها بملازمتها للأعراض الحادثة ....

(١) أبكار الأفكار ٣/٣٣٣٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم ذكر المطالب السبعة التى بمعرفتها النجاة من النار على حد قولهم .[1]

قال الدردير : ما ثبت عدمه استحال قدمه، فحينئذ جميع الأعراض حادثة ، ويلزم من حدوثها حدوث الأجرام والجواهر ، لعدم انفكاكها عن الأعراض الحادثة ، وكل ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث ، فظهر أن جميع العالم من أعراضه وأجرامه وجواهره حادث ، وكون كل حادث فهو مفتقر إلى موجد يوجده ، وكل ما كان كذلك فله صانع ....

ثم برهن على وجوده تعالى بوجود صنعته جل وعلا ، لظهر أن العالم صنعته لما مر من أنه حادث .[2]

فهذا الاستدلال هو الأصل الذي بنوا عليه مسائل الصفات إثباتاً ونفياً – كما سيأتي بيانه – فما عادا الصفات السبع يستحيل اتصافه تعالى بها عندهم ، لأن اتصافه به يعنى قبوله للحوادث ، وبالتالي على أصولهم يكون هو أيضاً حادث .

وبالتالي صار كل إثبات لأي صفة من الصفات غير السبع يعنى هدم أصل كبير من أصولهم ، لا قوام للدين عندهم إلا به ، وهو إثبات وجود الصانع وحدوث الأجسام .

وربط جمهور الأشاعرة بين هذين الأصلين – أعنى إثبات الصانع وحلول الحوادث به – هو عقدة الأشاعرة الكبيرة التي جرتهم إلى مخالفة الأئمة ومذهب

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٥٠ – ٥١ .

(٢) شرح الخريدة البهية ص ١٤١ – ١٤٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلف في الإثبات العام .[1]

وهذا التأصيل انتقد من أوجه منها :

١-أنه لإثبات وجود الصانع وحدوث الأجسام طرق كثيرة ، ولا تنحصر في قاعدة « ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث » التي بنوا عليها أصلهم .

٢-وجود الصانع أظهر وأوضح من أن يحتاج إلى هذه المقامات المعقدة والتأصيات المنطقية المركبة من الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية .

٣-لماذا أخرجوا الصفات السبع من دائرة الحوادث ، التي يمتنع عندهم اتصافه بها .، فإذا كان إثبات الإستواء يعنى حلول الحواث به، فإثبات السمع والبصر يستلزم حلول الحوادث به، وبالتالي يتعين نفيه .

وهذا النوع من التوحيد الذي أفنى الأشاعرة أعمارهم في الاستدلال له، وتقرير المقدمات والتأصيلات لإثباته ، يقر به أكثر الخلق ولم يذكر جحود الخالق إلا فئة قليلة جداً من الثنوية والدهرية .، والمخالف لهم في هذا الباب قليل جداً باعترافهم قال الشهرستانى كما فى نهاية الإقدام ص ١٢٣ : بأن تعطيل العالم عن الصانع ليس مذهباً لأحد إلا قليلاً من الدهرية ومع ذلك فهم لا ينكرون وجوده .

وقد أقر بهذا بعض علمائهم بأن معرفة الله تعالى فطرية لا تحتاج إلى نظر ، وللحق إن الأشعري نفسه لم يسلك هذه المسالك بل احتج بوجود المخلوقات على الخالق ، واستدل بتحول الإنسان وتطوره من نطفة ثم علقة ثم مضغة

(١) عقائد الأشاعرة لمصطفى باحو ص ٣٢ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهكذا ، واحتج بالقرآن على ذلك خلافاً لأكثر أصحابه وهذا ما سطره فى كتابيه اللمع ، ورسالة إلى أهل الثغر .

وقد بنوا على أصلهم هذا مسائل التوحيد والصفات كما سيأتي بيانه في المبحث القادم إن شاء الله تعالى .

ثانياً: بيان منهج السلف في إثبات وجود الله تعالى : -

إن منهجُ القرآن في إثبات وجود الخالق ووحدانيته هو المنهج الذي يتمشّى مع الفطر المستقيمة، والعقول السليمة، **ومذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة**، والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحي أجل من الحصر، ففي كل شيء له آية وعليه دليل .

ولم تنصرف نصوص القرآن الكريم إلى إثبات وجود الله تعالى وتقرير وجوده كقصدٍ أساسي، وإنما جاءت لتقرير ألوهية الله تعالى، وأنه لا إله غيره - و إن كانت تأتي بذلك ضمنا أو صراحة لمخاطبة فطرة الناس- ذلك أن البشر كما ذكرنا مقرين بوجود الله تعالى، إلا قليلا ممن شذ جحودا ومكابرة. ولذلك حكى الله تعالى عن الرسل عليهم السلام قولهم لأقوامهم : ﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾[1]

لقد كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى وهذا ما أثبته القرآن، قال تعالى:

(١) سورة إبراهيم : الآية (١٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)

وقد اشتمل القرآن الكريم على أساليبَ متعددةٍ في قضية الوجود والألوهية، وأهم تلك الأساليب ما يلي :

١ - توجيه الخطاب إلى المشاعر :

القرآن الكريم خاطب في الإنسان قلبه ووجدانه حتى يثير تلك الفطرة الكامنة فيه، وحتى لا يكون خطابه جافاً مجرداً متجها للعقل المجرد .

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الميزة بقوله ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣) ، ولما كان القرآن يحمل بين طياته وألفاظه قوة التأثير الذاتي، أمر الله تعالى بإجارة المشركين. قال تعالى﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾(٤) وبسبب هذه القوة الذاتية كان مشركوا العرب يوصي بعضهم بعضاً بعدم سماع القرآن حتى لا يتأثروا به .

(١) سورة العنكبوت : الآية (٦١) .

(٢) سورة لقمان : الآية (٢٥) .

(٣) سورة الحشر : الآية (٢١) .

(٤) سورة التوبة : الآية (٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولتحريك المشاعر وانفعالها سلك القرآن مسالك شتى منها :

- توجيه المشاعر إلى التأمل في الكون والحياة كما في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾(١)

- تذكير الإنسان بخلقه وأصله وهذا الإنسان قد أوجده الله تعالى بعد أن لم يكن شيئا قال تعالى ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾(٣)

- التذكير بالنعم وأن الله هو الرزاق ، فالإنسان بحكم الألف والاعتياد يتبلَّد حسه، فينسى الله الخالق. لذلك يذكره الله تعالى بهذه النعم التي لا تحصى، ومن أعظمها الماء والهواء. قال تعالى: ﴿ **وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِّ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾(٤)

---

(١) سورة آل عمران : الآيات (١٩٠ : ١٩٢) .

(٢) سورة الإنسان : الآيات (١ : ٣) .

(٣) سورة المؤمنون : الآيات (١٢ : ١٧) .

(٤) سورة إبراهيم : الآية (٣٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- التذكير بالموت والحياة، وأنه لا مفر لأحد منه.، وفي هذا إثارةٌ للمشاعر حتى تتساءل عن حكمة خلق الإنسان ومصيره وهذه الأسئلة قد أجاب عليها القران بقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾(١)

٢ - مخاطبة العقل :

إن منهج الخطاب القرآني للبشرية ليس قائماً على إثارة المشاعر ومخاطبة الوجدان فحسب، بل إنه مع ذلك يتوجه بالخطاب إلى العقلِ، فيحثه على التدبر والتأمل، ويثير فيه التساؤلات التي ترشد وجهته، ومن تلك التساؤلات : هل يمكن أن يوجد هذا الكون الهائل بلا خالق؟ قال تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾(٢)

وتهدف الأدلة التي يأتي بها القرآن إلى تقرير وجود الله تعالى وتفرده بالخلق والملك والتدبير.، وهو في ذلك يأتي بالبراهين البدهية السهلة التي يدركها العقل بدون خوض في الجدال العقيم الجاف.، وعلة ذلك حتى تكون هذه الأدلة متاحةً لجميع العقول بكل مستوياتها .

(١) سورة الملك: الآيات (١ : ٣) .

(٢) سورة الطور: الآيات (٣٥ : ٣٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن القيم رحمه الله : أما إثبات الصانع فطرقه لا تحصى، بل الذي عليه جمهور العلماء أن الإقرار بالصانع **فطري ضروري مغروز في الجبلة** ، ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان عامة الأمة مقرين بالصانع مع إشراكهم به بعبادة ما دونه، والذين أظهروا إنكار الصانع كفرعون خاطبتهم الرسل خطاب من يعرف أنه حق كقول موسى لفرعون ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ** ﴾(١)، ولما قال فرعون ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾، قال له موسى ﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾(٢) فكان جواب موسى له جوابا للمتجاهل الذي يظهر أنه لا يعرف الحق وهو معروف عنده ...(٣)

وقال الإمام السمعانى : أننا لا ننكر النظر قدر ما ورد به الكتاب والسنة لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون القلب وإنما أنكرنا طريقة أهل لكلام فيما أسسوا ...

وقال أيضاً : واعلم أن الأئمة الماضين وأولي العلم من المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام وهذا النوع من النظر عجزا عنه ولا انقطاعا دونه وقد

(١) سورة الإسراء: الآية (١٠٢) .

(٢) سورة الشعراء: الآيات (٢٣ : ٢٨) .

(٣) منهاج السنة النبوية ٢/ ٢٧١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة وقد كانت هذه الفتن قد وقعت في زمانهم وظهرت وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها وعلموه من سوء عاقبتها وسيء مغبتها .

وقد كانوا على بينة من أمورهم وعلى بصيرة من دينهم لما هداهم الله بنوره وشرح صدورهم بضياء معرفته فرأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته وتوقيف السنة وبيانها غناء ومندوحة مما سواها وأن الحجة قد وقعت وتمت بهما وأن العلة والشبهة قد أزيحت بماكنهما .

فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم في طلب حقائق علوم الكتاب والسنة وقلت عنايتهم بها واعترضهم الملحدون بشبههم والطاعنون في الدين بجدلهم حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ودلائل العقل لم يقووا عليهم ولم يظهروا في الحجاج عليهم ، فكان ذلك ضلة من الرأي وخدعة من الشيطان ... [1]

قال قوام السنة[2] **رحمه الله** : فإن قال هؤلاء القوم، فإنكم قد أنكرتم الكلام، ومنعتم استعمال أدلة العقول، فما الذي تعتمدون في صحة أصول دينكم، ومن

(١) الانتصار لأهل الحديث ص ٢٤ – ٢٥ .

(٢) هو : إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة: من أعلام الحفاظ.، كان إماما في التفسير والحديث واللغة .، توفى سنة ٥٣٥ هـ .
من كتبه (الجامع) في التفسير، ثلاثون مجلدة، و (الإيضاح) في التفسير، أربع مجلدات، وتفسيران آخران، وتفسير بالفارسية، عدة مجلدات، و (دلائل النبوة) و (التذكرة) نحو ٣٠ جزءا، و (سير السلف) في تراجم الصحابة والتابعين، و (الترغيب والترهيب) و (شرح الصحيحين) و (الحجة في بيان المحجة)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها، وقد علمتهم أن الكتاب لم يعلم حقه، والنبي لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقول، وأنتم قد نفيتموها. قلنا: أنا لا ننكر أدلة العقول، والتوصل بها إلى المعارف، ولكنا لا نذهب في استعمالها إلى الطريقة التي سلكتموها في الاستدلال بالأعراض، وتعلقها بالجواهر وانقلابها فيها على حدوث العالم، وإثبات الصانع، ونرغب عنها إلى ما هو أوضح بياناً، وأصح برهاناً، وإنما هو شيء أخذتموه عن الفلاسفة، وإنما سلكت الفلاسفة هذه الطريقة، لأنهم لا يسثبتون النبوات، ولا يرون لها حقيقة، فكان أقوى شيء عندهم في الدلالة على إثبات هذه الأمور ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء .

فأما مثبتوا النبوات فقد أغناهم الله عز وجل عن ذلك، وكفاهم كلفة المؤنة في ركوب هذه الطريقة المعوجة التي لا يؤمن العنت على راكبها، والإبداع والانقطاع على سالكها.

وبيان ما ذهب إليه السلف من أئمة المسلمين رحمة الله عليهم في الاستدلال على معرفة الصانع، وإثبات توحيده وصفاته، وسائر ما ادعى أهل الكلام أنه لا يتوصل إليه إلا من الوجه الذي يزعمونه، هو أن الله سبحانه لما أراد إكرام من هداه لمعرفته بعث رسول محمدا ﷺ إليهم بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ...

فلم يترك ﷺ شيئا من أمور الدين، قواعده وأصوله وشرائعه وفصوله إلا بينه، وبلغه على كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لا خلاف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين فرق الأمة أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال .

ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تبرح فيهما الحاجة راهنة أبداً في كل وقت وزمان، ولو أخر فيهما البيان لكان قد كلفهم ما لا سبيل لهم إليه .

وإذا كان الأمر على ما قلنا فقد علمنا أن النبي ﷺ لم يدعهم في هذه الأمور إلى الاستدلال بالأعراض، وتعلقها بالجواهر، وانقلابها إذ لا يمكن أحداً من الناس أن يروي في ذلك عنه، ولا عن واحد من أصحابه من هذا لنمط حرفاً واحداً فما فوقه، لا من طريق تواتر ولا آحاد علم أنهم قد ذهبوا خلاف مذاهب هؤلاء وسلكوا غير طريقتهم .[1]

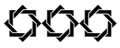

(١) الحجة في بيان المحجة ١/٤٠٦ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الخامس

توحيد الله

بين السلف والأشاعرة

ويشتمل على مطلبين :-

المطلب الأول : التوحيد عند السلف .

المطلب الثاني : التوحيد عند الأشاعرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

التوحيد عند السلف الصالح

اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله.، فيجب على الدعاةِ في هذا العصر الاهتمام بتعليم الناس توحيد اللهَّ سبحانه وتعالى، في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، كما كان عليه السلف الصالح، ولن يَصْلحَ آخر هذه الأمة إلا بما صَلحَ أوَّلها.

*** أقسام التوحيد عند السلف :**

والسلف الصالح يقسمون التوحيد من خلال ما دل استقراء القرآن العظيم عليه إلى ثلاثة أقسام ، ومنهم من يجعل التوحيد قسمين وهما طريقتان متفقتان لا منافاة بينهما، فمنهم من يقول: إن التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية، توحيد العبادة ، وتوحيد الأسماء والصفات .

ومنهم من يقول بأنه قسمين : توحيد المعرفة والإثبات أو العلم والقول وهذا القسم يشمل: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فاندرج قسمان من الثلاثة في هذا القسم .، لأن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات كل منهما توحيد يتعلق بالعلم، فهو اعتقادي علمي فقط، والنصوص الدالة عليهما كلها نصوص خبرية .

القسم الثاني على الطريقة الثانية: توحيد الإلهية، أو توحيد العبادة، أو توحيد الإرادة والقصد والعمل، أو التوحيد الطلبي؛ لأن نصوصه طلبيه .

فلا منافاة بين الطريقتين، فمن يجعل التوحيد قسمين يدرج توحيد الربوبية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتوحيد الأسماء والصفات في التوحيد في المعرفة والإثبات الذي هو التوحيد العلمي الخبري، فلاحظ هذا ولا يشكل عليك تنوع التقسيم .

وهذا التقسيم مستمد من استقراء النصوص، وبعض أهل البدع يشنع على أهل السنة ويقول : إن هذا التقسيم مبتدع، وهذا تشنيع باطل ، نعم العبارات والتقسيمات هي اصطلاح جديد كما قسم الفقهاء ـ مثلاـ أفعال الصلاة إلى: أركان وواجبات وسنن، أخذاً من الأدلة؛ لأن أفعال الصلاة ليست على مرتبة واحدة، وكذلك أفعال الحج: أركان وواجبات وسنن، أخذاً من الأدلة، كذلك في مسائل الاعتقاد هذه التقسيمات مستمدة من النصوص وسيأتي بيان أدلتها.(١)

والمراد بتوحيد الربوبية : الاعتقاد الجازم بأنَّ الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون خلقه كلها لا شريك له في ذلك .

والمراد بتوحيد الألوهية: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة القلبية مثل الخضوع والذل والمحبة والخشوع والتوكل، والبدنية كالذكر والدعاء والصلاة والركوع والسجود والصوم والحج وغيرها، والمالية كالزكاة والصدقة والذبح والنذر وسائر أنواع العبادة لا شريك له .

والمراد بتوحيد الأسماء والصفات: الإيمان الجازم بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، وإثباتها دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

ولكلِّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة ضدٌّ .

(١) شرح العقيدة الطحاوية للبراك ص ٢٦ – ٢٧ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل .

- وإذا عرفت أنَّ توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى الله تعالى بما سمى به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفى عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد :

أحدهما : نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة .

ثانيهما: نفى تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه وقد قال تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (١)، وقال تعالى﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ (٢)

- وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها . (٣)

(١) سورة الشورى : آية (١١) .

(٢) سورة طه: آية (١١٠) .

(٣) انظر : معارج القبول ٢/٤٥٩ ، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ص ١٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* الأدلة على أقسام التوحيد :

سورة الفاتحة قد أجملت جميع أقسام التوحيد، فإنَّ الآيةَ الأولى منها، وهي ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ مشتملةٌ على هذه الأنواع، فإنَّ ﴿ **الْحَمْدُ للهِ** ﴾ فيها توحيد الألوهية؛ لأنَّ إضافةَ الحمد إليه من العباد عبادةٌ، وفي ﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ إثباتُ توحيد الربوبيَّة، والعالَمين هم كلُّ مَن سوى الله؛ فإنَّه ليس في الوجود إلاَّ خالق ومخلوق، والله الخالق وكلُّ مَن سواه مخلوق، و (الله) و (الربُّ) اسمان لله .

وقوله: ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ مشتملٌ على توحيد الأسماء والصفات، و ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ اسمان من أسماء الله يدلاَّن على صفة من صفات الله، وهي الرحمة، وأسماءُ الله كلُّها مشتقَّةٌ، وليس فيها اسمٌ جامد، وكلُّ اسم من الأسماء يدلُّ على صفة من صفاته .

وقوله: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ فيه إثبات توحيد الربوبية .، وقوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ فيه إثبات توحيد الألوهية.، وقوله: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾ فيه إثبات توحيد الألوهية .

من الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة آية الكرسي ﴿ **اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : هذه آية الكرسي، ولها شأن عظيم، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ بأنها أفضل آية في كتاب الله .

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة :

فقوله (**الله لا إله إلا هو**) إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق (**الحي القيوم**) أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا، القيم لغيره ....

وقوله (**لا تأخذه سنة ولا نوم**) أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم ، فقوله **لا تأخذه** أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ، ولهذا قال : ولا نوم لأنه أقوى من السنة .

وقوله (**له ما في السماوات وما في الأرض**) إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه ، وتحت قهره وسلطانه ، وقوله (**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**) كقوله وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ... وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة .

وقوله: (**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**) دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وقوله: (**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**) أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه. ويحتمل أن يكون المراد لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته، إلا بما أطلعهم الله عليه، كقوله: ولا يحيطون به علما .

وقوله: (**وسع كرسيه السماوات والأرض**)، عن ابن عباس، قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره ..... والكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار .

وقوله: (**ولا يؤده حفظهما**) أي لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض، وما فيهما، ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء ، والأشياء كلها حقيرة بين يديه ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، **وهو** القاهر لكل شيء ، الحسيب على كل شيء ، الرقيب **العلي العظيم**، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

ثم قال : وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح، إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه.[1]

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾[2].

يقول العلامة السعدي رحمه الله مبيناً دلالة الآية على ذلك : ... اشتملت - أي الآية - على أصول عظيمة على توحيد الربوبية وأنَّه تعالى ربُّ كلِّ شيء

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥١٢ وما بعدها ، ط دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) سورة مريم : الآية (٦٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخالقُهُ ورازقُهُ ومدبِّرُه، وعلى توحيد الألوهية والعبادة وأنَّه تعالى الإله المعبود وعلى أنَّ ربوبيته موجبة لعبادته وتوحيده ولهذا أتى فيه بالفاء في قوله: {فَاعْبُدْهُ} الدالة على السبب أي فكما أنَّه ربُّ كلِّ شيء فليكن هو المعبود حقّاً فاعبده ومنه : الاصطبار لعبادته تعالى وهو جهاد النفس وتمرينها وحملها على عبادة الله تعالى فيدخل في هذا أعلى أنواع الصبر وهو الصبر على الواجبات والمستحبات والصبر عن المحرمات والمكروهات، بل يدخل في ذلك الصبر على البليات فإنَّ الصبر عليها وعدم تسخطها والرضى عن الله بها من أعظم العبادات الداخلة في قوله: {وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} ، واشتملت على أنَّ الله تعالى كامل الأسماء والصفات عظيم النعوت جليل القدر وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سميا، بل قد تفرَّد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات .[1]

أدلة توحيد الربوبية : وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، كما تقدم بيانه ، قال تعالى ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي**

(١)المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص ٤٤، ٤٥) .، نقلاً عن القول السديد ص٣٠ .

(٢) سورة يونس: آية (٣١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[1] وهذه الآيات تدلك على خطأ المتكلمين بأن معنى لا إله إلا الله بأنه لا رب إلا الله .

أما دليل الخالق قال الله تعالى ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [2] ﴾ وأما الرازق فقال تعالى ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[3] وهو المدبر، قال تعالى﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾[4] وله الحكم المطلق، ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ ﴾[5] وقال الله تعالى﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾[6]

أدلة توحيد الأسماء والصفات : وهو العلم والاعتقاد بأن الله تعالى بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، منزه عن كل عيب ونقص، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، سميع، بصير، رؤوف، رحيم، على العرش استوى، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، سبحان الله عما يشركون، له الأسماء الحسنى والصفات العلى .

هذا النوع قد خاض فيه من ينتسب إلي الإسلام ممن قد أخذ عن أهل الكلام وغيرهم، لظنهم أنهم على شيء، فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد

(١) سورة يونس: آيات (٢٢ ، ٢٣) .

(٢) سورة الرعد : آية (١٦) .

(٣) سورة الذاريات : آية (٥٨) .

(٤) سورة السجدة : آية (٥) .

(٥) سورة الأنعام : آية (٥٧) .

(٦) سورة الأعراف: آية (٥٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأسماء والصفات، وخالفوا ما دلت عليه الآيات المحكمات، والنصوص الثابتة عن الثقات من غير التفات .

قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾(١)، وقوله تعالى﴿ قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى ﴾ (٢)، وقوله تعالى ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ (٣)، وقوله تعالى ﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى ﴾(٤) ، وقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ هُوَ اللهُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِّ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُّ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٥)

وسيأتي إيضاح أدلة السلف على الصفات في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

أدلة توحيد الإلهية : وهذا النوع من التوحيد هو الذي خلق الله عز وجل الإنسان من أجله، قال جل وعلا ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٦)

(١) سورة الفاتحة : آية (٥) .

(٢) سورة الإسراء : آية (١١٠) .

(٣) سورة مريم : آية (٦٥) .

(٤) سورة طه : آية (٨) .

(٥) سورة الحشر : آيات (٢٢-٢٤) .

(٦) سورة الذاريات : آية (٥٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن عباس: «إلا ليوحدون» وهو الذي بعثت الرسل في الدعوة إليه وتقريره.

قال جل وعلا ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[1]﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [2] .

وهو الذي وقعت الخصومة فيه بين الرسل عليهم السلام وأقوامهم، قال جل وعلا عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[3] . وهكذا قال هود وصالح ولوط وشعيب وهكذا سائر الأنبياء عليهم السلام إلى آخرهم نبينا محمد ﷺ .

وهو أول أمر في القرآن الكريم. قال جلا وعلا في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] ونجد أن الله عز وجل قد استدل في القرآن الكريم بآيات ربوبيته على ألوهيته واستحقاقه للعبادة دون ما سواه، وهذا ظاهر في آيات القرآن الكريم .

---

(١) سورة النحل : آية (٣٦) .

(٢) سورة الأنبياء : آية (٢٥) .

(٣) سورة المؤمنون : آية (٢٣) .

(٤) سورة البقرة : آية (٢١ - ٢٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الأدلة أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى [1]﴾ وقوله : ﴿ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِن دُونِهِ ﴾[2]

وأهمية هذا النوع من التوحيد وخطورته تتضح وضوحاً بيناً بخطورة الوقوع في ضده وهو الشرك في العبادة حيث هو- نسأل الله العافية -الموجب لغضب الرب وانتقامه وعذابه السرمدي الذي لا نهاية له في نار جهنم لمن مات على ذلك ولم يتب.، قال جل وعلا:﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[3].

وهو معنى لا إله إلا الله إذ معناها لا معبود بحق إلا الله عز وجل .[4]

وهذا هو الذي كان عليه الصحابة، والتابعون والأئمة الأربعة، ومن في طبقتهم، ومن بعدهم من أهل الحديث، وأتباع الأئمة الأربعة من أهل الحديث، والفقهاء من أهل السنة والجماعة .

*** أقوال النبي ﷺ في توحيد الله تعالى :**

كَانَ يَقُولُ : « **اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يموتون** »[1].

(١) سورة الزمر: آية (٣) .

(٢) سورة الزمر : آية (١٤ - ١٥) .

(٣) سورة المائدة: آية (٧٢) .

(٤) أصول مسائل العقيدة عند السلف ١/ ٨٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ - » وَزَادَ عَبْدُ الكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» (٢)

كان يَقُولُ: « مَنْ وَحَّدَ اللهَّ - وَفِي رِوَايَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُّ - وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهَّ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهَّ »(٣).

وسَمِعَ رَجُلا يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كفوا أحد فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : « لَقَدْ دَعَا اللهَّ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى »(٤).

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٦٣١٧ ، ومسلم برقم ٢٧١٧ واللفظ له ، وغيرهما .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري برقم ١١٢٠ .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم برقم ٢٣ .، والطبراني في الكبير برقم ٨١٩٠ ، والإيمان لابن منده برقم ٣٤ .

(٤) صحيح : أخرجه أبو داود برقم ١٤٩٣ ، والترمذي برقم ٣٤٧٥ ، وأحمد برقم ٢٢٩٦٥ ، وغيرهم قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٥٨/٩ رجاله رجال الصحيح ، والألباني فى صحيح أبى داود ٢٢٩/٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال أنس كنت جَالِسا مَعَ النَّبِي فِي الْمَسْجِدِ. إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيّ يَا قيوم**، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ « **لَقَدْ دَعَا اللهَّ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى** »[1]

وبَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صلَاتهم فيختم **بقل هُوَ اللهُّ أَحَدٌ** فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لرَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: **سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ** فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا **صِفَةُ الرَّحْمَنِ** فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا.، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ « **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَّ يُحِبُّهُ** »[2].

وأقوال النبي ﷺ وأحواله في التوحيد كثيرة جداً لا يسعها هذا المقام ، بل إن جميع حياته ﷺ تصدع بالتوحيد والعبودية لله تعالى .

*** أقوال الأئمة في التوحيد :**

قال الإمام أبى حنيفة : والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق انه لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية.[3]

---

(١) **صحيح** : أخرجه أبو داود برقم ١٤٩٥ ، والترمذي برقم ٣٥٤٤ ، والنسائي فى الكبرى برقم ١٢٢٤وغيرهم ، وصححه الألباني فى صحيح وضعيف الترمذي برقم ٣٥٤٤ ، وابن ماجه برقم ٣٨٥٨ .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٧٣٧٥ ، ومسلم برقم ٨١٣ ، والترمذي برقم ٢٩٠١ وغيرهم .

(٣) الفقه الأكبر لأبى حنفية النعمان ص ١٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الإمام الطحاوى : هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين .

ثم قال في التوحيد : نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله إن الله واحد لا شريك له، ولا شي مثله، ولا شيء يعجزه،ولا إله غيره، قديم[1] بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت قيوم لا ينام .... [2]

وعن الشافعي قال: **سُئل مالك عن الكلام والتوحيد**، فقال مالك: «محال أن يظن بالنبي - ﷺ ، أنه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ : «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد . [3]

---

(١) قال ابن أبى العز الحنفى فى شرح الطحاوية ص٦٦ : قول الشيخ : **قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء**، هو معنى اسمه الأول والآخر. والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة .... ، وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله - تعالى -«القديم»، وليس هو من أسماء الله تعالى الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعتيق، وهذا حديث، للجديد. ولم يستعمل هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم ..... ، وأما إدخال«القديم»في أسماء الله - تعالى- فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام. ، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، منهم ابن حزم .اهـ

(٢) متن العقيدة الطحاوية بتعليق الألباني ص ٣١ وما بعدها .

(٣) ذم الكلام وأهله لأبو الفضل المقرئ ١/ ٩٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الشافعي رضي الله عنه، قال: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم (فأخذت عنهم) ، مثل سفيان، ومالك، وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله (وذكر شيئا ثم قال:) وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء وذكر سائر الاعتقاد .[1]

قال الإمام البربهارى[2] **رحمه الله** : واعلم - رحمك الله - أن الكلام في الرب محدث، وهو بدعة وضلالة، ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه، وهو - جل ثناؤه- واحد ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[3] ربنا أول بلا متى، وآخر بلا منتهى، يعلم السر وأخفى، وهو على عرشه استوى، وعلمه بكل مكان، ولا يخلو من علمه مكان .، ولا يقول في صفات الرب: كيف ؟ ولم ؟ إلا شاك في الله .

---

(١) إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي برقم ٩٢ .

(٢) هو : الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد: شيخ الحنابلة في وقته.، من أهل بغداد .، ولد سنة ٢٣٣ هـ .

كان شديد الإنكار على أهل البدع، بيده ولسانه.، وكثر مخالفوه فأوغروا عليه قلب القاهر العباسي (سنة ٣٢١ هـ) فطلبه، فاستتر.، وقبض على جماعة من كبار أصحابه ونفوا إلى البصرة .

وعاد إلى مكانته في عهد الراضي، ونودي ببغداد: لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان ! واستتر البربهاري فمات في مخبأه سنة ٣٢٩ هـ .، والبربهاري نسبة إلى (البربهار) وهي أدوية كانت تجلب من الهند ويقال لجالبها البربهاري، ولعلها ما يسمى بالبهارات .

(٣) سورة الشورى : الآية (١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من الله، وما كان من الله فليس بمخلوق، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفقهاء قبلهما وبعدهما، والمراء فيه كفر .(١)

قال الإمام أبو القاسم الأصبهانى الملقب بقوام السنة : إن الأخبار في صفات الله عز وجل جاءت متواترة عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله عز وجل، فنقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله والمعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر الله به في تنزيله وبينه الرسول عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف، وأنه عز وجل أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسه ووصفه الرسول ﷺ غير زائلة عنه ولا كائنة دونه، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت على أي معنى تأوله دخل في حكم التشبيه بالصفات التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائه غير باقية وذلك أن الله (عز وجل) امتدح نفسه بصفاته تعالى ... (٢)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليهما رغب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، كلهم من أولهم إلى آخرهم .

---

(١) شرح السنة للبربهارى ص ٤٠ .

(٢) الحجة فى بيان المحجة ١/١٠١ – ١٠٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحدهما التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص .

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته، والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه، والرضى به رباً وإلهاً ووليا وأن لا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء .

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي وهما : سورة: ﴿ **قل يا أيها الكافرون**﴾ المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وسورة: ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ المتضمنة للتوحيد الخبري العلمي .

فسورة: ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال .

وسورة: ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ فيها إيجاب عبادته وحده (لا شريك له) والتبري من عبادة كل ما سواه ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر والمغرب والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً.اهـ[1]

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ٢/ ٩٢ – ٩٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

التوحيد عند الأشاعرة

وهذا من أهم الأبواب التي غلط فيها أهل الكلام- وفيهم الأشاعرة - وصار كلامهم فيه مشتملاً على قليل من الحق وكثير من الباطل، ولاشك أن أسس الإسلام وقاعدته توحيد الله وحده لا شريك له .

والتوحيد عند الأشاعرة هو نفي التشنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة، والواحد والأحد عندهم يشمل ثلاثة أمور :

١ - أن الله واحد في ذاته لا قسيم له .

٢ - وأنه واحد في صفاته لا شبيه له .

٣- وأنه واحد في أفعاله لا شريك له .

وأشهرها عندهم وأقواها دلالة على التوحيد النوع الثالث، وبه يفسرون معنى لا إله إلا الله .، والألوهية- عندهم- هي القدرة على الاختراع والخلق، فمعنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله .[١]

قال الشهرستاني : وأما التوحيد فقد قال أهل السنة، وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له .[٢]

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/٩٤٣ .

(٢) الملل والنحل ١/٤٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الرازي : اعلم أنه - تعالى - واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، أما أنه واحد في ذاته، فلأن ذاته منزهة عن جهات التركيبات، لا من التركيبات المقدارية الحسية كما في الجسم، ولا من التركيبات العقلية كما في النوع المركب من الجنس والفصل، وأما أنه واحد في صفاته فهو أنه ليس في الوجود موجود آخر يساويه في الوجود بالذات، وفي العلم بكل المعلومات، وفي القدرة على كل الممكنات، وفي الغنى عن كل ما سواه. وأما أنه واحد في أفعاله فهو أنه ليس في الوجود موجود يكون مبدئاً لجميع الممكنات إما بواسطة أو بغير واسطة إلا هو .(١)

قال الآمدى فى تعريف الواحد والتوحيد : قد نقل عن بعض المتكلمين أنه واحد لمعنى ، والّذي ذهب إليه أئمتنا أن الواحد واحد لنفسه لا لمعنى، وإلا كان ذلك المعنى أيضا واحدا، ويلزم أن يكون واحد المعنى؛ وهو تسلسل ممتنع .

ثم من صار إلى كون الواحد واحدا، لا لمعنى، فقد اختلفوا : فذهب أبو هاشم: إلى أن معنى الواحد يرجع إلى صفة نفى، وأن حاصله يرجع إلى نفى ما عدا الموجود الفرد .

وذهب القاضي أبو بكر: إلى أن حاصله يرجع إلى صفة إثبات، هي صفة نفس غير معللة. ولعل الأشبه ما ذكره القاضي، وذلك لأنا إذا قلنا: إن معنى الواحد إنما هو سلب ما زاد على الموجود الفرد؛ فهو عبارة عن سلب الكثرة؛ فالواحد يكون عبارة عن سلب الكثرة؛ فيكون معناه عدما، والكثرة إنما هي

(١) المطالب العالية ٣/٢٥٧ – ٢٥٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مركبة من الآحاد. فإذا كان معنى كل واحد من الآحاد عدما، فالكثرة المركبة من الآحاد تكون عدما. وإذا كانت الكثرة عدما؛ فسلبها يكون وجودا، وسلبها هو مفهوم الواحد؛ فيكون مفهوم الواحد وجودا، ويلزم من ذلك أن لا تكون الكثرة عدما؛ بل وجودا؛ لتركبها من الوجودات؛ فالقول بأن مفهوم الواحد عدم ما عدا الموجود الفرد؛ يجر إلى كون الكثرة وجودا وعدما معا؛ وهو محال .

هذا ما يتعلق بتحقيق معنى الواحد.، وأما التوحيد : فقد يطلق بالاشتراك على التفريق بين الشيئين بعد سابقة اتصالهما.، وقد يطلق على الإتيان بالفعل الواحد منفردا .

وقد يطلق ويراد به اعتقاد الوحدانية لله- تعالى- وهذا هو المقصود من إطلاق لفظ التوحيد فى عرف المتكلمين .

ثم أخذ يسوق الأدلة فى امتناع وجود إلهين لكل واحد منهما من صفات الإلهية ما للآخر .[1]

قال الباجورى فى تعريف التوحيد : والمراد منها هنا وحدة الذات والصفات ، بمعنى عدم النظير فيهما ، وأما وحدة الذات بمعنى عدم التركيب من أجزاء ...، ووحدة الصفات بمعنى عدم تعددها من جنس واحد .... ووحدة الأفعال بمعنى أنه لا تأثير لغيره بفعل من الأفعال ...

ثم قال : والحاصل أن الوحدانية الشاملة لوحدانية الذات والصفات والأفعال تنفى كموماً خمسة : الكم المتصل في الذات وهو تركبها من أجزاء،

(١) أبكار الأفكار للآمدى ٢/ ٩١ – ٩٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكم المتصل في الصفات وهو التعدد في صفاته تعالى ... والكم المنفصل في الأفعال ، وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد ، وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار ....[1]

وقال الدردير : وحدانيته – تعالى – وهى عبارة عن سلب الكثرة في الذات والصفات والأفعال .

أي عدم التثنية فى الذات ... فوحدانية الذات تنفى عنه تعالى الكم المتصل والمنفصل، أي تنفى التعدد في الذات متصلاً كان أو منفصلاً ، فتنفى التركيب في ذاته تعالى ، ووجود ذات أخرى تماثل الذات العلية .

وعدم التثنية في صفاته العلية ... فوحدانية الصفات تنفى عنه تعالى الكم المتصل والمنفصل فيها ، أي تنفى العدد في حقيقة كل واحدة منها متصلاً كان أو منفصلاً .

وعدم التثنية في الفعل يعنى أنه تعالى متصف بوحدانية الأفعال، فليس ثم من له فعل من الأفعال سواه تعالى ، إذ كل ما سواه عاجز لا تأثير له في شيء من الأشياء .[2]

وقد استدلوا على وحدانية الله تعالى في ربوبيته بما اشتهر عند المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وهو ما يعرف بدليل التمانع، كذلك يستدلون بتناهي العالم، وبآيات الأنبياء والرسل ، وقد تقدم الكلام عن ذلك في أدلة وجود الله فليراجع.

---

(١) انظر : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) انظر : شرح الخريدة البهية ص ١٥٨ – ١٥٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناءً على ذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع .، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم .

وحاصل هذا الذي تقدم عنهم في معنى التوحيد وما يتضمنه، فيه ما هو حق مما هو ثابت، وفيه ما هو باطل ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ .

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك فقال : قولهم: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له: ويفسرونه بأن معناه أنه لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب، وهذا الكلام مجمل، فإن قصد به أن الله تعالى أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، وأنه يمتنع أن يتفرق أو يتجزأ أو يكون قد ركب من أجزاء فهذا حق، لكن إن قصد به نفي علوه ومباينته لخلقه، وأنه لا يشار إليه ولا ينزل كما يشاء فهذا باطل [1].

فأي الأمرين يقصد هؤلاء، يقول شيخ الإسلام عنهم : ليس مرادهم بأنه لا ينقسم ولا يتبعض أنه لا ينفصل بعضه عن بعض، وأنه لا يكون إلهين اثنين، ونحو ذلك مما يقول نحواً منه النصارى والمشركون، فإن هذا مما لا ينازعهم فيه المسلمون، وهو حق لا ريب فيه، وكذلك كان علماء السلف ينفون التبعيض عن الله بهذا المعنى، وإنما مرادهم بذلك أنه لا يشهد ولا يرى منه شيء دون شيء، ولا يدرك منه شيء دون شيء، بحيث إنه ليس له في نفس حقيقة عندهم قائمة بنفسها يمكنه هو أن يشير منها إلى شيء دون شيء، أو يرى عباده منها شيئاً دون شيء، بحيث إذا تجلى لعباده يريهم من نفسه المقدسة ما شاء، فإن ذلك غير ممكن

(١) انظر: التدمرية ص ١٨٤ - ١٨٥، ت/ السعوي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندهم، ولا يتصور عندهم أن يكون العباد محجوبين عنه بحجاب منفصل عنهم يمنع أبصارهم عن رؤيته، فإن الحجاب لا يحجب إلا ما هو جسم منقسم، ولا يتصور عندهم أن الله يكشف عن وجهه الحجاب ليراه المؤمنون، ولا أن يكون على وجهه حجاب أصلاً، ولا أن يكون بحيث يلقاه العبد أو يصل إليه أو يدنو منه أو يقرب إليه في الحقيقة، فهذا ونحوه هو المراد عندهم بكونه لا ينقسم، ويسمون ذلك نفي التجسيم، إذ كل ما ثبت له ذلك كان مجسماً منقسماً مركباً، والبارئ منزه عندهم عن هذه المعاني [1].

وجماع المعاني التي قصدوها بقولهم هذا أنه تعالى عن قولهم ليس قائماً بنفسه، ولا بائناً من خلقه ولا على العرش استوى، وأنه لا يشار إليه في جهة العلو .

وهكذا صار حقيقة التوحيد والواحد والأحد عند الأشاعرة هو نفي صفات الله الخبرية كالوجه، واليدين، والعين ، ونفي علوه على عرشه .

٢ - أما قولهم في تفسير التوحيد بأن معناه - أيضاً - أنه واحد في صفاته لا شبيه له، فيرى شيخ الإسلام أن هذه الكلمة أقرب إلى الإسلام، لكنهم أجملوها، حيث جعلوا في مسمى التشبيه، وهذا من بدع أهل الكلام، إذ لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا أقوال السلف أن يجعل نفي الصفات أو بعضها من التوحيد ، مع أن أهل الكلام مضطربون في هذا، لأن كل طائفة تجعل ما تنفيه من الأسماء أو الصفات من التشبيه الذي يجب تنزيه الله عنه، فالأشاعرة أدخلوا في مسمى التوحيد هذا نفي كثير من الصفات - أي ما عدا فالأشاعرة أدخلوا في

(١) التسعينية لابن تيمية ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسمى التوحيد هذا نفي كثير من الصفات - أي ما عدا الصفات السبع التي لم يثبت غيرها متأخروهم - والمعتزلة أدرجوا في ذلك نفي جميع الصفات، والجهمية نفوا الأسماء والصفات جميعاً، وزاد الغلاة من القرامطة والباطنية فقالوا لا يوصف بالنفي والإثبات، لأن القول بأحدهما يقتضي تشبيها، وهكذا.(١)

٣ - أما الثالث فقولهم : إن من معاني التوحيد أنه تعالى: واحد في أفعاله لا شريك له، وأن الله رب كل شيء وخالقه، ويقول شيخ الإسلام عن هذا المعنى : وهذا معنى صحيح، وهو حق، وهو أجود ما اعتصموا به من الإسلام في أصولهم، حيث اعترفوا فيها بأن الله خالق كل شيء ومربيه ومدبره (٢).

والخطأ الذي وقع فيه الأشاعرة هنا هو أنهم فهموا أن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأنه المقصود بشهادة أن لا إله إلا الله، ومن المعلوم أن هذا التوحيد أقر به المشركون، ولم ينكره أحد من بني آدم «ولكن غاية ما يقال: إن المعتزلة وغيرهم جعلوا بعض الموجودات خلقاً لغير الله، كأفعال العباد، ولكنهم يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم وإن قالوا: إنهم خالقوا أفعالهم» (٣).

وهذا الذي ذهبوا إليه اتبعوا فيه المعتزلة والجهمية في ذلك، مع أن شيخهم ابن كلاب ينكر قول من يقول : إن الواحد لا صفة له، فإنه قال بعد بيانه: أن الله

(١) انظر: التدمرية ص ١٨٢ - ١٨٣، ت/ السعوي .

(٢) التسعينية لابن تيمية ص ٢٠٧ .

(٣) انظر المرجعين السابقين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بائن من خلقه، ليس داخلا في خلقه، ولا خلقه داخلون فيه: «فإن قالوا: فيعتقبه الطول والعرض؟ قيل لهم: هذا محال، لأنه واحد لا كالآحاد، عظيم لا تقاس عظمته بالمخلوقات، كما أنه كبير عليم، لا كالعلماء، كذلك هو واحد عظيم لا كآحاد العظماء، فإن قلت: العظيم لا يكون إلا متحيزا؟ قيل لك: والعليم لا يكون إلا متحيزا، وكذلك السميع والبصير، لأنك تقيس على المخلوقات» .(١)

وسيأتي توضيح مذهبهم في الصفات وردود العلماء عليهم، وبيان مذهب السلف الصالح في إثبات الصفات، إن شاء الله تعالى في المبحث القادم .

وقد حسم شيخ الإسلام بيان انتفاء دلالة النص على ما ادعاه هؤلاء في مسمى التوحيد من وجوه عشرة مهمة(٢)قال في آخرها : فتبين أن لفظ التوحيد والواحد والأحد في وضعهم واصطلاحهم غير التوحيد والواحد والأحد في القرآن والسنة والإجماع وفي اللغة التي جاء بها القرآن، وحينئذ فلا يمكنهم الاستدلال بما جاء في كلام الله ورسله وفي لفظ التوحيد على ما يدعونه هم، لأن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعادته المعروفة في خطابه، لا بلغة وعادة واصطلاح أحدثه قوم آخرون، بعد انقراض عصره وعصر الذين خاطبهم بلغته وعادته ... (٣)

هذه معاني التوحيد عند الأشاعرة، ومما سبق يتبين ما في ظاهر العبارات من

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ١/ ٢٥٤ .

(٢) راجعها فى درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٢٠ وما بعدها .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٢٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحق، وما قصدوه من الباطل، مع ما وقعوا فيه من التقصير .

فإنهم لم يتعرضوا لتوحيد الألهية ولم ينتبه أحد منهم إليه ، مع أنه قطب رحى الدين وأول دعوة الأنبياء والمرسلين ، ولم يفرقوا بين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية ، بل خلطوا بين معناهما وظنوا أن معنى الإلهية هو القدرة على الإختراع، فلذا اعتقدوا أن توحيد الربوبية هو المقصود فى قوله تعالى ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا** ﴾[1] ونحوها من الآيات ، وظنوا بأن المراد بالتوحيد هو مجرد توحيد الربوبية .

وليس الأمر كما ذهبوا إليه، بل هؤلاء ومن قال قولهم لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، إذ أن الإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق ، فهناك فرق بين الرب والإله كما هو واضح عند أئمة اللغة .[2]

ومما سبق يتبين : أن منهج الأشاعرة في توحيد الألوهية غير واضح المعالم وذلك لأسباب خمسة وهي :

السبب الأول : تعريف كلمة (إله) عند الأشعرية : فإنه قد عرف كثير من الأشعرية كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع .

السبب الثاني: من الأسباب الداعية إلى القول بأن توحيد الألوهية غير واضح في المنهج الأشعري، هو أن كتبهم المصنفة في العقائد - على كثرتها - لم

(١) الأنبياء : آيه (٢٢)

(٢) انظر : الماتريدية دراسة وتقويماً – د/أحمد عوض الحربى ص ٢١٢ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفرد هذا الموضوع بالبحث، وهذا إن عذر فيه المتقدمون فلا يعذر المتأخرون في تركه إذ الحاجة إلى البيان فيه والتحذير مما يضاده قائمة .

السبب الثالث : ومما يؤكد عدم وضوح هذا المنهج : أنهم قد يردون على أهل الملل ردوداً قاصرة عن بيان الحقيقة وإبرازها وإبطال الباطل في بعض المسائل، وهذا واضح من ردودهم ومناظراتهم .

السبب الرابع: ومن الأسباب الداعية إلى القول بأن المنهج الأشعري غير واضح في توحيد الألوهية هو زعمهم أن أول واجب على المكلف: المعرفة، أو النظر، أو القصد إلى النظر المؤدي إلى إثبات وجود الله تعالى، ومن ثم إثبات وحدانيته في الذات والأفعال. وهذا أطبق عليه المتقدمون والمتأخرون منهم، فلذلك اشتغلوا بتحقيق ما زعموه أول واجب على المكلف برد الشبهات والشكوك وتفنيدها وإيراد الاعتراضات ودفعها بطرق منطقية صعبة، لذلك لا يجد الباحث لهم تصنيفاً مستقلاً يوضح منهجهم في هذا التوحيد .

السبب الخامس : ومن أهم الأسباب الداعية إلى القول بعدم وضوح المنهج الأشعري في توحيد الألوهية : حملهم الآيات الواردة في توحيد الألوهية على أنها في توحيد الربوبية ، ويتضح هذا الخطأ بالآتي :

١ - إن الذين نزلت فيهم الآيات ما كانوا ينكرون ربوبية الله - كما تقدم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ - قد صرح أهل العلم بأن الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون غير الله، وقد سبق قول بعضهم في أن الذاهبين إلى عبادة غير الله كثرة وأنه لا يعرف من قال بوجود خالقين متساويين للعالم .[١]

(١) انظر : منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة فى التوحيد ١ / ١٥٤ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث السادس

الأسماء والصفات

بين السلف والأشاعرة

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب : -

أولاً : تمهيد .

المطلب الأول : أسماء الله تعالى بين السلف والأشاعرة .

المطلب الثاني : الصفات الإلهية بين السلف والأشاعرة .

المطلب الثالث : الصفات بين إثبات السلف ونفى الخلف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمهيد

قبل أن نشرع في الكلام على مبحث الأسماء والصفات وتعدادها يحسن بنا أن ننبه على بعض النقاط المهمة التي لها صلة وثيقة بالموضوع .

١ - إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود، والقائم بالنفس والمخالف للحوادث، فإن هذه الألفاظ يخبر بها عن الله تعالى، ولا تدخل في باب أسمائه الحسنى، ولفظ (القديم) من هذا الباب لعدم ورود النص به، وباب الأسماء والصفات توقيفي، كما لا يخفى .

٢ - إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه تعالى، بل يطلق عليه منها كمال فقط، وهذا كالمريد والفاعل والصانع عند الإطلاق، بل هو فعال لما يريد .

فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، فيقال لفاعل الخير فاعل كما يقال لفاعل الشر فاعل، وكذلك المريد والصانع، ولهذا إنما أطلق الله على نفسه من ذلك أكمله .

٣- لا يلزم من الإخبار عنه تعالى بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط بعض المتأخرين، فجعل من أسمائه الحسنى، المضل والفاتن والماكر، والمستهزئ والساخر مثلاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة. والله أعلم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- لم يرد حديث صحيح يعتمد عليه في تعداد الأسماء الحسنى التسعة والتسعين وحصرها وهي التي من حفظها دخل الجنة، أو في غيرها من أسمائه الكثيرة التي سمى الله بها نفسه فأنزلها في كتابه أو علمها أحداً من خلقه، ولكن اعتماد أهل العلم في ذلك على الكتاب العزيز مع بعض الآثار التي يشهد لها الكتاب، فأسماؤه من كمالاته، وكمالاته لا تدخل تحت الحصر، وقد أطال الكلام بعض أهل العلم في الأسماء الحسنى حتى ذكر ابن العربي في شرح الترمذي عن بعضهم أنه جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى ألف اسم .(١)

قال الحافظ ابن حجر في التلخيص - بعد أن ذكر أقوال بعض أهل العلم في تعداد الأسماء الحسنى: « وقد عاودت تتبعها من الكتاب العزيز إلى أن حررتها منه تسعة وتسعين اسماً، ولا أعلم من سبقني إلى تحرير ذلك، فإن ما ذكره ابن حزم لم يقتصر فيه على ما في القرآن الكريم» إلى آخر كلامه.(٢)

و حديث أبي هريرة في تعداد الأسماء الحسنى الذي اعتمد عليه كثير من الناس في تعداد الأسماء الحسنى مثل القشيري والرازي والقرطبي والغزالي، ضعيف، وعلته (الوليد بن مسلم) والحديث الثاني الذي صححه (الترمذي) أضعف وعلته (عبد العزيز بن حصين) .

قال الحافظ: متفق على ضعفه، ووهّاه البخاري ومسلم، وقد زلت أقدام كثير من أهل الكلام في هذا المبحث على اختلاف مواقفهم، منهم من أثبت

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم فقد أفاض فى ذلك ١/ ١٦٢ وما بعدها .

(٢) انظر : التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ٤/ ٤٢٤ ط دار الكتب العلمية – بيروت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسماء مجردة عن المعاني والأوصاف، كأعلام محضة وزعم أن الله سميع بلا سمع، عليم لا علم، مثلاً إلى آخر الصفات .

ومنهم من ينفي الصفات والأسماء، ليزعم تصور وجود ذات مجردة عن الأسماء والصفات معاً، وهو من أفسد مزاعمهم، لأنه ضرب من المحال، فلنسمع الحافظ ابن القيم وهو يناقش هذه المزاعم ويفندها ليكشف عوارهم إذ يقول رحمه الله - وهو يتحدث عن دلالة الأسماء على صفات الكمال : -

إن أسماء الله تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات فهي أسماء وهي صفات، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال ولساغ وقوع الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت المنتقم، واللهم أعطني، فإنك أن الضار المانع، ونحو ذلك.

ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى ﴿ **وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[1]، ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله، كقوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللهَّ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ [2]، فعلم أن (القوي) من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة، وكذلك

(١) سورة الأعراف : الآية (١٨٠) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٥٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله ﴿ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [1]، وساق أمثلة كثيرة من القرآن والأحاديث الصحيحة إلى أن قال: لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنها بأفعالها. فلا يقال: يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد، فإن ثبوت أحكام الصفات فرع من ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة، استحال ثبوت حكمها، وأيضاً فلو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت كلها سواء ولم يكن فرق بين مدلولاتها: وهذه مكابرة صريحة، وبهت بيّن، فإن من جعل معنى اسم (القدير) هو معنى اسم (السميع البصير)، ومعنى اسم (التواب) هو معنى اسم (المنتقم)، ومعنى اسم (المعطي) هو معنى اسم (المانع) ، فقد كابر العقل واللغة والفطرة.

فنفي أسمائه من أعظم الإلحاد فيها: والإلحاد فيها أنواع، هذا أحدها، والثاني تسمية الأوثان بها، كما يسمونها آلهة إلى أن قال رحمه الله: وحقيقة الإلحاد فيها العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها وإخراج حقائق معانيها عنها. هذه حقيقة الإلحاد . اهـ[2]

وقال في موضع آخر من كتابه (مدارج السالكين) : إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة، فإنه يدل دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم. فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم. فإن اسم (السميع) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها،

(١) سورة الأعراف : الآية (١٠) .

(٢) انظر : مدارج السالكين لابن القيم / فصل دلالة على توحيد الأسماء والصفات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم (الحي) وصفة الحياة بالالتزام وكذلك سائر أسمائه وصفاته .اهـ[١]

*** الفرق بين الأسماء والصفات :-**

وأما الفرق بينهما، فإن الصفات إنما هي من معاني أسمائه الحسنى، والأسماء دالة عليها كما تدل على الذات، إما بالمطابقة أو بالالتزام على ما تقدم بيانه في كلام ابن القيم قريباً .

الأسماء لها جهتان :

• الجهة الأولى : أنها متفقة في الدلالة على ذات الله تعالى، فهي بهذا الاعتبار متواطئة أي مترادفة ومتفقة في الدلالة .

فكلها أسماء لمسمى واحد وهو الله تعالى وكلها تطلق على الله تعالى على حد سواء ، فهي متواطئة في الدلالة على الله سبحانه .

• الجهة الثانية : وهي جهة دلالتها على معانيها الدالة على صفات الله تعالى ، فهي بهذا الاعتبار متباينة.

فإن الرحمن يدل على صفة الرحمة، والعليم يدل على صفة العلم، ولا شك أن صفة الرحمة غير صفة العلم.، فأسماء الله تعالى باعتبار دلالتها على ذات الله تعالى متفقة ومتواطئة، وباعتبار دلالتها على الصفات متباينة ومختلفة .[٢]

من هنا يتضح جلياً بطلان مذهب المعتزلة وتناقضهم، حيث ينفون الصفات

(١) انظر : المرجع السابق /اسم الله يدل على الصفة بمفردها ويدل على الذات المجردة .

(٢) توضيح مقاصد المصطلحات العلمية – لمحمد بن عبد الرحمن الخميس ص ٤١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع إثباتهم لأحكامها، لأنه من المعلوم ضرورة إذا عدم الوصف الذي منه الاشتقاق، فالاشتقاق منه مستحيل، فإذا لم يقم العلم والقدرة بذات مثلاً استحال أن نقول: هي عالمة وقادرة، ولست أدري كيف استساغت عقول المعتزلة وهضمت هذا التناقض، حيث يقولون: إن الله تعالى قادر وعالم لكن لا بقدرة ولا بعلم !!

وأنا أعتقد جازماً أن الفلاح الجالس في زرعه أو البدوي الجالس أمام خيمته وعند غنمه لو سمع هذا التناقض الذي استساغه العقل المعتزلي، لأنكره ذلك البدوي وسخر منه، لأنه خلاف المنطق، وخلاف العقل السليم الذي يتبلبل بعد بعلم الكلام الاعتزالي وتناقضاته، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من عباده .[1]

*** قواعد في أدلة الأسماء والصفات[2]:**

القاعدة الأولى : الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما .

القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها .

القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة للشيخ /محمد أمان جامى ص ١٧٥ .

(٢) انظر هذه القواعد وتفصيل أدلتها كتاب القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ / ابن عثيمين ص ٢٩ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة. وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة .

القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

أسماء اللّه تعالى بين السلف والأشاعرة

لا شك أن أسماء الله تعالى توقيفية، بمعنى أنه ينبغي علينا أن نقف في تسمية الله تعالى على ما ورد في الكتاب والسنة، لأننا لا نستطيع البتة أن نعرف الأسماء التي سمى الله بها نفسه بآرائنا، وباجتهاد من عند أنفسنا، لأن أسماءه تبارك وتعالى من الغيب الذي لا مجال لنا في بلوغه إلا أن يصلنا عن طريق الوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ .

وليس للأشاعرة أقوال متميزة فيما يتعلق بأسماء الله تعالى في الجملة، وما يقع من خلاف في بعض مسائلها قد يشاركهم فيه غيرهم، ولذلك فلا داعي للإطالة في هذه المسألة، ويمكن الإشارة إلى أمرين:

أحدهما: ما وافق فيه جمهور الأشاعرة جمهور السلف، ومن ذلك قولهم :

١ - أن أسماء الله تعالى توقيفية، وقد ذكر ذلك غالب الأشاعرة، وخالف فيه الباقلاني .

بل بعض من ذكر أنها توقيفية خالف في ذلك عملياً فذكر بعض الأسماء التي لم ترد في الشرع .

٢ - أن أسماء الله تعالى ليست جامدة، ولذلك حرص العلماء على شرحها، وبيان معانيها وذكر ما دلت عليه من صفات الله تعالى، وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية وأغلظ على ابن حزم الذي زعم أن أسماء الله بمنزلة أسماء الأعلام التي لا تدل على معنى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ - أن أسماء الله تزيد على التسعة والتسعين، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، خلافاً لابن حزم وطائفة.، وما ورد من ذكر تعداد التسعة والتسعين فهو من إدراج بعض الرواة .

والحديث بأصله، وبزياداته - لو صحت - لا تعارض ذلك ، وقوله « من أحصاها » المقصود به أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، وليس معناه أنه ليس له اسم إلا هذه، كما هو واضح.(١)

وثانيهما: أن بعض الأشاعرة خالفوا جمهور السلف في بعض المسائل، ومن ذلك :

١ - أن بعض الأشاعرة أطلقوا بعض الأسماء لله وإن لم ترد بها نص ولا إجماع، وذلك كاسم القديم، والذات وغيرها.(٢)

وقد ناقش شيخ الإسلام هؤلاء ذاكراً الخلاف في ذلك فقال: إن المسلمين في أسماء الله تعالى على طريقتين : كثير منهم يقول: إن أسماءه سمعية شرعية، فلا يسمى إلا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة، فإن هذه عبادة، والعبادات مبناها على التوقف والإتباع .

ومنهم من يقول: ما صح معناه في اللغة، وكان معناه ثابتا له لم يحرم تسميته به، فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك فيكون عفوا.

---

(١) انظر تفصيل ذلك كتاب الرد الأسنى على من أنكر الأسماء الحسنى للشيخين /محمد جبر ، ومجدي قاسم طبعة مكتبة الإيمان بالمنصورة – مصر .

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان١ / ١٨٨، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والصواب القول الثالث : وهو أن يفرق بين أن يدعى بالأسماء، أو يخبر بها عنه؛ فإذا دعى لم يدع إلا بالأسماء الحسنى كما قال تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ** [1] ﴾ ، وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة، فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن يترجم أسماؤه بغير العربية، أو يعبر باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرما. [2]

ويقول في موضع آخر بعد ترجيح ما ذكره في القول الثالث قال: وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم، موجود، وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل: «ليس بشيء» فقيل: بل هو شيء.، فهذا سائغ وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل: يا شيء ... . [3]

فهذا التفريق الدقيق الذي ذكره شيخ الإسلام بين الدعاء والإخبار هو الذي يفصل في الأمر، والمتكلمون إنما ذكروا بعض الأسماء التي لم ترد بسبب خوضهم في علوم الكلام واصطلاحات الفلاسفة فاضطروا إلى مجاراتهم حتى لا ينفوا عن الله ما هو ثابت له لأجل أنه اصطلاح حادث .

٢ - من المسائل المشهورة في هذا الباب مسألة : هل الاسم هو المسمى أو

---

(١) سورة الأعراف : الآية (١٨٠) .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٥ /٨ .

(٣) مجموع الفتاوى ٩ /٣٠١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غيره .

والمعروف أن الجهمية حرصوا على تقرير أن الاسم غير المسمى ليسلم لهم مذهبهم الفاسد القائل بخلق القرآن. فقابلهم البعض فقالوا: بل الاسم هو المسمى، حتى لا يقال : إن أسماء الله غير الله، وهذا قول بعض المنتسبين إلى السنة.

وقد ذكر شيخ الإسلام عدة أقوال في هذه المسألة، وهي :

١ - أن الاسم غير المسمى، وهذا قول الجهمية، الذين يقولون: إن أسماء الله غير الله، وما كان غيره فهو مخلوق .

٢ - التوقف والإمساك عن إطلاق مثل هذه العبارات نفيا وإثباتا، وأن كلا من الإطلاقين بدعة، وقد ذكر هذا الخلال عن إبراهيم الحربي وغيره، وكما ذكره أبو جعفر الطبري في صريح السنة، وعده من الحماقات .

٣ - أن الاسم هو المسمى، وهذا قول كثير من المنتسبين إلى السنة، مثل أبي بكر عبد العزيز، وأبي القاسم الطبري، واللالكائي، وأبي محمد البغوي في شرح السنة.، وغيرهم . وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري، اختاره أبو بكر بن فورك وغيره .[١]

٤ - والقول الثاني - وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري - أن الأسماء ثلاثة أقسام : تارة يكون الاسم هو المسمى، كاسم الموجود .

(١) انظر : شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى ٢٠٤/٢ وما بعدها ، وشرح السنة للبغوى ٢٩/٥ ، المقالات للأشعرى ص ١٧٢ – ٢٩٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتارة يكون غير المسمى، كاسم الخالق. وتارة لا يكون هو ولا غيره كاسم العليم والقدير.(١)

٥ - أن الاسم للمسمى، كما يقوله أكثر أهل السنة، فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول لقوله تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى** ﴾(٢)وقال تعالى ﴿ **أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى** ﴾(٣)، وهؤلاء إذا قيل لهم: هل الاسم هو المسمى أو غيره ؟

فصلوا فقالوا: ليس هو نفس المسمى، ولكن يراد به المسمى، وإذا قيل: إنه غيره بمعنى أنه يجب أن يكون مباينا. فهذا باطل؛ فإن المخلوق قد يتكلم بأسماء نفسه فلا تكون بائنة منه، فكيف بالخالق، وأسماؤه من كلامه، وليس كلامه بائنا عنه، ولكن قد يكون الاسم نفسه بائنا، مثل أن يسمى الرجل غيره باسم، أو يتكلم باسمه، فهذا الاسم نفسه ليس قائماً بالمسمى، لكن المقصود به المسمى، فإن الاسم مقصوده إظهار المسمى وبيانه .(٤)

فالأشاعرة لهم قولان ضعيفان وقد ناقشهما شيخ الإسلام وبين ضعفهما: ومن ردوده على من قال منهم: إن الاسم هو المسمى قوله : قلت لو اقتصروا على أن أسماء الشيء إذا ذكرت في الكلام فالمراد بها المسميات - كما ذكروه في

(١) ذكر هذا القول والذي قبله البيهقي في الجامع لشعب الإيمان ١/ ٣٣٦ - ٣٣٧، والاعتقاد ص ٧١ - ٧٢.

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٨٠) .

(٣) سورة الإسراء : الآية (١١٠) .

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ٢٠٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله ﴿ يَا يَحْيَى ﴾ [1] ونحو ذلك - لكان ذلك معنى واضحا، لا ينازعه فيه من فهمه، لكن لم يقتصروا على ذلك، ولهذا أنكر قولهم جمهور الناس من أهل السنة وغيرهم لما في قولهم من الأقوال الباطلة، مثل دعواهم أن لفظ اسم الذي هو « ا، س، م » معناه ذات الشيء ونفسه، وأن الأسماء - التي هي الأسماء - مثل زيد وعمرو هي التسميات، ليست هي أسماء المسميات، وكلاهما باطل مخالف لما يعلمه جميع الناس من جميع الأمم ولما يقولونه ... وأيضا فهم تكلفوا هذا التكليف ليقولوا: إن اسم الله غير مخلوق، ومرادهم أن الله غير مخلوق وهذا مما لا تنازع فيه الجهمية والمعتزلة؛ فإن أولئك ما قالوا الأسماء مخلوقة إلا لما قال هؤلاء هي المسميات. فوافقوا الجهمية والمعتزلة في المعنى، ووافقوا أهل السنة في اللفظ، ولكن أرادوا به ما لم يسبقهم أحد إلى القول به من أن لفظ اسم وهو « ألف، سين، ميم » معناه إذا أطلق هو الذات المسماة، بل معنى هذا اللفظ هي الأقوال التي هي أسماء الأشياء، مثل زيد وعمرو، وعالم وجاهل، لفظ الاسم لا يدل على أن هذه الأسماء هي مسماة ... [2]

إلى آخر مناقشته لهم. ثم ذكر أن أهل القول الثاني من الأشاعرة - الذي قسموا الأسماء إلى ثلاثة أقسام - غلطوا من وجه آخر؛ فإنه إذا سلم لهم أن المراد بالاسم الذي هو « ألف، سين، ميم » هو مسمى الأسماء فاسمه الخالق هو الرب الخالق نفسه، ليس هو المخلوقات المنفصلة عنه، واسمه العليم هو الرب العليم،

(١) سورة مريم : الآية (١٢) .

(٢) المرجع السابق ٦/١٩١ – ١٩٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي العلم صفة له، فليس العلم هو المسمى، بل المسمى هو العليم، فكان الواجب أن يقال على أصلهم: الاسم هنا هو المسمى وصفته، وفي الخالق الاسم هو المسمى وفعله، ثم قولهم: إن الخلق هو المخلوق، وليس الخلق فعلا قائما بذاته، قول ضعيف، مخالف لقول جمهور المسلمين .(١)

وبهذا يتبين أن القول الخامس هو القول الراجح وأن الاسم للمسمى، وأنه لابد من الاستفصال عن المقصود لمن قال: الاسم هو المسمى أو غيره .

٣ - يلاحظ على كتب الأشاعرة التي شرحت أسماء الله تعالى أنها مع أنها تثبت هذه الأسماء وما دلت عليه من الصفات، إلا أنها عند تفصيل القول في هذه الصفات تشرحها بما يوافق معتقدها، فإذا كان الاسم دالا على صفة يؤولونها نفوا دلالة الاسم على هذا المعنى الذي ينفونه وإن كان موافقا لمذهب السلف، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أبرزها -مثلا- اسم تعالى: «العلي» فكل من شرح هذا الاسم من الأشاعرة المتأخرين فسروه بعلو الشرف والمكانة، وغيرها، ونفوا دلالته على إثبات علو الله على خلقه، ونصوا على نفي هذا المعنى عند شرحهم له .(٢)

ونخلص مما سبق بالآتي :

١ - وافق جمهور الأشاعرة جمهور السلف في القول بالتوقف في أسماء الله

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) انظر فى ذلك : شأن الدعاء للخطابي ص ٦٦ ، وشرح أسماء الله للقشيري ص ١٥٠، والمقصد الأسنى للغزالي ص ١٠٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى، أي أن طريق إثباتها هو السمع – الشرع - ، لا يسمى إلا بما سمى به نفسه وجاء به الشرع ، وهذا الأصل كان يجب على الأشاعرة أن يعتمدوا عليه فى إثبات جميع العقائد لا أن يقتصروا عليه في بعضها دون بعض ، وهذا الفرق في التلقي هو الذي أوقعهم في الاضطراب والانحراف .

٢ - أن بعض الأشاعرة في إثباتهم للأسماء لم يفرقوا بين باب الإخبار عن الله وباب التسمية، فأدخلوا في أسمائه تعالى ما ليس من أسمائه كالصانع والقديم والذات والشيء ..... ونحو ذلك .

٣ – أن الأشاعرة في مدلولات الأسماء يجعلوا مدلول الاسم هو الذات، وهذا في اسم الله (الله) فقط ، وإما أن يكون المدلول مأخوذاً عندهم باعتبار ما أثبتوه من الصفات ، وإما أن يردوه إلى الصفات السلبية ، فإن دل على ما أثبتوه من الصفات أثبتوه على حقيقته، وإن خالف صرفوه عن حقيقته بالتأويل، وذلك لاعتقادهم أن ما دل عليه الاسم من المعاني والحقائق يعارض الدليل العقلي .

٤ - أن الأشاعرة مضطربون في مسألة الاسم والمسمى ، والصحيح قول السلف بأن الاسم للمسمى.

هذا ما كان من مسائل الأسماء بين السلف والأشاعرة باختصار وما توافقوا عليه وما اختلفوا فيه، والله تعالى أعلم ...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

الصفات الإلهية بين السلف والأشاعرة

إن باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك: لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق بيانه، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (١).

أن أسماء الله عَزَّ وجَلَّ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، لكن تختلف في التعبد والدعاء، فيتعبد الله بأسمائه، فنقول: عبد الرحمن، وعبد العزيز، لكن لا يُتعبد بصفاته؛ فلا نقول: وعبد الرحمة، وعبد العزة؛ كما أنه يُدعى اللهُ بأسمائه، فنقول: يا رحيم! ارحمنا، لكن لا ندعو صفاته فنقول: يا رحمة الله! ارحمينا، ذلك أن الصفة ليست هي الموصوف؛ فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفةٌ لله، وكذلك العزة، وغيرها؛ فهذه صفات لله، وليست هي الله، ولا يجوز التعبد إلا لله، ولا يجوز دعاء إلا الله . (٢)

إن موضوع الصفات من أهم مواضيع العقيدة ومن أشهرها وأكثرها مجالاً لخلافات الناس ولقد كانت من أسهل المواضيع ومن أقلها إشكالاً في زمن النبي ﷺ وزمن خلفائه الكرام ولهذا لم يبحثوها ولم يسألوا رسول الله ﷺ عنها

(١) سورة لقمان : الآية (٢٧) .

(٢) صفات الله تعالى - للسقاف ص ٢٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعلمهم التام وعقولهم الراجحة ومعرفتهم أن الكلام في الصفات فرع عن معرفة الذات حتى إذا ما ظهر قرن الشيطان من وراء علوم اليونان وفلسفاتهم وعلوم الكلام ومتاهاته .

وأخذ الخلاف فيها أشكالاً عديدة ووقعت الفتن التي لا يعلم مداها إلا الله وحده ولا يزال المسلمون يجترون آثارها إلى اليوم في مناقشات ومجادلات عقيمة سخيفة لا تسمن ولا تغني من جوع ولا يزداد بها الشخص إلا جهلاً وضلالاً وبعداً عن الفهم الصحيح لحقيقة الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته .

والأشاعرة أرادوا تنزيه الله تعالى بالطريقة الكلامية هرباً من اعتقاد الجهمية والمعتزلة ، فوقعوا في شر مما فروا منه، وخالفوا مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وإليك منهج كلا المذهبين في الصفات .

أولاً : منهج السلف في الصفات :

إن منهج السلف وطريقتهم في باب الصفات منهج سليم مبنيٌّ على العلم والحكمة والسداد في القول والاعتقاد؛ لأنه مأخوذ من أدلة الشرع المؤيد بالعقل السليم الخالي من الشبهات، وسأذكر دليلين، أحدهما أثري سمعي والآخر عقلي على صحة طريقة السلف .

• أما الدليل السمعي فمنه قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ**

(١) سورة : الأعراف : الآية (١٨٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (١).

• أما النظري العقلي : فلأن القول في أسماء الله وصفاته من باب الخبر المحض الذي لا يمكن للعقل إدراك تفاصيله ، فوجب الوقوف فيه على ما جاء به السمع.

ولهذا قد وضع السلف رحمهم الله قواعد وأصولاً يقوم عليها العلم بصفات الله تعالى، وقد حرص العلماء على استنباطها ووضعها بغية تسهيل فهم هذا العلم ومعرفته وحفظه .

وحرصوا أن يكون الكلام في الصفات كالكلام في الذات ، وجعلوا هذه القواعد ملزمة لإثبات الصفات والردّ على المخالف وفيها تقرير للمعتقد الصحيح .

*** قواعد صفات الله بأدلتها :**

القاعدة الأولى : صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك. وقد دل على هذا السمع والعقل والفطرة .

أما السمع: فمنه قوله تعالى ﴿ **لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (٢) والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى .

---

(١) سورة الإسراء : الآية (٣٦) .

(٢) سورة النحل : الآية (٦٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** ﴾ (١) وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه ﴿ **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً** (٢)﴾ وغيرها من الآيات .

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهى من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به .

وأما الفطرة : فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته ؟

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى ، كالموت ، والجهل ، والنسيان ، والعجز ، والعمى ، والصمم، ونحوها ، لقوله تعالى ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** ﴾ (٣)، وقوله عن موسى ﴿ **فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى** (٤)﴾ ، وقوله ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي**

(١) سورة الأحقاف : الآية (٥) .

(٢) سورة مريم : الآية (٤٢) .

(٣)سورة الفرقان : الآية (٥٨) .

(٤) سورة طه : الآية (٥٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأَرْض[1]﴾ وغيرهما من الآيات .[2]

القاعدة الثانية : باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك ، لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق .

ومن أمثلة ذلك : أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى .

فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ، ولا نسميه بها ، فلا نقول : إن من أسمائه الجائي ، والآتي ، والآخذ ، والممسك ، والباطش ، والمريد ، والنازل ، ونحو ذلك ، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به .

القاعدة الثالثة : صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين : ثبوتية.، وسلبية .

* **فالثبوتية** : ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله وكلها صفات كمال لا نقص فيها، فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به .

تنقسم إلى قسمين : ذاتية.، وفعلية .

فالذاتية : هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة. ومنها الصفات الخبرية : كالوجه واليدين والعينين .

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا .

---

(١) سورة فاطر : الآية (٤٤) .

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – للشيخ / محمد العثيمين ص ١٨ وما بعدها بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين : كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية ، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[1]..، وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته .

* **والسلبية**: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه .

فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه .

القاعدة الرابعة : يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين :

-**أحدهما** : **التمثيل** : وهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل .

أما السمع: فمنه قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ، وقوله ﴿ **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ** ﴾ ، وقوله ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ .

وأما العقل فمن وجوه :

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات ، لأن صفة كل موصوف تليق به ، كما

(١) سورة يس : الآية (٨٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو ظاهر في صفات المخلوقات، فليست صفات واحد ، فصفة الإنسان غير الحيوان مثلاً .

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله .

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف .

-**الثاني: التكييف**: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل .

أما السمع: فمنه قوله تعالى ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ ، وقوله ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ ، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا سبحانه وتعالى .

وأما العقل : فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته ، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه .، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل ، فوجب بطلان تكييفها .[1]

القاعدة الخامسة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته .

(١) المرجع السابق ص ٢٥ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه :

الأول : التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها .

الثاني : تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك كما تقدم في مطلب الأسماء .

الثالث : التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة .

القاعدة السادسة : ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة .، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.[1]

*** أقوال أئمة السلف في الصفات :**

قال الإمام أبو حنيفة المتوفى ١٥٠ هـ : « والله تعالى واحد .... لا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولا يزال بصفاته وأسمائه ... وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا ويسمع لا كسمعنا ... وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن

(١) المرجع السابق ص ٣٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف .(١)

عن عبد الله بن أبي حنيفة الدوسي يقول سمعت **محمد بن الحسن يقول** اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا.(٢)

عن الوليد بن مسلم، قال: سألت **الأوزاعي، والثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد** عن الأحاديث التي، في الصفات وكلهم قال: «أمروها كما جاءت بلا تفسير»(٣)

سئل الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه فقيل له يا أبا عبد الله {**الرحمن على العرش استوى**} كيف استوى فأطرق مالك وعلاه الرحضاء يعني العرق وانتظر القوم ما يجئ منه فيه فرفع رأسه إليه وقال الاستواء غير مجهول والكيف

(١) الفقه الأكبر ص ١٤ وما بعدها .

(٢) ذم التأويل لابن قدامة المقدسى برقم ١٣ .

(٣) الإبانة لابن بطة برقم ١٨٣ ، وشرح السنة للبغوى ١/ ١٧١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأحسبك رجل سوء وأمر به فأخرج .(١)

قال الإمام الشافعي في الرسالة : الحمد لله ... الذي هو كما وصف نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه .(٢)

وقال : آمنت بما جاء عن الله على مراد الله وآمنت بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ .(٣)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : «صفوا الله بما وصف به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه ... » .(٤)

قال: «لم يزل الله عزّ وجل متكلمًا والقرآن كلام الله عزّ وجل غير مخلوق وعلى كل جهة، ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل».(٥)

عن أبي بكر المروزي قال: «سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش فصححها وقال: تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت » .(٦)

---

(١) شرح أصول أهل السنة للالكائى برقم ٦٦٤، وأبو نعيم فى الحلية ٦/٣٢٥ ، واثبات صفة العلو لابن قدامة ١/١٧٣.

(٢) الرسالة للإمام الشافعي ص ٨ .

(٣) ذم التأويل لابن قدامة المقدسى برقم ٦ ، وشرح السنة للبغوى ١/١٧١ .

(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص٢٢١.

(٥) كتاب المحنة ص ٦٨ ، نقلاً عن اعتقاد الأئمة الأربعة ص ٦٣ .

(٦) السنة لابن الخلال برقم ٢٨٣ ، الشريعة للآجرى برقم ٧٢٦ ، وأبى يعلى في إبطال التأويل برقم ٤٤٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين رحمهما الله[1] عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازاً، وعراقاً، ومصراً، وشاماً، ويمناً، وكان من مذهبهم أن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً .[2]

قال الإمام البخاري في صحيحه كتاب التوحيد : باب قوله تعالى: **{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}**: قال أبو العالية : استوى إلى السماء: ارتفع، وقال مجاهد: علا على العرش، وقالت زينب زوج النبي ﷺ : زوجني الله من فوق سبع سموات .

وَبَوَّبَ على أكثر ما ينكر الجهمية وتناوله، من العلو، والكلام، واليدين، والعين، ونحو ذلك محتجاً بآيات الصفات وأحاديثها، فمن تبويبه : باب قوله **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّب}**.، وباب قوله **{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}**.، وباب قوله **{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}**.

وباب كلام الرب مع الأنبياء وغيرهم .، ونحو ذلك مما إذا تدبره اللبيب، علم بتبويبه رحمه الله وذكره لمثل تلك الآيات .

---

(١) **أبو حاتم الرازى هو** : محمد بن إدريس بن المنذر بن داود، بن مهران الحنظلي، أبو حاتم: حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم .، توفى سنة ٢٧٧ هـ ، **أبو زرعة الرازى هو** : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زرعة
الرازي: من حفاظ الحديث، الأئمة .، توفى سنة ٢٦٤ هـ .

(٢) تقدم تخريجه فى مطلب الإيمان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الإمام ابن جرير الطبري : القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله -عز وجل- ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ .

قيل: الصواب من هذا القول عندنا، أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي

التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه -جل ثناؤه- فقال: {**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**}.(١)

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الطيب : أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رضي الله عنهم إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف فإذا قلنا لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول إن معنى اليد القدرة ولا أن معنى السمع والبصر العلم ولا نقول إنها الجوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات الفعل ونقول إنما ورد إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى {**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**} وقوله عز وجل

(١) التبصير فى معالم الدين للطبري ص ١٤٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

{ولم يكن له كفوا أحد} .[1]

قال أبو عمر بن عبد البر : قد روينا عن مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت. قال أبو عمر نحو حديث التنزل وحديث، «إن الله عز وجل خلق آدم على صورته» ، «وأنه يدخل قدمه في جهنم» ، وأنه يضع السموات على أصبع، وأن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وإن ربكم ليس بأعور، وما كان مثل هذه الأحاديث ...[2]

قال الإمام البغوى بعد أن ساق أحاديث الصفات : فهذه ونظائرها صفات لله عز وجل، ورد بها السمع، يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل، مجتنبا عن التشبيه، معتقدا أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى : {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة ، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول ، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل ، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل .[3]

قال الإمام ابن قدامة المقدسي : ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان

---

(١) ذم التأويل لابن قدامة المقدسي برقم ١٦ وسنده صحيح .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٤٣ برقم ١٨٠٢ .

(٣) شرح السنة ١/١٧٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها . (١)

وأقوال السلف فى مسائل الصفات كثيرة لا يتسع المقام لإحصائها ونكتفي بالذي ذكر ، وسيأتي كلامهم في إثبات كل صفة على حده إن شاء الله تعالى .

ثانياً : منهج الأشاعرة فى الصفات :

إن قدماء الأشاعرة كانوا على طريقة السلف في إثبات صفات الله تعالي وهؤلاء هم : إمامهم أبى الحسن الأشعرى ، والباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، أبو الحسن الطبري ، والباهلي أبو عبد الله بن مجاهد .

ولكن من جاء بعدهم ممن ينتسب إلى الأشعري تركوا طريقتهم وأولوا الصفات تأويلات باطلة، ومنهم من رجع أخيراً إلى مذهب السلف وذموا ما كانوا عليه من الانحراف وهم بعض من قدمنا أسماءهم فيما يذكر عنهم عند وفاتهم .، ومن هؤلاء الجوينى إمام الحرمين ، والغزالي أبو حامد ، وفخر الدين الرازي ، وأبو الفتوح الشهرستانى، والقاضي البيضاوى، وأبى الحسن الآمدى ، والشريف الجرجانى ، وغيرهم .

ولقد وقف هؤلاء الأشاعرة بالنسبة للإيمان بصفات الله تعالى موقفاً مضطرباً مملوءاً بالتناقض ، ولم يتمكنوا من الدخول في المذهب السلفي كاملاً ،

(١) ذم التأويل ص ١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذ وافقوا السلف في جانب وخالفوهم في جانب آخر ، ونفس المسلك هذا أيضاً تم مع مذهب المعتزلة ، فقد وافقوهم في جانب وخالفوهم في آخر .

ومن هنا وقفوا بين خصمين، فألزمهم السلف بإلزامات كثيرة تنقض ما ذهبوا إليه بالنسبة للإيمان بصفات الله تعالى، كما ألزمهم المعتزلة أيضاً وشنعوا عليهم ، ولو رضوا بمذهب الأشعري وساروا في طريقة تماما لما وجد أحد طريقا إلى ذمهم في باب صفات الله تعالى كما هو حالهم اليوم.(١)

وحاصل موقفهم من الصفات ما يلي :

ذهب الأشاعرة إلى تقسيم الصفات الإلهية إلى : صفات نفسية راجعة إلى الذات أي إلى وجود الله تعالى ذاته، وإلى صفات سلبية، واختاروا لها خمسة أقسام : وحدانية الله تعالى، والبقاء، والقدم ، ومخالفته عز وجل للحوادث ، وقيامه عز وجل بنفسه . وسموها سلبية ، لأن كل صفة منها تسلب في إثباتها كل ما يضادها أو كل ما لا يليق بالله تعالى .

كما يقسمون الصفات كذلك إلى سبعة أقسام يسمونها « **صفات المعاني** » وهى : الحياة، والعلم، والقدرة ، والإرادة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، وهذه الصفات يثبتونها لله تعالى صفات ذاتية لا تنفك عن الذات يؤمنون بها كما يليق بالله تعالى.، ويسمونها أحياناً الصفات الذاتية والوجودية .

وحاصل أقسام الصفات عندهم على النحو التالي :

١ - قدماء الأشاعرة : وهؤلاء يتفقون مع السلف في تقسيم الصفات عموماً

(١) انظر : فرق معاصرة - د/ غالب بن علي عواجي ١٢١٨/٣ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى قسمين :

القسم الأول: الصفات الذاتية . القسم الثاني: الصفات الفعلية .

وكذا في تقسيمها من حيث أدلة إثباتها حيث يقسمونها إلى قسمين :

القسم الأول: الصفات العقلية . القسم الثاني: الصفات السمعية .

لكنهم يختلفون مع أهل السنة فيما يثبتونه وطريقة إثباتهم .

٢ ـ الأشاعرة المتأخرون .

المعروف عن متأخري الأشاعرة تقسيمهم الصفات إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : صفات المعاني : وهى ما دل على معنى وجودي قائم بالذات ولم يقر هؤلاء إلا بسبع منها هي، الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. ونفوا ما عداها من صفات المعاني كالرأفة والرحمة والحلم.(١)

وهي القدر الذي عند هؤلاء من الإثبات، أما الأقسام الثلاثة الباقية ليس فيها إثبات على الحقيقة .

القسم الثاني : الصفات المعنوية : وهي الأحكام الثابتة للموصوف بها معللة بعلل قائمة بالموصوف وهي كونه (حياً، عليماً، قديراً، مريداً، سميعاً، بصيراً، متكلماً) وهذا العد لا وجه له لأنه في الحقيقة تكرار لصفات المعاني المتقدم ذكرها.

القسم الثالث : الصفات السلبية :وهى ما دل على سلب ما لا يليق بالله عن الله من غير أن يدل على معنى وجودي قائم بالذات .

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والذين قالوا هذا جعلوا الصفات السلبية خمساً لا سادس له وهي عندهم: القِدَمُ، البقاء، والمخالفة للحوادث، والوحدانية، والغنى المطلق الذي يسمونه القيام بالنفس الذي يعنون به الاستغناء عن المخصص والمحل .(١)

القسم الرابع : الصفة النفسية : وهى كل صفة إثبات لنفس لازمة ما بقيت النفس غير معللة بعلل قائمة بالموصوف .

وهي عندهم صفة واحدة هي: الوجود. وهي عندهم لا تدل على شيء زائد على الذات .(٢)

ومما سبق يتضح لك أن الأشاعرة ذهبوا إلى نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى ويؤولون ما ورد منها بزعم أنها لا تليق بالله تعالى، لإشعارها بالأعراض التي لا تقوم إلا بالجسم، ومع هذا فهم يثبتون له تعالى الصفات الذاتية اللازمة له.، وأنكروا قيام الصفات الفعلية الاختيارية به، وأوهموا الناس أن الحامل لهم على هذا هو تنزيه الله تعالى عن قيام الحوادث به .

بخلاف قدماء الأشاعرة الذين مر ذكرهم، فإنهم كانوا يثبتون الصفات الخبرية على ظاهرها ويؤولونها، تبعاً لأبي الحسن الأشعري وعلى طريقة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث .، وفى ترجمة العلماء لأبي الحسن الأشعري وبيان رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة من النصوص التي تثبت ذلك ما لا يخفي على طلاب العلم .

---

(١) المرجع السابق ص ٨ .

(٢) انظر : الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها – للشيخ / محمد خليفة التميمى ص ٨١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأن المتأخرين من الأشاعرة الذين مر ذكرهم، كانوا يذهبون إلى تأويل الصفات الخبرية ونفي معانيها الحقيقية وأنها مجازات، فالاستواء بمعنى الاستيلاء، واليد: القدرة أو النعمة، والنزول: نزول الملائكة، والوجه: الذات والعين :الحفظ، وزعموا أن إثبات هذه الصفات على ظاهرها يؤدي إلى التشبيه والتجسيم، وتركوا ما قرره الأشعري في وجوب إثبات هذه الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته .(١)

ويمكن أن نرجع مذهب الأشاعرة فى الصفات إلى أصلين كبيرين عندهم ، وهم وجوب التنزيه ، والمبالغة فى نفى التشبيه .، وقد غلب على كلامهم النفى والسلب أكثر من الإثبات مع أن الإثبات أدل على كمال الموصوف ، بخلاف النفى والسلب فهو عدم محض لا كمال فيه لذاته .

وإنما كانت صفات الإثبات فى القرآن والسنة أكثر من صفات النفى ، لأنها صفات كمال، فكلما كثرت ظهر كمال الموصوف .

وأما صفات النفى قليلة في القرآن ، ولا تأتى إلا عامة ، وأما النفي المحض فعدم محض ، والعدم المحض ليس بشيء ، فكيف يكون كمالاً .

والحاصل أن طريقة القرآن والسنة هي الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات، وأما الأشاعرة والمتكلمين فطريقتهم عكس ذلك تماماً ، وهى الإجمال في الإثبات والتفصيل في النفي .(٢)

(١) فرق معاصرة - د/ غالب بن علي عواجي ٣/١٢٢٠.

(٢) عقائد الأشاعرة لمصطفى باحو ص ٩٧ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

*** أقوال الأشاعرة في الصفات :**

١ - أقوال المتقدمين منهم : -

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله : قال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش كما قال عز وجل ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ ولا نقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وأنه نور كما قال تعالى ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ وأن له وجهاً كما قال الله ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾ وأن له يدين كما قال ﴿ **خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وأن له عينين كما قال ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً** ﴾ وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ.(١)

وقال أبو الحسن الطبري تلميذ الأشعري : اعلم أن الله في السماء فوق كل شيء مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه ومعنى الاستواء الاعتلاء كما تقول العرب استويت على ظهر الدابة واستويت على السطح بمعنى علوته واستوت الشمس على رأسي واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي ، فالقديم جل جلاله عال على عرشه يدلك على أنه في السماء عال على عرشه قوله {**أأمنتم من في السماء**} وقوله {**يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي**}

(١) مقالات الإسلاميين ١ /١٦٨ ت/ نعيم زرزور .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله {**إليه يصعد الكلم الطيب**} وقوله {**ثم يعرج إليه**} ... [1]

القاضي أبو بكر الباقلانى : فنص تعالى على إثبات أسمائه وصفات ذاته، وأخبر أنه ذو الوجه الباقي بعد أن تقضي الماضيات، كما قال عز وجل ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ وقال: ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ واليدين اللتين نطق بإثباتهما له القرآن، في قوله عز وجل: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ وقوله. ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ وأنهما ليستا بجارحتين، ولا ذوي صورة وهيئة، والعينين اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول ﷺ، فقال عز وجل: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ و ﴿**تجري بأعيننا**﴾ وأن عينه ليست بحاسة من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس، وأنه سبحانه لم يزل مريداً وشائياً، ومحباً، ومبغضاً، وراضياً، وساخطاً، وموالياً، ومعادياً، ورحيماً، ورحماناً. ولأن جميع هذه الصفات راجعة إلى إرادته في عباده ومشيئته، لا إلى غضب يغيره. ورضى يسكنه طبعاً له، وحنق وغيظ يلحقه، وحقد يجده، إذ كان سبحانه متعالياً عن الميل والنفور . [2]

٢ - أقوال المتأخرين منهم : -

وهؤلاء على عدم إثبات ما عدا الصفات السبع لله تعالى ، واعتبروا أن هذه الصفات أعراض يستحيل قيامها بالذات .

---

(١) كتابه مشكل الآيات باب قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ، والذهبي فى العلو ١/٢٣١ برقم ٥٥٢ .

(٢) الإنصاف للباقلانى ص ٢٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال أبو حفص النسفى : والمحدث للعالم هو الله -تعالى-، .... ليس بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا متصور، ولا محدود،ولا يشبهه شيء، ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء .(١)

وقال الآمدى : النوع الرابع في إبطال التشبيه ، وما لا يجوز على الله تعالى ... وأنه ليس بجوهر ، ليس بجسم ، ليس بعرض ، امتناع حلول الحوادث بذاته ، أنه ليس في جهه ولا مكان ، ليس في زمان ، لا يحل فى محل .... (٢)

وبناءً على هذه القواعد ذهبوا إلى تأويل الصفات الخبرية .، وقالوا بالمجاز في نصوص الوحي .

قال الإمام الجوينى رحمه الله : ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود .(٣)

ثم يسوق كلاماً في الرد على شيوخه الأشاعرة المثبتين لهذه الصفات نهج فيه منهج المعتزلة الذين يصفون الأشاعرة حين يثبتون بعض الصفات دون بعض بأنهم متناقضون لأن مساق الصفات واحد فإما أن تثبت جميعاً أو تؤول جميعاً .

يقول رحمه الله : ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات - أي

---

(١) شرح العقائد النسفية ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) أبكار الأفكار ٢/ ٥ .

(٣) الإرشاد للجوينى ص ١٥٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفات اليدين والعين والوجه- بظواهر هذه الآيات ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات، تمسكاً بالظاهر، فإن ساق تأويلها فيما يتفق عليه، لم يبعد أيضاً طريق التأويل فيما ذكرناه .[1]

ولاشك أن الجويني معه الحق فيما يقول، لأن تأويل شيوخه لصفات الاستواء والنزول والمجيء ليس بأولى من تأويل الصفات الخبرية، ودلالات النصوص واحدة .

قال الآمدى رحمه الله : ومن أئمتنا من زاد على هذا – أي الصفات السبع -، وأثبت له صفات زائدة على ذلك وجزم بها كالبقاء، والقدم، والوجه، والعينين، واليدين .

ومن الحشوية[2]من زاد على ذلك، وأثبت له نوراً، وجنباً، وساقاً، وقدماً، واستواء علي العرش، ونزولا إلى سماء الدنيا، وصورة علي صورة آدم، وكفاً، وإصبعين، وضحكاً، وكرماً، إلى غير ذلك .

وتمسكوا في ذلك بظواهر من الكتاب، والسنة. وأدلة لا يتمسك بها في هذا الباب .[3]

ثم تكلم في هذه الصفات وبيان أقوال أصحابه فيها سلفاً وخلفاً ، ثم رجح الآتي : أن الوجه هو : الذات، ومجموع الصفات .

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٢) يقصد بالحشوية – السلف الصالح ومن اتبع مذهبهم – وهكذا تجد الأشاعرة يتهمون السلف بالحشو والتشبيه والتجسيم ، فتارة يقولون الحشوية وتارة المشبهة وتارة المجسمة ، وهذا كثير في كتبهم .

(٣) أبكار الأفكار ١ / ٤٤٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأن اليدين : بمعنى القدرة؛ قال : فإن إطلاق اليدين بمعنى القدرة، سائغ عرفاً ولغة .

وأن العينين : إنهما بمعنى البصر.

ثم ذهب في تأويل باقية الصفات فقال في قول الله - تعالى - ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ** ﴾ [1]: بأنه الكشف عما في يوم القيامة من الأهوال ، وقول الله - تعالى ﴿ **الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى** ﴾[2] بأنه استوى ... ثم قال : وإن جاز أن يكون الاستيلاء مسبوقاً بالمقاومة، ولكن لا يلزم أن يكون مسبوقا بها، ولا لفظ الاستيلاء مشعر به، وإلا لكان لفظ الغالب مشعر به؛ وليس كذلك .

وقال في صفة النزول : تعين التأويل بما يحتمله لفظ النزول؛ وهو حمل النزول على معنى اللطف والرحمة، وترك ما يليق بعلو الرتبة وعظم الشأن، والاستغناء الكامل المطلق . [3]

ثم درج في التأويل إلى غيرها من الصفات وسيأتي كلامه على كل صفة إن شاء الله تعالى والرد على ذلك ، وإثباتها بالأدلة .

وقال اللقاني في الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

قال البيجوري في شرحه : هو الدليل من الكتاب والسنة سواء كان ظاهراً أو

---

(١) سورة : القلم : الآية (٤٢) .

(٢) سورة : طه : الآية (٥) .

(٣) انظر : المصدر السابق /باب بان هل له صفة زائدة على الصفات السبع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صريحاً .... إلى أن قال : والحاصل أنه إذا ورد في الكتاب والسنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح ، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك ....

ويقول شارحاً ذلك بالأمثلة :

قوله تعالى: {**يخافون ربهم من فوقهم**} فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد بالفوقية التعالي في العظمة أي ارتفاعه فيها .

قوله تعالى: {**الرحمن على العرش استوى**} فالسلف يقولون: استواء لا نعلمه، والخلف يقولون: المراد به الاستيلاء والملك .

قال: ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: {**وجاء ربك**} وحديث الصحيحين: (**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ...)**، فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد: وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله ....

قال : ومما يوهم الجوارح قوله تعالى : {**ويبقى وجه ربك**} و{**يد الله فوق أيديهم**} وحديث: (**إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من أصابع من الرحمن**) فالسلف يقولون: لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها ، ويقول الخلف المراد من الوجه : الذات ، وباليد : القدرة ؛ والمراد من قوله : (**بين أصبعين من أصابع الرحمن**) بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان : القدرة والإرادة .[1]

(١) انظر : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٠٤ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الدردير : اشتبه الأمر على أقوام وتمسكوا بظواهر نصوص شرعية ، فقالوا بالجهة والجسمية ... وأجاب أئمتنا سلفهم بأن الله منزه عن صفات الحوادث ، مع تفويض معاني هذه النصوص ، إثاراً للطريق الأسلم وما يعلم تأويله إلا الله .

وخلفهم : بتعيين محامل صحيحة فحملوا اليد على القدرة ، والوجه على الذات ، والاستواء على الاستيلاء ، وهكذا نظراً إلى الطريق الأحكم وذهاباً إلى الوقف في الآية على ﴿ **والراسخون في العلم** ﴾[1]...

فانظر كيف جعل التأويل وطريقة الخلف هي الرسوخ في العلم ونفاه عن السلف رحمهم الله .

وقال بعد أن ساق الصفات السبع : واعلم أن هذه الصفات السبع هى المتفق عليها بين القوم – يقصد الأشاعرة – فلذا اقتصرت عليها ولم أزد ما زاده بعضهم .[2]

وبعد هذا العرض يتضح لك الآتي : -

- أن الأصل الذي بني عليه التنزيه عندهم هو: مخالفة الحوادث ، ولما أرادوا بيان المستحيل في حق الله تعالى، ذكروا أن ضد المخالفة للحوادث المماثلة للحوادث، وحصروا المماثلة في عشر صور وهي: الجسم، والجوهر، والعرض،

(١) شرح الخريدة البهية ص ١٧١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمكان، والجهة والتحيز، والتقيد بالزمان، وحلول الحوادث به، والصغر والكبر، والأغراض .

مما دفعهم للقول بوجوب نفي هذه الصفات عن الله تعالى .

وكل ما ذكروه من صور المماثلة ألفاظ لم يرد ذكرها في الكتاب، وفي بعضها إجمال يشتبه من الكلام ويدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين .(١)

- أن الصفات الثبوتية الوجودية سبع صفات وهي: المعاني، وأما بقية الصفات الثبوتية الأخرى فهي إما صفات اعتبارية أو سلبية أو لا توصف بالوجود ولا بالسلب - على حد اصطلاحهم - .

وهذه الطريقة فى التنزيه قد انتقدت من وجوه :

١ - التفصيل في النفي عليه ملاحظة من جهتين :

الأولى : هذه الطريقة غير الطريقة المذكورة في القرآن والسنة .

الثانية: إن مطلق النفي قد لا يتضمن مدحاً. وقد تقدم الكلام على هذه والتي قبلها .

٢ - في طريقتهم للتنزيه أتوا بعبارات موهمة مجملة يلزم من نفيها نفي الباطل والحق معاً .

٣ - إن طريقة التنزيه عند الأشاعرة مأخوذة من مسألة مخالفة الحوادث، بل عدوا في الصفات السلبية صفة المخالفة للحوادث، وهي مبنية على أن إثبات

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص ٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض الصفات يستلزم الجسمية، وهذه الطريقة غير مستقيمة لوجوه :-

الوجه الأول : أن كل خير في أتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف .

الوجه الثاني: إن هذه الطريقة تحكم على صاحبها بالتناقض، فهو يثبت سبع صفات ويدعي أنها لا تماثل صفات الخلق، وينفي ما عداها بدعوى مماثلة الخلق، مع أنه يلزمه أن يسلك هذه الطريقة في جميع الصفات التي أثبتها والتي نفاها .

الوجه الثالث: إن هذه الطريقة التي سلكها الأشاعرة في التنزيه - وقد كانوا أخذوها عن المعتزلة الذين ينفون بها الأسماء والصفات كلها - سلكوها كذلك في رد النقائص كالحزن والبكاء في ردهم على اليهود، فصاروا على هذا الأصل هم ومثبتة النقائص خصماء للمعتزلة فيرد المعتزلة على الطائفتين بهذه الطريقة نفسها .

الوجه الرابع : إن هذه الطريقة قد تستخدم في نفي ما علم فساده بالضرورة من دين الإسلام وبصريح العقل كالبكاء والحزن، فاستخدام هذه الطريقة - طريقة التجسيم والتحيز - استخدام لا يخلو من اعتراض واشتباه وخفاء، فكيف يستخدم دليل خفي على ما هو جلي واضح .[1]

(١) انظر : التدمرية لا بن تيمية ص ١٣٢ وما بعدها ، منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة فى التوحيد لخالد عبد اللطيف ٢/٥٥٥ ، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام – مجموعة باحثين ١/٣٦٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

الصفات بين إثبات السلف ونفى الخلف

تقدم في المطلب السابق بيان منهج السلف في إثبات الصفات ، وكذا منهج الأشاعرة وبيان أنهم ذهبوا إلى تأويل الصفات الخبرية، علماً بأنهم قد أثبتوا لله الصفات السبع الذاتية وهى : العلم والحياة والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، معتمدين في ذلك على الأدلة العقلية ، وهى ولا ريب صحيحة مستقيمة ولا يختلف معهم السلف في ذلك، لذا فإننى لن أتعرض للحديث عنها ولكنى وفى هذا المطلب سأبين إن شاء الله تعالى أقوال كلا المذهبين فى الصفات الخبرية من حيث النفي والإثبات ، وسأذكر قول الأشاعرة أولاً على الصفة ثم أثبتها بالأدلة من الكتاب أو السنة، وأقوال السلف في ذلك ، حتى تنجلي الصورة وتتضح .

والصفات الخبرية هي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، والخبر عن الله، أو عن رسوله الأمين ﷺ ، أي لا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباتها، لولا الأخبار المنقولة عن الله، وعن رسوله ﷺ، وهي خبرية محضة بيد أن العقل السليم لا يعارض فيها الخبر الصحيح كما هو معروف .

وهى تنقسم إلى قسمين : ذاتية ، وفعلية .

أولاً : الصفات الذاتية بين التأويل والإثبات

كصفة الوجه ، والعينين ، واليدين ، واليمين، والأصابع ، والساق ، والقدم ، والنفس ، ونحو ذلك من الصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى، وهي من صفات الكمال والجلال والجمال، لا يشبهها مخلوق من المخلوقات أبداً .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه الصفات وإن كانت تعد في حق المخلوق جوارح وأعضاء وأبعاضاً وأجزاء ولكنها في حق الله تعالى صفات أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ، لا نخوض فيها بأهوائنا وآرائنا، بل نفوض كنهها وحقيقتها إلى الله تعالى لعدم معرفتنا لحقيقة الذات، لأن معرفة حقيقة الصفة متوقفة على معرفة حقيقة الذات كما لا يخفى، بل نثبتها ونؤمن بها دون تحريف أو تعطيل، ودون تكييف وتجسيم وتشبيه .

١- صفة الوجه

أقوال الأشاعرة فيها :

قال الآمدى رحمه الله : ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري في أحد قوليه، والأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني، والسلف إلى أن الرب تعالى- متصف بالوجه، وأن الوجه صفة ثبوتية زائدة على ما له من الصفات. متمسكين في ذلك بقوله تعالى ﴿ **ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرامِ** ﴾ (١). لا أنه بمعنى الجارحة.

ومذهب القاضي والأشعري- في قول آخر- وباقي الأئمة : أن وجه الله- تعالى- وجوده .

ثم قال : ومذهب السلف؛ وإن كان ممكناً إلا أن الجزم بذلك يستدعى دليلاً قاطعاً؛ ضرورة كونه صفة للرب- تعالى- ولا وجود للقاطع هاهنا .

يقصد بالدليل القطعي هو العقلي وذلك على ما وضعوه من القواعد التي

(١) سورة : الرحمن : الآية (٢٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقدم بيانها .، ولم يكتفي بالأخبار الواردة في ذلك ، وقد بين أن إثبات الصفة على الوجه الذي أثبته السلف ممكناً ، لكنه تناقض فذهب إلى نفى مذهب السلف ثم قال : فلم يبق إلا جهة التجوز.، وهو التعبرة بالوجه عن الذات، ومجموع الصفات .

ثم وإن صح التجوز به عن صفة أخرى على ما قيل، غير أن التجوز به عن الذات، ومجموع الصفات أولى، وذلك من جهة أنه خصصه بالبقاء.، والبقاء لا يتخصص بصفة دون صفة؛ بل الباري تعالى باق بذاته، ومجموع صفاته .(١)

وكذا ذهب الرازي في أساس التقديس ص ٩٤ – ٩٥، والباجورى في تحفة المريد ص ١٠٦، والبغدادى في أصول الدين ص ١١٠، والدردير في شرح الخريدة ص ١٧١ إلى أنه كناية عن الذات .، وهو المعتمد عندهم .

إثبات صفة الوجه :

وهذا الصفة ثابتة لله بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة .

فمن كتاب الله : قوله تعالى ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ** ﴾(٢) وقال عز وجل ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ وقال عز وجل ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ** ﴾ (٣).

ومن السنة : عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) انظر : أبكار الأفكار للآمدى ١ /٤٥١ – ٤٥٢ .

(٢) سورة : القصص : الآية (٨٨) .

(٣) سورة : الإنسان : الآية (٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ، عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»(١)

وعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ وَلَكِنَّهُ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ.، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ. حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٢)

كَانَ النبي ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ»(٣)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ، فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ، فَأَعْطُوهُ»(٤)

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٤٨٧٨ ، ومسلم برقم ١٨٠ وغيرهما .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ١٧٩ ، وابن ماجه برقم ١٩٥ ، وأحمد في مسنده برقم ١٩٥٨٧ ، وغيرهم .

(٣) **حسن** : أخرجه النسائي برقم ١٣٠٥ ، وابن خزيمة فى التوحيد ١/ ٢٩ ، وابن حبان برقم ١٩٧١ ، والسنة لابن أبى عاصم برقم ٤٢٥ ، والدارمى فى الرد على الجهمية برقم ١٩٧ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ١٢٠١ .

(٤) **حسن** : أخرجه أبو داود برقم ٥١٠٨ ، وأحمد برقم ٢٢٤٨ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ١/ ٣١ ، والبيهقى في الأسماء والصفات برقم ٦٥٩ ، وغيرهم . ، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم ٢٥٣ ، وقال الأرنؤوط في تحقيق المسند إسناده حسن، أبو نهيك -واسمه عثمان بن نهيك- روى عنه جمع وذكره ابن حبان في «الثقات» وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. علي بن عبد الله: هو ابن المديني الحافظ الإمام، وسعيد: هو ابن أبي عروبة، وخالد بن الحارث -وهو ابن عبيد الله بن سليم الهجيمي- روى عن سعيد قبل الاختلاط .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقوال السلف والأئمة :

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: جاءنا سائل فسأل **بوجه الله** قال: فقام الزبير فعلاه بالدرة فقال: **أبوجه الله تسأل**؟ ألا سألت بوجه الخلق .(١)

عن أشعث، قال: دخلت على القاسم بن محمد في حائط له وكان يبغضني في الله وأحبه فيه ، فقال: ما أدخلك علي؟ اخرج عني ، قلت: **أسألك بوجه الله** لما جذذت لي عذقاً ، قال: يا غلام خذ له عذقاً فإنه سأل بمسألة لا يفلح من رده.(٢)

عن عبد الكريم بن مالك قال: إن رجلا جاء إلى عمر بن عبد العزيز فرفع إليه حاجته ثم قال: أسألك **بوجه الله تعالى**، فقال عمر رضي الله عنه: قد سألت بوجهه فلم يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه، ثم قال عمر رضي الله عنه: ويحك ألا **سألت بوجهه** الجنة .(٣)

وقال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر: وله تعالى يد ووجه ونفس ... فما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف .

قال الإمام أبى بكر بن الخلال المتوفى ٣١١ هـ : ومذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن لله عز وجل وجهاً لا كالصور المصورة والأعيان المخططة بل وجهة وصفه بقوله ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ومن غير معناه فقد ألحد عنه وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز ووجه الله باق لا يبلى وصفة له لا

(١) أخرجه اللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٧٢٧ .

(٢) المرجع السابق برقم ٧٢٨ .

(٣) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات ٢/ ٩٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفنى ومن ادعى أن وجهه نفسه فقد ألحد .(١)

قال الإمام ابن خزيمة المتوفى ٣١١ هـ : بعد أن أورد جملة من الآيات تثبت صفة الوَجْه لله تعالى : فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين .(٢)

فهذه الصفة ثابتة بنص الكتاب وخبر الصادق الأمين، فيجب الإقرار بها، والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات .

وقد صرح أحد أئمة الأشاعرة وهو ابن فورك بأنه لا سبيل إلى تأويلها فقال فى كتابه مشكل الحديث الذي تصدى فيه لأحاديث الصفات بالتأويل على مقتضى العقل، يقول عن صفة الوجه : وذلك من الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا من جهة النقل ...(٣)

فإن قالوا: أنتم تقولون: لله وجه، فشبهتم الخالق بالمخلوق .

لأننا لو قلنا: لله وجه فهذا جزء وبعض، وإذا قلتم: جزء وبعض فقد جزأتم الله، والله لا يتجزأ.

قالوا: وأنتم شبهتم الخالق بالمخلوق؛ لأن المخلوق له وجه وله يد وله ساق،

(١) العقيدة للإمام أحمد براوية أبى بكر بن الخلال ص ١٠٣ .

(٢) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٦ .

(٣) انظر : مشكل الآثار لابن فورك ص ٣٥٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فشبهتم الخالق بالمخلوق، والخالق منزه عن ذلك .

فنقول : الجواب من وجوه : الوجه الأول: أننا نثبت لله وجهاً؛ لأن الله قد أثبته لنفسه، وقد أثبته له نبيه، ونحن لسنا بأعلم من الله جل وعلا، ولا أعلم بالله من رسول الله ﷺ، فإن الله الذي يعلم بنفسه قد أثبت لنفسه وجهاً، والرسول الذي هو أعلم بربه من وحيه قد أثبت له الوجه .

فآمنا بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله .

أما هذه المقدمة التي قدمتموها وأن فيه تشبيه الخالق بالمخلوق فهي مقدمة باطلة؛ لأننا نثبت لله هذه الصفة دون أن تشابه صفات المخلوقين؛ وذلك تحت قاعدة قعدها الله في كل صفاته، قال تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ ، والاشتراك في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى .

مثال ذلك : أن الإنسان له وجه ، والأسد له وجه ، والحمار له وجه ، الماعز له وجه ، ولا يلزم ذلك أن يكون وجه أحدهم كالآخر .

فهل يلزم عندما أقول أن للإنسان وجه وللحمار وجه ، أن يكون وجه الإنسان كالحمار .

الجواب : لا طبعاً .، لأن الإنسان له وجه يليق به والحمار أو الحيوان له وجه يليق به .

ووجه الله تعالى يليق بجلاله وكماله وجماله وعظمته وكبريائه ، ووجه الإنسان يليق بنقصه وضعفه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذاً : فنحن نثبت ما أثبته الله لنفسه دون أن يشابه المخلوقين .، ودون أن نحيط بذلك علماً ، فلا نكيف ولا نشبه ولا نمثل ولا نعطل .

وهذا الذي ذكرناه هو قولنا في جميع الصفات .

٢- صفة العين أو العينين

أقوال الأشاعرة فيها :

قال الجوينى رحمه الله : والذي يصح عندنا .... حمل العينين على البصر ... إلى أن قال : وكذلك قوله تعالى في سفينة نوح عليه السلام { تجرى بأعيننا } ولم يثبت أحد من المنتمين إلى التحقيق أعيناً لله تعالى ، والمعنى بالآية أنها تجرى بأعيننا ، وهى منا بالمكان المحوط بالملائكة والرعاية ... ، وقيل المراد بالأعين في هذه الآية : الأعين التي انفجرت من الأرض ، وأضيفت إلى الله تعالى ملكاً .[١]

وقال الآمدى : قال الله تعالى﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنا** ﴾[٢]وقال تعالى ﴿ **ولِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي** ﴾[٣].

وقد اختلف المتكلمون في معناهما : فقالت المشبهة: هما عينان بمعنى الجارحتين .

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري :- في أحد قوليه- وجماعة من السلف : هما صفتان نفسيتان كما قال في اليدين .، وفي قول آخر له: إنهما بمعنى البصر.

(١) انظر : الإرشاد لإمام الحرمين الجوينى ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٢) سورة : القمر : الآية (١٤) .

(٣) سورة : طه : الآية (٣٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأما القول : بأنها صفة نفسانية زائدة على ما له من الصفات ؛ فيستدعى دليلا قاطعاً[1] ولا قطع هاهنا .

وإن سلمنا الاكتفاء في ذلك بالدليل الظاهر؛ فالآية غير متناولة له بطريق من طرق الدلالات اللفظية ؛ وإن سلمنا أنها محتملة له لغة. غير أنها أيضا محتملة لغيره ...

ثم وضع احتمالات لتأويل الآية وهى : أن يكون المراد بحفظنا وكلاءتنا؛ أو ببصرنا ، أو ما انفجر من عيون الأرض وأضافها إليه إضافة تمليك.، أو أراد به عيون المتعينين من عباده للنجاة من الغرق .[2]

وكذا أولها الرازي في أساس التقديس ، والسنوسي في شرح الوسطى .، والتأويل هو المعتمد عند جميع المتأخرين .

ويجاب بأن : إن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام .

قال الدارمى في الرد على المرسى : وأما تفسيرك عن ابن عباس في قوله : {فإنك بأعيننا} أنه قال: بحفظنا وكلاءتنا، فإن صح قولك عن ابن عباس في قوله: {فإنك بأعيننا} أنه قال: بحفظنا وكلاءتنا، فإن صح قولك عن ابن عباس فمعناه الذي ادعيناه لا ما ادعيت أنت، يقول: بحفظنا وكلاءتنا بأعيننا؛ لأنه لا

(١) الدليل القاطع عندهم هو العقل .

(٢) انظر : أبكار الأفكار ١ /٤٥٦ -٤٥٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجوز في كلام العرب أن يوصف بكلاية إلا وذلك الكالي من ذوي الأعين، فإن جهلت فسم شيئاً من غير ذوي الأعين يوصف بالكلاية .

وإنما أصل الكلاية من أجل النظر، وقد يكون الرجل كالئاً من غير نظر، ولكنه لا يخلو أن يكون من ذوي الأعين . (١)

إثبات صفة العين : العين صفة لله تعالى بلا كيف ، وهي من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة ، وقد جاء ذكر العين في القرآن الكريم على حالتين:

١ - ذكرت العين مضافة إلى ضمير المفرد. مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾.

٢ - ذكرت العين بصيغة الجمع، مضافة إلى ضمير الجمع مثله قوله تعالى: ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾.، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط، لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد.

مثل قوله تعالى ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾ (٢)، فالمراد نعم الله المتنوعة التي لا تدخل تحت الحصر والعدّ .

قال الإمام ابن القيم: إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً أو مضمراً فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ، كقوله تعالى ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾و ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ٢/ ٨٣١ .

(٢) سورة : إبراهيم : الآية (٣٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾، و ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾. وإن أضيفت إلى جمع جمعت كقوله تعالى ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ .

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: « **إِنَّ اللهَّ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ** ».(١)

قوله« إن الله ليس بأعور»: هذه الجملة هي المقصودة من الحديث ؛ وهذا يدل على أن لله عينين حقيقة؛ لأن العور فقد أحد العينين أو ذهاب نورها .

وأما إشارته عليه الصلاة والسلام بيده إلى عينيه - وهو يخبر عن عور المسيح الدجال- فإنما تفيد تأكيد المعنى الحقيقي للعين على ما يليق بالله تعالى ولا يفهم منها أن عين الله جارحة كأعيننا بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقِدَمِه، وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه وليست الحقيقة كالحقيقة، وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق كما تقدم .(٢)

قال ابن المنير(٣) رحمه الله المتوفى ٦٨٣ هـ : وجه الاستدلال على إثبات العين

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٧٤٠٧ ، ومسلم برقم ١٦٩ ، وغيرهما .

(٢) الصفات الإلهية في ضوء الإثبات والتنزيه ص ٣١٩ للشيخ / محمد أمان جامى .

(٣) **هو** : أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم الإلهية في ضوء الإثبات والتنزيه بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني؛ ولد سنة ٦٢٠ هـ ؛ وكان عالماً فاضلاً مفنناً، وكان في علومه له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة، وتفسير نفيس، وله تأليف على تراجم صحيح البخاري ، ولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرتين ودرس بعدة مدراس؛ وتوفي سنة ٦٨٣ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لله، لا بمعنى الجارحة من قوله: « إن الله ليس بأعور »، إن العور عرفاً عدم العين، وضد العور ثبوت العين. فلما نفى عن الحق جل جلاله هذه النقيصة وهي عدم العين لزم ثبوت الكمال بضدها، وهو وجود العين، وعلى التمثيل والتقريب للفهم، لا على معنى إثبات الجارحة .(١)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قال الشيخ شهاب الدين السهروردي(٢) في كتاب العقيدة له أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى قال الطيبي هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح وقال غيره لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه اليوم أكملت لكم دينكم ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله ليبلغ الشاهد الغائب حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى

(١) المتواري علي تراجم أبواب البخاري لابن المنير ص ٤١٩ .

(٢) هو : عمر بن محمد بن عبد الله ابن عمويه، أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري السُّهْرَوَرْدي : فقيه شافعيّ، مفسر، واعظ. من كبار الصوفية. مولده في «سهرورد» سنة ٥٣٩ هـ ، ووفاته ببغداد سنة ٦٣٢ هـ .، كان شيخ الشيوخ ببغداد. وأوفده الخليفة إلى عدة جهات رسولا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليس كمثله شيء فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم وبالله التوفيق .[1]

٣- صفة اليدين واليمين والأصابع

أقوال الأشاعرة فيها : -

قال الجوينى في الإرشاد ص ١٥٥: والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة .... إلى أن قال في الآيات : وظاهر الآية يقتضى اقتضاء السجود لاختصاص آدم بما تضمنته الآية، فالظاهر متروك والعقل حاكم بأن الذي يقع الخلق به القدرة .

فانظر كيف سوى بين خلق آدم عليه السلام وإبليس وسائر المخلوقات ، فأي خصيصة لآدم على غيره من المخلوقات، فهم إنما وقعوا فى هذا الباطل لتحكيمهم العقل وتقديمه على النص .

قال الآمدى رحمه الله : وقد اختلف المتكلمون في مقتضى قوله تعالى لإبليس: ﴿ **ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[2] ؛ إذ هو صريح في إثبات اليدين لغة .

فذهبت المشبهة : إلى أنهما بمعنى الجارحتين .

وذهب الشيخ أبو الحسن الأشعرى: إلى أنهما صفتان ثبوتيتان ، زائدتان على ذاته ، وباقي صفاته، لا أنهما بمعنى الجارحتين؛ وهو مذهب السلف. وإليه ميل القاضي في بعض كتبه .

---

(١) فتح الباري ١٣ / ٣٩٠ .

(٢) سورة : ص : الآية (٧٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذهب أكثر أئمتنا : إلى تفسير اليدين بالقدرة، وكثير من المعتزلة إلى التفسير بكونه قادرا.

وذهب بعض المعتزلة: إلى التفسير بمعنى النعمة .

وذهب قوم : إلى أن اليدين في الآية، صفة زائدة .(١)

ثم أجاب على مذهب السلف بما تقدم في صفة الوجه، وأبطل قول من قال أنها النعمة وأخذ يرجح فقال : وإذا بطلت جميع هذه الأقسام.، فالأشبه أنهما بمعنى القدرة؛ فإن إطلاق اليدين بمعنى القدرة، سائغ عرفاً ولغة .(٢)

وإلى هذا ذهب عامة المتأخرين منهم، واعتمده البغدادي في أصول الدين ص ١١١، والبيجورى فى تحفة المريد ص ١٠٦، والدردير فى شرح الخريدة ص١٧١ .

ومن الأشاعرة من ذهب إلى أنها القدرة والنعمة معاً منهم الرازي في أساس التقديس ص ٩٨ ، والسنوسي في شرح الوسطى ص ٢٧٥ .

أما اليمين والأصابع : فقد أولوها بالقوة والقدرة ، ومنهم من قال الإرادة والقدرة .(٣)

الجواب من كلام الباقلانى أحد أئمة الأشاعرة : وهذا الذي ذهبوا إليه قد نقضه أحد أئمتهم القاضي الباقلانى فقال بعد أن أثبت هذه الصفات : فإن قالوا

---

(١) انظر : أبكار الأفكار ١ /٤٥٣ .

(٢) المصدر السابق ١ /٤٥٤ .

(٣) انظر : أساس التقديس ص١٠٥ -١٠٦ ، وتحفة المريد ص ١٠٦ ، شرح طوالع الأنوار ص ١٨٤ والمواقف للإيجي ص ٢٩٨ وشرح المقاصد ٢/ ٨١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فما أنكرتم أن يكون المعنى في قوله {**خلقت بيدي**} أنه خلقه بقدرته أو بنعمته لأن اليد في اللغة قد تكون بمعنى النعمة وبمعنى القدرة .

يقال لهم هذا باطل لأن قوله {بيدي} يقتضي إثبات يدين هما صفة له ، فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان ، وأنتم فلا تزعمون أن للباري سبحانه قدرة واحداً فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان فبطل ما قلتم .

وكذلك لا يجوز أن يكون الله تعالى خلق آدم بنعمتين لأن نعم الله تعالى على آدم وعلى غيره لا تحصى ، ولأن القائل لا يجوز أن يقول رفعت الشيء بيدي أو وضعته بيدي أو توليته بيدي وهو يعني نعمته ، وكذلك لا يجوز أن يقال لي عند فلان يدان يعني نعمتين وإنما يقال لي عنده يدان بيضاوان ، لأن القول يد لا يستعمل إلا في اليد التي هي صفة للذات .

ويدل على فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر على ما قالوه لم يغفل عن ذلك إبليس وعن أن يقول وأي فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له وأنا أيضاً بيدك خلقتني التي هي قدرتك وبنعمتك خلقتني وفي العلم بأن الله تعالى فضل آدم عليه بخلقه بيديه دليل على فساد ما قالوه .[1]

إثبات صفة اليدين واليمين والأصابع :

فهذه الصفة ثابتة لله جل وعلا بالكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل،

(١) انظر : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص ٢٩٧ – ٢٩٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولإثبات هذه الصفة لوازم منها الخلق والأنفاق والبطش ، كما هو واضح من دلالة نصوص الكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

قوله تعالى ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (٢)

ثم إن لفظ اليد جاء فى القرآن على ثلاثة أنواع كما قال ابن القيم في الصواعق المرسلة :

١ - جاء مفرداً كقوله تعالى ﴿ **بِيَدِكَ الْخَيْرُ** ﴾ .

٢ - جاء مثنى كقوله تعالى ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ .

٣ - جاء جمعاً كقوله تعالى ﴿ **مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا** ﴾

وإذا راجعنا هذه الاستعمالات الثلاثة لليد نجد أن الله إذا ذكر اليد مثناة يضيف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد ويتعدى الفعل بالباء إليهما أي إلى اليدين ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وإذا ذكرها بصيغة الجمع أضاف العمل إلى اليد والفعل يتعدى بنفسه لا بالباء ﴿ **مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا** ﴾

وأما في حالة الجمع يكون معنى عملت أيدينا أي عملنا نحن، وهو يساوي عملنا وخلقنا ورزقنا وتوضيح ذلك : من الجائز أن يضاف الفعل إلى يد ذي

---

(١) سورة : المائدة : الآية (٦٤) .

(٢) سورة : الزمر : الآية (٦٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليد، بدلاً من أن يضاف إليه مباشرة ، وهو أسلوب معروف عند العرب ، وهو كقوله ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾، و ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾، وأما إذا أضيف الفعل إليه تعالى ثم عُدّي الفعل بالباء إلى يده مثناة أو مفردة فهذا مما باشرته يده سبحانه وتعالى .(١)

ومن السنة :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا ...** ».(٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟**

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٠ .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٦٥٦٥ ، ومسلم برقم ١٩٣ وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » . (١)

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ « الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » . (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « إِنَّ يَمِينَ اللهَّ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ - أَوِ القَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ » . (٣)

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قال وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: « يَأْخُذُ اللهَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا اللهَّ وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا أَنَا الرَّحْمَنُ أَنَا الْمَلِكُ » حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُ حَتَّى أني لأقول: أساقطٌ هو برسول الله . (٤)

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ – يعنى ابن مسعود - رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللهَّ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى

(١) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٣٤٠٩ مختصراً ، ومسلم برقم ٢٦٥٢ واللفظ له ، وغيرهما .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم برقم ١٨٢٧ ، والنسائي برقم ٥٣٧٩ ، وأحمد برقم ٦٤٧٢ وغيرهم .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٧٤١٩ ، ومسلم برقم ٩٩٣ ، والترمذي برقم ٣٠٤٥ ، والنسائي فى الكبرى برقم ١١١٧٥، وابن ماجه برقم ١٩٧ ، وأحمد برقم ١٠٤٩٩وغيرهم .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم برقم ٢٧٨٨ ، وابن حبان برقم ٧٣٢٤ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات برقم ٧٣٨ ، والإبانة لابن بطة برقم ٢١٨ ، والكلابازى فى بحر الفوائد ١/٣١٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ .(١)

وقد ادعى بعضهم أن ضحك النبي ﷺ كان على سبيل الإنكار فأجابهم الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد قائلاً : قد أجل الله تعالى نبيه ﷺ عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف ضحكاً بل لا يوصف النبي ﷺ بهذا الوصف من يؤمن بنبوته .

وعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: « **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ** » .(٢)

قال ابن بطال : وأما حديث الإصبع فإنه لما لم تصح أن تكون جارحة لما قدمنا من إبطال التجسيم فتأويله ما قال أبو الحسن الأشعري: من أن هذا

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٤٨١١ ، ومسلم برقم ٢٧٨٦ ، والترمذي برقم ٣٢٣٨ ، والنسائي فى الكبرى برقم ٧٦٤٠، وأحمد برقم ٣٥٩٠ وغيرهم .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٢٦٥٤ ، والترمذي برقم ٢١٤٠ عن أنس وبرقم ٣٥٢٢ عن أم سلمة ، وأحمد برقم ٦٥٦٩ ، برقم ١٧٦٣٠ عن النواس بن سمعان ، وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشبهه مما أثبته الرسول لله ووصفه به راجع إلى أنه صفة ذات لا يجوز تحديدها ولا تكييفها .[1]

أقوال السلف والأئمة :

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر ص ٢٧: ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف .

قال أبو بكر الخلال في روايته عن الإمام أحمد : وكان يقول إن لله تعالى يدان وهما صفة له في ذاته ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ولا جنس من الأجسام ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ولا يقاس على ذلك لا مرفق ولا عضد ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد إلا ما نطق القرآن به أو صحت عن رسول الله ﷺ السنة فيه قال الله تعالى **{بل يداه مبسوطتان}** وقال رسول الله ﷺ كلتا يديه يمين وقال الله عز وجل **{ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي}** وقال **{والسماوات مطويات بيمينه}** ويفسد أن تكون يده القوة والنعمة والتفضل لأن جمع يد أيد وجمع تلك أياد ولو كانت اليد عنده القوة لسقطت فضيلة آدم وثبتت حجة إبليس .اهـ[2]

عن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة قال : حديث عبد الله إن الله عز وجل يجعل السماء على أصبع وحديث إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/٤٤١ .

(٢) العقيدة للإمام أحمد براوية أبى بكر بن الخلال ص ١٠٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرحمن وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ونحو هذه الأحاديث فقال هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف .

قال أبو عمر : الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها، الإيمان بما جاء عن النبي ﷺ فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه .(١)

قال الإمام أبى سعيد الدارمى المتوفى ٢٨٠ هـ في الرد على المريسى : بعد أن ساق الآيات والأحاديث التي وردت في صفة اليدين : وفيما ذكرنا من ذلك بيان بين ودلالة ظاهرة في تثبيت يدي الله عز وجل أنهما على خلاف ما تأوله هذا المريسي الضال ....

ثم قال : ثم إنا ما عرفنا لآدم من ذريته ابناً أعق ولا أحسد منه، إذ ينفي عنه أفضل فضائله وأشرف مناقبه، فيسويه في ذلك بأخس خلق الله؛ لأنه ليس لآدم أفضل من أن الله خلقه بيده ومن بين خلائقه، ففضله بها على جميع الأنبياء والرسل والملائكة ألا ترون موسى حين التقى مع آدم في المحاورة احتج عليه بأشرف مناقبه فقال: أنت الذي خلقك الله بيده ؟

ولو لم تكن هذه مخصوصة لآدم دون من سوه ما كان يخصه بها فضيلة دون نفسه، إذ هو وآدم في خلق يدي الله سواء في دعوى المريسي ولذلك قلنا إنه لم يكن لآدم ابن أعق منه، إذ ينفي عنه ما فضله الله به على الأنبياء والرسل

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٤٨/٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والملائكة المقربين .[1]

ويجاب عليهم فى تأويل اليدين بالقدرة أو النعمة بالآتي :

- فهل يقال في قوله {**بل يداه مبسوطتان**}أن قدرتاه مبسوطتان أو أن نعمتاه مبسوطتان ، إن هذا ممتنع لغةً وعرفاً لا كما زعمتم أنه جائز لغةً وعرفاً .

- وهل يقال في قوله تعالى {**لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**}، لا تقدموا بين قدرة الله ورسوله أو نعمة الله ورسوله .

- فتفسير قول النبي ﷺ في تأويلكم أنهم على منابر من نور عن – قدرة أو نعمة - الرحمن، وكلا - قدرته أو نعمته – يمين !!.

- وهل يجوز في قول النبي ﷺ فإنه لم ينقص ما في يمينه .... وفى يده الأخرى الفيض ، أن يقال لم ينقص ما في قدرته أو نعمته ، وأن يقال : وفى قدرة الأخرى أو نعمة الأخرى الفيض .

- وقول النبي ﷺ «**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَبِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[2]، أفيجوز أن يقال يبسط قدرته بالليل ونعمته بالنهار .

لقد علم الخلق إلا من جهل بطلان واستحالة هذا التأويل .

فلو أنكم إذا أردتم معاندة الله ورسوله، ومخالفة السلف احتججتم بكلام

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ١/ ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٢٧٥٩، وأحمد برقم ١٩٥٢٩ ، والإيمان لابن منده برقم ٧٧٩ وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أستر عورة، وأقل استحالة من هذا، كان أنجع[1] لكم في قلوب الجهال من أن تأتوا بشيء لا يشك عاقل ولا جاهل في بطوله واستحالته .

- وفى قول النبي ﷺ : « **إِنَّ اللهَّ حِينَ خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي** » [2] إن في هذا لأنفع كلام وأشفى بيان .، أفيجوز أن بقدرته أو نعمته على نفسه .

ومما يزيدك بياناً لاستحالة دعواهم قول ابن عمر « خلق الله أربعة أشياء بيده: - العرش، والقلم، وعدن، وآدم ثم قال لسائر الخلق : كن فكان ».[3]

فهلا رأيتم أيها الأشاعرة كيف ميز ابن عمر وفرق بين آدم وسائر الخلق في خلقه باليد ؟!

أفأنتم أعلم من ابن عمر بتأويل القرآن وقد شهد التنزيل وعاين التأويل وكان بلغات العرب غير جهول .[4] تعالى الله عن قول المعطلين علواً كبيرا .

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ٢/ ٤٣« مادة - نجع» نجع الطعام ينجع وينجع نجوعا أي هنأ آكله، وقال: وقد نجع فيه الخطاب، والوعظ والدواء، أي دخل فيه وأثر .

(٢) **صحيح** : أخرجه الترمذي برقم ٣٥٤٣ ، وابن ماجه برقم ٤٢٩٥ ، وابن أبى شيبة فى مصنفه برقم ٣٤١٩٩، والسنة لابن أبى عاصم برقم ٦٠٨ ، والفريابى فى القدر برقم ٩٨ ، وغيرهم ، وصححه الألباني فى الصحيحة برقم ١٦٢٩ .

(٣) أخرجه الآجرى فى الشريعة برقم ٧٥٦ ، وأبو الشيخ الأصبهانى في العظمة ٢/٥٧٨ ، والإبانة لابن بطة برقم ٢٢٩ ، واللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٧٢٩ ، وصحح إسناده الألباني في مختصر العلو ١/١٥٠ .

(٤) مستفاد من كتاب نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- صفة الساق والقدم

أقوال الأشاعرة فيها :

قال الإمام الجوينى : { **يوم يكشف عن ساق** } فالمعنى بالآية الإنباء عن أهوال يوم القيامة وصعوبة أحوالها .(١)

قال الآمدى : فمنهم: من حمله على ظاهره، وهو الساق بمعنى الجارحة كالمشبهة .

ومن السلف من قال: هو ساق لا كالسوق .

والقول الأول باطل؛ لما يأتي .، والثاني: أيضا ممتنع؛ لما سبق في باقى الصفات الخبرية .

ثم (إنه) كما أمكن حمله على ذلك؛ فقد أمكن حمله على الكشف عما في يوم القيامة من الأهوال؛ ولهذا يقال: قامت الحرب على ساق. عند التحامها، واشتداد أهوالها.(٢)

وقال الرازي : المراد بالساق شدة أهوال القيامة ، يقال قامت الحرب على ساق أي على شدتها .، فنقول يكشف عن ساق أي : عن شدة القيامة وأهوالها وأنواع عذابها .(٣)

زعم الأشاعرة أن ابن عباس - رضي الله عنه - تأول صفة الساق لله تعالى .

والجواب أن يُقال :

---

(١) الإرشاد ص ١٥٩ .

(٢) أبكار الأفكار ١/ ٤٦٠ .

(٣) أساس التقديس ص ١٨٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: أن الصحابة متنازعون في هذه الآية، فابن عباس وطائفة يفسرون الآية بالشدة، وأبو سعيد وابن مسعود وطائفة يعدونها من الصفات، وليس هذا تنازعاً في إثبات الصفة، وإنما تنازع في كونها من آيات الصفات ؟

ولا ريب أن ظاهر الآية لا يدل على أنها من الصفات، لأن الساق فيها جاءت نكرة في سياق الإثبات، لم يضفها سبحانه لنفسه، فلم يقل (ساقه)، فلما لم يعرّفها بالإضافة، لم تكن دالة على صفة لله، ولذلك لم يعدها ابن عباس من آيات الصفات .

والذين جعلوها من آيات الصفات، إنما عدوها للحديث الذي في الصحيحين، لا لظاهر الآية. ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف .

وعلى هذا فلا يصح أن يقال أن ابن عباس تأول الآية ! [1]

ثانياً : أن صفة الساق لله تعالى ثابتة في السنة :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « **يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا** » . [2]

قال الخطابي: هذا مما تهيب القول فيه شيوخنا، وأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف في تفسير كل ما لا يحيط

(١) الأشاعرة فى ميزان أهل السنة - لفيصل الجاسم ص ٥٦٩ .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٤٩١٩ واللفظ له ، ومسلم برقم ١٨٣ مطولاً ، وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلم بكنهه من هذا الباب .[١]

والحديث يوضح الآية ويفسرها لأن السجود ذكر فيهما معاً فثبتت الصفة لله عز وجل على ما يليق به سبحانه تعالى بلا تكييف ولا تأويل .

صفة القَدَم:

أقوال الأشاعرة فيها :

قال الجوينى : بعد أن ذكر حديث البخاري في القدم : وللتأويل أوسع مجال فيه ، فيمكن أن يحمل الجبار على متجبر من العباد، وهو في معلوم الله من أعتى العتاة ، ويمكن حمل القدم على بعض الأمم المستوجبه للنار في علم الله تعالى .[٢]

وقال الرازي بعد أن ساق الأخبار الواردة في القدم : فهى محتمله للتأويل ، فإن من سعى لإزالة خصومة، وتسكين فتنه ، صح أن يقال فلان وضع رجله فى هذه الواقعة ووضع قدمه فيها ، ويقال في المجاز المتعارف الظاهر : لك قدم مبارك ، وضع قدمك فيها حتى يصلح ويزول الشر ، فهذا مجاز سائغ ، وحمل اللفظ عليه محتمل .اهـ[٣]

قال الآمدى : يتعذر حمله على القدم بمعنى الجارحة، وعلى صفة زائدة بكونه قدماً لا كأقدامنا؛ لما تقدم في اليدين .

وإذا تعذر حمل اللفظ على ظاهره، تعين حمله على ما هو بعيد فيه؛ وهو أنه يحتمل أنه أراد بالقدم أقدام الجبارين المرتفعين عن التكاليف ...

---

(١) شرح السنة للبغوى ١٥/١٤٢ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ٢/١٨٠ .

(٢) الإرشاد ص ١٦٣ .

(٣) أساس التقديس ص ١٨٦ – ١٨٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويحتمل أنه أراد به قدم بعض الجبارين عينا، ويكون الله- تعالى- قد ألهم النار طلب المزيد إلى حين وضع قدم ذلك الجبار المعين فيها .، ويحتمل أنه أراد به مالكاً خازن النار .(١)

إثبات صفة القدم :

صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بصحيح السنة .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ** ».(٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **يُلْقَى فِي النَّارِ أَهْلُهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ثَلَاثًا حَتَّى يَأْتِيَهَا رَبُّهَا تعالى فَيَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَنْزَوِي، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ** » .(٣)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الْكُرْسِيُّ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ ».(٤)

---

(١) أبكار الأفكار ١ /٤٧٠ .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٦٦٦١ ، ومسلم برقم ٢٨٤٨ ، والترمذي برقم ٣٢٧٢ ، وغيرهم .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٤٨٤٩ ، والدارمى برقم ٢٨٩١ ، وأحمد برقم ٧٧٨١ ، والسنة لابن أبى عاصم برقم ٥٢٥ وغيرهم .

(٤) **صحيح** : أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد ١ /٢٤٨ ، الطبراني فى الكبير برقم ١٢٤٠٤ ، وأبو الشيخ ٥٨٢/٢ ، والإبانة لابن بطة برقم ٢٦٩ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات برقم ٧٥٨ ، والحاكم برقم ٣١١٦ وقال على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمى ٣٢٣/٦ : رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح ، وصححه الألباني فى مختصر العلو ١ /١٠٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، لَهُ أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ»(١)

وموقف السلف من معنى هذه الأحاديث من أحاديث الصفات، أن القدم صفة من الصفات الخبرية التي تمر كما جاءت دون تأويل أو تحريف في النص، ودون تشبيه أو تمثيل لصفات الله بصفات خلقه، فلا تقاس قدمه بأقدام خلقه، ولا رجله بأرجل مخلوقاته، بل يكتفى بالمعنى الوضعي للكلمة دون محاولة لإدراك حقيقة قدمه، وقد عجزنا عن إدراك حقيقة ذاته سبحانه فآمنا وسلمنا لله ولرسوله، هذا موقف لا يتغير ولا يتبدل بالنسبة لأتباع السلف، بل موقف ثابت وهو إتباع النصوص في جميع الصفات خبرية أو غيرها .

٥- صفة النفس

أقوال الأشاعرة فيها :

قال ابن فورك رحمه الله : وأما قوله ﷺ « إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي فذكر العبد لله تعالى في نفسه » أن يكون بحيث لا يعلمه أحد غيره ولا يطلع عليه سواه قال عيسى عليه السلام { **تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك** }، أي تعلم ما أخبئه وما أستره وأضمره ولا علم لي بما في غيبك مما أخفيته عني .(٢)

ففسر النفس بالعلم وهذا بعيد جداً لأن العلم من لوازم النفس وليس هو النفس نفسها .

---

(١) **صحيح** : أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات برقم ٨٥٩ ، وأبى الشيخ فى العظمة ٢/٦٢٧ ، وعبد الله بن الإمام أحمد فى السنة ص ٧١ ، ورجاله ثقات ، وصححه الألبانى فى مختصر العلو ١/١٢٤ .

(٢) مشكل الحديث وبيانه ص ٣٢٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الرازي رحمه الله : لفظ النفس في حق الله تعالى ، ليس إلا الذات والحقيقة .(١)

ففسر النفس بالذات والحقيقة أى الذات المجردة عن الصفات ، وهذا باطل قال ابن اللبان : وهذا وإن كان سائغاً في اللغة لكن تعدي الفعل إليها بـ (في) المفيدة للظرفية محال في حق الله عز وجل .

وقال الآمدى : قوله تعالى﴿ **تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي ولا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ** ﴾ وليس بنفس حقيقة ؛ إذ النفس لا تخرج عن كونها جسما لطيفا، أو جوهرا، أو عرضا.(٢)

إثبات صفة النفس لله تعالى :

صفة النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، ولا يمكن إدراكها بالعقل؛ لأنها صفة خبرية .

فمن كتاب الله : قوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ (٣) وقال لموسى عليه السلام ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾ (٤)وقوله تعالى ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ (٥)وقال ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ** ﴾ (١) .

(١) أساس التقديس ص ١٢٣ .

(٢) أبكار الأفكار ٢/ ١٨ .

(٣) سورة : المائدة : الآية (١١٦) .

(٤) سورة : طه : الآية (٤١) .

(٥) سورة : الأنعام : الآية (٥٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن السنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ..**»(٢)

وقول النبي ﷺ « **سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ** » .(٣)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا ....**»(٤)

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه « **اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ** ».(٥)

---

(١) سورة : آل عمران : الآية (٢٨) .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٧٤٠٥ ، ومسلم برقم ٢٦٧٥ ، والترمذي برقم ٣٦٠٣ ، وغيرهم .

(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٢٧٢٦ ، والترمذي برقم ٣٥٥٥ ، والنسائي برقم ١٣٥٢ ، وأحمد برقم ٢٦٧٥٨ وغيرهم .

(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٢٥٧٧ ، وابن حبات برقم ٦١٩ ، والتوحيد لابن خزيمة ١/ ٢١ ، والبزار برقم ٤٠٥٣ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات برقم ٤٥٩ وغيرهم .

(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٤٨٦، وأبو داود برقم ٨٧٩ ، والترمذي برقم ٣٤٩٣ ، والنسائي برقم ١٦٩ ، وابن ماجه برقم ١١٧٩ ، وأحمد برقم ٢٤٣١٢ وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهذه الأدلة نثبت لله صفة النفس، وليس هناك ما يدعو إلى التأويل أو التحريف. إذ شأن صفة النفس كشأن الصفات الخبرية الكثيرة التي تقدم الحديث فيها .

فنحن نثبت هذه الصفة لله جل ثناءه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

وهذه الصفة من الصفات التي وقع في معناها الخلاف بين السلف ، فمنهم من يرى أنها بمعنى الذات - ولا يقصدون الذات المجردة عن الصفات كما يقول المتكلمين – بل يقصدون الذات المتصفة بالصفات .

وذهب البعض منهم الدارمى وابن خزيمة والبغوى وعبد الغنى المقدسي ، إلى أن النفس صفة للذات كالسمع والبصر وغيرها من الصفات .

قلت : والمسألة في الحقيقة من مسائل الاجتهاد ولا يترتب عليها كثير خلاف، وإن كان الرأي الصواب فيما أراه هو القول الثاني بأن النفس صفة من صفات الله كغيرها من الصفات لأنه ورد في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: **(فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)**، وقوله: **{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ}** ، والمقابلة هنا تدل على أن النفس المقصود بها هنا ضد الظاهر، وأن النفس هنا صفة من صفات الله عز وجل تليق بجلاله وليست كصفات المخلوقين . والله أعلم

قال ابن اللبان أولها العلماء بتأويلات منها أن النفس عبر بها عن الذات قال وهذا وإن كان سائغاً في اللغة لكن تعدي الفعل إليها ب (في) المفيدة للظرفية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محال .

والحق أن النفس صفة من صفات الله ملازمة للذات ، إذا أطلق اللفظ بها كانت ذات الله المتصفة بصفاته ومنها النفس .

وخلاصة الأمر: أننا لابد وأن نثبت لله تبارك وتعالى نفساً كما أثبتها سبحانه وتعالى لنفسه، وأثبتها له رسوله الكريم، وأن هذه النفس هي صفة لله تبارك وتعالى .

ويحتمل - وهو بعيد في الشرع لا في لغة العرب : أن تكون النفس هي الذات، فإن كانت النفس هي الذات في المخلوقين - وإن كان لا يقول أحد في حق المخلوق أنها ذات بلا نفس أو صفات -، فإن الخالق لا يقاس على المخلوقين، فإن نفسه صفة لازمة لذاته، وهي صفة ذاتية خبرية قد وردت في الأخبار والآثار .

قال الإمام أبو بكر الخلال في روايته عقيدة الإمام أحمد رحمهما الله : وذهب إلى أن لله نفساً وقرأ أحمد بن حنبل {ويحذركم الله نفسه} وقال عز وجل {كتب ربكم على نفسه الرحمة} وقال {واصطنعتك لنفسي} وليست كنفس العباد التي هي متحركة متصعدة مترددة في أبدانهم بل هي صفة له في ذاته خالف بها النفوس المنفوسة المجعولة ففارق الأموات وحكى في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك} قال تعلم ما في النفس المخلوقة ولا أعلم ما في نفسك الملكوتية .اهـ[1]

(١) العقيدة لإمام أحمد رواية أبي بكر الخلال ص ١١٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر ص٢٧ : وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف .

قال الإمام الدارمى فى الرد على المريسى : تشنيع المعارض بذكر «الضمير» لنفي صفة «النفس» والرد عليه : ثم ساق الأدلة والرد عليه .... (١)

فالسلف أهل الحق يثبتون النفس لله سبحانه، ويسكتون عما وراءه من الخوض في حقيقتها أو كيفيتها، مادام الله تبارك وتعالى أثبت النفس لنفسه فما المانع أن أثبتها وأكف عن الخوض في الكيفية كما كففت عن بقية الصفات؟ وينزهون الله عن مشابهة نفسه بأنفس المخلوقين، كما لا يقتضي عندهم أن يكون سبحانه مركباً في نفس وبدن تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثانياً : الصفات الفعلية بين التأويل والإثبات

كذلك الصفات الفعلية نمرها كما جاءت وهي التي تتعلق بمشيئته تعالى ، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، مثل الاستواء والنزل، المجيء والإتيان، والغضب والسخط، والرضا والفرح، والعجب والضحك، وغير ذلك من الصفات الفعلية، ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذاته لذاته، فنثبتها له من غير تشبيه ولا تمثيل وتحريف وتأويل ولا تعطيل .

١- صفة الاستواء

أقوال الأشاعرة في الاستواء :

(١) انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ٨٤٨/٢ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الرازى فى تفسيره : إذا كان لا معنى للاستواء في اللغة إلا الاستقرار والاستيلاء وقد تعذر حمله على الاستقرار فوجب حمله على الاستيلاء وإلا لزم تعطيل اللفظ وإنه غير جائز....

ثم قال معللاً تأويله : فإن قيل : أن الاستيلاء معناه حصول الغلبة بعد العجز وذلك في حق الله تعالى محال.، وثانيها: أنه إنما يقال فلان استولى على كذا إذا كان له منازع ينازعه ...

والجواب : أنا إذا فسرنا الاستيلاء بالاقتدار زالت هذه المطاعن بالكلية .[1]

وقال الآمدى رحمه الله : ما نقل عن بعض الأئمة المشهورين من قوله: « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب ».

إن أراد بالاستواء المعلوم: الاستقرار والمماسة ؛ فهو محال .

وإن أراد به استواء لا كاستوائنا ، كما ذهب إليه السلف ، والشيخ أبى الحسن الأشعري في أحد قوليه ؛ فغير معلوم لعدم دلالة القاطع عليه ، وعدم دلالة اللفظ عليه لغة ....

ثم ذكر اختلاف القائلون بالتأويل ورجح أنه استولى فقال : فإن قيل : حمل الاستواء على الاستيلاء، يشعر بسبق المغالبة وتقدم المقاومة؛ وهو ممتنع على الله -تعالى-.، سلمنا عدم إشعاره بذلك، غير أنه لا فائدة في تخصيص العرش بذلك، مع تحقيقه بالنسبة إلى كل الحوادث .

(١) انظر : تفسير الرازي المسمى بمفاتيح الغيب ٢٢/٩ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلنا : أما الأول، فإنه وإن جاز أن يكون الاستيلاء مسبوقا بالمقاومة، ولكن لا يلزم أن يكون مسبوقا بها، ولا لفظ الاستيلاء مشعر به ، وإلا لكان لفظ الغالب مشعر به ؛ وليس كذلك. بدليل قوله تعالى : ﴿**واللهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ** ﴾ ....[1]

وقال في غاية المرام : وأما آية الاستواء فإنه يحتمل أن يكون المراد التسخير والوقوع في قبضة القدرة ولهذا تقول العرب استوى الأمير على مملكته عند دخول العباد تحت طوعه في مراداته وتسخيرهم في مأموراته ومنهياته وإليه الإشارة بقول الشاعر : قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق ...، وتكون فائدة التخصيص بذكر العرش التنبيه بالأعلى على الأدنى فيما يرجع إلى الاستيلاء والاستعلاء .اهـ[2]

قال التفتازانى : فعن الشيخ أنها صفة زائدة وعن الجمهور وهو أحد قولي الشيخ أنها مجازات فالاستواء مجاز عن الاستيلاء أو تمثيل وتصوير بعظمة الله تعالى .... وفي كلام المحققين من علماء البيان أن قولنا الاستواء مجاز عن الاستيلاء واليد واليمين عن القدرة والعين عن البصر ونحو ذلك إنما هو لنفي وهم التشبيه والتجسيم بسرعة وإلا فهي تمثيلات وتصويرات للمعاني العقلية بإبرازها في الصور الحسية .[3]

---

(١) انظر : أبكار الأفكار ١ / ٤٦٢ .

(٢) غاية المرام فى علم الكلام ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٣) انظر : شرح المقاصد فى علم الكلام ٢ / ١١٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال البيجوري في التحفة : قوله تعالى ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ فالسلف يقولون : استوى لا نعلمه ، والخلف يقولون : المراد به الاستيلاء ... [١] وهو ما رجحه الدردير في شرح الخريدة ص ١٧١ .

وإلى هذا التأويل ذهب أكثر المتأخرين من الأشاعرة ، واستقر عليه أغلب أهل المذهب الآن .

وهذا التأويل الباطل الذي وافقوا فيه المعتزلة والجهمية قد أنكره شيخهم أبى الحسن الأشعري ورد عليهم مقالتهم فقال : فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو تعالى مستوٍ على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش، والأقدار ... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها . [٢]

وقال رحمه الله في إثبات الفوقية والاستواء : وأنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وقد دل على ذلك بقوله ﴿ **أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ** ﴾ [٣]

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٢) الإبانة فى أصول الديانة ص ١٠٩ .

(٣) سورة : الملك : الآية (١٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١) وقال ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر؛ لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء . (٢)

وقال القاضي الباقلانى وهو أحد شيوخ الأشاعرة ومن أعلامهم : وأن الله جل ثناؤه مستوٍ على العرش، ومستول على جميع خلقه كما قال تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾ بغير مماسة وكيفية، ولا مجاورة، وأنه في السماء إله وفي الأرض إله كما أخبر بذلك . (٣)

وقال في موضع آخر : ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾ نحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة، لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار، ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان . (٤)

ونحن نقول لهم أترون الإمام الأشعري والقاضي الباقلانى مجسمه ؟ أم كانا يثبتا الحد لله أو أن تحل به الحوادث ؟ كلا لم يكونا كذلك لا هم ولا أحد من السلف الذين أثبتوا الاستواء .

قال الإمام الذهبي رحمه الله : لقد أجمع السلف على أن هذا التأويل الذي ذهب إليه هؤلاء الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، ومتأخروا الأشاعرة، هو تأويل

---

(١) سورة : فاطر : الآية (١٠) .

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص ١٣٠ – ١٣١ .

(٣) الإنصاف للباقلانى ص ٢٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باطل ترده نصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، وهو قول لا أصل له في لغة العرب، بل هو تفسير لكلام الله بالرأي المجرد، لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون قول السلف.(١)

إثبات صفة الاستواء لله تعالى :

مذهب السلف في صفة الاستواء أنهم يثبتون استواء الله على عرشه استواءاً يليق بجلاله وعظمته، ويناسب كبريائه، وهو بائن من خلقه وخلقه بائنون منه .

فالاستواء صفة ثابتة في القرآن والسنة وقد أجمع سلف الأمة على إثباتها .

فمن كتاب الله : ذكر صفة الاستواء جاء في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وهى : قوله تعالى ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا** ﴾ (٢)وقال ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ** ﴾ (٣) وقال ﴿ **اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ** ﴾(٤)وقال ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾(٥)وقال ﴿ **الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**

(١) العرش للذهبى ١ /١٩٩ .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٥٤) .

(٣) سورة يونس : الآية (٣) .

(٤) سورة الرعد : الآية (٢) .

(٥) سورة طه : الآية (٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [1] وقال ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [2] وقال ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾[3].

إن هذه الصفة التي يظن المتكلمون أنها صفة نقص ويتهجمون على رب السموات والأرض بأنه وصف نفسه صفة نقص ثم يسببون عن هذا أن ينفونها ويؤولوها ، مع أن الله جل وعلا في الآيات تمدح بها وجعلها من صفات الجلال والكمال مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال هذا يدل على جهل وغلط من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل .

ومن السنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِي قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ... ».[4]

وقال النبي ﷺ للأعرابي « وَيْحَكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللهُ ؟ إِنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ،

(١) سورة الفرقان : الآية (٥٩) .

(٢) سورة السجدة : الآية (٤) .

(٣) سورة الحديد : الآية (٤) .

(٤) **حسن** : أخرجه النسائي في الكبرى برقم ١١٣٢٨ ورجاله ثقات غير الأخضر بن عجلان ، وثقه النسائي وقال ابن معين صالح لا بأس به ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وقال ابن حجر والذهبي : صدوق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَعَرْشُهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ، وَسَمَاوَاتُهُ عَلَى أَرْضِهِ، هَكَذَا » وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ مِثْلُ أَطِيطِ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ .(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي ».(٢)

وصفة الاستواء تدل على العلو، فتثبت علو الله عز وجل، إلا أن الاستواء على العرش إنما هو علو خاص على العرش .

وصفة العلو كقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ (٣)﴾، تدل على إطلاق صفة العلو على جميع المخلوقات، وأما الاستواء على العرش فهو علو خاص يفعله سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته .

أقوال السلف والأئمة في إثبات صفة الاستواء :

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قَالَ: « الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ».(٤)

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، قَالَتِ: الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ . (٥)

---

(١) **حسن** : أخرجه أبو داود برقم ٤٧٢٦ ، وابن خزيمة فى التوحيد ١ /٢٣٩ ، وأبى عوانة برقم ٢٥١٧ ، واللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٦٥٦ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات برقم ٨٨٣ وغيرهم .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٣١٩٤ ، ومسلم برقم ٢٧٥١ ، وغيرهما .

(٣) سورة : الأنعام : الآية (١٨) .

(٤) أخرجه ابن بطة فى الإبانة برقم ١٢٠ ، واللالكائى في شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٦٦٣ .

(٥) البخاري في خلق أفعال العباد ١ /٤٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي التَّوْرَاةِ: **أَنَا اللهُ فَوْقَ عِبَادِي، وَعَرْشِي فَوْقَ جَمِيعِ خَلْقِي، وَأَنَا عَلَى عَرْشِي عَلَيْهِ أُدَبِّرُ أُمُورَ عِبَادِي لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ عِبَادِي فِي سَمَائِي وَلَا فِي أَرْضِي .** (١)

عَنْ عَبَّاسٍ الْعَمِّيِّ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ عليه السلام كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، أَنْتَ رَبِّي تَعَالَيْتَ فَوْقَ عَرْشِكَ، وَجَعَلْتَ خَشْيَتَكَ عَلَى مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... (٢)

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ : سُئِلَ رَبِيعَةُ عَنْ قَوْلِهِ ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾، قَالَ : الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللهِ تَعَالَى الرِّسَالَةُ، وَعَلَى النَّبِيِّ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ . (٣)

قال الإمام الأوزاعى المتوفى ١٥٧ هـ : كنا والتابعون متوافرون، نقول: إن الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . (٤)

وعن مطيع البلخي، أنه سأل أبا حنيفة رضي الله عنه عمن قال لا أعرف ربي سبحانه في السماء أم في الأرض فقال: قد كفر، لأن الله تعالى يقول {**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**} وعرشه فوق سبع سموات، فقال: قلت فإن قال إنه على

(١) **صحيح** : أخرجه أبو الشيخ في العظمة ٢/٦٥٢ ، وأبو نعيم في الحلية ٦/٧ ، وابن بطة في الإبانة برقم ١٣٧ وإسناده صحيح .

(٢) **صحيح** : أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه برقم ٢٩٣٨١ ، والدارمى برقم ٣٤٨ ، وسنده صحيح .

(٣) **صحيح** : أخرجه ابن بطة في الإبانة برقم ١٢١ ، واللالكائى في شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٦٦٥ ، وإسناده صحيح كما قال الألباني في مختصر العلو ١/١٣٢ .

(٤) **صحيح** : أخرجه البيهقى في الأسماء والصفات برقم ٨٦٥ وسنده صحيح .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في الأرض فقال رضي الله عنه: هو كافر، لأنه أنكر آية في السماء ومن أنكر آية في السماء فقد كفر.(١)

وسأل رجل الإمام مالك فقال: « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى؟ فسكت مالك حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاً. أخرجوه.(٢)

قال عبد الرحمن بن مهدي المتوفى ١٩٨ هـ : إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى، وأن يكون على العرش، نرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم.(٣)

قال الإمام الشافعي رحمه الله المتوفى ٢٠٤ هـ: القول في السنة التي أنا عليها، رأيت أهل الحديث عليها، الذين رأيتهم، مثل سفيان ، ومالك، وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله -وذكر أشياء- ثم قال : وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى سماء الدنيا

(١) الفقه الأكبر رواية أبي مطيع البلخي ص ٤٠، ٤٤ ، و شرحه للقاري ص ١٧١ .

(٢) **صحيح** : الموطأ ١/ ٢٥٣ ، والرد على الجهمية للدارمى برقم ١٠٤ ، واللالكائى برقم ٦٦٤ ، والبغوى شرح السنة ١/ ١٧١ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات برقم ٨٦٧ وسنده صحيح .

(٣) **صحيح** : خلق أفعال العباد للبخاري ص١٧ ، والسنة لعبد الله بن أحمد برقم ٤٨ ، وأبو نعيم فى الحلية ٩/ ٧ ، والبيهقى فى الأسماء والصفات برقم ٦٠٨ ، والبغوى شرح السنة ١/ ١٨٧ وإسناده صحيح كما فى مختصر العلو للألباني ١/ ١٧٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف شاء .[1]

وقال أبو بكر الخلال في عقيدة الإمام أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ هـ : كان يقول إن الله عز وجل مستو على العرش المجيد وحكى جماعة عنه أن الاستواء من صفات الفعل ...

وكان يقول في معنى الاستواء هو العلو والارتفاع ولم يزل الله تعالى عاليا رفيعا قبل أن يخلق عرشه فهو فوق كل شيء والعالي على كل شيء وإنما خص الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء والعرش أفضل الأشياء وأرفعها فامتدح الله نفسه بأنه على العرش ...[2]

قال الإمام بن خزيمة : فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا .[3]

معنى الاستواء عند السلف :

السلف يقولون إن معنى هذا الاستواء الوارد في الكتاب والسنة معلوم في اللغة العربية، كما قال ربيعة بن عبد الرحمن، والإمام مالك « الاستواء معلوم،

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) العقيدة للإمام أحمد - رواية أبي بكر الخلال ١/١٠٧ – ١٠٨ .

(٣) التوحيد لابن خزيمة ١/٢٣٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ».

فقولهم الاستواء معلوم : أي أن معنى الاستواء معلوم في اللغة، وهو ههنا بمعنى العلو والارتفاع .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم وأنزل به كلامه نوعان: مطلق، ومقيد .

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى** ﴾[1] ، وهذا معناه : كمل وتم، ويقال: استوى النبات، واستوى الطعام .

وأما المقيد فثلاثة أضرب :

أحدها: مقيد (بإلى) كقوله تعالى ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** ﴾[2] ، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بإلى في موضعين من كتابه، الأول في سورة البقرة في قوله ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** ﴾ ، والثاني في سورة فصلت ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَان** ﴾، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف .

الثاني: المقيد (بعلى) كقوله تعالى ﴿ **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ** ﴾ ، وقوله ﴿ **وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ** ﴾ ، وقوله ﴿ **فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ** ﴾ ، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

---

(١) سورة القصص : الآية (١٤) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٩) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثالث : المقرون بواو (مع) التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة ، بمعنى ساواها وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم .، ليس فيها معنى استولى البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية .اهـ[١]

قال ابن عبد البر رحمه الله : والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء .[٢]

وعن بشر بن عمر، قال: سمعت غير واحد من المفسرين يقولون ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قال : على العرش استوى : ارتفع .[٣]

وقال أبو العالية : ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ ارتفع فسوى خلقهن.، وقال مجاهد: ﴿ **استوى** ﴾: علا على العرش .[٤]

وقال القرطبي رحمه الله: والاستواء في كلام العرب هو العلو والاستقرار.[٥]

وقال ابن القيم: إن ظاهر الاستواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة والتفسير المقبول .[٦]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٧٢ .

(٢) التمهيد ٧/ ١٣١ .

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائى برقم ٦٦٢ .

(٤) البغوى فى شرح السنة ١/ ١٧١ ..

(٥) تفسير القرطبى ٧/ ٢٢٠ .

(٦) مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٨٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذا التفسير لمعنى الاستواء من قبل السلف رد على من زعم أن مذهب السلف هو التقيد باللفظ مع تفويض المعنى المراد، وأنهم كانوا لا يفسرون الاستواء ولا يتكلمون فيه، فمن خلال ما تقدم من الأقوال التي نقلت عن السلف يتضح كذب هؤلاء وزيف ادعائهم .

ومما ينبغي معرفته أن السلف مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستو على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله عز وجل لأن أمره هو مما استأثر الله بعلمه .[1]

قال القرطبي[2] **رحمه الله** : وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله .

ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته .اهـ[3]

---

(١) العرش للذهبي ١/١٩٣ .

(٢) هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي.، فقيه مفسر عالم باللغة وُلد في مدينة قرطبة سنة ٦٠٠ هـ ، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية ، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه ، كان القرطبي عالمًا كبيرًا منقطعًا إلى العلم منصرفًا عن الدنيا، فترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابًا مابين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن الكريم ، توفي القرطبي سنة ٦٧١ هـ ودفن في صعيد مصر.

(٣) تفسير القرطبي ٧/٢١٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال ابن القيم فى المدارج : أن العقل قد يئس من تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف بلا كيف أي بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها، ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، كما أنا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم .

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والعظمة كلها، والكبرياء كلها؟[1]

٢- صفة النزول

أقوال الأشاعرة فيها :

قال الجوينى رحمه الله : والوجه حمل النزول، وإن كان مضافاً إلى الله تعالى ، على نزول الملائكة المقربين، وذلك سائغ غير بعيد .... ومما يتجه في تأويل الحديث أن يحمل النزول على إسباغ الله نعماءه على عباده ... [2]

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله : وأما قوله ﷺ « ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا » فللتأويل فيه مجال من وجهين : أحدهما، في إضافة النزول إليه وأنه مجاز،

(١) مدارج السالكين ٣/٣٣٥ .

(٢) الإرشاد ١٦١ – ١٦٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبالحقيقة هو مضاف إلى ملك من الملائكة ...

ثم ذكر بعض التأويلات وقال : وأما النزول بمعنى اللطف والرحمة وترك الفعل اللائق بالاستغناء وعدم المبالاة فهو ممكن، فيتعين التنزيل عليه .(١)

وقال الرازي رحمه الله : الكلام في هذا الحديث : بناؤه على التأويل على سبيل التفصيل، وهو حمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض .(٢)

وقال الآمدى رحمه الله : ذهب بعض السلف: إلى حمل النزول في حق الله تعالى على نزول لا كنزولنا من غير حركة وانتقال .، وهو وإن كان ممكناً في نفس الأمر، غير أنه لا يدل عليه قاطع، ولا لفظ النزول في الخبر يحتمله على ما سبق .

فتعين التأويل بما يحتمله لفظ النزول؛ وهو حمل النزول على معنى اللطف والرحمة ... ويحتمل أن يكون المراد بذلك نزول ملك من الملائكة ...(٣)

قال البيجورى رحمه الله : وحديث الصحيحين « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ...» فالسلف يقولون مجيء ونزول لا نعلمهما ، والخلف يقولون : المراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله ... الخ .(٤)

قال الإمام الدارمى في الرد على بشر المريسى الجهمى : فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش بكل مكان، من غير زوال؛ لأنه الحي القيوم، والقيوم بزعمه من لا يزول .

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص ٤٠ -٤١ .

(٢) أساس التقديس ص ١٤٥ .

(٣) أبكار الأفكار ١ / ٤٦٤ – ٤٦٥ .

(٤) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٠٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان، ولا لمذهبه برهان؛ لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار ؟

ويوقت من الليل شطره أو الأسحار؟ أفبأمره ورحمته يدعو العباد إلى الاستغفار؟ أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا: هل من داع فأجيب؟ هل من مستغفر فأعفر له؟ هل من سائل فأعطي؟ فإن قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر اللذين يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما دون الله. هذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟ وقد علمتم ذلك ولكن تكابرون .

وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل، ثم لا يمكثان إلا إلى طلوع الفجر ثم يرفعان؛ لأن رفاعة يرويه يقول في حديثه: حتى ينفجر الفجر .

وقد علمتم -إن شاء الله- أن هذا التأويل أبطل باطل، لا يقبله إلا كل جاهل .اهـ[1]

إثبات صفة النزول لله تعالى :

إن صفة النزول ثابتة لله عز وجل قد تواترت بها الأخبار وصحت بها الآثار، فالسلف الصالح يثبتون هذه الصفة لله تعالى من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى**

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ١/ ٢١٤ -٢١٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ».(١)

وعنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: « يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ ».(٢)

وعنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ - يَنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَقَالَ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مِنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ».(٣)

قال الحافظ عبد الغنى المقدسي في الاقتصاد ص١٠٦: وهاذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول، ويدحضان حجة كل مبطل .، وروى حديث النزول : علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وعمرو بن عنسبة وأبو الدرداء، وعثمان ابن أبي العاص، ومعاذ بن جبل، وأم سلمه زوج النبي ﷺ، وخلق سواهم .

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ١١٤٥ ، ومسلم برقم ٧٥٨ ، وأبو داود برقم ١٣١٥ ، والترمذي برقم ٣٤٩٨ ، والنسائى فى الكبرى برقم ١٠٢٤٠ ، وابن ماجه برقم ١٣٦٦ ، وأحمد برقم ٧٥٩٢ وغيرهم .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٧٥٨ ، والترمذي برقم ٤٤٦ ، وأحمد برقم ٩٤٣٦ وغيرهم .

(٣) **صحيح** : أخرجه أحمد فى مسنده برقم ١٦٢١٥ ، والطيالسى برقم ١٣٨٨ ، والدارمى فى الرد على الجهمية برقم ١٢٧ ، والآجرى فى الشريعة برقم ٧١٠ وسنده صحيح .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « **يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ، يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ الْقَضَاءِ، حَتَّى يُلْجِمَهُمُ الْعَرَقُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ، ثُمَّ يَنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَجْثُو الْأُمَمُ**، ... الحديث ».(١)

قال الإمام الترمذي المتوفى ٢٧٩ هـ : وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات : ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال: كيف هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه.(٢)

قال أبو عمر ابن عبد البر : وأما قوله ﷺ في هذا الحديث ينزل ربنا الذي عليه أهل العلم من أهل السنة والحق والإيمان بمثل هذا وشبهه من القرآن والسنن دون كيفية فيقولون ينزل ولا يقولون كيف النزول ولا يقولون كيف الاستواء ولا كيف المجيء .(٣)

قال ابن حجر رحمه الله : قد اختلف في معنى النزول على أقوال فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم ومنهم من أنكر صحة

---

(١) **حسن** : أخرجه الطبراني في الكبير برقم ٩٧٦٤ ، والدراقطنى فى الرؤية برقم ١٦٠ ، واللالكائى في شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٨٤٢ وسنده حسن .

(٢) سنن الترمذى ٣/٤١ ط الشيخ /أحمد شاكر .

(٣) الاستذكار ٢/٥٢٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلاً وإما عناداً ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف **ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم .** (١)

وقال المباركفورى في التحفه : بعدما ساق كلام ابن حجر : وهذا القول هو الحق فعليك إتباع جمهور السلف وإياك أن تكون من أصحاب التأويل والله تعالى أعلم.اهـ(٢)

وختاماً : إن القول في صفة النزول كالقول في باقي الصفات فنقول كقول الإمامين ربيعة ومالك في الاستواء : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه .

٣- صفة المجيء والإتيان

أقوال الأشاعرة في هذه الصفة :

قال الجوينى في الإرشاد ص١٦٠ : المعنى بقوله ﴿ **وجاءَ رَبُّكَ** ﴾ أي جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل .اهـ

وقال الرازي : وأما قوله تعالى ﴿ **وجاءَ رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾(٣) ... ففى

(١) فتح البارى ٣/٣٠ .

(٢) تحفة الأحوزى بشرح جامع الترمذى ٢/٤٣١ .

(٣) سورة الفجر : الآية : (٢٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآية وجوه : أحدها : وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازة .، وثانيها : وجاء قهر ربك .، وثالثها : وجاء ظهور معرفة الله تعالى بالضرورة فى هذا اليوم .(١)

وقال الآمدى : وقوله تعالى﴿ **وجاءَ رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾؛ ليس المراد به الحركة والانتقال؛ بل المراد به مجيء أمر الرب - تعالى - لفصل القضاء يوم الدين ... وقوله تعالى﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ** ﴾(٢) ، أى عذاب الله فى ظلل من الغمام ...(٣)

وقال البيجورى في شرحه على الجوهرة ص١٠٥ : والمراد : وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب .اهـ

وهذا الذي ذهبوا إليه من التأويلات الباطلة إنما اتبعوا فيه الجهمية والمعتزلة، وقد خالفوا إمامهم وشيخهم أبى الحسن الأشعري حيث قال : وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال ...(٤)

وقال رحمه الله فى الإبانة ص٣٠ : ونقول : إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة، كما قال سبحانه ﴿ **وجاءَ رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ .

---

(١) أساس التقديس ص ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية: (٢١٠) .

(٣) أبكار الأفكار ٢/ ٤٧ .

(٤) رسالة إلى أهل الثغر ص١٢٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد أجاب الإمام أبو سعيد الدارمى على هذه التأويلات الباطلة في الرد على المريسى فقال : وادعيت أيها المريسي في قول الله تعالى ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ** ﴾، وفي قوله: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ** ﴾ أن هذا ليس منه بإتيان لما أنه غير متحرك عندك، ولكن يأتي بيوم القيامة بزعمك، وقوله ﴿ **يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ** ﴾ولا يأتي هو بنفسه، ثم زعمت أن معناه كمعنى قوله : ﴿ **فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ** ﴾ و ﴿ **فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾ .

فيقال لك : أنبأك الله أنه إتيان، وتقول ليس إيتياناً ، وميزت بين ما جمع الله، وجمعت بين ما ميز الله، ولا يجمع بين هذين التأويل إلا كل جاهل بالكتاب والسنة؛ لأن كل واحد منهما مقرون به في سياق القراءة لا يجهله إلا مثلك .

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه، ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة بين عباده، ويحاسبهم ويثيبهم، فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من، أمور الدنيا، علموا يقيناً، ما يأتي الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه فقوله ﴿ **فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ** ﴾ يعني مكره من قبل قواعد بنيانهم ﴿ **فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ** ﴾ فتفسير هذا الإتيان خرور السقف من فوقهم .

وقوله ﴿ **فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾، مكر بهم فقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وهم بنو قريظة .

فتفسير الإتيان مقرون بهما خرور السقف والرعب، وتفسير إتيان الله يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة منصوص في الكتاب مفسر قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ إلى قوله ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ فقد فسر الله تعالى المعنيين تفسيراً لا لبس فيه، ولا يشتبه على ذي عقل، فقال فيما يصيب به من العقوبات في الدنيا ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ فحين قال ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾ علم أهل العلم أن أمره ينزل من عنده من السماء، وهو على عرشه، فلما قال ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ الآيات التي ذكرنا، وقال أيضاً ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ و ﴿ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ و ﴿ دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ علم بما قص الله من الدليل، وبما حد لنزول الملائكة يومئذ أن هذا إتيان الله بنفسه يوم القيامة ليلي محاسبة حلقه بنفسه، لا يلي ذلك أحد غيره ، أن معناه مخالف لمعنى إتيان القواعد، لاختلاف القضيتين .

ألا ترى أيها المريسي أنه قال ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ ولم يذكر عندها نفخ الصور، ولا تشقق السماء، ولا تنزل الملائكة ولا حمل العرش، ولا يوم العرض ولكن قال ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ في دنياهم ﴿ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فرد الإتيان إلى العذاب، ففرق بين المعنيين ما فرق بهما من الدلائل والتفسير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنما يصرف كل معنى المعنى الذي ينصرف إليه ، ويحتمله في سياق القول، إلا أن يجد الشيء اليسير في الفرط يجوز في المجاز بأقل المعاني وأبعدها عن العقول، فيعمد إلى أكثر معاني الأشياء وأغلبها فيصرف المشهورات منها إلى المغمورات المستحالات يغالط بها الجهال، ويروج عليهم به الضلال .

فيكون ذلك دليلا منه على الظنة والريبة، ومخالفة العامة ..، والقرآن عربي مبين، تصرف معانيه إلى أشهر ما تعرفه العرب في لغاتها، وأعمها عندهم .

فإن تأول متأول مثلك جاهل في شيء منه خصوصاً ، أو صرفه إلى معنى، بعيد عن العموم بلا أثر، فعليه البينة على دعواه وإلا فهو على العموم أبدا، كما قال الله تعالى وقد كفانا رسول الله ﷺ وأصحابه تفسير هذا الإتيان، حتى لا تحتاج له منك إلى تفسير .(١)

ثم ذكر الأدلة من السنة والتي سيأتي ذكرها وقال : **أيأتي الله بالقيامة ويتغيب هو نفسه؟ فمن يحاسب الناس يومئذ؟** لقد خشيت على من ذهب مذهبك هذا ، أنه لا يؤمن بيوم الحساب .

وقال : وأما ما ادعيت من انتقال مكان إلى مكان أن ذلك صفة المخلوقين، فإنا لا نكيف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف الناطق من كتابه، ثم ما وصف رسوله ﷺ .(٢)

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ١ / ٣٥٠ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ٢ / ٦٨٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إثبات صفة المجيء والإتيان لله تعالى :

وهذه صفة من الصفات الفعلية التي يفعلها الله تعالى إذا شاء، والسلف الصالح لم يشبهوا مجيء الله بمجيء الخلق كما فعلت المشبهة وكذلك لم يؤولوا ويحرفوا كما فعلت المعطلة .

وهى صفة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف .

فمن كتاب الله :

قوله تعالى ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ ، وقوله سبحانه ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ** ﴾ ، وقوله سبحانه ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ** ﴾ (١).

ومن السنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: « **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُّ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُّ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِّ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا**

(١) سورة الأنعام : الآية (١٥٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ ...

وفى رواية : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ ... (١)

فهل يجوز أن يتبعوا ملك أو رحمة الله أو عذاب الله أو أمر الله ؟ وهل يجوز أن يقول الملك أو أمر الله أو عذابه أن يقول أنا ربكم الذي كنتم تعبدون فيتبعونه؟

قال أبو عبد الله أحمد بن سعيد الرباطي: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر وحضر إسحاق بن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ قال: نعم. فقال له بعض قواد الأمير: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم: قال: وكيف ينزل؟ قال له إسحاق: أثبت الحديث حتى أصف لك النزول. فقال له الرجل: أثبته. فقال إسحاق: {وجاء ربك والملك صفا صفا} ، فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة. فقال إسحاق: أعز الله

(١) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٨٠٦ ، ومسلم برقم ١٨٢ ، وأحمد برقم ٧٧١٧ ، والنسائي في الكبرى برقم ١١٤٢٤ ، والتوحيد لابن خزيمة ١/٣٦٧ وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟[1]

قال ابن رجب الحنبلى رحمه الله : ومن جملة صفات الله التي نؤمن بها، وتمر كما جاءت عندهم: قوله تعالى ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفاً صَفاً** ﴾ ونحو ذلك مما دل على إتيانه ومجيئه يوم القيامة .

وقد نص على ذلك أحمد وإسحاق وغيرهما.، وعندهما: أن ذلك من أفعال الله الاختيارية التي يفعلها بمشيئته واختياره .

وكذلك قاله الفضيل بن عياض وغيره من مشايخ الصوفية أهل المعرفة .

وقد ذكر حرب الكرماني أنه أدرك على هذا القول كل من أخذ عنه العلم في البلدان، سمى منهم: أحمد وإسحاق والحميدي وسعيد بن منصور .[2]

قال بدر الدين العيني[3] **رحمه الله** : حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة، وورد في التنزيل ما يصدقه، وهو قوله: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ ... والجمهور سلكوا في هذا الباب الطريق الواضحة السالمة،

---

(١) العلو للذهبي برقم ٤٨٥ ، والحجة في بيان المحجة ١٢٩/٢ ، ولوامع الأنوار البهية ٢٤٣/١ .

(٢) فتح الباري لابن رجب ٢٣٦/٧ .

(٣) هو : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين .

أصله من حلب ومولده سنة ٧٦٢ هـ في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس .

وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه.، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ .

من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري) ، و (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار) ، و (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) ، و(البناية في شرح الهداية) وغيرهما من المؤلفات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأجروا على ما ورد مؤمنين به منزهين لله تعالى عن التشبيه والكيفية، وهم : الزهري والأوزاعي وابن المبارك ومكحول وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم من أئمة الدين. ومنهم الأئمة الأربعة : مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد .(١)

٤- صفتي الرضا والغضب

أقوال الأشاعرة فيها :

جمهور الأشاعرة على عدم إثبات هذه الصفات وأغلبهم أرجعها إلى الإرادة كأبي الحسن الأشعري والقاضي الباقلانى وأبو بكر بن فورك وغيرهم .

قال الأشعري رحمه الله : إنه عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم، وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم، وأن غضبه إرادته لعذابهم، وأنه لا يقوم على غضبه شيء .(٢)

وقال القاضي الباقلانى : باب في الرضا والغضب وأنهما من الإرادة : فإن قال قائل فهل تقولون إنه تعالى غضبان راض وإنه موصوف بذلك قيل له أجل وغضبه على من غضب عليه ورضاه عمن رضي عنه هما إرادته لإثابة المرضي عنه وعقوبة المغضوب عليه لا غير ذلك .(٣)

قال ابن فورك رحمه الله : فأما وصفه بالغضب فقد ورد به الكتاب ومعناه إرادة العقوبة لأهلها ومن علم أنه يعاقب عليها وكذلك نقول في الرضا أنه إرادة

(١) عمدة القاري شرح البخاري ٧/ ٢٠٠ .

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص ١٣٠ .

(٣) انظر : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ص٤٧ ، والإنصاف ص٣٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التنعيم والتفضيل لمن علم أنه أهل لذلك وذلك من صفات الذات لأن تأويله يرجع إلى الإرادة وإرادة الله تعالى من صفات ذاته .(١)

وقال الغزالي رحمه الله : وكما عبر بالغضب والرضى عن إرادة الثواب والعقاب الذين هما ثمرتا الغضب والرضى ومسبباه في العادة .(٢)

وهذا الذي ذهبوا إليه تأويل باطل يأباه منهج السلف الصالح ، والحق فى ذلك ما نص عليه الإمام الطحاوى في عقيدته قال : « **والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى** » قال الشارح ابن أبى العز الحنفي : ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا، والعداوة والولاية، والحب والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى .اهـ(٣)

قال ابن القيم رحمه الله : قد فطر الله عباده على قولهم هذا الفعل يحبه الله، وهذا يكرهه الله ويبغضه وفلان يفعل ما لا يحبه الله، والقرآن مملوء بذكر سخطه وغضبه على أعدائه، وذلك صفة قائمة به، يترتب عليها العذاب واللعنة، لا أن السخط هو نفس العذاب واللعنة بل هما أثر السخط والغضب وموجبهما، ولهذا يفرق بينهما كما قال تعالى ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**

(١) مشكل الحديث وبيانه ص٤٨٥ .

(٢) الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى ص٣٩ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفي ص ٤٧١ – ٤٧٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [١] ففرق بين عذابه وغضبه ولعنته، وجعل كل واحد غير الآخر .[٢]

إثبات صفتي الرضا والغضب :

الرضا والغضب صفتين ثابتتين بالكتاب والسنة والسلف الصالح يؤمنون بهما من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل .

فمن كتاب الله في صفة الرضا : قال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [٣] وقال تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [٤] وقال ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٥] والآيات في ذلك كثيرة .

وفي الغضب والسخط : قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ وقال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [٦] وقال ﴿ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ

---

(١) سورة النساء : الآية (٩٣) .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ١ /٢٦٧ .

(٣) سورة التوبة : الآية (١٠٠) .

(٤) سورة الفتح : الآية (١٨) .

(٥) سورة المجادلة : الآية (٢٢) .

(٦) سورة المائدة : الآية (٦٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) وقال ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٢) والآيات في ذلك كثيرة .

ومن السنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي** ». (٣)

عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**». (٤)

قال ابن القيم رحمه الله : فتأمل ذكر استعاذته ﷺ بصفة الرضا من صفة السخط وبفعل المعافاة من فعل العقوبة، فالأول للصفة، والثاني لأثرها المترتب عليها، ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده، لا إلى غيره .. (٥)

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ**

---

(١) سورة الفتح : الآية (٦) .

(٢) سورة المائدة : الآية (٨٠) .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٧٤٠٤ ، ومسلم برقم ٢٧٥١ وغيرهما .

(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٤٨٦ ، وأبو داود برقم ٨٧٩ ، والترمذي برقم ٣٤٩٣ ، والنسائي برقم ١٦٩ ، وابن ماجه برقم ٣٨٤١ ، وأحمد ٢٤٣١٢ وغيرهم .

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ١ /٢٦٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ».(١)

وذكر الغضب في حديث الشفاعة على لسان أولى العزم من الرسل عليهم السلام فيقولون كما أخبر النبي ﷺ : « إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ».(٢)

قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر ص١٥٩: لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف وهو قول أهل السنة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه .

قال الإمام ابن أبى العز رحمه الله : ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام - فإن هذا نفي للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده .(٣)

٥- صفة الفرح والعجب والضحك

أقوال الأشاعرة في هذه الصفات :

إن الأشاعرة على عادتهم في الصفات الخبرية أولوا هذه ا لصفات أيضاً .

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ٢٧٣٤، والترمذي برقم ١٨١٦ ، والنسائي برقم ١٦٩ ، وأحمد ١١٩٧٣ وغيرهم .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٤٧١٢ ، ومسلم برقم ١٩٤ وغيرهما .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفي ص ٤٧٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الرازي رحمه الله : وجه التأويل فيه ... أن يحمل الضحك على حصول الرضى والأذن .... ويجوز أن يكون وقع خطأ في الإعراب وكان الحق : فيضحك الله منه ، أى يُضحك الله الملائكة من ذلك القول ... (١)

وقال في صفتي الفرح والعجب : والتأويل هو أن من يرضى بالشيء يفرح به فيسمى الرضا بالفرح ، وهذا هو الكلام في البشاشة ... واعلم أن التعجب حالة تحصل عند استعظام الأمر ، فإذا عظم الله تعالى فعلا جاز إطلاق لفظ التعجب عليه .اهـ(٢)

قال الآمدى رحمه الله : وتأويله أن يقال : الضحك قد يطلق على ظهور تباشير النجح في كل أمر.، ومنه يقال : الضحك الرياض إذا بدت أزهارها، وعلى هذا فقوله فضحك؛ أى بدت تباشير

الخير، والنجح منه . (٣)

إثبات هذه الصفات : وهذه الصفات لله عز وجل ثابتة بالسنة الصحيحة ، على ما يليق بالله سبحانه وتعالى .

إثبات صفة الفرح : -

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا**

(١) أساس التقديس ص ١٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠ .

(٣) أبكار الأفكار ١ / ٤٧١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ».(١)

إثبات صفة العجب : -

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ».(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ».(٣)

إثبات صفة الضحك : -

(١) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٦٣٠٩ ، ومسلم برقم ٢٧٤٧ ، وغيرهما .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٣٠١٠ ، وأحمد فى مسنده برقم ٩٨٨٩ وغيرهما .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٤٨٨٩ ، ومسلم برقم ٢٠٥٤ ، وابن أبى عاصم فى السنة برقم ٥٧٠ ، وأبى يعلى برقم ٦١٨٦ وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ، يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»، فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ، فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ».(١)

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - ، قَالَ : فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي - أَوْ أَتَضْحَكُ بِي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ».(٢)

وفى الحديث الطويل : « .... فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لاَ أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ، قَالَ لَهُ : ادْخُلِ الجَنَّةَ ...»(٣)

(١) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٢٨٢٦ ، ومسلم برقم ١٨٩٠ ، والنسائي برقم ٣١٦٦ ، وأحمد برقم ٨٢٢٤ وغيرهم .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٦٥٧١، ومسلم برقم ١٨٦ ، والترمذي برقم ٢٥٩٥ ، وابن ماجه برقم ٤٣٣٩ ، وأحمد برقم ٤٣٩١ وغيرهم .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٧٤٣٧، ومسلم برقم ١٨٢ وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلام مفيد للعلامة الشنقيطي في الصفات :

قال رحمه الله نقول : ١ - وصفوا – أي الأشاعرة - الله تعالى بالقدرة وأثبتوا له القدرة والله جل وعلا يقول في كتابه﴿ **إِنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ ونحن نقطع أنه تعالى متصف بصفة القدرة على الوجه اللائق بكماله وجلاله. وكذلك وصف بعض المخلوقين بالقدرة قال ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ**﴾ فأسند القدرة لبعض الحوادث ونسبها إليهم ونحن نعلم أن كل ما في القرآن حق وأن للمولى جل وعلا قدرة حقيقة تليق بكماله وجلاله. كما أن للمخلوقين قدرة حقيقة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم. وبين قدرة الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق وحسبك بونا بذلك .

٢، ٣- ووصف نفسه بالسمع والبصر في غير ما آية من كتابه قال ﴿ **إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ ، ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ ، ووصف بعض الحوادث بالسمع والبصر، قال ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾ ، ﴿ **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا** ﴾ ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق فلله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان لائقتان بجلاله وكماله. كما أن للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقيين مناسبين لحاله من فشقره وفنائه وعجزه وبين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

٤ - ووصف نفسه بالحياة قال ﴿ **اللهُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ ، ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ**﴾ ، ووصف أيضاً بعض المخلوقين بالحياة قال ﴿

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ ﴾ ، ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً ﴾ ، ونحن نقطع بأن الله جل وعلا صفة حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله .، كما أن للمخلوقين حياة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم وبين صفة الخالق والمخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

٥ - ووصف جل وعلا نفسه بالإرادة قال ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .، وصف بعض المخلوقين بالإرادة قال ﴿ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِّ ﴾ ولا شك أن لله إرادة حقيقية لائقة بكماله وجلاله كما أن للمخلوقين إرادة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وبين إرادة الخالق والمخلوق كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

٦ - وصف نفسه جل وعلا بالعلم قال ﴿ وَاللهُّ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ لَكِنِ اللهُّ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِه ﴾ ووصف بعض المخلوقين بالعلم قال ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاه ﴾ .، ولا شك أن للخالق جل وعلا علماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله محيطاً بكل شيء.، كما أن للمخلوقين علماً مناسباً لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم وبين علم الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

٧-ووصف نفسه جل وعلا بالكلام. قال ﴿ وَكَلَّمَ اللهُّ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾ ، ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِّ﴾ .، ووصف بعض المخلوقين بالكلام قال ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ ولا شك أنّ للخالق تعالى كلاماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله.، كما أن للمخلوقين كلاماً مناسباً لحالهم وفنائهم وعجزهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وافتقارهم وبين كلام الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

هذه صفات المعاني سمعتم ما في القرآن من وصف الخالق بها ووصف المخلوق ولا يخفى على عاقل أنّ صفات الخالق حق.، وأنّ صفات الخالق لائقة بجلاله وكماله، وصفات المخلوقين مناسبة لحالهم وبين الصفة والصفة كما بين الذات والذات .

وسنبين مثل ذلك في الصفات التي يسمونها سلبية : والمراد بها أن تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله من غير أن تدل على معنى وجودي قائم بالذات والذين قالوا هذا جعلوا الصفات السلبية خمساً لا سادس لها وهي عندهم القدم والبقاء والمخالفة للخلق والوحدانية والغنى المطلق الذي يسمونه القيام بالنفس الذي يعنون به الإستغناء عن المخصص والمحل .

ونحن الآن نتكلم على ما وصفوا به الله جل وعلا من القدم والبقاء وإن كان بعض العلماء كره وصفه جل وعلا بالقدم .، فالله جل وعلا وصف بعض المخلوقين بالقدم قال ﴿**كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ ، ﴿ **إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ** ﴾ ، ﴿ **أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ** ﴾ ووصف بعضهم بالبقاء قال ﴿ **وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ** ﴾ ، ﴿ **مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ** ﴾ ولا شك أن ما وصفوا به الله من هذه الصفات مخالف لما وصف به الخلق نحو ما تقدم .

أمّا الأولية والآخرية التي نص الله عليهما في قوله ﴿ **هو الأولُ والآخِرُ** ﴾ فقد وصف بعض المخلوقين أيضاً بالأولية والآخرية قال ﴿ **أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ثُمَّ**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴾ ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من ذلك لائق بجلاله وكماله كما أن للمخلوقين أولية وآخرية مناسبة لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم .

ووصف نفسه بأنه واحد قال ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِد ﴾ ووصف بعض المخلوقين بذلك قال ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ ووصف نفسه بالغنى قال ﴿ فَإِنَّ اللهَّ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَّ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ووصف بعض المخلوقين بالغنى قال ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِف﴾ ، ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُّ مِنْ فَضْلِه﴾ .

فهذه الصفات السلب جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها ولا شك أن ما وصف به الخالق منها لائق بكماله وجلاله وما وصف به المخلوق مناسبة لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره .

ثم نذهب إلى الصفات السبع التي يسمونها المعنوية والتحقيق إن عد الصفات السبع التي هي كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً لا وجه له لأنها في الحقيقة إنما هي كيفية الاتصاف بالمعاني السبع التي ذكرنا ومن عدها من المتكلمين عدوها بناءً على ثبوت ما يسمونه الحال المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة والتحقيق أن هذه خرافة وخيال .، وإن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة البتة فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعاً وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعاً ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقلاء فإذا كنا قد مثلنا لكنه قادراً وحياً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومريداً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً لما جاء في القرآن من وصف الخالق بذلك وما جاء في القرآن من وصف المخلوق بذلك وبينا أن صفة الخالق لائقة بكماله وجلاله وأن صفة المخلوق مناسبة لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره فلا داعي لأن ننفي وصف رب السموات والأرض عنه لا أن نشبهها بصفات المخلوقين بل يلزم أن نقر بوصف الله ونؤمن به في حال كوننا منزهين له عن مشابهة صفة المخلوقين وهذه صفات الأفعال جاء في القرآن بكثرة وصف الخالق بها ووصف المخلوق ولا شك أن ما وصف به الخالق منها مخالف لما وصف به المخلوق كالمخالفة التي بين ذات الخالق وذات المخلوق ، ومن ذلك أنه وصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل التي هي أنه يرزق خلقه قال جل وعلا ﴿ **مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللهَّ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ .، ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق قال ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْه**﴾ ، ﴿ **وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهَّ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا** ﴾ ، ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق كمخالفة ذات الله لذات المخلوق .، ووصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل الذي هو العمل قال ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾ .، وصف المخلوقين بصفة الفعل التي هي العمل قال ﴿ **إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ .، ولا شك أن ما وصف الله به المخلوق مخالف له كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصف نفسه بأنه يعلّم خلقه ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَان عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيما ﴾ .، ووصف بعض خلقه بصفة الفعل التي هي التعليم أيضاً قال ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَاب ﴾ وجمع المثالين في قوله ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ ﴾ .

ووصف نفسه جل وعلا بأنه ينبّيء ووصف المخلوق بأنه ينبّيء.، وجمع بين الفعل في الأمرين في قوله جل وعلا ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ .

ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه العبد كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق ووصف نفسه بصفة الفعل الذي هو الإيتاء قال ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَه ﴾ ، ووصف المخلوقين بالفعل الذي هو الإيتاء قال ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارا﴾ ، ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ .

ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به العبد من هذا الفعل كمخالفة ذاته لذاته ثم نتكلم على الصفات الجامعة كالعلو والعظم والكبر والملك والتكبر والجبروت والعزة والقوة وما جرى مجرى ذلك من الصفات الجامعة فنجد الله وصف نفسه بالعلو والكبر والعظم قال في وصف نفسه بالعلو والعظم ﴿ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ . وقال في وصف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسه بالعلو والكبر ﴿ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ ، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ .

ووصف بعض المخلوقين بالعظم قال ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ، ﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾ ، ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ووصف بعض المخلوقين بالعلو قال ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾ .، ولا شك أن ما وصف الله به من هذه الصفات الجامعة كالعلو والكبر والعظم مناف لما وصف به المخلوق منها كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق فلا مناسبة بين ذات الخالق والمخلوق كما لا مناسبة بين صفة الخالق وصفة المخلوق .

ثم إننا نتكلم على الصفات التي اختلف فيها المتكلمون.، هل هي صفات فعل أو صفات معنى والتحقيق أنها صفات معان قائمة بذات الله جل وعلا. كالرأفة والرحمة والحلم. فنجده جل وعلا وصف نفسه بأنه رؤوف رحيم قال ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ووصف بعض المخلوقين بذلك قال في وصف نبينا صلوات الله وسلامه عليه ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ووصف نفسه بالحلم قال ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَّ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللهُّ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووصف بعض المخلوقين بالحلم قال ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ .

ووصف نفسه بالمغفرة قال﴿ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاء﴾ .

ووصف بعض المخلوقين بالمغفرة قال ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ ،﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهَّ ﴾ .

ولا شك أن ما وصف به خالق السموات والأرض من هذه الصفات أنه حق لائق بكماله وجلاله لا يجوز أن ينفى خوفاً من التشبيه بالخلق. وأن ما وصف به الخلق من هذه الصفات حق مناسب لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم .

وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يتنطّع إلى وصف أثبته الله جل وعلا لنفسه فينفي هذا الوصف عن الله متهجماً على ربّ السموات والأرض مدعياً عليه أن هذا الوصف الذي تمدح به أنه لا يليق به وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص فهذا جنون وهوس ولا يذهب إليه إلاّ من طمس الله بصائرهم .

وسنضرب لكم لهذا مثلاً يتبين به الكل لأن مثلاً واحداً من آيات الصفات ينسحب على الجميع إذ لا فرق بين الصفات لأن الموصوف بها واحد .، وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جل وعلا لا يشبه شيء من خلقه في شيء من صفاته البتة .[1]

❁❁❁

المبحث السابع

كلام الله

(عز وجل)

بين السلف والأشاعرة

ويشتمل على تمهيد ومطلبين :

(١) الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً للعلامة محمد الأمين الشنفيطى ص ١٠بتصرف ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ، مايو ١٩٧٣م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً : تمهيد :

المطلب الأول : مسألة كلام الله بين السلف والأشاعرة .

المطلب الثاني : مناقشة السلف لما ذهب إليه الأشاعرة .

تمهيد

إن هذه المسألة من أهم المسائل التي شدَّت إليها أنظار العالم الإسلامي، ومن أكثرها نزاعاً بين الفرق، لكثرة ما دار حولها من الجدل والخلاف الذي وصل إلى حد استعمال القوة والسلطان فحصل بذلك من الفتنة والمحنة في خلافة بني العباس، في خلافة المأمون، فتنة القول بخلق القرآن، والمحنة بذلك حتى حُمل الناس على بدعة القول بخلق القرآن حُملوا على ذلك بالقوة، وامتحن العلماء وعلى رأسهم إمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله .

حيث أنه لم يؤثر عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الكلام في هذه المسألة ولم تعرف في زمنهم، بل كان الناس يؤمنون بجميع ما جاء في كتاب الله عز وجل، بما في ذلك إخباره سبحانه عن نفسه بأنه ينادي ويتكلم ويبصر ويسمع إلى غير ذلك في دائرة قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} .

ثم سار التابعون بعدهم على ذلك المنهج الراشد من الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسوله ﷺ حتى أظهر (الجعد بن درهم المتوفى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة ١٢٤ هـ) القول بإنكار تكلم الله تعالى وأن القرآن مخلوق وليس بكلام الله ، وذلك في أواخر الدولة الأموية طلبه بنو أمية فهرب إلى الكوفة ثم قتله بها خالد بن عبد الله القسري - عامل بني أمية فيها - في يوم عيد الأضحى حيث خطب الناس وقال في خطبته : « أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه في أصل المنبر »[١]

وقد ذكر ابن عساكر وغيره مفاده : أن الجعد بن درهم أخذ هذا القول عن بيان بن سمعان، وبيان أخذه عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وطالوت أخذه عن خاله لبيد- ذلك اليهودي الذي سحر رسول الله والذي كان يقول بخلق التوراة .[٢]

لكن الجعد كان قد أوحى ببدعته إلى (الجهم بن صفوان الترمذي المتوفى سنة ١٢٨ هـ) حيث لقيه بالكوفة وأخذ عنه، ثم نُفِيَ إلى ترمذ وبقي إلى أن قتل بأصبهان وقيل بمرو .، ثم تلقف هذه المقالة عن أتباع جهم ، (بشر المريسي المتوفى ٢١٨ هـ) الذي كان عين الجهمية وعالمهم في عصره .

(١) أخرجه البخاري فى خلق أفعال العباد ١/٢٩ ، والرد على الجهمية للدارمى برقم ١٣ ، والسنة لأبى بكر الخلال برقم ١٦٩٠ ، والشرعية للآجرى برقم ٦٩٤ ، والإبانة الكبرى لابن بطة برقم ٣٨٤ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة برقم ٥١٢ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٩/٣٥٠ طبعة دار الفكر ، والوسائل في معرفة الأوائل للسيوطي ١٣١-١٣٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم أخذ عن بشر أحمدُ بن أبي دؤاد الرجل الذي أغرى المأمون العباسي بالمحنة وإجبار الناس على القول بخلق القرآن فافتتن كثير من الناس وثبت إمام السنة - أحمد بن حنبل رحمه الله - على الحق وصبر على الضرب والأذى .

وبعد أن بذر أولئك النفر من المبتدعة بذور الفتنة والخلاف في هذه المسألة اشتغل الناس بها اشتغالاً عظيماً، وكثر فيها الكلام والجدال؛ ولذا قيل في سبب تسمية علم الكلام: إنه سمي بعلم الكلام؛ لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه ، حيث كثر فيها التناحر ودار حولها من الجدل ما لم يدر حول مسألة غيرها.

وقد تنازع الناس في كلام الله عز وجل نزاعاً كثيراً، وتعددت أقوالهم في ذلك فبلغت تسعة أقوال[1]، وإنما اكتفي هنا بذكر ثلاثة من أهمها وأشهرها والتي يمكن اعتبارها الأقوال الرئيسية في الباب لكثرة القائلين بكل منها .

القول الأوّل : قول السلف من أهل الحديث والسنة : - وهو أنَّ كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأنه سبحانه يتكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع ويتلى وأنه بحرف وصوت.

القول الثاني : قول الجهمية والمعتزلة وهو : - أن كلام الله مخلوق خلقه في غيره، وليس هو بمتكلم عند الجهمية، بينما يطلق المعتزلة أنه متكلم تقية - لئلا يشنع عليهم. إذ معنى أنه متكلم عندهم: أنه فعل الكلام وخلقه في غيره وهذا بعينه قول الجهمية .

(١) راجع هذه الأقوال : مجموع الفتاوى لابن تيميه ٤٩/١٢ ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢٨٦/٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ص ١١٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القول الثالث : قول الكلابية والأشاعرة : - وهو أن كلام الله تعالى معنى قائم بالنفس لازم لذاته تعالى لزوم الحياة والعلم، وأن الله لا يتكلم بمشيئته وإرادته، ولا يتكلم بحرف وصوت .، وأن الحروف والأصوات حكاية عن كلامه عند (الكلابية) ، وعبارة عنه (عند الأشاعرة) وأن كلامه معنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعض هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرانية ، كان توراة ، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً .

وأول من عرف عنه هذا القول عبد الله بن سعيد بن كلاب ثم وافقه عليه أبو الحسن الأشعري والقلانسي وغيرهما .

* ولما اشتد افتتان الناس بهذه المسألة، وعمت البلوى بها وعميت الحقيقة على عامة الأمة بادر علماء السلف لإيضاح الحقيقة ورد الحكم في هذه المسألة وغيرها إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، فألفوا في ذلك المؤلفات التي تبين منهج الكتاب والسنة وسلف الأمة الصالح في هذا الباب، وردوا على أهل الباطل باطلهم، وبينوا للناس ضلالهم وكشفوا عوارهم وبينوا أنهم دعاة فتنة وإلحاد في أسماء الله وصفاته .

فمن تلك المؤلفات ما هو عام في بيان السنة في كثير من مسائل العقيدة، ومنها ما هو خاص بمسألة القرآن .

فمن النوع الأوّل :

١ - كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١ هـ) .

٢ - كتاب السنة للإمام أحمد أيضاً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (ت ٢٩٠ هـ) .

٤ - كتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) .

٥ - كتاب الرد على بشر المريسي للدارمي أيضاً.

٦ - كتاب الرد على الجهمية لابن منده (ت ٣٩٥ هـ) .

٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي (ت٤١٨هـ) .

٨ - الإبانة لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) .

٩ - الإبانة لابن بطه (ت ٣٨٧ هـ) .

ومن النوع الثاني :

١ - كتاب الحيدة في الرد على المريسي للمكي عبد العزيز بن يحيى الكناني (ت ٢٤٠ هـ) .

٢ - كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ) .

٣- كتاب الاختلاف في اللفظ للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) .

٤ - الإبانة في مسألة القرآن لأبي نصر السجزي (ت ٤٤٤هـ) .

فهذه نماذج من الكتب المؤلفة في الباب وهناك الكثير غيرها.

وبعد هذا العرض الذي يهم من الأقوال السالفة الذكر :

- قول الأشاعرة ومن تبعهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- قول السلف من أهل السنة والجماعة ، وموقفهم من مذهب الأشاعرة وهذا ما سوف نتعرض له في المطالب الآتية بإذن الله تعالى ، نسأله تعالى التوفيق والسداد .

المطلب الأول

مسألة كلام الله بين السلف والأشاعرة

إن الأشاعرة قد وافقوا السلف فى إثبات صفة الكلام لله تعالى في الجملة ضمن الصفات السبعة التي أثبتوها على ما تقدم ، وذلك خلافاً للجهمية والمعتزلة القائلين بأنه مخلوق ، ولكن يلاحظ أن مذهب الأشاعرة يقوم على عدة أمور في هذه المسألة قد انفردوا بها عن غيرهم يقولون فيها :

١- إن كلام الله معنى قائم بالنفس، دون الحروف والألفاظ. وهذا ما يسمونه بالكلام النفسي، ومن ثم منعوا أن يكون كلام الله بحرف وصوت .

٢- وإنه قديم أزلي قائم بذات الله تعالى كحياته وعلمه، ولذا فهو لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته، ولا يتكلم إذا شاء متى شاء .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- وإنه معنى واحد لا يتجزأ، هو الأمر بكل مأمور والنهي عن كل منهي عنه، والخبر عن كل مخبر عنه ، إن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراةً ، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً .

٤- إن القرآن العربي عبارة عن كلام الله، وهو مخلوق، أتى به جبريل أو محمد ﷺ أو أوجده الله في الهواء أو في اللوح المحفوظ. ودعموا مذهبهم هذا بمذهب اللفظية الذين قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة .

٥- إن تكليم الله لملائكته وتكليمه لموسى، وتكليمه لعباده يوم القيامة، ومناداته لمن ناداه، إنما هو خلق إدراك في المستمع أدرك به ما لم يزل موجوداً .

هذا وإليك بعض أقوالهم من كتبهم : -

قال الجوينى رحمه الله في الإرشاد ص ١٠٥ : وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس ، وهو الفكر الذي يدور في الخلد، وتدل عليه العبارات تارةً، وما يصطلح عليه من الإشارات ونحوها.اهـ

وقال أبو حامد الغزالى رحمه الله : ونحن لا نثبت في حق الله تعالى إلا كلام النفس ... ونحن نسمي ذلك كلاماً وهو جنس مخالف للعلوم والإرادات والاعتقادات، وذلك لا يستحيل ثبوته لله تعالى بل يجب ثبوته فإنه نوع كلام فإذا هو المعني بالكلام القديم .

وأما الحروف فهي حادثة وهي دلالات على الكلام والدليل غير المدلول ولا يتصف بصفة المدلول، وإن كانت دلالته ذاتية كالعالم فإنه حادث ويدل على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صانع قديم فمن أين يبعد أن تدل حروف حادثة على صفة قديمة مع أن هذه دلالة بالاصطلاح ؟

فإن قال قائل : كيف سمع موسى كلام الله تعالى ؛ أسمع صوتاً وحرفاً ؟ فإن قلتم ذلك فإذا لم يسمع كلام الله فإن كلام الله ليس بحرف ، وإن لم يسمع حرفاً ولا صوتاً فكيف يسمع ما ليس بحرف ولا صوت ؟

قلنا : سمع كلام الله تعالى وهو صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، فقولكم كيف سمع كلام الله تعالى كلام من لا يفهم المطلوب من سؤال كيف، وإنه ماذا يطلب به وبماذا يمكن جوابه فلتفهم ذلك حتى تعرف استحالة السؤال. فنقول: السمع نوع إدراك، فقول القائل كيف سمع كقول القائل كيف أدركت بحاسة الذوق حلاوة السكر ... [1]

قال الآمدى رحمه الله : معنى كونه متكلماً عند أصحابنا أنه قام بذاته كلام، قديم، أزلي نفساني، أحدى الذات، ليس بحروف، ولا أصوات، وهو مع ذلك متعلق بجميع متعلقات الكلام .

لكن اختلفوا في وصف كلام الله - تعالى - فى الأزل بكونه أمراً ونهياً، مخاطبة تكلماً . [2]

وقال البيجورى رحمه الله : كلامه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت منزه عن التقدم والتأخر والأعراب والبناء ....

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص٦٨ وما بعدها .

(٢) أبكار الأفكار ١ /٣٥٣ ، وغاية المرام في علم الكلام ص ٨٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال في موضع آخر: واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم ، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى ، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه .... (١)

وقال أن لها أقساماً اعتبارية بحسب ما تعلقت به ، أي الأمر والنهى والخبر والوعد والوعيد .

ويقول اللقاني ناظم الجوهرة :

ونزه القرآن أي كلامه .... عن الحدوث واحذر انتقامه

فكل نص للحدوث دلاّ .... إحمل عن اللفظ الذي قد دلاّ

ويشرح البيجوري هذا النظم بقوله : أي واعتقد أيها المكلف تنزه القرآن – بمعنى كلامه تعالى- عن الحدوث، خلافاً للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام، زعماً منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل عليه تعالى، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق، لأن الله خلقه في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن . (٢)

وقال الدردير رحمه الله : كلامه تعالى وهو صفة أزلية نفسية ، ليست بحرف ولا صوت ، تدل على جميع المعلومات . (٣)

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للباجورى ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للباجورى ص ١٠٦ .

(٣) شرح الخريدة البهية ص ١٧٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن المعاصرين الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فيقول[1] في حديثه عن صفة الكلام : إذا تأملت فيما ذكرناه أدركت النقطة الخلافية بين المعتزلة وأهل السنة والجماعة- ويعني بأهل السنة والجماعة- الأشاعرة، وهي أن هناك معنى لألفاظ القرآن يتكون فيه الأمر والنهي والأخبار المتوجه إلى الناس، وهو قديم. فما اسم هذا المعنى؟.

المعتزلة: اسمه العلم إذا كان أخبارا، والإرادة إذا كان أمرا ونهيا .

الجمهور: اسمه الكلام النفسي، وهو صفة زائدة على كل من العلم والإرادة قائم بذاته تعالى .

وأما الكلام الذي هو اللفظ، فاتفقوا على أنه مخلوق، وعلى أنه غير قائم بذاته سبحانه. باستثناء أحمد بن حنبل وبعض أتباعه، فقد ذهبوا إلى أن هذه الحروف والأصوات أيضا قديمة بذاتها، وإنها هي المعنى بصفة الكلام .

ثم قال: ولا تدخل- بعد أن عرفت نقطة الوفاق والخلاف- في شيء من المناقشة والجدال اللذين قاما حول هذا البحث، لاعتقادنا بأن الخطب أيسر من ذلك، وإن كنا نعتقد ما ذهب إليه الجمهور من أن المعنى الذي هو مدلول العبارات اسمه الكلام النفي، وأنه صفة زائدة على كل من صفتي العلم والإرادة ... إلى أن قال: ومعظم ما تسمعه من الأصداء الرهيبة للخلاف التاريخي في هذه المسألة، إنما منشؤه الخلاف بين أحمد بن حنبل رضي الله عنه والفرق الأخرى كالجهمية والمعتزلة .

(١) انظر : كتاب « كبرى اليقينات الكونية » ص ١٢٦، الطبعة الثامنة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا كلام البوطي المعاصر فهو يقرر أن هذا القرآن بين أيدينا مخلوق، وأنه لا فرق بين جمهور أهل السنة- والمقصود بهم الأشاعرة- وبين المعتزلة في ذلك. ثم إنه يقلل من المحنة التي ثبت فيها الإمام أحمد بن حنبل وأظهر الله الحق على يديه بعد أن تعرض للضرب والحبس والإهانة في هذه المسألة- فيقول بهذا الكلام الساخر: ومعظم ما تسمعه من الأصداء الرهيبة للخلاف التاريخي في هذه المسألة إنما منشؤه الخلاف بين أحمد بن حنبل ... الخ

هكذا يرى أن هذا الخلاف لا قيمة له، ما دام الأشاعرة والمعتزلة متفقون على أن القرآن مخلوق.(١)

وهذه الأقوال تبين لنا مراد الأشاعرة وعقيدتهم في كلام الله تعالى، وهو التفريق بين المعنى واللفظ وأن المعنى هو كلام الله تعالى النفسي القديم، وأنه ليس بمخلوق واللفظ القرآني ليس هو كلام الله تعالى بل هو مخلوق وإن كان يصح إطلاق كلام الله عليه ولكن يكون كلام الله هنا مخلوق ولا يقال ذلك إلا في مقام التعليم هذا هو الأمر المراد من كلام البيجورى .

أما المراد الثاني : فهو أن كلام الله تعالى نفسي قديم ليس بحرف ولا صوت. وقد صرحوا بذلك في عدة موطن من كتبهم .

هذا ولا ريب أن الأشاعرة اتفقوا على أن كلام الله أزلى قديم وأنه صفة له تعالى ، وأن أمره ونهيه كان قبل وجود المأمورين والمنهيين .

(١) نقلاً من مقدمة الحيدة والاعتذار ص١٧ بتحقيق /علي بن محمد بن ناصر الفقهي ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مما يستلزم هذا أمرين :-

أحدها : إما أن يكون الله تعالى تكلم فى الأزل بجميع الكلام ، وكل كلامه قديم الأعيان ، بمعنى أنه خاطب آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وكذا أهل الجنة وأهل النار فى الأزل .

وهذا هو قول الأشاعرة ويكفى بطلان هذا القول شهادة صاحبهم الرازي – رحمه الله – في المطالب العالية ٣/١٣٠ – ١٣١ فقال بعد أن أورد حجج القائلين بقدم الكلام وأزليته دليلاً دليلاً : أما الوجه الأول .. فلا نسلم أن السكوت نقص بل النقص أن يقول القائل يا زيد صل ويا عمرو صل، مع أن زيدا وعمرا معدومين ، ألا ترى أن الرجل إذا جلس فى دار نفسه وحده خالياً عن الناس ثم يقول : يا مستقر اركب ، ويا قائماً أقبل ، فكل أحد يقضى عليه بالجنون والنقص ، وأما الوجه الثالث وهو أن الكلام صفة كمال والخلو عنه نقص ، والنقص على الله محال ، فجوابه : أن الاشتغال بالأمر والنهى حال عدم المأمور والمنهي هو النقص والسفه .

قلت : وهذا الإلزام جيد للأشاعرة ولا محيد لهم عنه .

ثم كيف قال في الأزل ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ** ﴾ ، ولم يكن قد خلق نوحاً بعد ولا محمدا الذي أوحى إليه بهذا الكلام ، وكيف قال في الأزل لموسى ﴿ **فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾ ولم يكن قد خلق موسى بعد .

ثانيها : وإما أن الله تعالى متصفاً بالكلام في الأزل بمعنى أنه متى شاء تكلم ، وتكلم عند وجود المقتضى للكلام ، فلم يكلم موسى في الأزل ولكنه كلمه لما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أتى الشجرة بجبل الطور ، وتكلمه لا يعلم حقيقته ولا كيفيته إلا هو سبحانه وتعالى ، فنثبته من غير تعرض لكيفيته ، وهذا هو مذهب السلف .(١)

*** عقيدة السلف في كلام الله تعالى :-**

تقدم أن الناس تفرقوا في صفة الكلام إلى تسع فرق كلها تائهة إلا واحدة، وهي التي تمسكت بما كان عليه سلف هذه الأمة وخيرها، وأمسكت عن الخوض تأدباً مع نصوص الكتاب والسنة، وإيماناً منها بتلك النصوص المتضافرة والأدلة المتنوعة ، وللإمام الطحاوي عبارة لطيفة في هذا المعنى إذ يقول: ولما أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ **إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ** ﴾ ، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر .

وصفة الكلام - عند التحقيق- صفة ذاتية قديمة قائمة بذاته تعالى باعتبار نوع الكلام، وهي صفة فعل تتعلق بها مشيئة الله تعالى باعتبار أفراد الكلام، لأن الكلام الذي خاطب الله به نوحاً عليه السلام في شأن ابنه ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ ، غير الكلام الذي خاطب به موسى عليه السلام ﴿ **أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾، وهو غير الكلام الذي خاطب به عيسى عليه السلام ﴿ **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ** ﴾، وهذا الكلام كله غير الكلام الذي خاطب الله به خاتم رسله، وإمامهم محمداً ﷺ ليلة الإسراء والمعراج .

(١) عقائد الأشاعرة لمصطفى باحو ص ١٥٠ – ١٥١ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا كله غير القرآن الذي أنزله عليه وختم به كتبه، هذا المعنى، وهذا الفهم هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة .، وهم الفرقة الناجية التي تمسكت بما كان عليه النبي ﷺ فيما نعتقد، وهذا يعني أنهم يثبتون لله كلاماً حقيقياً يسمعه المخاطب، وأن هذا القرآن الذي نقرأه بألسنتنا، ونحفظه في صدورنا ونكتبه في ألواحنا وكتبنا أنه كلام الله حقيقة لفظه ومعناه، ولا يبحثون عن كيفية تكلمه تعالى به، لأننا نؤمن به، ولا نحيط به علماً، هذا هو موقف السلف من صفة الكلام بإيجاز .

ذلك لعلمهم بأن الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، ولا يختلف العقلاء في ذلك، وكلنا نعلم أن معبود قوم موسى الذي اتخذوه من حليهم مما عيب عليه عدم الكلام، بل يستدل بذلك على أنه ليس بإله، إذ يقول الله تعالى ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً** ﴾ .

١ - ومن أقوى الأدلة على أن الله يتكلم حقيقة، قوله تعالى ﴿ **وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ ، حيث أكد الكلام بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمعنى المجازي، وهو أسلوب معروف عند أهل اللغة، فمن قال: قتلت العدو قتلاً لا يفهم من كلامه إلا القتل الحقيقي الذي هو إزهاق الروح، بخلاف ما لو قال: قتلت العدو فسكت، فإنه يحتمل القتل الحقيقي، ويحتمل الضرب الشديد المؤلم جداً، ولعله واضح .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾، فأنت ترى أن الله عاقبهم وأهانهم بترك تكليمهم تكليم إكرام وإنعام، ولكنه سبحانه يكلمهم ويوبخهم بقوله ﴿ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ ﴾ .

٣- قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ﴾ أما هذه الآية فمن أقوى الأدلة في أن هذا القرآن المقروء والمسموع كلام الله حقيقة، وهي رد مفحم لأولئك الذي يزعمون أن هذا القرآن ليس بكلام الله حقيقة، وإنما هو دال على كلام الله الحقيقي النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت، أو هو عبارة عنه، يا ليت شعري من الذي عبر عما في نفس الله ؟!! هذه عبارات تقليدية وموروثة يرددها المقلدون، وهم لا يفقهون ماذا تعني هذه العبارة ؟!! وهي تعني - فيما تعني- الاستخفاف بالقرآن الكريم، وعدم احترامه الاحترام الذاتي، وإنما يحترم بواسطة غيره، وهو ذلك الكلام النفسي الذي يدل عليه .، وهذا المعنى ما صرحت به كتبهم، وأضمروه في أنفسهم، ولا يصرحون به في كل مكان إلا في مقام التعليم لبيان الواقع - كما تقدم من كلامهم - هكذا يسيئون إلى كلام الله تأثراً بآراء أهل الكلام المذموم الذي يرجع سنده إلى ما وراء الإسلام، وهو دخيل على الإسلام، وليس من علوم المسلمين كما تقدم في أول الكتاب .

أقوال الأئمة من السلف الصالح :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر ص٢٠: والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة والقرآن غير مخلوق وما ذكره الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام وعن فرعون وابليس فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارا عنهم وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما في قوله تعالى {وكلم الله موسى تكليما} وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام وقد كان الله تعالى خالقا في الأزل ولم يخلق الخلق فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا .اهـ

وعن ابن أبي أويس، قال: سمعت مالك بن أنس، يقول: القرآن كلام الله وكلام الله من الله وليس من الله شيء مخلوق .[١]

وعن شعيب المصري قال : سمعت الشافعي محمد بن إدريس يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق .[٢]

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٦/٣٢٥ وغيره .

(٢) أخرجه اللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٤٥٢ وغيره .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال الإمام أحمد رحمه الله في أصول السنة ص٢٢ : والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا يصف ولا يصح أن يقول ليس بمخلوق قال فإن كلام الله ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوقاً وإياك ومناظرة من أخذل فيه ومن قال باللفظ وغيره ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله فهذا صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق .اهـ

وقال أبو بكر الخلال في روايته عنه ص١٠٦ : وكان يقول إن لله عز وجل كلاما هو به متكلم وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها نفسه فقال عز وجل في الذين اتخذوا العجل {**ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين**} فعابهم لما عبدوا إلها لا يتكلم ولا كلام له فلو كان إلهنا لا يتكلم ولا كلام له رجع العيب عليه وسقطت حجته على الذين اتخذوا العجل من الوجه الذي احتج عليهم به ويزيد ذلك أن إبراهيم عليه السلام أنب أباه بقوله {يا أبت **لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا**} وحكي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما فسرا قوله عز وجل {**قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون**} قالا غير مخلوق ، وكان يقول إن القرآن كيف تصرف غير مخلوق وأن الله تعالى تكلم بالصوت والحرف ، وكان يبطل الحكاية ويضلل القائل بذلك وعلى مذهبه أن من قال إن القرآن عبارة عن كلام الله عز وجل فقد جهل وغلط ..اهـ

عن سفيان بن عيينة، قال: أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار، يقولون: «**القرآن كلام الله وليس بمخلوق**»

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم ، قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويميناً فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته ... (١)

وقال الإمام محمد بن جرير الطبرى : القرآن كلام الله وتنزيله؛ إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه: كلام الله غير مخلوق كيف كتب وحيث تلي وفي أي موضع قرئ، في السماء وجد، وفي الأرض حيث حفظ، في اللوح المحفوظ كان مكتوبا، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسوما، في حجر نقش، أو في ورق خط، أو في القلب حفظ، وبلسان لفظ، فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآنا في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه، أو أضمره في نفسه، أو قاله بلسانه دائنا به، فهو بالله كافر، حلال الدم، بريء من الله، والله منه بريء، بقول الله عز وجل﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾ ، وقال وقوله الحق عز وجل ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ﴾(٢)

وقال الإمام الطحاوى رحمه الله فى عقيدته : وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وأيقنوا أنه

(١) تقدم تخريجه .

(٢) صريح السنة للطبري – باب القول فى القرآن وأنه كلام الله – ص ١٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى (سأصليه سقر) فلما أوعد الله بسقر لمن قال: (إن هذا إلا قول البشر) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر .

قال الإمام عبد الغنى المقدسي في الاقتصاد ص١٤٠ : ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة عين كلام الله عز وجل، لا حكاية ولا عبارة.، قال الله عز وجل ﴿ **الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ**﴾وقال ﴿ **المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ** ﴾ وقال ﴿ **الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾ وقال﴿ **المر** ﴾ وقال ﴿ **كهيعص** ﴾ ﴿ **حم عسق** ﴾، فمن لم يقل إن هذه الأحرف عين كلام الله عز وجل فقد مرق من الدين، وخرج عن جملة المسلمين، ومن أنكر أن يكون حروفاً فقد كابر العيان وأتى بالبهتان.اهـ

هذا إجمال مذهب الأشاعرة ، وكذا ما كان عليه السلف الصالح من اعتقاد في كلام الله تعالى ، وإن شاء الله سنعرض ما ذهب إليه الأشاعرة بأدلتهم ، وجواب السلف عليهم وبيان الحق بأدلته في المطلب القادم ، والله المستعان وعليه التكلان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

مناقشة السلف لما ذهب إليه الأشاعرة

قد تبين لك مما سبق أن الأشاعرة أثبتوا - بإجمال - صفة الكلام لله، وقالوا - خلافا للمعتزلة والجهمية وغيرهم من النفاة - إن هذه الصفة ثابتة، قائمة بالله تعالى، ولكنهم فسروها بأنها معنى يقوم بذات الله، لازم له أزلا وأبدا، وسموا هذا المعنى بالكلام النفسي، وقالوا إن هذا المعنى القائم بالذات لا ينقسم إلى سر وعلانية، ولا يكون منه شيء في نفس الرب وشيء منه عند الملائكة، بل إسماع الملائكة أو غيرهم لكلامه إنما هو خلق إدراك لهم فقط .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة

الكلام النفسي عند الأشاعرة

بناءً على ما تقدم حصروا الكلام بما يقوم بالنفس، وأنه لازم للذات لا ينفك عنها، وأن الألفاظ والحروف ليست كلاماً.، وقد احتجوا لأقوالهم بعدة حجج منها : قوله تعالى ﴿ **وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِم** ﴾ (١).، وقوله تعالى ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً** ﴾ (٢)، قوله تعالى ﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ (٣) فسمى الإسرار قولا.، وقوله تعالى ﴿ **آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً** ﴾ (٤).

وقول عمر رضي الله عنه :- « زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً، وَكُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ » (٥).

وقول الأخطل الشاعر النصراني :

إِن الْكَلَام لفي الْفُؤَاد وَإِنَّمَا .... جعل اللِّسَان على الْفُؤَاد دَلِيلا

هذه أهم حججهم على الكلام النفسي، وقد أجابهم علماء السلف بالآتي :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

---

(١) سورة المجادلة : الآية (٨) .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٢٠٥) .

(٣) سورة الملك : الآية (١٣) .

(٤) سورة يل عمران : الآية (٤١) .

(٥) **صحيح** : أخرجه البخارى برقم ٣٦٦٧ ، واللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٢٤٣٦ واللفظ له .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ - أما قوله تعالى ﴿ **وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ** ﴾ فعنه جوابان :

أحدهما : أن المراد أنهم قالوه بألسنتهم سراً، وحينئذ فلا حجة لهم فيه .، وهذا هو الذي ذكره المفسرون، حيث كانوا يقولون: سام عليك، فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم، أي يقول بعضهم لبعض : لو كان نبيا عذبنا بقولنا له ما نقول .

والثاني : إنه قيده بالنفس، وهذا على أن المقصود أنهم قالوه بقلوبهم، وإذا قيد القول بالنفس كان دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق، والدليل قول النبي ﷺ : «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ**» [(١)]، وهذا رد عليهم مطلقاً لأنه قال «ما لم تتكلم» فدل على أن حديث النفس ليس هو الكلام المطلق . [(٢)]

٢ - وأما قوله تعالى ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةَ** ﴾ فالمقصود الذكر باللسان لأنه قال ﴿ **تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾، ومن استقراء النصوص يتبين أن الذي يقيد بالنفس لفظ « الحديث »، مثل الحديث السابق: « وما حدثت به أنفسها »، أما لفظ «الكلام» فلم يعرف أنه أريد به ما في النفس فقط .

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخارى برقم ٦٦٦٤ ، ومسلم برقم ١٢٧ ، وأبو داود برقم ٢٢٠٩ ، وابن ماجه برقم ٢٠٤٠ ، وأحمد برقم ٩١٠٨ ، وغيرهم .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٥ ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٢٧١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- أما قوله ﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ** ﴾ واحتجاجهم على أن القول المسر في القلب دون اللسان لقوله تعالى في الآية ﴿ **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ ، فهذه حجة ضعيفة جداً، لأن قوله ﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ** ﴾ يبين أن القول يسر به تارة، ويجهر به أخرى، وهذا إنما هو فيما يكون في القول الذي هو بحروف مسموعة، وقوله بعد ذلك : ﴿ **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإنه إذا كان عليماً بذات الصدور فعلمه بالقول المسر والمجهور به أولى .

أما قوله تعالى : ﴿ **آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً** ﴾ فقد ذكر في مريم ﴿ **ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً** ﴾ والمعنى: آيتك ألا تكلم الناس، لكن ترمز لهم رمزاً .

٥- أما قول عمر في قصة السقيفة « زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً » فهي حجة عليهم، لأن التزوير: إصلاح الكلام وتهيئته، فلفظها يدل على أنه قدر في نفسه ما يريد أن يقوله ولم يقله، فعلم أنه لا يكون قولا إلا إذا قيل باللسان، وقبل ذلك لم يكن قولا، لكن كان مقدرا في النفس، يراد أن يقال، كما يقدر الإنسان في نفسه أنه يحج وأنه يصلي، وأنه يسافر، إلى غير ذلك، فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس، ولكن لا يسمى قولاً وعملاً إلا إذا وجدت في الخارج ... وهذا يدل عليه الحديث السابق : « **إِنَّ اللهَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ** ».

٦- أما البيت المنسوب للأخطل، ففيه ما فيه من ناحية صحة نسبته إليه، حتى ألفاظ البيت حرفت لتوافق مقصود من استشهد به من أهل الكلام، وقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعجب شيخ الإسلام من هؤلاء الذين يحتجون بهذا البيت الذي قاله نصراني، ولم يثبت عنه - فقال: ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ لقالوا: هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد وأكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة، فضلاً عن مسمى الكلام ، وقد أطال شيخ الإسلام في المناقشة ما يشفي ويكفي فليراجع .(١)

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي في مصنف له رداً على الأشاعرة : واعترض القائل بكلام النفس بوجوه :

أحدها قول الاخطل: إن الكلام لفي الفؤاد ... البيت.

الثاني : سلمنا أن كلام الآدمي صوت وحرف، لكن كلام الله تعالى يخالفه؛ لأنه صفته، فلا تشبه صفات الآدميين، وكلامه كلامهم .

الثالث : أن مذهبكم في الصفات أن لا تفسر، فيكيف فسرتم كلام الله بما ذكرتم .

الرابع: أن الحروف لا تخرج إلا من خارج وأدوات، والصوت لا يكون إلا من جسم، والله متعالٍ عن ذلك.

الخامس: أن الحروف يدخلها التعاقب، وكل مسبوق مخلوق .

السادس: أن هذا يدخله التجزؤ والتعدد والقديم لا يتجزأ ولا يتعدد .

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٧/ ١٣٥ وما بعدها ، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٢٧١ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال شيخ الإسلام ابن قدامة : الجواب عن الأول من وجوه .

الأول: أن هذا كلام شاعر نصراني عدو لله ورسوله ودينه، أفيجب اطراح كلامه تعالى ورسوله وسائر الخلق تصحيحًا لكلامه؟، وحمل كلامهم على المجاز صيانة لكلامه؟، هذا عن المجاز .

وأيضًا فتحتاجون إلى إثبات هذا الشعر ببيان إسناده، ونقل الثقات له، ولا نقنع بشهرته، فقد يشتهر الفاسد .

الثاني: لا نسلم أن لفظه هكذا، إنما قال: «إن البيان من الفؤاد»، فحرفوه وقالوا: الكلام .

الثالث: أن هذا مجاز، يراد به أن الكلام من عقلاء الناس إنما يكون بعد التروي فيه، واستحضار معانيه في القلب، كما قيل: لسان الحكيم من وراء قلبه، فإن كان له محل قاله، وإن لم يكن سكت، وكلام الجاهل على طرف لسانه ...

قال : من أعجب الأمور أن خصومنا ردوا على الله وعلى رسوله، وخالفوا جميع الخلق من المسلمين، وغيرهم، فرارًا من التشبيه على زعمهم، ثم صاروا إلى تشبيه أقبح وأفحش من كل تشبيه، وهذا نوع التغفل، ومن أدل الأشياء على فساد قولهم، تركهم قوله تعالى، وقول رسوله ﷺ، وما لا يحصى من الأدلة، وتمسكهم بكلمة قالها هذا الشاعر النصراني، وجعلوها أساس مذهبهم، وقاعدة عقدهم، ولو أنها انفردت عن مبطل، وخلت عن معارض، لما جاز أن يبنى عليها هذا الأصل العظيم، فكيف، وقد عارضها ما لا يمكن رده؟ فمثلهم كمثل من بنى قصراً على أعواد الكبريت، في مجرى النيل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأما قولهم : إن كلام الله يجب أن لا يكون حرفًا يشبه كلام الآدميين .

قلنا: جوابه من وجوه :

أحدها : أن الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه، كما أن إدراك البصر بأنه إدراك المبصرات ، والسمع في أنه إدراك المسموعات، والعلم في أنه إدراك المعلومات، ليس بتشبه، كذلك هذا.

الثاني : أنه لو كان تشبيهًا، لكان تشبيههم أقبح وأفحش، على ما ذكرناه .

الثالث: أنهم نفوا هذه الصفة بكون هذا تشبيهًا، ينبغي أن ينفوا سائر الصفات، من الوجود والحياة والسمع والبصر وغيرها .

أم قولهم : أنتم فسرتم هذه الصفة .

قلنا: لا يجوز تفسير المتشابه الذي سكت السلف عن تفسيره، وليس كذلك الكلام، فإنه من المعلوم بين الخلق أنه لا تشابه فيه، وأنه فسره الكتاب والسنة .

وأيضاً: نحن فسرناه بحمله على حقيقته، تفسيرًا جاء به القرآن والسنة، وهم فسروه بما لم يرد به كتاب ولا سنة، ولا يوافق الحقيقة، ولا يجوز نسبته إلى الله تعالى .

وأما قولهم : إن الحروف تحتاج إلى مخارج وأدوات .

قلنا: احتياجها إلى ذلك في حقنا، لا يوجب ذلك في كلام الله تعالى، تعالى الله عن ذلك .

فإن قالوا: بل احتياج الله كاحتياجنا قياسًا له علينا .

أخطأوا من وجوه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحدها: أنه يلزمهم في سائر الصفات التي سلموها، كالسمع والعلم والحياة، ولا يكون في حقنا إلا في جسم، ولا يكون البصر إلا من حدقة، ولا السمع إلا من انخراق، والله تعالى بخلاف ذلك .

ثانيها: أن هذا تشبيه لله بنا، وقياس له علينا، وهذا كفر .

ثالثها: أن بعض المخلوقات لم تحتج إلى مخارج في كلامها، كالأيدي والأرجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة، والحجر الذي سلم على النبي ﷺ، والحصى الذي سبح في كفه ، والذراع المسمومة التي كلمته، وقال بن مسعود: «كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل»، ولا خلاف في أن الله سبحانه وتعالى قادر على إنطاق الحجر الأصم بلا أدوات .

قلت : إن الذي يقطع به عنهم، أنهم لا يقولون: إن الله سبحانه يحتاج كحاجتنا، قياسًا له علينا، فإنه عين التشبيه، وهم لا يقولون كذلك ، ويفرون منه، والظاهر أن الشيخ الموفق قال ذلك على تقدير قولهم له .

ثم قال : وقولهم : إن التعاقب يدخل في الحروف .

قلنا: إنما ذلك في حق من ينطق بالمخارج والأدوات، ولا يوصف سبحانه وتعالى بذلك .[1]

هذه أدلة الأشاعرة النقلية واللغوية على قولهم بالكلام النفسي، مع بيان بطلان استدلالهم فيها، وبيان أنها في الرد عليهم أقرب من أن تكون دليل لهم .

(١) انظر : العين والأثر في عقائد أهل الأثر للإمام عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة (المتوفى: ١٠٧١هـ) ص ٧٣ وما بعدها بتصرف يسير ، الناشر: دار المأمون للتراث - الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ تحقيق / عصام رواس قلعجي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسألة

قدم كلام الله عند الأشاعرة وأن الله لا يتكلم بمشيئته

هذه المسألة مبنية عندهم - كما سبق - على نفيهم لقيام الصفات الاختيارية بالله، فقالوا بقدم الكلام ومنعوا أن يكون الله يتكلم إذا شاء متى شاء، ومذهب السلف الصالح إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن كلام الله لآدم أو لموسى أو للملائكة، كلٍ في وقت تكليمه ومناداته، أي أنه تعالى لم ينادِ موسى قبل خلقه ومجيئه عند الشجرة، وإن كانت صفة الكلام أزلية، وقد بنى أهل السنة مذهبهم على مقدمتين :

- على أن الأمور الاختيارية تقوم بالله .
- وعلى أن كلام الله لا نهاية له كما قال تعالى ﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾ (١) وقوله ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِّ** ﴾ (٢).

وقد ذكر السلف توضيحاً لمذهبهم، وتميزاً له عن مذهب الكلابية والأشعرية ومن اتبعهم - أن الله تعالى يوصف بالسكوت، وأنه إذا شاء تكلم وإذا شاء سكت .

---

(١) سورة الكهف : الآية (١٠٩) .

(٢) سورة لقمان : الآية (٢٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا لما كان مذهب الأشاعرة نفي ما يقوم بالله من الصفات الاختيارية بناء على نفي حلول الحوادث، ومن ثم منعوا أن يقال : إن الله يتكلم إذا شاء متى شاء كلاماً قائماً به، وإنه يتكلم شيئاً بعد شيء .

وقد أجابهم شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « قلنا من أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة ؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، وهو قول لازم لجميع الطائف ».(١)

وقد تقدم في المطلب السابق إبطال صاحبهم الرازي لما ذهبوا إليه ، فقد ألزمهم بلوازم لا محيد لهم عنها كما في كتابه المطالب العالية فليراجعه من شاء .

والنصوص الدالة على إثبات صفة الكلام لله - على وفق مذهب السلف - كثيرة جداً، بل إن فيها أن الله قد يوصف بالسكوت، ومن هذه الأدلة :

١ - قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (٢) وقوله ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (٣) وقوله ﴿ **هَلْ أَتَاكَ**

(١) انظر : منهاج السنة ٢/٢٩٨ طبعة دار العروبة المحققة .، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٢٧٩ بتصرف .

(٢) سورة النمل : الآية (٨) .

(٣) سورة القصص : الآية (٣٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[1]وقال ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾[2].

قال شيخ الإسلام معلقاً على هذه النصوص: وفي هذا دليل على أنه حينئذ نودي، ولم يناد قبل ذلك، ولما فيها من معنى الظرف .

٢ - ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾[3]وقوله ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[4] فإنه وقت النداء بظرف محدود، فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف، وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء إلا فيه .

٣ - ومثل هذا قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [5]وقوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ ﴾ [6] وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين، فإن الكلابية ومن وافقهم من الأشعرية والماتريدية يقولون : إنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل الكلام المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته .

(١) سورة النازعات : الآية (١٦) .

(٢) سورة طه : الآية (١١) .

(٣) سورة القصص : الآية (٦٥) .

(٤) سورة القصص : الآية (٦٢) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٣٠) .

(٦) سورة البقرة : الآية (٣٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه النصوص واضحة الدلالة في الرد عليهم، لأنه إذا كانت دالة على أن الله تكلم بالكلام المذكور، في ذلك الوقت، فكيف يقال إنه كان أزلياً أبدياً، وهل يمكن أن يقال أنه لم يزل ولا يزال قائلاً ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ ﴾ ﴿ اسْجُدُواْ لآدَمَ ﴾ ﴿ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا ﴾ ؟.

٤ - أما الأحاديث في ذلك كثيرة :

منها قول النبي ﷺ لما صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية : « **أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: « **قَالَ اللهُ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي ... »**[(١)].

وحديث « **إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ .... »**[(٢)]

وفي لفظ آخر أكثر صراحة : « **إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا ...**»[(٣)].

(١) **صحيح** : البخاري برقم ٤١٤٧ ، ومسلم برقم ٧١ ، وأبو داود برقم ٣٩٠٦ ، وأحمد برقم ١٧٠٦١ ، وغيرهم .

(٢) **صحيح** : البخاري برقم ٤٨٠٠ وغيره .

(٣) **صحيح** : أخرجه أبو داود برقم ٤٧٣٨ ، والإبانة لابن بطة ٥/٢٣٦ ، واللالكائى في شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٥٤٧ ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٢٩٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكيف يفسرون مثل هذه النصوص من الكتاب والسنة بأن المقصود من كلام الله لهم خلق إدراك لهم يسمعون به الكلام القديم [1]؟

ولا شك أن ذلك تأويل وتحريف للنصوص مثل تأويل بقية الصفات التي أولها النفاة ومن يوافقهم من هؤلاء .

٥ - أما الأحاديث التي فيها ذكر السكوت، فمنها حديث : « **مَا أَحَلَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلالٌ وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ ....**». [2]

وحديث : « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا** ». [3]

قال شيخ الإسلام معلقاً على هذه الأحاديث : فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت.، لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه كما قال في الصحيحين عن أبي هريرة : « أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ١٧٩ وما بعدها .

(٢) **صحيح** : أخرجه البزار فى مسنده ١٠/ ٢٦ ، والطبراني فى مسند الشاميين برقم ٢١٠٢ عن أبى الدرداء مرفوعاً ، والحاكم برقم ٧١١٣ عن ابن عباس موقوفاً وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقى فى الكبرى برقم ١٩٧٢٢ عن سلمان وقال – أراه رفعه - ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٢٥٦ .

(٣) **حسن** : أخرجه الدراقطنى برقم ٤٣٩٦ ، والطبراني في الكبير برقم ٥٨٩ ، والحاكم برقم ٧١١٤ وصححه وسكت عنه الذهبي ، والبيهقى في الكبرى ١٩٧٢٥ ، قال الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٧١: ورجاله رجال الصحيح، وحسنه النووي في الأذكار ١/ ٣٥٣.، قال الحاجب أيضا : وقد حسن الشيخ النووي - رحمه الله - هذا الحديث، وكذلك حسنه قبله الحافظ أبو بكر السمعاني في «أماليه» أ. هـ. قال الألباني في «غاية المرام» ص١٧ - ١٨ (٤): ضعيف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ»؟ قَالَ « أَقُولُ : **اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، ....**» إلى آخر الحديث .(١)

فقد أخبره أنه ساكت، وسأله ماذا تقول؟ فأخبره أنه يقول في حال سكوته، أي سكوته عن الجهر والإعلان.، لكن هذان المعنيان المعروفان في السكوت، لا تصح على قول من يقول : إنه متكلم كما إنه عالم، لا يتكلم عند خطاب عباده بشيء، وإنما يخلق لهم إدراكاً ليسمعوا كلامه القديم، سواء قيل: هو معنى مجرد، أو معنى وحروف، كما هو قول ابن كلاب والأشعري، ومن قال بذلك من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية من الحنبلية وغيرهم، فهؤلاء إما أن يمنعوا السكوت - وهو المشهور من قولهم - أو يطلقوا لفظه ويفسروه بعدم خلق إدراك للخلق يسمعون به الكلام القديم، والنصوص تبهرهم، مثل قوله : **إذا تكلم الله بالوحي ...**، والله تعالى فرق بين إيحائه وتكليمه كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء** (٢)﴾ وغيرها، وكذا تكليم عباده يوم القيامة، وغير ذلك من النصوص، وكلها تدل على تجديد تكليم من جهته تعالى ... (٣)

مسألة
أن كلام الله معنى واحد

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٧٤٤ ، ومسلم برقم ٥٩٨ وغيرهما .

(٢) سورة الشورى : الآية (٥١) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٧ وما بعدها ، درء تعارض العقل والنقل ٤/ ١٢٨ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي أن كلام الله تعالى – عندهم - هو الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخبر، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراةً، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وقولهم إن الأمر والنهي صفات للكلام، لا أنواع له، ولذلك فلا فرق بين القرآن والتوراة، ولا بين آية وآية أخرى دلت على معنى مختلف .

وهذا من أعجب ما في مذهب الأشاعرة وأشده غرابة، حيث إنه مخالف لبدائه العقول، ولواقع الأمر أيضاً، ولا شك أن أعلام الأشاعرة - وفيهم الأئمة والقضاة والفقهاء - لم يكونوا ليقبلوا الإقرار بمثل هذا لولا أن هناك أصولا عقلية سلموها تسلطت على رؤوسهم ورقابهم لم يستطيعوا منها فكاكا ولا لها دفعا. فأصبحوا يسلمون بمثل هذه الأقوال المخالفة للعقل والنقل والفطر، ويبحثون لها عن تعليلات وتبريرات وتخريجات لا تغني شيئاً .

وجمهور الأشاعرة التزموا بأن كلام الله معنى واحد قديم، وذهب قليل منهم إلى أنه متعدد بتعدد الكلام ، وهذا القول الأخير اختاره المكلاتي .

أما الذين قالوا : إنه معنى واحد فقد انقسموا إلى ثلاث فرق : -

الأولى قالت : إنه واحد وهو مع ذلك في الأزل أمر ونهي وخبر، وهذا القول قاله إمام الحرمين واختاره السعد .

الثانية قالت : إنه واحد وهو في الحقيقة راجع على الخبر، واختاره الرازي .

الثالثة قالت : إنه واحد ولا قسمة فيه في الأزل - وإنما يصير أمراً ونهياً وخبراً وفيما لا يزال .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ودفعهم إلى القول بأن الكلام معنى واحد : هو الفرار من القول بالتعدد لأنه من صفات المحدثين لا الخالق. وهذا الذي قالوه حكم مجرد عن الدليل والبرهان، فإن في القرآن ما يدل صراحة على إثبات كلمات لله تعالى كقوله : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ ، فأثبت كلمات لله تعالى .

وأجيب عليهم فيما ذهبوا إليه بالآتي :

- موسى لما كلمه الله، أفهم كلامه كله أو بعضه؟ إن قلتم: كله، فقد صار موسى يعلم علم الله، وهذا من أعظم الباطل، وإن قلتم بعضه: فقد تبعض كلام الله وأنتم تقولون: إنه لا يتبعض. وفي هذا إبطال لقولكم .

- وأيضاً فإن الله فضل موسى بالتكليم على غيره ممن أوحى إليهم، كما فرق تعالى بين التكليم والوحي، وهذا يدل على أن الكلام ليس معنى واحدا، لأنه - حينئذ - لا يكون هناك فرق بين التكليم الذي خص به موسى، والوحي العام الذي يكون لغيره.، وهذا بين .

وكذلك قولهم إن القرآن، عبارة عن كلام الله، فإن كان عبارة عن كلام الله كله فهو باطل، وإن كان عبارة عن بعضه فهو مبطل لقولكم .

- ويلزمهم أن يقولوا في الصفات ما قالوه في الكلام، وبالعكس، وذلك أنه إذا جاز أن يجعلوا الحقائق المتنوعة - كآية الدين، وآية الكرسي، وقصة موسى، وقصة نوح، والأمر بالصلاة، والأمر بالسبت، والنهي عن الزنا وعن الربا، والقرآن، والتوراة، والإنجيل - شيئاً واحدا، فيلزمهم أن يجوزوا أن يكون العلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقدرة والكلام والسمع والبصر والحياة والإرادة، صفة واحدة، أو أن يقولوا في الكلام ما يقولونه في الصفات من أن العلم غير القدرة والإرادة غير الحياة، وإن كانت صفات قائمة بالله تعالى .

وهذا الإلزام لا محيد للاشاعرة عنه، وإن أئمتهم اعترفوا به ، كأبي حامد الاسفرابيني ، وأبي محمد الجويني - والد إمام الحرمين – والآمدى وأبو الحسن الكرجي، والعز بن عبد السلام وغيرهم كانوا يخالفون الأشاعرة ويقولون إن مذهب الشافعي والإمام أحمد وسائر علماء الأمصار مخالف لما عليه هؤلاء الأشاعرة في كلام الله.(١)

- أن النصوص قد وردت بما يدل على تعدد الكلام وبطلان قول من زعم أنه معنى واحد، ومنها :

* الآيات الواردة بأن لله كلمات، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** ﴾(٢) وقوله ﴿ **مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِّ** ﴾ (٣)وقوله: ﴿ **وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِه** ﴾ (٤)وغيرها كثير جداً .

* كما وردت أحاديث كثيرة، فيها الإستعاذة بكلمات الله التامات .

---

(١) انظر مناقشتهم والرد عليهم : مجموع الفتاوى ١٢/٩ – ١٢٢/١٢ وما بعدها ، ومنهاج السنة ط بولاق ١٠٥/٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية (١١٥) .

(٣) سورة لقمان : الآية (٢٧) .

(٤) سورة الشورى : الآية (٢٤) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ومنها ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: « **إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ﴿ قُلْ هُوَ اللهُّ أَحَدٌ﴾ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ** » (١) .

فكيف يقال - مع هذه النصوص - إن كلام الله لا يكون إلا معنى واحدا ؟

قال ابن أبى العز الحنفي رحمه الله : ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى وإن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن في المعنى وهو لا يشعر، فإن الله تعالى يقول:﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** ﴾(٢).، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى المتلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع .

وقوله: { **لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ** } أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري عز وجل لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه .

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا - فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة، فإن حكاية الشيء بمثله وشبهه .

---

(١) **صحيح** : أرجه مسلم برقم ٨١١ ، وأحمد برقم ٢٧٤٩٨ ، والنسائى فى الكبرى برقم ١٠٤٦٩ وغيرهم .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٨٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا تصريح بأن صفات الله محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! ويكون التالي - في زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف .، وليس القرآن إلا سوراً مسورة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة. قال تعالى: ﴿ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** ﴾[1]، ﴿ **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ** ﴾ [2]، ﴿ **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ** ﴾[3].، ويكتب لمن قرأه بكل حرف عشر حسنات. قال ﷺ : «**أما إني لاَ أَقُولُ الْمْ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ** »[4]. وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين .

قال الشيخ حافظ الدين النسفي رحمه الله في ((المنار)): إن القرآن اسم للنظم والمعنى. وكذا قال غيره من أهل الأصول. وما ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله: أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزأه - فقد رجع عنه - وقال: لا يجوز القراءة مع القدرة بغير العربية. وقالوا: لو قرأ بغير العربية فإما أن يكون مجنوناً فيداوى، أو

(١) سورة هود : الآية (١٣) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٤٩) .

(٣) سورة عبس : الآيات (١٣ - ١٤) .

(٤) **صحيح** : أخرجه الترمذي برقم ٢٩١٠ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٦٣/٦ ، والبيهقى في الشعب برقم ١٨٣١ ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٣٣٢٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زنديقاً فيقتل، لأن الله تكلم به بهذه اللغة، والإعجاز حصل بنظمه ومعناه .اهـ[1]

وبعد هذا العرض فالحق في المسألة هو ما ذهب إليه أئمة السنة والحديث من أن الكلام صفة كمال لله عز وجل كسائر الصفات فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا متى شاء وكيف شاء ولكلامه حرف وصوت يسمع، والكلام على هذا القول صفة ذات وفعل قديم النوع حادث الأفراد .

وذلك أن للكلام اعتبارين بالنسبة إلى المتكلم .

أـ كون الكلام صفة معنوية للمتكلم فبهذا الاعتبار يصح أن يقال : الكلام معنى قائم بنفس المتكلم وصفة قائمة بذاته، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف.

ب ـ كون الكلام مسموعا من المتكلم إذا تكلم بحرف وصوت فهذه هي حقيقة الكلام الخارجية وهي بالنسبة إلى المتكلم من المخلوقين مشاهدة لا ينكرها إلا مكابر .

وبالنسبة إلى الخالق جل وعلا فقد دلت الأدلة على أن لكلامه سبحانه حرفاً وصوتاً فقد وصف نفسه بالقول والتكليم وبالمناداة في غير ما آيةٍ .

والنداء هو الصوت ويقال: ناداه مناداة ونداء أي صاح به .

واستفاضت الأحاديث من الرسول ﷺ والآثار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم من أئمة السنة بأن الله تعالى ينادي بصوت ويتكلم بالوحي بصوت .

(١) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية ص١٤٩ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان أئمة السنة رضي الله عنهم يعدون من أنكر كلام الرب تعالى بصوت من الجهمية .

ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف لا يبقى عنده أي شك في ذلك ولا سيما أحاديث الشفاعة وحديث المعراج وأحاديث الرؤية وأحاديث الحساب وأحاديث تكليمه سبحانه ملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة إلى غير ذلك من الأحاديث .

ومن أحاط بها علماً ومعرفة يقطع بأن الله تعالى موصوف بالكلام على وجه يليق بكماله، وأن لكلامه سبحانه صوتا يسمع، بل الرب جل جلاله أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثامن

القدر وأفعال العباد

بين السلف والأشاعرة

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : الحكمة والتعليل بين السلف والمتكلمين .

المطلب الثاني : التحسين والتقبيح بين السلف والأشاعرة .

المطلب الثالث : بيان خلاف الناس في أفعال العباد .

المطلب الرابع : مسألة الكسب بين السلف والأشاعرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

مسألة

الحكمة والتعليل بين السلف والمتكلمين

كل ما خلقه الله تعالى فله فيه حكمة، والحكمة تتضمن شيئين :

أحدهما : حكمة تعود إليه تعالى، يحبها ويرضاها .

والثاني : حكمة تعود إلى عباده، هي نعمة عليهم، يفرحون بها، ويلتذون بها، وهذا يكون في المألات وفي المخلوقات .

فهو سبحانه حكيم، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا بغير معنى ومصلحة وحكمة، هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى ، وقد ذكر ابن القيم بعضها .

وقد وقع الخلاف في مسألة تعليل أفعال الله على أقوال والمشهور فيها ثلاثة أقوال :

القول الأول : وهو قول المعتزلة ومن وافقهم :-

قالوا إن هذا العالم إنما خلق لحكمة وعلة وهي حكمة وعلة تعود إلى المخلوق، وهذه الحكمة هي نفع الخلق والإحسان إليهم، هكذا قال المعتزلة وأحسنوا بإثبات الحكمة وأخطأوا خطأ فاحشاً بتحديد الحكمة وأنها تعود إلى المخلوق وأنها النفع والإحسان إليه، وبناءاً على هذا القول انحرفوا في نواح كثيرة من مسائل القدر .

حيث زعموا أن الله ما دام خلق الخلق لينفعهم فإنه يجب عليه أن يفعل بهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل ما يوصلهم إلى هذه الغاية، فقالوا بوجوب الصلاح والأصلح على الله عز وجل وأتوا بالطامات في هذا الباب، وشرعوا لله طريقاً زعموا أنه يجب عليه أن يسلكه مع عباده من ناحية الصلاح والأصلح، ولتقرر هذا الأمر عندهم أنكروا عموم قدرة الله عزوجل، فزعموا أنه لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا أن يضل مهتدياً، كما أنكروا عموم المشيئة وأن العبد هو الذي شاء الكفر أو الإيمان، ومشيئة الله لا تتعلق بهذا الأمر، وأنكروا عموم خلق الله لكل شيء، فقالوا إن العبد يخلق فعله، كما قرروا لأجل قولهم بهذه الغاية من الخلق قاعدة التحسين والتقبيح العقلي، فجعلوا كل ما يحسن في نظر العبد يحسن من الله عزوجل فيجب أن يفعله لأنه خلقه لينفعه، وكل ما يقبح في نظر العبد فإنه يقبح من الله فيجب أن لا يفعله لأنه خلقه لينفعه، ووقعوا بسبب هذا الانحراف في تشبيه فعل الله بفعل خلقه، إذ مدار التحسين والتقبيح عندهم على حسب الحال المشاهد من الإنسان، وهذا غاية في القبح والتحكم في أفعال الله عزوجل وكفى به انحرافاً وفساداً، كما أنه على القول بالتحسين والتقبيح العقليين إنهم أنكروا العفو عن المذنب في الآخرة أو إخراجه من النار بالشفاعة أو غيرها، لأن هذا في زعمهم إغراء بالمعصية قبيح لا يفعله الله عز وجل عندهم، وكل قول من هذه الأقوال يدل على انحرافهم في هذا الباب وفساد قولهم إذ الحق يجب أن ينسجم مع جميع لوازمه، وما يترتب عليه باطل فهو باطل.

وهذا القول من المعتزلة في الحكمة والتعليل وما أداهم إليه من الأقوال المخالفة لصريح الشرع هو الذي جعل الأشاعرة ومن تابعهم ينفون الحكمة عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله عز وجل، ويقابلون المعتزلة في كل نقطة من نقاط انحرافهم مقابلة الضد، فأنكروا التحسين والتقبيح العقليين ولم ينزهوا الله عن فعل ولا أمر لعدم الحكمة والغاية في خلقه وأمره عندهم ولأن الجميع ملكه وفي تصرفه، ولو نظر كل فريق من هؤلاء إلى الشرع لدلهم إلى الحق الذي لا يلزم منه اللوازم الفاسدة المخالفة للعقل والشرع في كلا القولين .

القول الثاني : قول من نفى الحكمة وأنكر التعليل :-

وهؤلاء الذين يقولون إن الله لم يخلق هذا العالم لغاية ولم يخلق شيئاً لشيء، وأوامره لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل فعل ذلك لمحض المشيئة والإرادة .

وهذا قول الأشعري وأصحابه، وبه قال طوائف من أتباع الأئمة الأربعة منهم القاضي أبي يعلى الحنبلي وابن الزاغوني وغيرهم .

ولهذا زعم هؤلاء أن جميع ما يفعله الله بالعباد لا علة فيه ولا حكمة سواء في ذلك من ناحية أمره وشرعه أو من ناحية فعله، فأجازوا من ناحية أمره أن يكلف العبد ما لا يطيق، وزعموا أن الأفعال ليس فيها حسن وقبيح قبل ورود الشرع، لأن الشرع هو المحسن والمقبح للأفعال، كما أجازوا من ناحية فعله أن يعذب الطائع ويثيب العاصي وينصر أعداءه ويخزي أولياءه وليس في ذلك خروج عن الحكمة ولا ظلم لأنه لا توجد حكمة عندهم في الفعل، أما الظلم فإن الظالم عندهم من تصرف بما لا يملك وجه حق - والسموات والأرض وما فيهما ملك لله عزوجل فكيفما تصرف فيها فلا ظلم ولا خروج عن الحكمة - وهذا قول باطل فاسد يدل على فساده الشرع والعقل والواقع، فقد نص الله جل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلا على أنه الحكيم العليم الخبير في آيات كثيرة، فإذا لم تكن الحكمة في أفعاله وأوامره يصبح وصفه بـ الحكيم اسماً على غير مسمى ووصفاً من غير صفة وهذا باطل، وهو تعطيل لأسماء الله وصفاته جل وعلا.

ولأن الحكمة لا تظهر إلا في الفعل والأمر كالكريم والخالق، وهي صفات ذاتية فعلية فهو موصوف بأنه الخالق وأنه الحكيم والكريم قبل وجود الخلق والأمر الدال على الحكمة والكرم . كما أن هذا الكون بكل ما فيه من سماء وأرض وكواكب وحيوان يدل على الحكمة ورحمة بالغة، وهذا ظاهر في التشريعات الإلهية من صلاة وزكاة وحج وصيام، كما هي أظهر في الأمور التي تتعلق بحياة الناس وتنظيمها من الناحية المالية والناحية الاجتماعية والجنايات والحدود، وغير ذلك وما خفي على الناس وجه الحكمة فيه فإن ذلك راجع إلى قصور الأذهان عن إدراك حكمته البالغة جل وعلا.

يقول الشهرستاني فى نهاية الإقدام ص٣٩٧ : القاعدة الثامنة عشر : في إبطال الغرض والعلة في أفعاله تعالى : مذهب أهل الحق أن الله تعالى خلق العالم بما فيه من الجواهر والأعراض وأصناف الخلق والأنواع، لا لعلة حاملة له على الفعل سواء قدرت تلك العلة، نافعة له أو غير نافعة، إذ ليس يقبل النفع والضر، أو قدرت تلك العلة نافعة للخلق، إذ ليس يبعثه على الفعل باعث فلا غرض له في أفعاله ولا حامل بل علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه .

وقال الآمدي فى غاية المرام ص٢٢٤ : مذهب أهل الحق أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر، لم يكن لغرض قاده إليه، ولا لمقصود أوجب الفعل عليه .

ويقول الرازي فى الأربعين فى أصول الدين ص٢٤٩ : المسألة السادسة والعشرون: في أنه لا يجوز أن تكون أفعاله تعالى معللة بعلة البتة. اتفقت المعتزلة على أن أفعال الله تعالى أحكامه معللة برعاية مصالح العباد وهو اختيار أكثر المتأخرين من الفقهاء وهذا عندنا باطل .

وقال الإيجي وشارحه : المقصد الثامن في أن أفعاله تعالى ليست معللة بالأغراض، إليه ذهبت

الأشاعرة، وقالوا: لا يجوز تعليل أفعاله تعالى بشيء من الأغراض والعلل الغائية، ووافقهم على ذلك جهابذة الحكماء وطوائف الإلهيين . (١)

ومن هذه النصوص يبدو جلياً أن الأشاعرة من نفاة التعليل لأفعاله تعالى بالحكم والمصالح والأغراض والغايات .

أما نفيهم للغرض والعلة فهم يطلقون ذلك بدون استثناء في مصنفاتهم .

وأما الحكمة، فإنهم لا ينفونها، وإنما ينفون أن تتوقف أفعاله على الحكم .، بل الحكم مترتبة على أفعاله، وحاصلة عقيبها أي ليست هذه الحكم مقصودة ومطلوبة بالفعل كما يراه المعتزلة ومن وافقهم . (٢)

وقد احتج الأشاعرة على مذهبهم بعدة حجج أهمها :

---

(١) شرح المواقف ٢٠٢/٨ .، وقد أوردت المتن ممزوجا مع الشرح للشريف الجرجاني .

(٢) الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى لمحمد ربيع المدخلي ص ٦٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أن ذلك يستلزم التسلسل، فإنه إذا فعل لعلة، فتلك العلة أيضاً حادثة فتفتقر إلى علة، وهكذا إلى غير نهاية وهو باطل .

وقد رد شيخ الإسلام على هذه الحجة من وجوه (١):

١ -يقال لهم في الحكمة ما يقولونه هم في «الفعل»، وذلك بأن يقال لهم: لا يخلو إما أن يكون الفعل قديم العين أو قديم النوع، أو لا يمكن ذلك. فإن جاز أن يكون قديم العين أو قديم النوع، جاز في الحكمة التي يكون الفعل لأجلها أن تكون قيدمة العين أو قديمة النوع .

٢ - يقال لهم في الحكمة ما يقال في الأسباب، فإذا كان تعالى خلق شيئاً بسبب، وخلق السبب بسبب آخر حتى ينتهي إلى أسباب لا أسباب فوقها فكذلك خلق لحكمة والحكمة لحكمة حتى ينتهي إلى حكمة لا حكمة فوقها .

٣- أن هذا التسلسل الذي يدعونه إنما هو تسلسل في الحوادث المستقبلة لا في الحوادث الماضية، فإنه إذا فعل فعلا لحكمة كانت الحكمة حاصلة بعد الفعل - والتسلسل في المستقبل جائز عند جماهير المسلمين وغيرهم، والجنة أكلها دائم.

- والحجة الثانية للأشعرية على نفي الحكمة والتعليل هي حجة الكمال والنقصان، ومعناها - عندهم - أن الله « لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها ، فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدما بالنسبة إليه سوءا، أو يكون وجودها أولى به، فإن كان كالأول امتنع أن يفعل لأجلها، وإن كان الثاني

(١) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣١٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثبت أن وجودها أولى به، فيكون مستكملا بها، فيكون قبلها ناقصا ».(١)

وقد ناقش شيخ الإسلام هذه الحجة هنا من وجوه(٢) :

١ - أن هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات ، فما كان جوابا في المفعولات ، كان جوابا عن هذا ، ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلا إلا مستكملا بفعله .

٢ - أن قولهم «مستكمل بغيره» باطل، لأن هذا إنما حصل بقدرته ومشيئته، لا شريك له في ذلك، فلم يكن في ذلك محتاجا إلى غيره وإذا قيل: كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه إلى غيره، كان كما لو قيل كمل بصفاته، وبذاته .

٣- أن العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلاً لا لحكمة، فهو أولى بالنقص ممن فعل لحكمة كانت معدومة، ثم صارت موجودة في الوقت الذي أحب كونها، فكيف يجوز أن يقال: فعله لحكمة يستلزم النقص، وفعله لا لحكمة لا نقص فيه .

٤ - إنه ما من محذور يلزم بتجويز أن يفعل للحكمة، إلا والمحاذير التي تلزم بكونه يفعل لا لحكمة أعظم وأعظم ...

وأما قول هؤلاء إن الله قادر على أن يوجد العباد صالحين وأن يزيل أسباب الفساد وأن يدخلهم الجنة مباشرة بدون تكليف وما إلى ذلك من القول فإن هذا حق من ناحية قدرته عز وجل فكما قال عن نفسه ﴿ **وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾

(١) انظر : المحصول للرازي ص ١٤٩ ، والانتصار فى الرد على المعتزلة ٢/٤٦٧ ، ومجمع الفتاوى ٨/٨٣ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٨/١٤٦ – ١٨٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي قدرة مطلقة لا يحده شيء ولا يخرج عنها شيء، لكن الخلق خلقوا لغاية وهي كما قال ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ** ﴾(١) ، فهذا يدل على أن الخلق خلقوا للعبادة وهي عبادة مطلوبة بالاختيار لا بالإكراه، والحياة جعلت للابتلاء ليظهر الصالح من الطالح كما قال عز وجل ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾(٢) ، فمن تصور هذه الغاية من الخلق وهي العبادة الواقعة بالاختيار وأن الطريق إليها ضمن الابتلاء بالأوامر والنواهي ليظهر الصالحون ويتميزوا ويعرف غيرهم ويتميزوا .

من أدرك هذا تمام الإدراك أدرك كثيراً من نواحي حكمة الله البالغة في خلقه الإنسان على هذه الكيفية المناسبة لهذه الغاية، وأدرك الحكمة من خلق وإيجاد الأمور الموصلة للخير من بعث الأنبياء وإنزال الكتب وما إلى ذلك، كما يدرك الحكمة من إيجاد الأمور الموصلة إلى الشر من خلق إبليس والشهوات والأهواء وما إلى ذلك وبهذا يتبين بطلان هذا القول .

القول الثالث : وهو قول السلف الذين هم وسط في الأقوال : -

قالوا بأن الله موصوف بأنه حكيم فكل ما يصدر عنه جل وعلا إنما يصدر عن حكمة بالغة سواء في ذلك فعله أو أمره، وأن هذه الحكمة ترجع إليه جل وعلا، فهي صفة من صفات ذاته كما أقروا أن الخلق خلق لغاية ولم يخلق سدى

(١) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .

(٢) سورة الملك : الآية (٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا عبثاً وهذه الغاية هي عبادته، وأقروا بعموم قدرة الله على كل شيء ومشيئته النافذة في كل شيء وأنه الخالق لكل شيء، فعليه نزهوا الله عن إيجاب شريعة عليه يلزمه الالتزام بها ولم يوجبوا عليه إلا ما أوجبه هو جل وعلا على نفسه، كما أقروا له بالحكمة في كل فعل وأنه لم يأمر جل وعلا إلا بكل ما هو حسن ولم ينه إلا عن كل ما هو قبيح، كما أقروا بأنه المحمود في كل فعل وأمر، والأدلة على هذا القول ظاهرة بحمد الله في كل صغير وكبير من أمره وفعله .

و يقولون إنه يفعل ما يفعل سبحانه لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى وقد يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطلعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك. والأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كإرسال محمد ﷺ فإنه كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(١) فإن إرساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾(٣)

بل جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال الله تعالى ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ(٤)﴾

(١) سورة الأنبياء : الآية (١٠٧) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٦٤) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (٥٣) .

(٤) سورة النمل : الآية (٨٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾(١) والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقاً وإن كان شراً بالنسبة إلى من تضرر به؛ ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ إضافة الشر وحده إلى الله؛ بل لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه « ثلاثة » إما أن يدخل في عموم المخلوقات فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم وإما أن يضاف إلى السبب الفاعل وإما أن يحذف فاعله .

وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾(٢) فإنه ﷺ قال في الحديث الصحيح «الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»(٣) وفي الصحيحين عنه أنه قال: « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق حتى إن الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعا وتسعين رحمة فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك فرحم بها عباده ».(٤) أو كما قال رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة السجدة : الآية (٧) .

(٢) سورة فصلت : الآية (٥٣) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري برقم ٥٩٩٩ ، ومسلم برقم ٢٧٥٤ وغيرهما .

(٤) أخرجه البخاري برقم ٦٤٦٩ ، ومسلم برقم ٢٧٥٢ وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا مذهب الجمهور من المسلمين وغيرهم كأئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمته فلا ينفونها - كما نفاها الأشعرية ونحوهم .(١)

- **معنى الحكمة وحقيقتها عند السلف :-**

فالحكمة تتضمن معنيين : المعنى الأول :

حكمة تعود على الرب سبحانه وتعالى يحبها ويرضاها .

والمعنى الثاني : حكمة تعود على العبد فيها منفعة له ونعمة يفرح بها، ويتلذذ بها، وينشرح صدره لها.

هذه هي الحكمة التي يثبتها السلف ، فالله عز وجل عندما خلق الخلق وشرع الشرائع والأوامر فإنه خلقهم لحكمة، وقبل أن يخلقهم علم هذه الحكمة، وخلق الخلق لها، وكذلك قبل أن يشرع الشرائع شرعها لحكمة سبحانه وتعالى، هذه الحكمة التي في المخلوقات والمأمورات تعود إلى الله عز وجل وعباده .

فأما معنى عودها إلى الله عز وجل فمعناه : أنه خلقها سبحانه وتعالى، وهو يعلم المصلحة المترتبة عليه ، وهو يحب ما أمر به سبحانه وتعالى، وله في خلقه أيضاً حكمة عظيمة ؛ حتى المخلوقات التي ظاهرها أنها ضرر وشر، ولهذا جاء في الدعاء المعروف: « والشر ليس إليك »، ومعنى الشر ليس إليك مع وجود بعض المخلوقات الشريرة في الحياة : أن الشر لا يعود إلى فعل الله عز وجل، وإنما يعود إلى مفعوله، يعني مخلوقه، وهو سبحانه وتعالى ما خلق شيئاً من الخلق –

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٨/٩٣ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى إبليس - إلا لحكمة عظيمة ومصلحة متعلقة بالخلق .

فمثلاً : إبليس خلقه الله سبحانه وتعالى ابتلاء واختباراً للناس حتى يرى سبحانه وتعالى من يصدق المرسلين، ويتبع كلامه سبحانه وتعالى، ويعصي عدوه، ويجاهده، ويصبر على هذا الجهاد، بل قد يترتب عليه أنه يموت في هذا السبيل، وهذه لا شك أنها من أعظم الحكم وأجل الغايات، بل فيها من ظهور أسماء الله عز وجل وصفاته الشيء الكثير .

ففيها مثلاً: ظهور صفة العفو والمغفرة للعباد المخطئين .

وأيضاً : ظهور صفة المعية الخاصة لعباده المؤمنين، فكل ما خلق الله عز وجل من خلق فإنه خلقه لحكمة تعود عليه من جهة، وتعود على الخلق من جهة أخرى .

ولهذا تحدث ابن القيم رحمه الله كثيراً في كتابه - شفاء العليل - عن هذه القضية، حتى المخلوقات الشريرة المعروفة فإنها لحكمة عظيمة وهدف كبير .

وأما المأمورات فليس فيها شر؛ لأن مأمورات الله عز وجل كلها مصالح ومنافع للعباد علمها من علمها، وجهلها من جهلها .

إذاً : حكمة الله عز وجل تكون في خلقه وأمره .(١)

- **أدلة السلف على إثبات الحكمة والتعليل : -**

قد أفرد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (شفاء العليل) فصلاً طويلاً في الاستدلال على حكمة الله عز وجل ، قال – رحمه الله - : الباب الثاني والعشرون

(١) شرح الواسطية – دروس صوتية للشيخ عبد الرحيم العلياني السلمي ، الدرس الخامس .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في إثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره ، وذكر الغايات المطلوبة له بذلك ، والعواقب الحميدة التي يفعل لأجلها ويأمر لأجلها .

ثم ذكر الأدلة التي تدل على حكمة الله عز وجل، وميزة هذا الفصل : أنه وزع هذه الأدلة التي حصرها وجعلها على شكل أنواع، في كل نوع من الأنواع مجموعة من الأدلة .(١)

فمثلاً يقول : **النوع الأول**: التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منها، كقوله تعالى ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ** ﴾ (٢)، وكقوله ﴿ **وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ (٣)، وقوله ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ (٤) .

النوع الثاني: إخباره أنه فعل كذا لكذا، يعني: الإتيان بلام التعليل، كقوله تعالى ﴿ **ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾(٥)، وموطن الشاهد قوله ﴿ **ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا** ﴾.

وقوله أيضاً ﴿ **اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ (٦) .

ومن ذلك أيضاً : قول الله عز وجل﴿ **لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى**

(١) انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص١٩٠ وما بعدها .

(٢) سورة القمر : الآية (٥) .

(٣) سورة النساء : الآية (١١٣) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٦٩) .

(٥) سورة المائدة : الآية (٩٧) .

(٦) سورة الطلاق : الآية (١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (١) إلى آخر الآيات التي ذكرها .

وفرق أيضاً في هذا النوع بين لام التعليل ولام العاقبة، فإن لام التعليل هو فعل الشيء لعلة معينة، لكن لام العاقبة، مثل قول الله عز وجل﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٢) يعني: آل فرعون ما التقطوه من أجل أن يكون لهم عدواً وحزناً، لكن المقصود باللام هنا العاقبة، وبين ذلك، قال: فإن ما بعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة، ولكن لما كان الفعل منتهياً إليه، وكانت عاقبة الفعل، دخلت عليه لام التعليل، وهي في الحقيقة لام العاقبة .

ثم ذكر أنواعاً أخرى قال: **النوع السادس**: ذكر ما هو من صرائح التعليل وهو من (أجل)، كقوله تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ﴾ وهذا صريح في أن الله عز وجل فعل هذا الفعل من أجل ذلك .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٣) .

قال : النوع الثامن: ذكر الحكم الكوني والشرعي عقيب الوصف المناسب له، فتارة يذكر (بأن) ، وتارة يقرن (بالفاء)، وتارة يذكر مجرداً، فالأول كقوله تعالى ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

(١) سورة الحديد : الآية (٢٩) .

(٢) سورة القصص : الآية (٨) .

(٣) سورة المائدة : الآية (٣٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (١)، وهكذا ذكر مجموعة كثيرة .

النوع العاشر: إخباره عن الحكم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره ؛ كقوله ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ** ﴾ (٢)، وذكر مجموعة كثيرة من الأنواع التي فيها إثبات حكمة الله عز وجل، وأن الله عز وجل يخلق الشيء لحكمة .

دلالة العقل والقياس على حكمة الله تعالى في الخلق والتشريع :-

ثم إن خلق الله عز وجل للشيء لحكمة لا شك أنه يدل عليه العقل أيضاً، فإنه لا يمكن أبداً أن يخلق الله عز وجل الخلق بدون أن يكون لهذا الخلق حكمة وغاية حميدة؛ فإن الإنسان العاقل عندما يفعل الفعل يسأل: لماذا فعلت هذا الفعل؟ فإذا فعله لحكمة مُدِح، وإذا فعله لغير حكمة ذم، فإذا كان هذا في المخلوق وهو مخلوق، فالخالق سبحانه وتعالى أولى بذلك وأعظم، كما هو معلوم من قياس الأولى .

إذاً : حكمة الله عز وجل ثابتة ولا شك فيها من ناحية العقل والشرع، والأدلة القرآنية مليئة بذلك، ولهذا كان من الأدلة الشرعية الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فالقياس دليل من الأدلة الشرعية وهو دليل معتبر، والقياس المراد به هو قياس الفرع الذي يراد أن يحكم فيه على أصل محكوم فيه سابقاً؛

(١) سورة الأنبياء : الآية (٨٩ - ٩٠) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوجود علة بينهما، وهذه العلة صحيحة وواضحة، والقياس دليل من الأدلة الشرعية اتفق عليه أهل العلم جميعاً، ولم يخالف فيه إلا الظاهرية .

إذاً: القياس دليل مبني على العلة، وهذا دليل على أن الله عز وجل يشرع أحكامه لحكم وعلل حميدة ومفيدة، ولهذا فإن الذين أنكروا الحكمة والتعليل تورطوا في فهم القياس .

ولهذا تجد الأشاعرة الذين نفوا صفة الحكمة لله عز وجل نفوها في كتبهم المتعلقة بعلم الكلام، فلما جاءوا إلى كتبهم المتعلقة بأصول الفقه وبالأحكام وبالفقه ونحو ذلك تورطوا؛ لأنهم يثبتون القياس، فنجد عدداً كبيراً من الأشاعرة يثبتون القياس، مثلاً الفخر الرازي له كتاب (نهاية العقول)، و(معالم أصول الدين)، و (المطالب العالية)، وغيرها من الكتب الكلامية، يقرر فيها ما يقرره أصحابه من نفي الحكمة، لكنه له كتب في أصول الفقه مثل (المحصول) ، وهكذا الغزالي له (الاقتصاد فى الاعتقاد) في علم الكلام ، وله (المستصفى) في علم أصول الفقه، فلما جاءوا إلى أصول الفقه وأرادوا أن يقرروا الأدلة الشرعية بدءوا يحددونها أولاً: القرآن، وثانياً السنة، وثالثاً الإجماع، ورابعاً القياس، ولما عرفوا القياس قالوا: هو قياس فرع غير محكوم فيه على أصل محكوم فيه لعلة .

فقيل لهم : أنتم تنفون العلة في أمر الله وخلقه فكيف تثبتونها هنا ؟ فتورطوا.

وإنما أُتِى الأشاعرة من جهة قياس الغائب على الشاهد ، فقاسوا الحكم والعلل في أفعال الله تعالى على الحكم والعلل في أفعال العباد ، فهذه الأخيرة هي المقتضية للنقص والحاجة ، أما المتصرف في كونه بما يشاء بحكمة بالغة فلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتقضى نقصاً ولا عيباً ، وهو سبحانه الذي جعل الأسباب والعلل ورتب بعضها على بعض بمحض مشيئته واختياره لا لحاجه ولا لنقص فى قدرته.

- **مسألة : هل الإرادة تقتضي المحبة أم لا ؟**

هذه المسألة مرتبطة بشكل قوي بالمسألة السابقة - مسألة تعليل أفعال الله - لأن الذي حدا بالأشاعرة إلى أن ينكروا التعليل ما توهموه من وجود تعارض بين الأمر والقدر، وكيف يريد الله أمرا إرادة كونية كالكفر والمعاصي، ثم هو لا يحبها ولا يرضاها ولا يريدها دينا؟ فرأوا أن الخروج من هذا المأزق يكون بإنكار الحكمة والتعليل في أفعال الله وأوامره. وموضوع الإرادة وهل هي مستلزمة للرضى والمحبة مما خاض فيه أهل الأهواء، وضلوا فيه عن الحق وأدى بهم ضلالهم إلى انحراف خطير جدا في مسألة القضاء والقدر وفي مسألة الأمر والنهي، وعلاقة هذه بتلك .

وقد وقع الخلاف في هل الإرادة تستلزم الرضى والمحبة على قولين :

القول الأول : أن الإرادة تستلزم الرضى : وهذا قول المعتزلة والجهمية وأغلب الأشاعرة (١)، وبعض الأشاعرة لهم عبارات تخفف من هذه المقالة، مثل قول بعضهم بحمل المحبة والرضا على الإرادة، ولكنه يقول: « إذا تعلقت الإرادة بنعيم ينال عبدا فإنها تسمى محبة ورضى، وإذا تعلقت بنقمة تنال عبدا فإنها تسمى سخطا » (٢)، فمن جوز إطلاق المحبة على الإرادة قالوا : إن الله يحب

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ٦/ ٥١ ، والإنصاف للباقلاني ص٤٤-٤٥ .

(٢) الإرشاد للجوينى ص٢٣٩ ، وشرح المواقف للإيجى ص٢٨٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفر ويرضاه كفرا معاقبا عليه .(١)

ولكن هؤلاء الذين اتفقوا على أن الإرادة بمعنى المحبة والرضى - اختلفوا فيما بينهم على قولين جعلت أقوالهم تتباين كثيراً في مسألة القدر:

أ-فالمعتزلة القدرية : قالوا قد علم بالدليل أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، ولما كان هذا ثابتا لزم أن تكون المعاصي ليست مقدرة له ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، قالوا: ولما كنا مأمورين بالرضى بالقضاء، ومأمورين بسخط هذه الأفعال وبغضها وكراهتها، فإذن يجب أن لا تكون واقعة بقضاء الله وقدره فأنكروا لذلك مرتبة المشيئة والخلق .

ب-**والأشاعرة ومن معهم** : قالوا قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولما ثبت عندهم أن المشيئة والإرادة والمحبة والرضى كلها بمعنى واحد - قالوا: فالمعاصي والكفر كلها محبوبة لله لأن الله شاءها وخلقها .(٢)

وهكذا انتهى الأمر بهاتين الطائفتين إلى قولين باطلين : إما إخراج بعض المقدورات أن تكون مقدرة ومرادة لله كما فعل المعتزلة، وإما بالقول بأن الله يحب الكفر والمعاصي كما فعلت الأشعرية الذين خالفوا نصوص الكتاب والسنة .

---

(١) انظر : لباب العقول للمكلاتى ص٢٨٨ .

(٢) انظر : الإحتجاج بالقدر لابن تيمية ص٦٦-٦٧ ت/الشيخ الألبانى ، الطبعة الرابعة المكتب الإسلامى – بيروت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القول الثاني : أن الإرادة لا تستلزم الرضى والمحبة، بل بينهما فرق : وهذا قول عامة أهل السنة المثبتين للقدر، وهؤلاء يقولون إن قول المعتزلة والأشاعرة مخالف للكتاب والسنة والإجماع، فإنهم متفقون على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وعلى أن الله لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وأن الكفار يبيتون ما لا يرضى من القول. كما هو صريح النصوص .

ولكن هل بين النصوص تعارض كما توهمه أولئك ؟

أهل السنة يرون أن النصوص الواردة في المشيئة والإرادة، وفي المحبة والرضى ليس بينهما تعارض مطلقاً إذا أعطيت حقها من الفهم والتفسير الصحيح .

وذلك أن أهل السنة يقولون إن الخطأ الذي وقع فيه المخالفون لهم من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، هو ظنهم أن الإرادة في النصوص كلها بمعنى واحد .

والحق أن الإرادة نوعان :

أحدهما : نوع بمعنى المشيئة العامة، وهذه هي الإرادة الكونية القدرية :-

فهذه الإرادة كالمشيئة شاملة لكل ما يقع في هذا الكون، وأدلة هذا النوع كثيرة، منها قوله تعالى ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾(١) ، فهذه الإرادة لا تستلزم المحبة، وليست بمعناها .

(١) سورة الأنعام : الآية (١٢٥) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والثاني: نوع بمعنى المحبة والرضى، وهذه هي الإرادة الدينية الشرعية : -

كقوله تعالى ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (١)، وهذه الإرادة هي المستلزمة للمحبة والرضى، وهي المستلزمة للأمر(٢) .

وعلى هذا فبالنسبة لوقوع المراد، وفي أي النوعين يتعلق - تكون الأقسام أربعة :

أحدها : ما تعلقت به الإرادتان الكونية والدينية، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فهذه مرادة ديناً لأنها أعمال صالحة مأمور بها، ومرادة كوناً لأنها وقعت .

الثاني : ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الطاعات والأعمال الصالحة، فعصى ذلك الكفار ولم يأتوا به، فهذا مراد شرعاً لأنه من الأعمال الصالحة، وغير مراد كوناً لأنه لم يقع من الكفار والعصاة .

الثالث : ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، كالمباحات والمعاني التي لم يأمر بها الله إذا فعلها العصاة ، فهي غير مرادة ديناً ، ولكنها مرادة كوناً لأنها وقعت .

الرابع : ما لم تتعلق به الإرادتان، وذلك مما لم يقع ولم يوجد من أنواع المباحات والمعاصي . (٣)

وبهذا التفصيل - الذي دلت عليه النصوص - يتبين رجحان مذهب أهل السنة والجماعة .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٨٥) .

(٢) انظر: في ذلك مراتب الإرادة - مجموع الفتاوى ٨/ ١٨٨ - ١٩٠، ١٩٧، ومنهاج السنة ١/ ٣٦٠ .

(٣) انظر: مراتب الإرادة - مجموع الفتاوى ٨/ ١٨٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما محاولة بعض الأشاعرة أن يجيبوا عن النصوص التي دلت على أن الله لا يحب الكفر ولا الفساد - بأن هذا خاص بمن لم يقع منه الكفر والفساد، والمعنى أن الله لا يحب الفساد لعباده المؤمنين ولا يرضاه لهم - فهذا جواب فاسد لأن لازم هذا أن الله لا يحب الإيمان ولا يرضاه من الكفار، لأنه لم يقع منهم، لأن المحبة عندهم كالإرادة إنما تتعلق بما وقع دون ما لم يقع. وهذا من أعظم الباطل .

ولا شك أن تخبط الأشاعرة ومعهم المعتزلة في هذه المسائل أدى بهم إلى الانحراف في مسألة القدر وأفعال العباد . (١)

المطلب الثاني
مسألة التحسين والتقبيح
بين السلف والمتكلمين

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣١٦ وما بعدها ، وموسوعة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ٢/٦٤ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القول بالتحسين والتقبيح العقليين قد جاء- قبل الإسلام- من بعض الديانات الهندية، وهو قول التناسخية، والبراهمة، والثنوية، وهم-كما يقال- الذين وضعوا البذور الأولى للقول بإيجاب المعارف عقلا .. (١)

وكان أول من بحث هذا الموضوع من أهل الكلام هو الجهم بن صفوان حيث قال قاعدته (إيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع)(٢) ، وبنى على ذلك أن العقل يوجب ما في الأشياء من صلاح وفساد، وحسن وقبح، وهو يفعل هذا قبل نزول الوحي، وبعد ذلك يأتي الوحي مصدقاً لما قال به العقل من حسن بعض الأشياء وقبح بعضها . (٣)

- **المراد بالحُسْن والقُبْح :**

يطلق الحسن والقبح بثلاثة اعتبارات(٤):

الاعتبار الأول : بمعنى ملاءمة الطبع ومنافرته، فما لاءم الطبع فهو حسن؛ كإنقاذ الغريق، وما نافر الطبع فهو قبيح؛ كاتهام البريء .

الاعتبار الثاني : بمعنى الكمال والنقص، فالحسن : ما أشعر بالكمال ؛ كصفة العلم، والقبيح : ما أشعر بالنقص؛ كصفة الجهل .

(١) التجسيم عند المسلمين - مذهب الكرامية - سهير مختار – ٤١٢ص٣٦٣ .

(٢) الملل والنحل للشهر ستاني ١/٨٨ .

(٣) انظر: نشأة الفكر الفلسفي للنشار ١/٣٤٦ ، والتجسيم عند المسلمين ص ٣٦٣ .

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٣٤٧ ، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/٤٤ ، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص٣٢٦ لمحمد بن حسين الجيزانى – طبعة دار ابن الجوزى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحسن والقبح بهذين الاعتبارين : لا خلاف أنهما عقليان، بمعنى أن العقل يستقل بإدراكهما من غير توقف على الشرع .

والاعتبار الثالث : بمعنى المدح والثواب ، والذم والعقاب .، والحسن والقبح بهذا الاعتبار : محل نزاع بين الطوائف ، وذلك على النحو الآتي :

القول الأول : إثبات الحسن والقبح العقليين، بمعنى أن العقل يدرك الحسن والقبح، فهو يحسن ويقبح، ولا فعل حسن أو قبيح إما لذاته ، وإما لصفة من صفاته لازمة له وإما لوجوه واعتبارات أخرى ، والشرع كاشف ومبين لتلك الصفات فقط، وهذا مذهب المعتزلة .

القول الثاني : نفي الحسن والقبح العقليين، وأنه لا يجب على الله شيء من قبل العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود السمع ، بمعنى أن العقل لا يدرك الحُسن والقُبح، فالعقل لا يحسن ولا يقبح قبل ورود الشرع ، وهذا مذهب الأشاعرة .

القول الثالث : التفصيل ، لأن إطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع ، أو نفي أي دور للعقل في تحسين الأفعال أو تقبيحها غير صحيح ، وهذا مذهب السلف .(١)

وإليك تفصيل المذاهب فى هذه المسألة :-

أولاً : مذهب المعتزلة فى التحسين والتقبيح :-

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٣٢٠ ، ومعالم أصول الفقه ص٣٢٦ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذهبت المعتزلة إلى القول بالتحسين والتقبيح العقلي، ولعل مذهبهم يتضح من خلال النقاط التالية :

١ - ذهبوا إلى إثبات الحسن والقبح بالعقل وجعلوا حسن الأفعال وقبحها للعقل فقط .

٢ - قالوا : إن حسن الأشياء وقبحها صفتان ذاتيتان في الأشياء، والفعل حسن أو قبيح، إما لذاته، وإما لصفة من صفاته اللازمة له، وإما لوجوه واعتبارات أخرى ولذا قالوا بإمكان إدراكها بالعقل .

٣-أما الشرع فجعلوه كاشف ومبين لتلك الصفات فقط.

٤-ونتيجة لذلك جعلوا استحقاق الثواب والعقاب على مجرد معرفة العقل حسن الأفعال وقبحها ولو لم تبعث الرسل.

وإليك ذكر طرف من أقوالهم الكاشفة لحقيقة مذهبهم في ذلك :

يقول أبو الهذيل العلاف : ويجب على المكلف قبل ورود السمع ... أن يعرف الله تعالى بالدليل .... وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة أبدا ويعلم أيضا حُسن الحسن وقُبح القبيح فيجب عليه الإقدام على الحسن كالصدق والعدل والإعراض عن القبيح كالكذب والفجور . (١)

ويقول القاضي عبد الجبار المعتزلي : « قد ذكرنا أن وجوب المصلحة وقبح

(١) الملل والنحل للشهر ستاني ١/٥٢ ، المعتزلة وأصولهم الخمسة ص : ١٦٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفسدة متقرران في العقل »(١) ويقول في موطن آخر « فليس لأحد أن يقول إنما يحتاج إلى السمع ليفصل العاقل بين الحسن والقبيح »(٢)

فالمعتزلة جعلوا الشرع عبارة عن كاشف عن أشياء معلومة مسبقاً بالعقل ، يقول القاضي « واعلم أن النهي الوارد عن الله عز وجل يكشف عن قبح القبيح لا أنه يوجب قبحه وكذلك الأمر يكشف عن حسنه لا أنه يوجبه »(٣)

ويجب التنبيه إلى مسألة مهمة عند المعتزلة وهي أن ليس كل الأشياء يعلم حسنها وقبحها من العقل ، بل إن هناك بعض الأشياء لا يدرك العقل حسنها ولا قبحها بل إن حسنها وقبحها لا ينال إلا من الشارع الحكيم سبحانه ؛ فمثلاً قضاء الحائض للصيام دون الصلاة وقبح الصلاة بعد صلاة الفجر وحسن صدقة الفطر قبل صلاة العيد كلها تدرك بالشرع .

يقول القاضي عبد الجبار في كلام له عن لزوم الدية على العاقلة مع أنها لم تفعل شيئاً قال عنه القاضي «وهذا مما لا دخل له في التكاليف العقلية »(٤)

تبين من كلام المعتزلة السابق أنهم يرون أن تفاصيل الشريعة ليس للعقل مجال فيها ؛ وقرروا على ذلك وجوب بعثة الرسل على الله !!

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبارص٥٦٥ .

(٢) المغنى في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار ١٤/٧ .

(٣) المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ٢٥٤ ، وانظر مفهوم العدل في تفسير المعتزلة للقرآن د. محمود كامل ص١٥٩ .

(٤) المغني في أبواب العدل والتوحيد ١٤/١٦٤ ، وانظر موقف المتكلمين للغضن ١/٢٩٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكيف يوجب هؤلاء على الله أشياء وهم مخلوقون مربوبون مستعبدون ، بل الله هو الذي يوجب على نفسه وليس لنا إلا أن نقول أوجب الله كذا وكذا على نفسه ، ولا يجب عليه بعثة رسل إلينا بحيث أننا نوجبه .

وقد أطال المعتزلة النفس في الدفاع عن هذه القضية و الكلام عنها واعتبارها أنها الأصل الذي لا يجب أن يكون خلاف حوله وعادة ما يكتبون في هذا الموضوع في كتب عقائدهم وهي قليل ، وكثيراً ما يطرق هذا الموضوع في كتب الأصول أو كتب المخالفين .(١)

مما سبق من تقرير مذهب المعتزلة، نجد أنهم أصابوا من جهة وأخطأوا من من جهة أخرى :

أصابوا : بقولهم إن لتلك الأفعال حسناً وقبحاً ذاتياً يمكن إدراكه بالعقل .

وأخطأوا : أولاً : في إيجابهم على الله تعالى أشياء بمحض عقولهم .، بل أوجبوا على الله أشياء مخالفة للصحيح الصريح من نصوص الكتاب والسنة .

وثانياً : في أنهم رتبوا التكليف والعقاب والثواب على ذلك ، حتى لو كان قبل ورود الشرع .

ويجاب عليهم :

أن إيجابهم العقلي على الله باطل، لأنه يلزم أن يكون هناك موجب فوق الله

(١) انظر : المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري المعتزلي ١/٣٦٣ ، تسير التحرير لأمير باد شاه ٢/١٥٠ دار الكتب العلمية ، وشرح المنار وحواشيه : المنار للنسفي ص١٩٣ دار سعادت ، غاية المرام من علم الكلام للآمدي ١/٢٣٣ ، أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية ٢٢٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوجب عليه شيئًا، ولا موجب عليه سبحانه، كما يلزم عليه ألا يكون سبحانه فاعلاً مختاراً، وهو باطل .(١)

وقولهم هذا فيه تشبيه لله بخلقه، فهم يوجبون على الله ما يوجبونه على العبد، ويحرمون عليه من جنس ما يحرمونه على العبد، وهذا أمر باطل، فالله تعالى كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، فكذلك ليس كمثله شيء في أفعاله، وكيف يقاس تعالى بخلقه ونحن نرى كثيرا من الأفعال تقبح من العبد وهي حسنة منه تعالى لحكم يعلمها سبحانه، كإيلام الأطفال والحيوان.(٢)

أما ما أوجبه الله تعالى على نفسه فهو حق لا مرية فيه، فالله تعالى يجب عليه ما أوجبه على نفسه، ويحرم عليه ما حرمه على نفسه، فهو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأحق على نفسه نصر المؤمنين، وثواب المطيعين، وحرم على نفسه الظلم.

قال تعالى﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾(٣) ، وقال تعالى ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٤)

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ».(٥)

---

(١) انظر : مدارج السالكين ١/٦٦ ، والمعتزلة وأصولهم الخمسة ص١٦٠ .

(٢) انظر: منهاج السنة ١/٤٤٧ ، ومفتاح دار السعادة ٢/٥٢ – ٥٩ .

(٣) سورة الأنعام : الآية (٥٤) .

(٤) سورة الروم : الآية (٤٧) .

(٥) **صحيح** : أخرجه البخاري برقم ٢٨٥٦ – ٧٣٧٣ ، ومسلم برقم ٣٠ وغيرهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا الإيجاب منه سبحانه إنما هو تفضل ورحمه ، فلا أحد يوجب عليه سبحانه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه فهذا قول القدرية، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ، وأنه ما شاء كان وما شاء لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال : إنه كتب على نفسه الرحمة ، وحرم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك .اهـ(١)

ثانياً : مذهب الأشاعرة فى التحسين والتقبيح :-

ذهب الأشاعرة إلى القول بالتحسين والتقبيح الشرعيين لا العقليين :

فقالوا : إنه لا يجب على الله شيء من قبل العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود السمع .

وقالوا : إن الحسن والقبح الذي يتعلق به المدح والثواب، و الذم والعقاب،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٣١٠ – ٣١١ ، الطبعة السابعة - دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ت/ناصر العقل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنما يدرك بالشرع فحسب، وليست الأشياء في ذاتها حسنة ولا قبيحة بل توصف بذلك باعتبارات غير حقيقية .

فهم ذهبوا إلى أن الحسن والقبح في الأشياء اعتباري ونسبي، أي : أنه ليس صفة لازمة وذاتية في الشيء، وإنما يعرف حسن الأشياء وقبحها باعتبارات إضافية .

يقول الآمدي في سياق تقريره لمذهب الأشاعرة : إن الحسن والقبح ليس وصفا ذاتياً للحسن والقبيح ، ولا أن ذلك مما يدرك بضرورة العقل ونظره، بل إطلاق لفظ الحسن والقبح عندهم باعتبارات غير حقيقية، بل إضافية يمكن تغيرها وتبدلها بالنظر إلى الأشخاص والأزمان والأحوال . (١)

ويقول الباقلانى : والحسن ما وافق الأمر من الفعل، والقبيح ما وافق النهي من الفعل، وليس الحسن حسناً من قبل الصورة، ولا القبيح قبيحاً من قبل الصورة . (٢)

وقال أبو المعالى الجوينى : العقل لا يدل على حسن الشيء وقبحه في حكم التكليف من اللهّ شرعاً على معنى أن أفعال العباد ليست على صفات نفسية حسناً وقبحاً .... فمعنى الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعله ومعنى القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله ... (٣)

---

(١) أبكار الأفكار ٢/١٢١ .

(٢) الإنصاف ١/٤٤ .

(٣) نهاية الأقدام فى علم الكلام ص٢٠٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال الإيجى : حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها، وليس ذلك عائدا إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع، بل الشرع هو المثبت له والمبين، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه، لم يكن ممتنعا، وانقلب الأمر . (١)

فعلى هذا قد يأمر الله بالشرك والكفر والقتل والزنا فتكون حسنة، وقد ينهى عن التوحيد والصدق والإحسان فتكون قبيحة .

ومما يدل على فساد قولهم أنهم قد أجازوا على الله فعل أشياء يتنزه عنها الرب تعالى، ولا يصح أن تنسب إليه، كتعذيب عباده المخلصين، وتنعيم أعدائه الكافرين .

والذي دفعهم لذلك هو رد الفعل المغال لقول المعتزلة والكرامية ، كما أنهم مع ذلك يميلون إلى القول (بالجبر) في القدر – على ما سيأتي بيانه -.

ولا شك أن الأشاعرة - وكذلك المعتزلة - ليسهم له حجة على قولهم في التحسين والتقبيح، سوى أخذهم ببعض النصوص دون بعض .

وما ذهب إليه الأشاعرة من نفي حسن الأفعال وقبحها وتعطيل العقل عن معرفة ذلك، قد خالفوا به صحيح المنقول وصريح المعقول:

١- فمخالفتهم لصحيح المنقول : ففي القران آيات كثيرة تدل على أن الحسن والقبح ثابت للأشياء في ذاتها، قال تعالى: ﴿ **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ** ﴾(٢)

(١) المواقف للإيجى ص٣٢٣ .

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٥٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووجه الدلالة : الآية صريحة في أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها، فالمعروف الذي يأمر به الله ما تعرفه وتقر به العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والمنكر الذي نهاهم عنه هو ما تنكره العقول والفطر السليمة، وتقر بقبحه، ولو لم يمن للأشياء حسن وقبح لذاتها ، وإنما كان ذلك من قبل الشارع وأن ما أمر به الحسن وما نهى عنه هو القبيح لكان معنى الآية : (يأمرهم بما يأمرهم به ، وينهاهم عما ينهاهم عنه) وهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن رب العالمين .

وقوله تعالى ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ** ﴾ ، فدلت الآية على أن الحلال كان طيباً قبل حله، وأن الخبيث كان خبيثاً قبل تحريمه .

وقال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً** ﴾(١)

فدلت الآية على أن الزنى إنما تعلق به النهي لكونه قبيحاً وفاحشة، وهذا الوصف ثابت له قبل النهي عنه، ولو لم يكن قبيحاً وفاحشة في نفسه لكان معنى الآية : (ولا تقربوا الزنى فإنه منهي عنه)، وهذا من تعليل الشيء بنفسه وهو باطل .

٢- وأما مخالفتهم لصريح المعقول فيما ذهبوا إليه من نفي الحسن والقبح الذاتي للأفعال، وتعطيل العقل عن معرفة ذلك ففيه جمع بين الأمور المختلفة الممتنعة عند ذوي العقول الصريحة والفطر المستقيمة، فإذا كان العقل ليس له مدخل في معرفة حسن الأفعال وقبحها، فإن ذلك يستلزم أن تكون الأفعال الحسنة والقبيحة في حقه متساوية كالصدق والكذب والعدل والظلم والكرم

(١) سورة الإسراء : الآية (٣٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبخل والبر والفجور، وحكم الضدين بهذه العبارة يكون باطلا لا يقول به من له أدنى مسكة من علم وإيمان وعقل .

قال تعالى ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾(١) ، وقال جل ثناءه ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ** ﴾(٢) .

قال الإمام ابن القيم : نفى كثير من النظار التحسين والتقبيح العقليين، وجعلوا الأفعال كلها سواء في نفس الأمر، وأنها غير منقسمة في ذواتها إلى حسن وقبيح، ولا يميز للفعل عندهم منشأ حسن ولا قبح، ولا مصلحة ولا مفسدة، ولا فرق بين السجود للشيطان، والسجود للرحمن في نفس الأمر، ولا بين الصدق والكذب، ولا بين السفاح والنكاح، إلا أن الشارع حرم هذا وأوجب هذا، فمعنى حسنه كونه مأموراً به، لا أنه منشأ مصلحة، ومعنى قبحه كونه منهياً عنه، لا أنه منشأ مفسدة، ولا فيه صفة اقتضت قبحه، ومعنى حسنه أن الشارع أمر به، لا أنه منشأ مصلحة، ولا فيه صفة اقتضت حسنه.

إلى أن قال : فإن هذا المذهب - بعد تصوره، وتصور لوازمه - يجزم العقل ببطلانه، وقد دل القرآن على فساده في غير موضع، والفطرة أيضاً وصريح العقل.

---

(١) سورة ص : الآية (٢٨) .

(٢) سورة الجاثية : الآية (٢١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن الله سبحانه فطر عباده على استحسان الصدق والعدل، والعفة والإحسان، ومقابلة النعم بالشكر، وفطرهم على استقباح أضدادها، ونسبة هذا إلى فطرهم وعقولهم كنسبة الحلو والحامض إلى أذواقهم، وكنسبة رائحة المسك ورائحة النتن إلى مشامهم، وكنسبة الصوت اللذيذ وضده إلى أسماعهم، وكذلك كل ما يدركونه بمشاعرهم الظاهرة والباطنة، فيفرقون بين طيبه وخبيثه، ونافعه وضاره . (١)

ثالثاً : مذهب السلف في التحسين والتقبيح : -

توسط أهل السنة في هذه المسألة بين الأشاعرة والمعتزلة فوافقوا هؤلاء في شيء وخالفوهم في شيء .

١ -أنهم وإن كانوا يوافقون المعتزلة في القول بإدراك العقل للحسَن والقبيح في (بعض الأفعال) إلا أنهم لا يوافقونهم في وجوب الفعل وحرمته بمنى استحقاق الفاعل الثواب والعقاب قبل ورود الشرع .

٢ -كما أنهم يوافقون الأشاعرة في أنه لا ثواب ولا عقاب إلا بعد ورود الشرع ولكن لا يوافقوهم في أن الأفعال في أنفسها سواء ، وأنه لا فرق بينها في نفس الأمر بل الشرع هو الذي يحسنها ويقبحها .

كل ذلك لا يوافق عليه السلف بل يذهبون إلى أن الحسن والقبح ثابتان للأفعال نفسها وأن الله فطر العباد على استحسان الصدق و الإحسان

(١) مدارج السالكين ١/ ٢٤٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومقابلة المنعم بالشكر . (١)

فمن مذهب أهل السنة والجماعة يمكننا أن نجمله بالنقاط التالية :

-إثبات حسن بعض الأفعال وقبحها بالعقل والشرع، ولا يلزم أن يدركها جميعا، لأن منها ما قد يخفي على بعض العقول،و الشرع زاد حسن الأفعال الحسنة بالعقل حسنا، وزاد القبيحة قبحا.

-الثواب على فعل الأفعال الحسنة، والعقاب على فعل الأفعال القبيحة إنما هو من قبل الشارع، فلا يجب على المكلف شيء قبل ورود الشرع.

قال ابن القيم رحمه الله : (وتحقيق القول في هذا الأصل العظيم أن القبح ثابت للفعل في نفسه، وأنه لا يعذب الله عليه إلا بعد إقامة الحجة بالرسالة، وهذه النكتة هي التي فاتت المعتزلة والكلابية(٢)كليهما، فاستطالت كل طائفة منهما على الأخرى لعدم جمعهما بين هذين الأمرين، فاستطالت الكلابية على المعتزلة بإثباتهم العذاب قبل إرسال الرسل، وترتيبهم العقاب على مجرد القبح العقلي، وأحسنوا في رد ذلك عليهم، واستطالت المعتزلة عليهم في إنكارهم الحسن والقبح العقليين جملة، وجعلهم انتفاء العذاب قبل البعثة دليلا على انتفاء القبح واستواء الأفعال في أنفسها، وأحسنوا في رد هذا عليهم، فكل طائفة استطالت على الأخرى بسبب إنكارها الصواب، وأما من سلك هذا المسلك الذي سلكناه فلا سبيل لواحدة من الطائفتين إلى رد قوله، ولا الظفر عليه أصلاً

(١) الحكمة والتعليل في أفعال الله د . محمد المدخلي ص١٠٤ .

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فانه موافق لكل طائفة على ما معها من الحق مقرر له مخالف في باطلها منكر له.(١)

وقال أيضاً : والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل أنه لا تلازم بينهما - أي بين الحسن والقبح الذاتي المدرك بالعقل، وترتب الثواب والعقاب عليهما - وأن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة كما أنها نافعة وضاره، والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات ،ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحاً موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان والأوثان والكذب والزنا والظلم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها والعقاب عليها مشروط بالشرع . (٢)

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية أنواع الحسن والقبح في الأفعال فقال : قد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

- أحدها : أن يكون الفعل مشتملاً على مصلحة أو مفسدة و لو لم يرد الشرع بذلك كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن و قبيح وقد يعلم بالعقل و الشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك، و هذا مما غلط فيه غلاة القائلين

(١) المصدر السابق ٢/٧-٨ .

(٢) مدارج السالكين ١/٢٤٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالتحسين و التقبيح، فإنهم قالوا إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة و لو لم يبعث إليهم رسولا، و هذا خلاف النص .

-النوع الثاني :أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً و إذا نهى عن شيء صار قبيحاً و إكتسب الفعل صفة الحسن و القبح بخطاب الشارع .

والنوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم يعصيه ولا يكون المراد فعل المأمور به ،كما أمر إبراهيم بذبح إبنه، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح ...فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به.

و هذا النوع و الذي قبله لم يفهمه المعتزلة و زعمت أن الحسن و القبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع والأشعرية إدعوا أن جميع الشريعة من قسم الإمتحان، و أن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع وأما الحكماء و الجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب .(١)

فتبين بهذا أن المصلحة تنشأ من الفعل المأمور به تارة ومن الأمر تارة ومنهما تارة ومن العزم المجرد تارة . (٢)

وأما عن أدلة السلف على مذهبهم فقد تقدم ذكرها في جملة الرد على المعتزلة والأشاعرة .

(١) مجموع الفتاوى ٨/٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) مفتاح دار السعادة ٢/٦٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثالث

بيان خلاف الناس فى أفعال العباد

إن مسألة أفعال العباد كانت ولا زالت موضع خلاف كبير بين جميع الفرق الإسلامية ، وخاصة الجبرية ، والمعتزلة ، والسلف من أهل السنة والأشاعرة والماتريدية ، بل وما زالت هذه المسألة حية ومعاصرة ، تشغل العقل الإنساني وتؤرقه ، فمنهم من ينكر على العبد حريته وإرادته ، فيجعله مسيراً لا شأن له في خلق أفعاله التي حددت له مسبقاً ولا سبيل إلى تعديلها أو تحويرها ، ومنهم من يربأ بالإنسان أن يكون في منزلة الجماد فيثبت له الإرادة ، ويجعله قادراً على أفعاله ، ويرى أن من العدل أن يثاب أو يعاقب بناء على ما قدمت يداه .

ولعل السبب في ذلك أن القرآن الكريم وردت فيه آيات كثيرة تشير إلى أن الله خالق كل شيء ، وآيات أخرى تقرر أن العبد حر في اختياره أفعاله مسئول عنها .

لذا انقسم المسلمون في فهم هذه المسألة إلى ثلاثة فرق :

١ -أهل الجبر المحض (الجبرية) .

٢ - المعتزلة .

٣- القائلون بالكسب : وهم السلف والأشاعرة والماتريدية ، على خلاف دقيق بينهم في المقصود من الكسب ومدى إرادة الإنسان فيه .[١]

(١) انظر : أفعال العباد عند الفرق الإسلامية ص٢ بتصرف يسير – للدكتور/سعيد عبدالله عاشور ، الأستاذ بكلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية ، غزة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **علاقة مسألة أفعال العباد بالقضاء والقدر :**

يرتبط القضاء والقدر بمسألة أفعال العباد ارتباطاً وثيقاً ، فالقضاء والقدر يرتبط بعموم مشيئة الله وخلقه وقدرته ، ولكن أفعال العباد هل هي مخلوقة لله تعالى من غير استطاعة من الإنسان فيكون مجبراً ؟ أم هي ليست مخلوقة لله ، وإنما العباد هم الخالقون ، وعليه يكون الثواب والعقاب بناء على ما قدمت أيديهم؟

وهذه مسألة لها متعلقان :

إحداهما : بالخالق تعالى ، وهو ما اتفق فيه أهل السنة والأشاعرة على أن الله تعالى خالق أفعال العباد .

والثاني : بالعبد ، وهل له قدرة أو لا ؟ وهل قدرته مؤثرة أو غير مؤثرة ، هذه وقع فيها الخلاف بين الطوائف إلى حد كبير .(١)

ولعل السبب في خلافهم أن القرآن الكريم وردت فيه آيات يدل بعضها على حرية العبد واختياره و تحمل مسئولية ما يفعله ، وبعضها الآخر يدل على أن الله تعالى خالق كل شيء ، وأن أفعال العباد قد حددت مسبقاً من قبل الله تعالى .

فمن الآيات الدالة على حرية العبد واختياره :

قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا**

(١) انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٣٣٠ .

(٢) سورة النساء : الآيتين (١١٠ – ١١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [١] وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[٣] والآيات في ذلك كثيرة .

ومن الآيات الدالة على أن الله خالق كل شيء ، وأن أفعال العباد قد حددت مسبقاً ما يلي :

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٤] وقوله تعالى ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[٥] وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [٦]وقوله تعالى ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ﴾[٧]، وغير ذلك من الآيات الكثيرات .

بل هناك آيات تجمع بين الأمرين كقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى

(١) سورة الأنعام : الآية (١٠٤) .
(٢) سورة الكهف : الآية (٢٩) .
(٣) سورة فصلت : الآية (٤٦) .
(٤) سورة البقرة : الآيتين (٦ – ٧) .
(٥) سورة الأنعام : الآية (١٢٥) .
(٦) سورة النحل : الآية (٣٦) .
(٧) سورة التوبة : الآية (٥١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾(١)

- **مذاهب الفرق في خلق أفعل العباد :**

وقبل بيان آراء الفرق في خلق أفعال العباد ينبغي أن يُعَلم أن المدارس الكلامية كلها ذهبت إلى تقسيم أفعال العباد إلى قسمين هما :

أفعال اضطرارية ، لا إرادية : كضربات القلب ، وحركة الدم في الشريان ، وحركة المرتع ... الخ و هذه مردها إلى الله تعالى لا دخل للعبد في إيجادها .

أفعال اختيارية إرادية : وهي الأفعال التي يقصد العبد إليها بقدرته و إرادته .، وقد وقع فيها الخلاف بين المتكلمين فانقسمت آرائهم إلى اتجاهات متعددة :

أولاً : أفعال العباد عند الجبرية :-

وقد انقسمت فرقة الجبرية إلى قسمين :

١ -**جبرية خالصة** : وهي التي لا تثبت فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً .

فهؤلاء وعلى رأسهم الجهم بن صفوان بالغوا في إثبات القدر حتى هبطوا بالإنسان إلى مرتبة أقل وأدنى من مرتبة الحيوان ، بل النبات أيضاً ، فقد سلبوا الإنسان قدرته و اختياره و زعموا أنه لا قدرة للعبد على الفعل أصلاً ، وأن حركاته بمنزلة حركات الجمادات ، لا قدرة له عليها ولا قصد ولا اختيار ، فالإنسان على مذهبهم مجبور على فعله ، لا اختيار له فيه ، فهو كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الريح كيف تشاء ، أما إسناد الفعل إليه فهو على سبيل المجاز ، كما

(١) سورة الرعد : الآية (١١) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقال : سقط الحجر ، و تحرك الغصن ، و أثمرت الشجرة ، وطلعت الشمس ، لأن الفعل على زعمهم فعل الله تعالى أجراه على يد العبد بدون إرادة منه ولا اختيار .(١)

٢ -**جبرية متوسطة** : وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة .، وهذا الذي وقع فيه الأشاعرة .

قال أبو المعالي الجوينى : العبد غير مجبر على أفعاله بل هو قادر عليها مكتسب لها ، والدليل على إثبات القدرة للعبد أن العاقل يفرق بين أن ترتعد يده وبين أن يحركها قصدا .

ومعنى كونه مكتسباً أنه قادر على فعله وإن لم تكن قدرته مؤثرة في إيقاع المقدور .(٢)

وربما أحس الشهرستاني نفسه – باعتباره أشعريًا – بهذا المأزق، فتراه عند عرضه للمذهب الجبري، يفرق بين الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً أو قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة – وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، ثم اضطر إلى اصطناع موقف الدفاع عن فكرة الكسب فقال : فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل، وسمى ذلك كسبًا، فليس بجبري.(٣)

(١) انظر : مقالات الإسلاميين – ط/ريتر ص٣٣٨ ، و الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٩٩ ، والملل والنحل ص٨٥ ، وتاريخ المذاهب الإسلامية - محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي- القاهرة ١/١٠٢ .

(٢) انظر : والملل والنحل ص٨٥ .

(٣) انظر : لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة ص ١٢١ ، ت الدكتورة /فوقية حسين محمود - الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الناشر : عالم الكتب – لبنان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً : أفعال العباد عند القدرية والمعتزلة : -

غالت القدرية في نفي القدر وقالوا : لا قدر والأمر أُنف ، أي : أن الإنسان هو الذي يقدر أعمال نفسه ويتوجه إليها بإرادته ثم يوجهها بقدرته ، وهذا يعنى أن الله لا يقدر هذه الأعمال أزلاً ، ولا دخل لإرادته وقدرته في وجودها فلا يعلمها إلا بعد وقوعها .(١)

وبهذا المعنى تكون القدرية قد جعلت الإنسان خالقاً لأفعاله ، وقد تمادوا في قولهم بنفي القدر حين رأوا بعض المسلمين يغالون في الجبر ، فأحدث في نفوسهم رد فعل قوي وكان سبباً في تماديهم في نفي القدر .

ولما جاءت المعتزلة ورثت مقالة القدرية في القدر واعتنقتها وتبنتها حتى كانوا أقدر من القدرية الأولين على شرحها والدفاع عنها .

ويرى أكثر أهل الاعتزال أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله ، و إنما العباد هم الخالقون لها ، ولهم إرادة وقدرة مستقلة عن إرادة الله وقدرته ، فأفعالهم لا فاعل لها ومحدث سواهم .

ومع ذلك فلم تنكر المعتزلة علم الله الأزلي ، يقول الخياط : إن المعتزلة لم ينكروا العلم الأزلي ، فالله عندهم لم يزل عالماً بكل ما يكون من أفعال خلقه ، لا تخفى عليه خافية ، ولم يزل عالماً من يؤمن ومن يكفر أو يعصي ، وهذا القول

(١) انظر : الملل والنحل ١ /٤٣ ، والانتصار في الرد على المعتزلة ١ /٦٨ لأبى الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) تحقيق / سعود بن عبد العزيز الخلف – الطبعة الأولى ، الناشر: أضواء السلف - الرياض ، المملكة العربية السعودية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يميزهم و يخرجهم عن دائرة القدرية الخالصة .[١]

كذلك لم تنكر المعتزلة أن القدرة التي يعمل بها الإنسان من الله تعالى .[٢]

ثالثاً : القائلون بالكسب :- وهم ثلاثة فرق : السلف والأشاعرة والماتريدية.

اتفق كلاً من هؤلاء على القول بخلق الله تعالى لأفعال العباد وبكسب الناس لأفعالهم ، وبهذا القول يكونوا قد خالفوا الجبرية والمعتزلة في هذه المسألة المهمة.

لكن قد اختلفت عبارات كلاً من هؤلاء في التعبير عن معنى الكسب ، وبالتالي اختلف مقصود كلاً منهم .، وهذه هي نقطة الخلاف وسوف أتحدث هنا عن معنى الكسب عند الماتريدية ، أما الكسب عند السلف والأشاعرة فسيكون موضوع مطلبنا القادم من هذا المبحث .

الكسب عند الماتريدية : -

تعتقد الماتريدية أن الله سبحانه خالق أفعال العباد هو القول الحق الذي دل عليه السمع والعقل، وهو قول أهل السنة والجماعة وسلف الأمة ، فأفعال العباد هي من الله من حيث الخلق والإيجاد ، وهي مكسوبة للعباد من حيث إضافتها إليهم . ودليل إضافتها إلى الله خلقه ، وإلى العبد كسبه .

أما بالنسبة لعلاقة العباد بأفعالهم ، فأفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وهي

(١) انظر : موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ٤/٥ ، أفعال العباد بين الفرق الإسلامية ص ٩ ، وسطية أهل السنة بين الفرق ص٣٧٤ ، رسالة دكتوراة / لمحمد با كريم محمد با عبد الله – الطبعة الأولى .

(٢) الملل والنحل ١/٥١ .، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ٤/٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كسب من العباد ، وإن المؤثر في أصل الفعل قدرة الله تعالى ، والمؤثر في صفة الفعل قدرة العبد ، وتأثير العبد هذا هو الكسب .

فقدرة العبد عند الماتريدية لها أثر في الفعل ، ولكن لا أثر لها في الإيجاد ، لأن الخلق يتفرد الله تعالى به ، وإنما أثرها القصد والاختيار للفعل، فالمؤثر في أصل الفعل قدرة الله تعالى وفي وصفه طاعة أو معصية قدرة العبد .

وهذه من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين الأشاعرة والماتريدية ، ولعل الماتريدية أقرب لمذهب السلف من الأشاعرة وأوفر حظاً منهم .

إلا أن قولهم هذا فيه من الباطل ، لأن حقيقة قول الماتريدية هذا أن للعباد إرادة غير مخلوقة ، وهى مبدأ الفعل ، فالعباد على مذهبهم يتصرفون بمبادئ أفعالهم باستقلال تام كما يشاؤون، وخلق الله تعالى لأفعالهم إنما هو تبع لإرادتهم غير المخلوقة .، وهذا فيه شيء من قول المعتزلة.[1]

وسيأتي في المطلب القادم إن شاء الله تعالى ، بيان المذهب الحق في المسألة .

وبالله التوفيق

(١) الماتريدية دراسة وتقويماً ص٤٤٢ بتصرف يسير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الرابع

مسألة الكسب بين السلف والأشاعرة

الكسب لغة : طلب الرزق.،كسب يكْسب كسباً، وتكسب، واكتسب .

قَالَ سِيبَوَيْهِ: كسب: أصَاب، واكتسب: تصرف واجتهد .

قَالَ ابْن جني: قَوْله تَعَالَى: ﴿**لَهَا مَا كسبت وَعَلَيْهَا مَا اكْتسبت**﴾ عبر عَن الْحَسَنَة بكسبت، وَعَن السَّيئَة باكتسبت، لِأَن معنى «كسب » دون معنى « اكْتسب » لما فِيهِ من الزِّيَادَة، وَذَلِكَ أَن كسب الْحَسَنَة بِالْإِضَافَة إِلَى اكْتِسَاب السَّيئَة أَمر يسير ومستصغر .(١)

وقد وقع الكسب في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه ذكرها الإمام ابن القيم :

أحدها : عقد القلب وعزمه كقوله تعالى: ﴿ **لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ أي بما عزمتم عليه وقصدتموه وقال الزجاج: « أي يؤاخذكم بعزمكم » على أن لا تبروا وأن لا تتقوا وأن تعتلوا في ذلك بأنكم حلفتم وكأنه التفت إلى لفظ المؤاخذة وأنها تقتضي تعذيباً فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين .

الوجه الثاني من الكسب : كسب المال من التجارة قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ** ﴾ فالأول للتجار والثاني للزراع .

---

(١) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٦/٧٢٦ ، باب : الكاف والسين والباء ، ولسان العرب ١/٧١٦ ، فصل : الكاف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والوجه الثالث من الكسب: السعي والعمل كقوله تعالى ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ وقوله ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ فهذا كله للعمل .

واختلف الناس في الكسب والاكتساب هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق فقالت طائفة معناهما واحد قال أبو الحسن علي بن أحمد وهو الصحيح عند أهل اللغة : «ولا فرق بينهما» .(١)

والعمل أو الفعل المقصود - فيما تقدم - هو أفعال العباد ، وليس أفعال الله تعالى ، فأفعال الله تعالى لا توصف بأنها كسب لكونه تعالى منزهاً عن ذلك ، فهو سبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .

وبعد هذا البيان لمعنى الكسب من حيث اللغة ، سأشرع فى بيان مذهب السلف والأشاعرة فى خلق أفعال العباد ، وبيان معنى ومقصود الكسب عند كلاً منهما .

أولاً : الكسب عند الأشاعرة : -

اهتم الأشاعرة بمسألة الكسب اهتماماً ظاهراً ، فمسألة أفعال العباد من المسائل الرئيسة في مذهبهم ، فهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لله مقدورة له ، وليس للإنسان فيها غير اكتسابها ، أي أن الفاعل الحقيقي هو الله ، وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يد هذا الإنسان .

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص١٢٠ لابن القيم – طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالحق في نظرهم أن أفعال العباد تتم بالمشاركة بين الله تعالى و عباده ، فلا يستقل أي الطرفين بها وحده ، ولما كان الله لا يحتاج إلى معين في أفعاله الخاصة ، فيبقى أن العبد هو المحتاج إلى عون الله في أفعاله ، ومن ثم فإن الفعل ينسب إلى فاعلين هما : الله والعبد .

وبهذا الرأي يكون الأشاعرة قد رفضوا قول المعتزلة القائل : إن العبد هو الذي يخلق أفعال نفسه بقوة أودعها الله إياه ، وقول الجبرية : إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء و لا كسب شيء ، بل هو كالريشة في مهب الريح .

فقالوا : إن الإنسان لا يستطيع إحداث شيء ولكن يستطيع الكسب .

وقد اعتبر بعض العلماء موقفهم هذا توسطاً بين الطرفين - المعتزلة والجبرية –غير أن مذهب الأشاعرة في الكسب يرتد في النهاية إلى مذهب القائلين بالجبر لا سيما عند عرض مذهبهم من قضية خلق أفعال العباد وبالتحديد مدى تعلق أفعال العباد بهم ، وهل هم فاعلون حقيقة ؟ أم ليس لهم إلا الكسب ؟[1]

وبالرغم من أن الأشاعرة اتفقوا مع السلف على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، وتابعة لمشيئته – كما تقدم - إلا أنهم قد خالفوا السلف في أهم عنصر في هذه القضية ، ألا وهي قدرة العبد ، وهل لها تأثير في فعله أم لا ؟

- **معنى الكسب وحقيقته عند الأشاعرة :**

يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله : ومعنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة فكل من وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق ومن وقع منه بقدرة

(١) أفعال العباد عند الفرق الإسلامية ص١٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محدثة فهو مكتسب ، وهذا قول أهل الحق .(١)

ويقول الشهرستانى في هذا التعريف : ثم على أصل أبي الحسين : **لا تأثير للقدرة الحادثة في الأحداث.**، لأن جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض ...(٢)

وقال الباقلانى : معنى الكسب أنه تصرف في الفعل بقدرة تقارنه في محله فتجعله بخلاف صفة الضرورة .(٣)

قال الآمدى : وذهب أهل الحق إلى أن أفعال العباد مضافة إليهم بالاكتساب وإلى الله تعالى بالخلق والاختراع ، **وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلا .**(٤)

وقال الجوينى فى الإرشاد : والوجه القطع **بأن القدرة الحادثة لا تؤثر فى مقدورها أصلاً .**(٥)

وقال الإيجي في المواقف : المقصد الأوّل في أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد .

والمراد بكسبه إياه : **مقارنته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو**

---

(١) مقالات الإسلاميين ص٥٣٩ ط/ريتر .

(٢) الملل والنحل ١/٩٧ .

(٣) تمهيد الأوائل ص ٣٤٧ .

(٤) غاية المرام في علم الكلام ص٢٠٧ .

(٥) الإرشاد ص٢١٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له . (١)

وقال اللقانى في نظم الجوهرة :

وعندنا للعبد كسبٌ كلفا --- ولم يكن مؤثراً فلتعرفا

قال البيجورى فى الشرح : «... وقد عرفوا الكسب بتعريفين ، **الأول** : أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به ، .. وهو العبد ينفرد بذلك المقدور ، وبل ومن غير صحة المشاركة ، **إذ لا تأثير منه بوجه ما ، وإنما له مجرد المقارنه ، والخالق الحق منفرد بعموم التأثير .**

ثم قال بعد عرض الأقوال : ... **وبالجملة فليس للعبد تأثير ما ، فهو مجبور باطناً مختار ظاهراً ...** (٢)

وقال الدردير : وأما قدرتنا فقد تعلقت ببعض الأفعال ، وهى الأفعال الاختيارية، أى : التى لنا فيها الاختيار والميل والقصد من غير إيجاد واختراع ، وهذا التعليق على طِبْقِ إرادتنا هو المسمى : بالكسب والاكتساب .

إلى أن قال : فأفعالنا الاختيارية قد تعلقت بها القدرتان، القدرة القديمة ، **والقدرة الحادثة ، وليس للقدرة الحاثة تأثير ، وإنما لها مجرد مقارنة .** (٣)

ومن هذا يظهر أن الأشاعرة لم يجعلوا لقدرة العبد أي تأثير في فعله سوى ما سموه كسباً ، ويبدو أن الأشاعرة أرادوا بإثبات الكسب محاولة التوسط بين

---

(١) المواقف بشرح الجرجاني (مطلب الإلهيّات) ص ٢٣٧ .

(٢) انظر : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص١١٨ .

(٣) انظر : شرح الخريدة البهية للدردير ص١٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مذهب الجبرية و مذهب القدرية بجعلهم للعبد قدرة حادثة غير مؤثرة في فعله بخلاف ما ذهبت إليه الجبرية من نفي قدرة العبد أصلاً ، وما ذهبت إليه القدرية من إثبات قدرة بها يخلق الإنسان فعله ، إلا أن هذه المحاولة لم يوفقوا فيها .

ولهذا رفض ابن رشد[1] هذا القول فقال : ... وأما الأشعرية فإنهم راموا أن يأتوا بقول وسط بين القولين ، فقالوا : إن للإنسان كسباً ، و إن المكْتَسب به والمكْتِسِب مخلوقان لله تعالى ، وهذا لا معنى له فإنه إذا كان الاكتساب والمكْتِسِب مخلوق لله سبحانه فالعبد لا بد مجبور على اكتسابه .[2]

يتضح من كلام الأشاعرة أن الكسب يطلق على خلق القدرة في العبد ، وبالتالي فهو اختيار لا معنى له ، وإنما أطلقه الأشاعرة معارضة لأقوال الجبرية في الظاهر ، وعند التحقيق هو عين الجبر كما هو واضح من كلامهم .

يقول السنوسى فى شرح أم البراهين ص٢١٩ : وكما أن هذه القدرة الحادثة لا أثر لها أصلاً فى فعل من الأفعال ، كذلك لا أثر للنار في الإحراق أو الطبخ أو التسخين أو غير ذلك لا بطبعها ولا بقوة وضعت فيها .

---

(١) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف.، من أهل قرطبة .، ولد سنة ٥٢٠ هـ ـ وتوفى سنة ٥٩٥ هـ ، يلقب بابن رشد «الحفيد» تمييزا له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٥٢٠) . عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة .

وصنف نحو خمسين كتاباً، منها « فلسفة ابن رشد » وتسميته حديثة وهو مشتمل بعض مصنفاته، و « التحصيل » في اختلاف مذاهب العلماء، «وتهافت التهافت - ط» في الرد على الغزالي، و «بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه .

(٢) انظر : مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد ص٢٢٤ . - تحقيق د/محمود قاسم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل الله تعالى أجرى العادة اختياراً منه عز وجل بإيجاد تلك الأمور عندها لا بها ، وقس على هذا ما يوجد من القطع عند السكين ، والألم عند الجوع ، والشبع عند الطعام ، والري والنبات عند الماء ، والضوء عند الشمس والسراج ونحوهما ، والظل عند الجدار والشجرة ونحوهما ، وبرد الماء الساخن عند صب الماء البارد فيه، وبالعكس ونحو ذلك مما لا ينحصر ، فاقطع فى ذلك كله بأنه مخلوق لله تعالى بلا واسطة البتة ، وأنه لا تأثير فيه أصلاً لتلك الأشياء التى جرت العادة بوجودها معها .

وقال فى شرح الوسطى ص٢٣٦ : فالإسكار عند أهل الحق ليس ناشئاً عن الخمر ، ولا أثر للخمر فيه أصلاً ، لا بقوة جعلت فيه ولا بطبعه ، وإنما الاسكار عرض مخلوق له بلا واسطة ، وقد أجرى عاته سبحانه وتعالى أن يخلق هذا العرض عند شرب الخمر إن شاء ، فالخمر بالنسبة إلى عدم التأثير في الإسكار كالماء سواءً بسواء .اهـ

وإن القارئ ليحار عندما يقرأ هذا الكلام المصادم للعقول الصريحة والفطرة والسليمة ممن يدعون المعرفة التامة المطلقة بالمناهج العقلية ، بل وتقدي على الوحيين .[1]

وهذا أيضاً قرره الدردير فى شرح الخريدة ص١٦٣ : وعلم أيضاً أنه لا تأثير للأمور العادية، في الأمور التي اقترنت بها ، فلا تأثير للنار في الإحراق، وللطعام في الشبع، ولا للماء في الري، ولا في إنبات الزرع، ولا للكواكب في إنضاج

(١) عقائد الأشاعرة ص٢٤٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفواكه وغيرها، ولا للأفلاك في شيء من الأشياء ، ولا للسكين في القطع، ولا لشيء في دفع حر أو برد أو جلبهما، وغير ذلك لا بالطبع ولا بالعلة، ولا بقوة أودعها الله فيهما، بل التأثير في ذلك كله لله تعالى وحده بمحض اختياره عند وجود هذه الأشياء .اهـ

وإثبات قدرة لا تأثير لها في الفعل هو نفى لهذه القدر في الحقيقة ، وعدم إثبات لها ، فلا يثبت الأشاعرة إلا مجرد الاسم ، وهذا ما فطن إليه إمام الحرمين في أخر حياته ، يقول الآمدى في أبكار الأفكار ٢ / ٣٨٤ : وذهب إمام الحرمين: إلى أن إثبات قدرة لا أثر لها بوجه: كنفى القدرة، وإثبات تأثيرها في حالة لا تعقل: كنفي التأثير؛ فلا بد من نسبة فعل العبد إلى قدرته وجودا.، وإلى قدرة الله تعالى بواسطة خلق قدرة العبد عليه .

ويقول الشهرستانى : ثم إن إمام الحرمين أبو المعالي الجويني تخطى عن هذا البيان قليلاً، قال: أما نفي هذه القدرة والاستطاعة فمما يأباها العقل والحس، وأما إثبات قدرة لا أثر لها بوجه فهي كنفي القدرة أصلاً، وأما إثبات في حالة لا يفعل فهو كنفي التأثير، خصوصاً والأحوال على أصلهم لا توصف بالوجود والعدم، فلا بد إذن من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة لا على وجه الإحداث والخلق، فإن الخلق يشعر باستقلال إيجاده من العدم، والإنسان كما يحس من نفسه الاقتدار يحس من نفسه أيضاً عدم الاستقلال ... [١]

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ /٩٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهذا النص - عن الشهرستاني - يوضح كيف أن قول الأشاعرة في أفعال العباد لم يثبت على قدم الإستقرار، ولم يكن مقنعًا لكبار علمائهم الذين بحثوا هذه المسألة .

ويتوهم الأشاعرة أن إثبات تأثير القدرة الحادثة فى الفعل يستلزم إثبات خالق مع الله ، ولهذا أكثروا من الاستدلال لهذه المسألة إيهام أن مخالفيهم واقعون فى محاذير خطيرة ، أهمها وأشنعها ادعاء شريك مع الله تعالى فى الخلق والإيجاد .

وهذا ما قرره الآمدى في أبكار الأفكار ٢ / ٤٠٠ ، بعد أن ذكر تسعة مسالك ، ضعف سبعة منها واعتمد اثنين ، وهما الأكثر وروداً عندهم قال : والمعتمد في المسألة مسلكان :

المسلك الأول : لو كان العبد خالقاً لأفعال نفسه ؛ للزم وجود خالق غير الله ، ووجود خالق غير الله محال ، ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم .

المسلك الثاني : لو كان العبد موجدا لفعل نفسه ، ومحدثاً له لكان عالماً به ، واللازم ممتنع فالملزوم ممتنع .اهـ

وهذا الوهم والإيهام لا يلتبس إلا على من لا تحقيق عنده في هذا الباب ، ولا ريب أن أكثر المذاهب شيوعاً في مسألة تأثير الأسباب ثلاثة أقوال :

الأول : القول بتأثير الأسباب بذاتها ، وهو قول المعتزلة .

الثاني : القول بعدم تأثير الأسباب فى المسببات مطلقاً ، وهو قول جمهور الأشاعرة .

الثالث : القول بأن تأثير الأسباب بقوة أودعها الله تعالى فيها ، وإن الله ربط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً ، والله تعالى هو خالق السبب والمسبب، وهذا هو قول السلف ومذهب الفقهاء .، وقد جنح إليه إمام الحرمين في أخر عمره كما فى حاشية الدسوقى ص٢٢٠ ، وكلامه فى كتابه نهاية الأقدام ص١٨٥ : ذكر أن أفعال العباد واقعة بمقدورهم واختيارهم .

وقال ص١٨٦ : ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون .(١)

أدلة الأشاعرة على ما ذهبوا إليه :

استدل الأشاعرة على خلق الله تعالى بأدلة سمعية و عقلية نذكر أبرزها فيما يلي:

١ -قوله تعالى ﴿ **وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾(٢) .

ونجد أن هذا خروج من الأشاعرة بالآية الكريمة عن معناها، فآيات القرآن الكريم تفسر في ضوء ما قبلها و ما بعدها ، ونجد أن الآية التي قبلها هي استنكار من سيدنا إبراهيم لعبادة الأصنام والأوثان من قومه ﴿ **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ أي أن الله خلقكم وخلق ما تنحتون من حجارة ولكنه ليس خالقاً لأفعالكم وهي عبادة الأصنام لأنه لو كان الأمر كذلك لكان ذلك مبرراً لعملهم هذا .

والحق أن الأشاعرة كان الأولى بهم أن يستندوا إلى الآيات القرآنية التي ذكر

(١) انظر : عقائد الأشاعرة ص ٢٥٤ – ٢٥٨ بتصرف .

(٢) سورة الصافات : الآية (٩٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله فيها لفظ الكسب مثل قوله تعالى ﴿ **بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ (٢) وهناك آيات كثيرة غيرها.

وهذه الآيات كلها تؤكد جانب نسبة الفعل إلى الإنسان و من ثم مسئوليته عن فعله ومحاسبته على ما كسب أو اكتسب ، و نجد أن الأشاعرة لم يلجأوا إلى الاستشهاد بآية منها لأنها لا تتسق مع مفهوم نظريتهم في الكسب .

٢ -أنه لا يجوز أن يحدث الفعل على حقيقته إلا من محدث أحدثه و قصد إلى فعله ، ذلك أنا وجدنا الكفر قبيحاً باطلاً و الإيمان حسناً متعباً مؤلماً ، والكافر يجتهد أن يكون الكفر حسناً فلا يكون كما يرغب ، والمؤمن أن لا يكون الإيمان متعباً ولم يكن ذلك كائناً على مشيئته وإرادته ، وبذلك لا يجوز أن يكون محدث الكفر باطلاً قبيحاً هو الكافر الذي يريده حسناً صواباً و إذا لم يجز ذلك كان محدثها رب العالمين القاصد إلى كونها كذلك .

٣ -إن حركة الاضطرار إن كان الذي يدل على أن الله خلقها هو حدوثها و حاجتها إلى زمان ومكان فكذلك حركة الكسب . (٣)

وخلاصة مذهب الأشاعرة فى هذه المسألة يرجع إلى معنى واحد هو أن الله

---

(١) سورة البقرة : الآية (٨١) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٨٦) .

(٣) انظر : اللمع في الرد على أهل الزيغ و البدع - الأشعري ص٧١ – ٧٢ ، تمهيد الأوائل ص٣٤٣ ، أفعال العباد بين الفرق الإسلامية ص١٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو الفاعل الحقيقى ، وأنه لا أثر لقدرة العبد في الفعل ، وأن الفعل المقارن للقدرة هو الكسب .

فإذا كان الفاعل الحقيقى هو الله ، والعبد ليس له إلا مقارنة قدرته بالفعل، فالعبد مجبور لا محالة .

وإذا كان الله تعالى هو الذي يخلق الفعل في العبد ، فإن الفعل يقع ويستحيل عدم وقوعه، ولا أثر لقدرة العبد وإرادته، فصار العبد مضطراً إلى الفعل لا انفكاك له عنه .

وإذا صمم العبد العزم على فعل الطاعة واختارها فالله سبحانه يخلقها فيه ، وتصميم العبد واقع من غير قدرته وإرادته .، لأن الله يخلقها فيه ، فعاد الأمر إلى الجبر .

ثم إذا أضفنا إلى هذا كله مذهبهم فى مسألة التوفيق والخذلان ، تحقق معنى الجبر تحققاً لا محيص لهم من الاعتراف به .(١)

ولعل الذي دفع الأشاعرة إلى القول بعدم تأثير قدرة العبد في فعله هو ما أصلوه في باب الصفات من أن الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق، وعدم تفريقهم بين ما يقوم بالله تعالى من أفعال وما هو منفصل عنه من مخلوقاته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : لكن طائفة من أهل الكلام - المثبتين للقدر - ظنوا أن الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق؛ فلما اعتقدوا أن أفعال العباد مخلوقة مفعولة لله: قالوا فهي فعله. فقيل لهم مع ذلك: أهي فعل العبد؟

(١) انظر : عقائد الأشاعرة – مصطفى باحو ص٢٧١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاضطربوا؛ فمنهم من قال: هي كسبه لا فعله ولم يفرقوا بين الكسب والفعل بفرق محقق. ومنهم من قال: بل هي فعل بين فاعلين. ومنهم من قال: بل الرب فعل ذات الفعل والعبد فعل صفاته. والتحقيق ما عليه أئمة السنة وجمهور الأمة؛ من الفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق؛ فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله: كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله بل هي مخلوقة ومفعولة وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ليست قائمة بالله ولا يتصف بها فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته؛ وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته والعبد فاعل لهذه الأفعال وهو المتصف بها وله عليها قدرة وهو فاعلها باختياره ومشيئته وذلك كله مخلوق لله فهي فعل العبد ومفعولة للرب.[1]

وعلى ضوء ما تقدم فلا محيص للأشاعرة عن مذهب الجبر ، وقد اعترف حذاقهم بهذا ، قال الشهرستانى - كما تقدم - والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً ، وكلام البيجورى – السابق - : **وبالجملة فليس للعبد تأثير ما ، فهو مجبور باطناً مختار ظاهراً .**

ثانياً : الكسب عند السلف : -

يعتقد السلف أن أفعال العباد خلق الله تعالى ، وكسب من العباد بمنزلة الأسباب للمسببات، فالعباد لهم قدرة و مشيئة و إرادة ، لكنها داخلة تحت قدرة

(١) مجموع الفتاوى ٢/١١٩ – ١٢٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله تعالى و مشيئته و إرادته ، كما قال تعالى ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (١) .

فالمضاف إلى الله هو خلقها ، والمضاف إلى العباد الذي عليه الحمد والذم هو كسبها قال تعالى ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ فالإنطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله والنطق فعل العبد الذي لا يمكن إنكاره .، ونظير هذا قوله تعالى ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى** ﴾ فهو المضحك المبكي حقيقة والعبد الضاحك الباكي حقيقة ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ وقوله: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ** ﴾ فالتسيير فعله حقيقة والسير فعل العبد حقيقة فالتسيير فعل محض والسير فعل وانفعال ومن هذا قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ فهو سبحانه المزوج ورسوله المتزوج .

وهذا لا يعنى أن العبد مجبور لا اختيار له، بل العبد بجملته مخلوق لله جسمه وروحه وصفاته وأفعاله وأحواله فهو مخلوق من جميع الوجوه وخلق على نشأة وصفة يتمكن بها من إحداث إرادته وأفعاله وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه فهو الذي خلقه وكونه كذلك وهو لم يجعل نفسه كذلك بل خالقه وباريه جعله محدثا لإرادته وأفعاله وبذلك أمره ونهاه وأقام عليه حجته وعرضه للثواب والعقاب فأمره بما هو متمكن من إحداثه ونهاه عما هو متمكن من تركه

(١) سورة التكوير : الآية (٢٩) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٨٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورتب ثوابه وعقابه على هذه الأفعال والتروك التي مكنه منها وأقدره عليها وناطها به وفطر خلقه على مدحه وذمه عليها مؤمنهم وكافرهم المقر بالشرائع منهم والجاحد لها فكان مريداً شائياً بمشيئة الله له ولولا مشيئة الله أن يكون شائياً لكان أعجز وأضعف من أن يجعل نفسه شائيا فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقدره وإرادة وعرفه ما ينفعه وما يضره وأمره أن يجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه ...[1]

أقوال السلف في أفعال العباد :

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله : وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره.[2]

وقال الإمام الطحاوى في عقيدته : وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد.

قال ابن أبى العز فى الشرح : قال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه ... يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم ...

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص١٣٧ – ١٣٨ .

(٢) الفقه الأكبر ص٣٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى أن قال : الحاصل أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله، ليس هو نفس فعل الله. ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: «وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد» - أثبت للعباد فعلاً وكسباً، وأضاف الخلق إلى الله تعالى. والكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت}.اهـ[1]

قال الإمام أحمد في عقيدته التي رواها عنه الإمام أبو بكر الخلال قال : كان يذهب إلى أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل ولا يجوز أن يخرج شيء من أفعالهم عن خلقه لقوله عز وجل {خالق كل شيء} ثم لو كان مخصوصا لجاز مثل ذلك التخصيص في قوله {لا إله إلا هو} وأن يكون مخصوصا أنه إله لبعض الأشياء وقرأ {وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة} وقرأ {عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة} وقرأ {وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين} وروي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه سئل عن أعمال الخلق التي يستوجبون بها من الله السخط والرضا فقال هي من العباد فعلا ومن الله تعالى خلقا لا تسأل عن هذا أحدا بعدي .

وكان أحمد يذهب إلى أن الاستطاعة مع الفعل وقرأ قوله عز وجل {انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا} وقرأ {ذلك تأويل ما لم

(١) انظر : شرح الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ص٤٣٨ وما بعدها – ط الأوقاف السعودية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسطع عليه صبرا} والقوم لا آفة بهم وكان موسى تاركا للصبر وقرأ {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم} فدل على عجزنا ودل ذلك على أن الخلق بهذه الصفة لا يقدرون إلا بالله ولا يصنعون إلا ما قدره الله تعالى وقد سمي الإنسان مستطيعا إذا كان سليما من الآفات .[1]

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي[2] **رحمه الله** : مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة ، أنه لا خالق على الحقيقة إلا الله عز وجل، وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عز وجل، ولا عذر، كما قاله الله عز وجل: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[3] وقال: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ**﴾[4]

(١) العقيدة للإمام أحمد ، رواية أبي بكر الخلال ص١١٣ – ١١٤ .

(٢) **هو** : أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، الجُرجاني، الإسماعيلي، الشافعي، الإمام الحافظ الحجة، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام. صاحب الصحيح وكبير الشافعية بناحيته .، ولد سنة ٢٧٧ هـ بجرجان ، وتوفى سنة ٣٧١ هـ .

سمع من أبي يعلى، وابن خزيمة، والبغوي، وطبقتهم بخراسان والحجاز، والعراق، والجبال. حدّث عنه الحاكم، وأبو بكر البرقاني، وحمزة السهمي، وأبو سعيد النقاش، وخلق.كتب الحديث بخطه وهو صبيّ مميّز .

قال الحاكم عنه : كان الإسماعيلي واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء، وأجلّهم في الرئاسة والمروءة، والسخاء. وصنّف تصانيف تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث، صنَّف مسند عمر رضي الله عنه، والمستخرج على الصحيحين والمعجم.

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٤٩) .

(٤) سورة الأعراف : الآية (٣٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾(١) وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا(٢)﴾ومعنى «نبرأها» أي نخلقها وبلا خلاف في اللغة، وقال مخبرًا عن أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(٣) وقال: ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٤) وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾. (٥)(٦)

وقال الإمام الصابوني(٧)**رحمه الله** : ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد: أنها مخلوقة لله تعالى لا ينكرون فيه، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه .

---

(١) سورة الأعراف : الآية (١٧٩).

(٢) سورة الحديد : الآية (٢٢) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (٤٣) .

(٤) سورة الرعد : الآية (٣١) .

(٥) سورة هود : الآية (١١٨) .

(٦) اعتقاد أئمة الحديث لأبى بكر الإسماعيلى ص٦٠- ٦١ .

(٧) هو : الحافظ إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر النيسابورى الصابونى ، ولد سنة ٣٧٣ هـ.، شيخ مفسر ، واعظ ، محدث ، فقيه .

حدث عن : الحاكم ، وأبى سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، وأبى بكر بن مهران، وأبى طاهر بن خزيمة، وأبى الحسين الخفاف، وطبقتهم ومن بعدهم .

حدث عنه : الكتانى ، والبيهقى، وأبو القاسم بن العلاء، ومحمد بن فضل الفراوى ، وغيرهم .

له مؤلفات : منها (الفوائد) و (الفصول) و (الانتصار) و (عقيدة السلف) وغيرها ، توفى الصابوني سنة ٤٤٩ هـ. (انظر : الأنساب للسمعانى ١٨٣/٣ ، والسير للذهبي ٤٠/١٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه، ويضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه ... (١)

قال الإمام أبو القاسم الأصبهانى «الملقب بقوام السنة» : أفعال العباد ليست بفعل الله، وإنما هي مخلوقة له. والخلق غير المخلوق فالخلق صفة لذاته، والمخلوق محدث.

دليلنا: أنها لو كانت فعلا له لوجب أن تنسب إليه ولكان ظلم العباد ظلمه .

وقال أيضاً : نحن إن جعلنا أفعال العباد من الله خلقا ومشيئة وتقديرا فهي من العباد فعل وكسب. وبهذا المعنى صحت إضافة الأفعال إلى العباد وتحققت منهم الأعمال.

وقد ورد في الكتاب الدلائل على كل واحد من هذين، فاتبعنا القرآن وجرينا معه بما دل عليه من أن الأعمال مخلوقة لله تعالى مكتسبة من العباد .

فالآية الأولى وهي قوله: {كل من عند الله} دلت على أنها من الله خلقا وتقديرا وقضاء.

والآية الثانية وهى قوله : {ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك} دلت على أنها من العباد كسبا وفعلا. وعلى هذا يحمل جميع ما ورد في القرآن من تحقيق أعمال العباد، وإثبات أفعالهم، وإضافتها إليهم .

وكذلك ما ورد في القرآن من ذكر الجزاء على الطاعات، والعقاب على

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص٧٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعاصي. إنما صح إطلاق هذا اللفظ وإن كان ما يفعله محض الفضل على ما نطق به الكتاب .

إلى أن قال : وقالوا: إذا جعلنا أفعال العباد مخلوقة لله - تعالى - لم يمكن تحقيق أفعال العباد وأعمالهم، لأن الفعل الواحد لا يتصور من فاعلين .

ثم أطال الجواب وختمه قائلاً : وبيان هذا السؤال الذي أورده أنا عرفنا أن الأفعال التي يفعلها العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة، وعلمنا أنها مكسوبة للعباد بالكتاب والسنة، فوقفنا حيث وقف بنا الشرع، ولم نتجاوز الحد الذي ضربه لنا، ولم نعارضه بكيف، ولا لم؟

وهذا هو حقيقة حد العبودية، والطواعية من العبد للخالق، فإنه لا معارضة للمملوك على المالك ولا للعبد على السيد، وإنما سبيله الامتثال، والقبول، والرب يفعل ما يشاء.(١)

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله : أفعال العباد مخلوقة وقد نص عليها الأئمة أحمد وغيره وسائر أئمة أهل السنة والجماعة المخالفين للقدرية واتفقت الأمة على أن أفعال العباد محدثة .(٢)

وقال رحمه الله : خلق الله سبحانه أعمال الأبدان بأعمال القلوب ويكون لأحد الكسبين تأثير في الكسب الآخر بهذا الاعتبار ويكون ذلك الكسب من جملة القدرة المعتبرة في الكسب الثاني؛ فإن القدرة هنا ليست إلا عبارة عما يكون

(١) انظر : الحجة فى بيان المحجة ١/٤٥٧ ، ٢/٦٣ وما بعدها .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٤٣٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفعل به لا محالة: من قصد وإرادة وسلامة الأعضاء والقوى المخلوقة في الجوارح وغير ذلك ولهذا وجب أن تكون مقارنة للفعل وامتنع تقديمها على الفعل بالزمان .

وبالتمييز بين هاتين القدرتين يظهر لك قول من قال: القدرة مع الفعل ومن قال: قبله، ومن قال: الأفعال كلها تكليف ما لا يطاق، ومن منع ذلك؛ وتقف على أسرار المقالات وإذا أشكل عليك هذا البيان فخذ مثلا من نفسك: أنت إذا كتبت بالقلم وضربت بالعصا ونجرت بالقدوم هل يكون القلم شريكك أو يضاف إليه شيء من نفس الفعل وصفاته؟ أم هل يصلح أن تلغي أثره وتقطع خبره، وتجعل وجوده كعدمه؟ أم يقال: به فعل وبه صنع - ولله المثل الأعلى - فإن الأسباب بيد العبد ليست من فعله وهو محتاج إليها لا يتمكن إلا بها والله سبحانه خلق الأسباب ومسبباتها وجعل خلق البعض شرطا وسببا في خلق غيره وهو مع ذلك غني عن الاشتراط والتسبب ونظم بعضها ببعض لكن لحكمة تتعلق بالأسباب وتعود إليها والله عزيز حكيم .(١)

وما ذهب إليه علماء السلف في أفعال العباد أنها مخلوقة لله تعالى هو ما جاءت به الأدلة من كتاب الله تعالى و سنة رسوله ﷺ .

ولكن ما هو أثر قدرة العبد في أفعاله ؟

يجيب عن هذا التساؤل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - فقد وضح هذه القضية توضيحاً تاماً فقال : التأثير اسم مشترك قد يراد بالتأثير الانفراد

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٣٩٠ – ٣٩١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالابتداع و التوحيد بالاختراع ، فإن أريد بتأثير قدرة العبد هذه القدرة فحاشا لله لم يقله سنى .... وإن أريد بالتأثير نوع معاونة إما في صفة من صفات الفعل أو في وجه من وجوهه كما قاله كثير من متكلمي أهل الإثبات ، فهو أيضاً باطل بما بطل به التأثير في ذات الفعل .... إن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة ، بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب واسطة في خلق الله - سبحانه وتعالى - بهذه القدرة ، كما خلق النبات بالماء وكما خلق الغيث بالسحاب وكما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط و أسباب فهذا حق ، وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً ، وإلا فيكون إثبات جميع الأسباب شركاً .(١)

وقد فصل ابن القيم - رحمه الله - منهج السلف في أفعال العباد حيث قال :

ويثبتون مع ذلك قدرة العبد ، و إرادته ، واختياره ، وفعله ، حقيقة لا مجازاً . وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول ... فحركاتهم و اعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة ، وهي مفعولة لله سبحانه ، مخلوقة له حقيقة ، والذي قام بالرب عز وجل علمه و قدرته ، و مشيئته ، و تكوينه ، والذي قام بهم هو فعلهم ، وكسبهم ، وسكناتهم ، فهم المسلمون ، المصلون ، القائمون ، القاعدون حقيقة وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك ، القادر عليه ، الذي شاءه منهم ، وخلقه لهم ، ومشيئتهم وفعلهم بعد مشيئته، فما يشاؤن إلا أن يشاء الله وما يفعلون إلا أن

(١) مجموع الفتاوى ٣٨٩/٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشاء الله . (١)

هذا هو رأي أهل السنة في أفعال العباد الاختيارية ، وهو المذهب الوسط الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة.

فالسلف يرون أن التأثير في الأشياء يكون بمباشرة الأشياء والقيام بفعلها ، ومن هذا نرى أن رؤية السلف أسلم وأعمق ، فالتأثير عندهم أبلغ حيث يكون بمباشرة الفعل .

- **مسألة : القدرة والاستطاعة والتكليف بما لا يطاق : -**

الاستطاعة، والقدرة، والقوة، والوسع، والطاقة، كلها متقاربة المعنى. وقد عرف الجرجاني الاستطاعة بأنها: « هي عرض يخلقه الله في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية »، وهي في عرف المتكلمين: عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك .(٢)

وقد وقع الخلاف فيها على أقوال:

١ - **قول الجهمية** : وهو أنه ليس للعبد أي استطاعة، لا قبل الفعل ولا معه، بل له قدرة شكلية غير مؤثرة في الفعل أصلا، وتسمى فعلا له تجوزا .(٣)

٢ - **قول المعتزلة ومن وافقهم** : وهو أن الله تعالى قد مكن الإنسان من الاستطاعة، وهذه الاستطاعة قبل الفعل، وهي قدرة عليه وعلى ضده، وهي غير موجبة للفعل .(١)

---

(١) شفاء العليل ص٥٢ .

(٢) التعريفات للجرجانى ١/١٩ ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(٣) انظر : الملل والنحل ١/٨٥ ، والفرق بين الفرق ص٢١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- **قول الأشاعرة ومن وافقهم** : وهو أن الاستطاعة مع الفعل لا يجوز أن تتقدمه ولا أن تتأخر عنه، بل هي مقارنة له، وهي من الله تعالى، وما يفعله الإنسان بها فهو كسب له .(٢)

٤ - **قول السلف** : وهو الذي عليه محققوا المتكلمين وأهل الفقه والحديث والتصوف وغيرهم ، وهو التفصيل : فهناك استطاعة للعبد بمعنى الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، وهي التي تكون مناط الأمر والنهي، وهي المصححة للفعل، فهذه لا يجب أن تقارن الفعل، بل تكون قبله متقدمة عليه، وهذه الاستطاعة المتقدمة صالحة للضدين ومثالها قوله تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾(٣)، فهذه الاستطاعة قبل الفعل ولو لم تكن إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج .

وهذه الاستطاعة هي مناط الأمر والنهي، وهى التي يتكلم فيها الفقهاء وهي الغالبة في عرف الناس .

وهناك الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل، وهذه هي الاستطاعة المقارنة للفعل، الموجبة له ، ومن أمثلتها قوله تعالى ﴿ **مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ** ﴾ (٤) ، وقوله ﴿ **الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً** ﴾ (١) .

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٣٠٠ - ت عبد الحميد، والفرق بين الفرق ص١١٦ .

(٢) انظر: الإرشاد ص ٢١٩-٢٢٠ ، والإنصاف ص٤٦ ، ومعالم أصول الدين للرازي ص٨٣ .

(٣) سورة آل عمران : الآية (٩٧) .

(٤) سورة هود : الآية (٢٠) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

« فالمراد بعدم الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم، فنفوسهم لا تستطيع إرادته وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه ، وهذه حال من صده هواه أو رأيه الفاسد عن استماع كتب الله المنزلة وإتباعها وقد أخبر أنه لا يستطيع ذلك، وهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة له»(٢) .

وعدم هذه الاستطاعة لا يمنع الأمر والنهي فإن الله يأمر الإنسان بما يكرهه، وينهاه عما يحبه . كما قال تعالى ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ** ﴾(٣) ، وقال ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى** ﴾ (٤)، وهو قادر على فعل ذلك إذا أراده ، وعلى ترك ما نهى عنه، وليس من شرط المأمور به أن يكون العبد مريداً له، ولا من شرط المنهي عنه أن يكون العبد كارهاً له، فإن الفعل يتوقف على القدرة والإرادة ، والمشروط في التكليف أن يكون العبد قادراً على الفعل لا أن يكون مريداً له، لكنه لا يوجد إلا إذا كان مريداً له، فالإرادة شرط في وجوده لا في وجوبه . (٥)

وبهذا التفصيل - الوسط - يحل الإشكال، ويتضح الأمر .، والذين حاولوا أن يوجدوا حلاً للخلاف القائم بين المعتزلة والأشاعرة لم يجدوه إلا بالرجوع إلى هذا التفصيل الموافق لمذهب أهل السنة .

---

(١) سورة الكهف: الآية (١٠١) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٦١ .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢١٦) .

(٤) سورة النازعات : الآية (٤٠) .

(٥) منهاج السنة ٣/ ١٠٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما من خالفهم فقد وقع في الانحراف، فالمعتزلة حصروا القدرة والاستطاعة عند الإنسان بأنها تكون قبل الفعل، وأنكروا الاستطاعة الكونية المقارنة .، والأشاعرة جعلوا الاستطاعة كلها مقارنة للفعل فلم يجدوا حلاً صحيحاً للاستطاعة والقدرة التي هي شرط للعمل والتي هي بمعنى الصحة وسلامة الآلات .

أما أهل السنة فجعلوا الاستطاعة نوعين، نوعاً قبل الفعل وهو سلامة الجوارح، ونوعاً معه وهو ما يجب به وجود الفعل . (١)

*** التكليف بما لا يطاق :**

هذه المسألة من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين طوائف المسلمين تبعاً للخلاف الواقع في القدرة والاستطاعة ، والتحسين والتقبيح .

فالجهمية ، قالت بجواز تكليف ما لا يطاق مطلقاً ، ومنه تكليف الأعمى البصر ، والزمن أن يسير إلى مكة .

والمعتزلة ، قالت بعدم جواز تكليف ما لا يطاق ، لأنه قبيح ، والله تعالى منزه عن فعل القبيح فلا يجوز صدوره منه .

والماتريدية قد وافقوا المعتزلة فيما ذهبوا إليه ، بينما وافق الأشاعرة الجهمية فيما ذهبوا إليه ، وإن كان يقولون أن جائز عقلاً وإن لم يقع فى الشرع .

أما مذهب السلف فهو التفصيل : يقول الشيخ الإسلام ابن تيمية :- تكليف ما لا يطاق ينقسم إلى قسمين :-

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/١٣٢٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحدهما : ما لا يطاق للعجز عنه، كتكليف الزَّمِن المشي، وتكليف الإنسان الطيران، ونحو ذلك فهذا غير واقع في الشريعة عند جماهير أهل السنة المثبتين للقدر ..

والثاني : ما لا يطاق للاشتغال بضده، كاشتغال الكافر بالكفر ، فإنه هو الذي صده عن الإيمان، وكالقاعد في حال قعوده، فإن اشتغاله بالقعود يمنعه أن يكون قائما. والإرادة الجازمة لأحد الضدين تنافي إرادة الضد الآخر، وتكليف الكافر الإيمان من هذا الباب .

ومثل هذا ليس بقبيح عقلا عند أحد من العقلاء، بل العقلاء متفقون على أمر الإنسان ونهيه بما لا يقدر عليه حال الأمر والنهي لاشتغاله بضده، إذا أمكن أن يترك ذلك الضد ويفعل الضد المأمور به .

و....هذا لا يدخل فيما لا يطاق، .... فإنه لا يقال للمستطيع المأمور بالحج إذا لم يحج إنه كلف بما لا يطيق، ولا يقال لمن أمر بالطهارة والصلاة فترك ذلك كسلا أنه كلف ما لا يطيق . (١)

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٨/٤٧١، منهاج السنة ٣/١٠٥، شرح الطحاوية ص٤٥٠ ط الأوقاف السعودية، الفروق بين الأشاعرة والمتريدية ١/٢٠ د /حمود السلامه، الماتريدية دراسة وتقويماً ص٤٤٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث التاسع

رؤية الله تعالى

بين السلف والأشاعرة

وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : رؤية الله وبيان المذاهب فيها .

المطلب الثاني : مسائل متعلقة بالرؤية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

رؤية الله وبيان المذاهب فيها

هذه المسألة من أعظم المسائل، وهي مسألة رؤية الرب - عز وجل - في الجنة .

ورؤية الله جل جلاله في جنات النعيم هي أعلا ما يَلتذُّ به أهل الجنة، بل أعلا نعيمهم أن ينظروا إلى وجه الله الكريم، وذلك لأنه منتهى الجمال؛ ولأنّ في الرؤية الرضا والإكرام، ولأنّ فيها صلاح القلب برؤية محبوبه عز وجل .

فكل أنواع الجمال التي يتعلق بها المتعلقون إنما هي بعض جمال صفات الرب جل وعلا ؛ يعني أنها شيء من جمال الصفات، كما أن رحمة الله عز وجل منها جزء يتراحم به الناس .

وكذلك جمال الحق عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله من جماله أفاض على هذا الوجود، فصارت الأشياء جميلة لما أفاض عليها عز وجل من جماله ، فكلما نظروا – في الجنة - إلى محبوبهم وخالقهم إزدادوا بذلك حسناً وجمالاً .

كما قال ابن القيم رحمه الله (١) :

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان

من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان

فكل جمال يطمع إليه الطامع وتتعلق به نفس الْمُتَعَلِّقْ من جمال مخلوقات الدنيا أو من أنواع الجمال والتلذذ في الجنة فإنه ليس بشيء عند الرؤية والتلذذ

(١) متن القصيدة النونية (الكافية الشافية) ص٢٠٣ ، الطبعة الثانية - مكتبة ابن تيمية، القاهرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمن أفاض ذلك الجمال، وأفاض تلك اللذات على من شاء من خلقه .

ولهذا قال بعض أهل العلم: إنَّ الرؤية لله عز وجل هي الغاية التي شَمَّرَ إليها المشمرون .

فإذا كانت الجنة غاية في تشمير المشمر وفي تَعَبُّد العابد، فإنَّ أعلى نعيم الجنة وأعظم نعيم الجنة أن يرى المؤمنون ربهم عز وجل، كما قال ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ (١)، نظرت إلى الرحمان فاكتست الوجوه نظرة وجمالا وبهاء وحسنى تبارك ربنا وتعالى .

والرؤية حق لأهل الجنة ثابتة، وهي حقيقة لا مِرْيَة فيها، ولا شك فيها، وهي حق لأهل الجنة فأهل الجنة يرون ربهم عز وجل ويتلذذون بذاك النعيم .

وقد اختلف الناس فى مسألة رؤية الله تعالى عياناً فى الآخرة على ثلاثة مذاهب :-

أولاً : مذهب نفات الرؤية :-

ذهب المعتزلة والجهمية ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وبعض الزيدية وبعض المرجئة .، إلى نفي رؤية الله تعالى عياناً في الدنيا والآخرة، وقالوا: باستحالة ذلك عقلا؛ لأنهم يقولون إن البصر لا يدرك إلا الألوان والأشكال، أي ما هو مادي والله تعالى ذات غير مادية، فمن المستحيل إذن أن يقع عليه البصر، فالقول برؤية الله تعالى هدم للتنزيه وتشويه لذات الله وتشبيه له حيث إن الرؤية لا تحصل إلا بانطباع صورة المرئي في الحدقة، ومن شرط ذلك انحصار

(١) سورة القيامة : الآية (٢٢ -٢٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرئي في جهة معينة من المكان حتى يمكن اتجاه الحدقة إليه، ومن المعلوم علم اليقين أن الله تعالى ليس بجسم ولا تحده جهة من الجهات ولو جاز أن يرى في الآخرة لجازت رؤيته الآن .، فشروط الرؤية لا تتغير في الدنيا والآخرة .(١)

واستدلوا على هذا بالسمع والعقل :

فمن جهة السمع: أولاً : قوله تعالى ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾(٢)، قالوا : أنه نفى أن يدرك بالأبصار، وقد علمنا أن الإدراك إذا قرن بالبصر أفاد ما تفيده رؤية البصر، لانه متى قرن به زال الاحتمال عنه، فاختص بفائدة واحدة وهي الرؤية بالبصر، وذلك بمنزلة قوله لو قال: لا تراه الأبصار، فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك البصر فيتناول جميع الأبصار في جميع الأوقات .(٣)

وأجيب عليهم : بأنَّ هذا غلط كبير؛ لأنَّ نَفْيَ الإدراك لا يستلزم انتفاء الرؤية، فإنَّه قد ترى الشيء ولا تدركه ؛ يعني لا تحيط به ، فهذه السماء نراها ولا أحد يشك في أنه يرى السماء ، ولو قلت لأي أحد يرى السماء: هل تدرك السماء رؤية وتحيط بها؟

فسيكون جواب كل أحد : لا، يعني لا يدركها رؤية، وإنما يرى منها ما يمكنه أن يرى وكما قال عز وجل﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا**

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢٦٥ ، وشرح الطحاوية ص١٥٣ ط الأوقاف ، وموسوعة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ٣/٤٤٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية (١٠٣) .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة ص٢٣٢ ، والمغنى ٤/١٤٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا ﴾(١) ، ووجه الدلالة أَنَّهُ نفى الإدراك، ومع نَفْيِ الإدراك أثبت الله - عز وجل - الترائي وهو رؤية كل جمع لآخر فقال ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ ﴾ هذا الجمع رأى الجمع وذاك الجمع رأى الجمع ومع ذلك ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ فقال موسى (كَلَّا) يعني لن نُدْرَكْ يعني لن يُحاطَ بنا .

فنَفْيُ الإحاطة لا يستلزم أن تُنْفَى الرؤية؛ بل نَفْيُ الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية نقيض ما قالوا، ... و...الوجه الثاني من الاستدلال عليهم بهذه الآية أنَّ نفي الإدراك ليس كمالاً، والقاعدة المعروفة أنَّ كل نفي في القرآن فكماله بإثبات ضده، فربنا - عز وجل - قال {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} ، وذلك لكمال سعته سبحانه وتعالى وكمال علوه وكمال استغناه عن خلقه، إلى غير ذلك من أفراد صفات الجلال للرب - عز وجل -.

فلا يقال إنه لا يُدْرَك ويكون المراد كمالاً إلا وأَصْلُ ذلك ثابتاً، وهو أنه في محل من يُرَى أو في محل الرؤية ....

لأنك متى ما قلت في شيء إنك تراه أو لا تدركه رؤيةً فإنما يكون كمالاً إذا كان في محل ما يمكن أن يُرَى .، أما الأشياء التي لا تُرَى أصلاً فإنه ليس من الكمال أن تَنْفِي الرؤية عنها.

فكونك تنفي الرؤية عن الرحمة لا يعد هذا كمالا في الرحمة، وإنما هكذا وُجِدَتْ، كونك تنفي الرؤية عن الإبصار والإدراك لا يدل على كمال فيها .

(١) سورة الشعراء : الآيات (٦١ - ٦٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإذاً دَلَّ نَفْيُ الإدراك عن الرب - عز وجل - أنَّ نَفْيَ الإدراك لأجل أنه عظيم عز وجل فإنه يُرَى، ولكنه لا يُدْرَكْ .

والإدراك ينقسم إلى قسمين : إدراكٌ بِرُؤْيَةٍ ، وإدراك بعلمه .

والإدراك بعلم : نَفَاهُ الله عز وجل في قوله سبحانه ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ .

وإدراك الرؤية : نفاه الله عز وجل في هذه الآية .

وهذه الآية في إدراك الرؤية لا في إدراك العلم، دلَّ عليها قوله بعد النفي ﴿ **وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ ، فكونه سبحانه ﴿ **يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** ﴾ يعني يراها، وخَصَّ الإدراك بإدراك

الأبصار لأنَّ الأبصار هي محل نَفْيِ الإدراك السابق، فقال ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** ﴾ ، فلما قال ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** ﴾ دَلَّنَا على أَنَّ المنفي هو إدراك الرؤية لا إدراك العلم .(١)

الدليل الثاني من القرآن عند المعتزلة النفاة :- قوله تعالى ﴿ **وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .(٢)

قالوا : ولَن موضوعة للتأبيد وإذا لم يره موسى أبدا لم يره غيره إجماعاً .(٣)

(١) انظر : الشروح الوافية على العقيدة الطحاوية ١/٤٠٣ للسيد أبو سيف ، مكتبة الإيمان – المنصورة .

(٢) سورة الأعراف : الآية (١٤٣) .

(٣) انظر : تفسير الزمخشرى المسمى (بالكشاف) ٢/١٥٤ ، الطبعة الثالثة دار الكتاب العربي – بيروت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد أجابهم الإمام صدر الدين ابن أبى العز الحنفي فقال : وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى : ﴿ **قَالَ لَن تَرَانِي** ﴾ ، وبقوله تعالى: ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** ﴾. فالآيتان دليل عليهم .

الآية الأولى : فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه :

أحدها : أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته - أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني : أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ .(١)

الثالث : أنه تعالى قال { **لَن تَرَانِي** }، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر. ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاما صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى .

يوضحه الوجه الرابع : وهو قوله ﴿ **وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾

فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف ؟

(١) سورة هود: الآية (٤٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخامس : أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام. والكل عندهم سواء .

السادس : قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا** ﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته ؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف .

السابع : أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة - فرؤيته أولى بالجواز. ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأييد النفي بـ ((لن)) وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت ؟ قال تعالى ﴿ **وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا** ﴾ (١)، مع قوله ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ﴾(٢)

ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى ﴿ **فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي** ﴾ ، فثبت أن « لن » لا تقتضي النفي المؤبد .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٩٥) .

(٢) سورة الزخرف : الآية (٧٧) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى :

ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا . (١)

وقد استدل المعتزلة على نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة مطلقاً بعدة أدلة أخرى من القرآن ، وأضافوا إلى ذلك أدلةٍ عقلية منها الآتي :-

١ - **المقابلة** : وتحريره كما قال عبد الجبار: إن الواحد منا راء بحاسة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلاً أو حالاً في المقابل أو في حكم المقابل. وقد ثبت أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مقابلاً، ولا حالاً في المقابل، ولا في حكم المقابل . (٢)

وقد أجاب الرازى عن هذه الشبهة فى كتابه الأربعين ، بعدة أجوبه ومنها نفى الحيز والجهة(٣) ، والحق أن الجواب عن دليل المعتزلة بتسليم نفي الجهة والمقابلة عن الله تعالى لا يستقيم حيث إن إثبات رؤية حقيقية بالعيان من غير مقابلة أو جهة مكابرة عقلية ، لأن الجهة من لوازم الرؤية وإثبات الملزوم ونفي اللازم مغالطة ظاهرة. ثم إن الثابت بالنصوص الصحيحة إثبات الرؤية لله تعالى كرؤية الشمس والقمر .... ثم أن إثبات صفة العلو لله تبارك وتعالى ورد بالكتاب والسنة في مواضع كثيرة جدا فلا حرج في إثبات رؤية الله تعالى من هذا العلو الثابت له تبارك وتعالى ولا يقدح هذا في التنزيه، لأن من أثبت هذا أعلم

---

(١) شرح الطحاوية ص١٥٦ وما بعدها ، ط الأوقاف السعودية .

(٢) انظر : رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ص٥٥ للدكتور / أحمد بن ناصر آل حمد ، الطبعة الأولى جامعة أم القرى – مركز بحوث الدراسات الإسلامية .

(٣) انظر : الأربعين في أصول الدين للرازي ص ١٩٠ – ٢١٣ ، ٢١٧ ، والمواقف للإيجى ١٣٩/٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البشر بما يستحق الله تعالى من صفات الكمال .

أما لفظ الجهة : فهو من الألفاظ المجملة التي لم يرد نفيها، ولا إثباتها بالنص، فتأخذ حكم مثل هذه الألفاظ . (١)

٢ -**من أدلة المعتزلة على نفي الرؤيا الانطباع** : وتقريره كما ذكر الرازي : (أن كل ما يكون مرئيا فلا بد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، والله تعالى يتنزه عن الصورة والمثال، فوجب أن تمتنع رؤيته).

٣- وأيضاً قالوا : إن كل ما كان مرئياً فلا بد له من لون وشكل، ودليله الاستقراء والله تعالى منزه عن ذلك فوجب ألا يرى .

والجواب عن الدليلين : هو منع كون الرؤية بالانطباع، ومنع كون المرئي ذا لون وشكل، إما مطلقاً أو في الغائب لعدم تماثل الرؤيتين، فرؤية الخالق ليس كرؤية المخلوق، فلا يجب هذا في حق الله تعالى حيث إن ذات الله مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث والمختلفات في الماهية لا يجب استواؤهما في اللوازم .

والحكم بأن المرئي لابد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، وأنه لا بد وأن يكون ذا لون وشكل مبني على أن هذه الأشياء المشاهدة المحسوسة لا ترى إلا كذلك. ثم قالوا لو صح أن يرى الله فلا يرى إلا كذلك وهو ممنوع في حقه تعالى، والحق أنه تحكم محض وقياس للخالق على المخلوق، وهو باطل قطعا لأنه قياس مع الفارق، فالله تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء من خلقه، فلا يصح

(١) رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ص٦١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قياسه عليه . (١)

ثانياً : مذهب الأشاعرة ومن نحا نحوهم : -

وهؤلاء أثبتوا الرؤية ولكن قالوا : الرؤية ليست إلى جهة ، وإنما تكون إدراكاً.

فوافقوا السلف فى إثبات الرؤية ، وردُّوا قول المعتزلة في أنَّ الرؤية ممتنعة ، ووافقوا المعتزلة في أنَّ ليس على العرش رب وأنَّ الله سبحانه ليس في جهة - جهة العلو – خلافاً للسلف الصالح ، فقالوا الرؤية لا إلى جهة .

- **حقيقة الرؤية عند الأشاعرة :**

اختلفت عبارات الأشاعرة فى هذه المسألة ، فظاهر عبارات الأشعرى إثبات رؤية حقيقية بالأبصار ، وذلك خلافاً لأكثر أصحابه .

قال رحمه الله : « لما قال تعالى : { إلى ربها ناظرة } علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية.، ولما قرن الله عز وجل النظر بذكر الوجه؛ أراد نظر العينين اللتين في الوجه ». (٢)

وقال أيضاً : « وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾(٣)(٤)

---

(١) المصدر السابق ص٧١ – ٧٢ .

(٢) الإبانة عن أصول الديانة ص٣٨ .

(٣) سورة القيامة : الآية (٢٢ -٢٣) .

(٤) رسالة إلى أهل الثغر ص١٣٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال : مذهب أصحاب الحديث وأهل السنة .... أن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ... (١)

هذا هو قول إمام المذهب ، أما أتباعه فاختلفوا ، فذهب بعضهم إلى قول الأشعري، بينما ذهب كثير منهم إلى أن حقيقة الرؤية مرجعها إلى العلم لا إلى الرؤية البصرية ، وبعضهم قال إنه شيء أعطاه الله لعباده المؤمنين في الآخرة يسمى الرؤيا .

ورغم تصريح أغلب الأشاعرة بإثبات الرؤية لكنهم يفسرونها بما يدل على عدم الإثبات .

يقول الآمدى : فالعقل يجوز أن يخلق الله تعالى في الحاسة المبصرة بل وفى غيرها زيادة كشف بذاته وبصفاته على ما حصل منه بالعلم القائم في النفس من غير أن يوجب حدوثا ولا نقصا .. (٢)

وقد نقل الشهرستانى عن الأستاذ أبى إسحاق أن الرؤية حكمها حكم العلم بخلاف سائر الحواس .... إلى أن قال : وصار المعنى كالعلم أو هو من جنس العلم وقد تقرر الاتفاق على جواز تعلق العلم به ... (٣)

فتفسير الرؤية بالعلم يعنى نفى الرؤية بالأبصار ، وليس في إثباتها إلا إثبات لفظ لا حقيقة له .، ولا ريب أن المعتزلة يثبتون العلم بالله يوم القيامة .

---

(١) مقالات الإسلاميين ص٢٩٢ ط ريتر .

(٢) غاية المرام ص١٦٧ .

(٣) انظر : نهاية الإقدام للشهرستانى ص٢٠١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا شك أن كل من قال من الأشاعرة أن المراد بالرؤية هو العلم ، لم يثبت إلا مجرد اللفظ ولا فرق بينه وبين من نفى الرؤية لأنه مراده الرؤية البصرية ، فأي فرق بين القولين إذاً ؟

بينما ذهبت طائفة من الأشاعرة إلى أن الرؤية هي قوة يجعلها الله في خلقه ، وليست هى الرؤية البصرية .

قال البيجورى : الرؤية قوة يجعلها فى خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئى ولا كونه فى جهة ولا حيز ولا غير ذلك .... إلى أن قال : والحاصل أنه تعالى يرى من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام ومن غير إحاطة ، بل يحار العبد فى العظمة والجلال فلا يعرف اسمه ولا يشعر بما حوله من الخلائق ، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى . (١)

ومن المعاصرين الشيخ حسن أيوب يقول : فإن الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، لا يشترط فيها الأشعة، ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك . (٢)

والحق أن هذا نفى للرؤية لا إثبات لها كما يزعمون ، وإن المعتزلة لا تمنع مثل هذه الرؤية التى هى بمعنى الكشف أو زيادة الانكشاف والمعرفة كما نقله بعضهم .

ولنتأمل ما قاله الآمدى : وذلك أن ما يخلقه الله من زيادة الكشف إن كان من ذات الشئ ووجوده بالنسبة إلى ما يحصل من تعلق علم النفس به شرحا

(١) تحفى المريد شرح جوهرة التوحيد ص١٢٩ .

(٢) تبسيط العقائد الإسلامية ص٢٣٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمى ذلك نظرا ...

إلى أن قال : فإن البصر هو ما يخلقه الله من زيادة الكشف من كونه ذاتاً ووجوداً وذلك مما لا يستحيل تعلق العلم به حتى لا يسمى ما حصل من مزيد الكشف عليه بصرا ... (١)

قال التفتازانى : ورؤية الله تعالى بمعني الانكشاف التام بالبصر، وهو معني إدراك الشيء كما هو بحاسة البصر . (٢)

فالمقصود والظاهر من كلامهم أنه ليس نظراً بالأبصار كما أثبته الأشعرى والسلف الصالح ، وإنما هو زيادة الكشف .

كما أن بعضهم يرى أن الرؤية إدراك يخلقه الله لهم .

قال السنوسى : إذ كما صح تفضله سبحانه بخلق إدراك لهم فى قلوبهم يسمى العلم يتعلق به على ما هو من غير جهة ولا مقابلة، كذلك يصح تفضله تعالى بخلق إدراك لهم فى أعينهم أو غيرهما يسمى ذلك الإدراك البصر . (٣)

ويقول الدردير : الرؤية عبارة عن نوع من الإدراك يخلقه الله تعالى متى شاء ولأى شيء شاء ... فكما أن العلم إدراك ، وهم يعلمونه لا فى مكان ولا فى جهة .... فكذا الرؤية نوع من الإدراك فيدركونه كذلك ، ومع ذلك هو انشكاف تام.(٤)

---

(١) غاية المرام ص١٦٩ – ١٧٠ .

(٢) شرح العقائد النسفية ص٥١ .

(٣) شرح الوسطى ص٣٧٢ .

(٤) شرح الخريدة البهية ص٢٠٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما الرازي فمال إلى استحالة الرؤية يوم القيامة فقال : إن رؤية الله تعالى بالتفسير المذكور بتقدير أن تحصل فمحلها هو العين والحادقة أم جوهر النفس ؟ والأول كالمستبعد جداً ، وأما أن محل ذلك الإدراك الشريف هو جوهر النفس الناطقة ، فهذا أقرب إلى العقل . (١)

هكذا تنوعت عبارات الأشاعرة فى حقيقة وماهية الرؤية ، والحقيقة أنهم رغم اختلاف عباراتهم إلا أنهم اتفقوا على أن الله لا يرى بالأبصار ، أنه لا مقابلة فى هذه الرؤية ، ولا جهة .

وعند التحقيق لم يعدُ الأشاعرة عن إثبات اسم بلا مسمى ، وقد أكثر الأشاعرة من الطعن والتشنيع على المعتزلة فى نفيهم الرؤية ، علماً بأنه لا فرق بين الأشاعرة الذين يكون بأن الرؤية هى العلم ، وبين خصومهم من المعتزلة .

والأشعرية فى هذا الباب بين نارين :

أولاً : النصوص الشرعية التي تثبت الرؤيا ، مع تصريح علماء المذهب الأولين بإثباتها ، وأنها أحد أبرز الخلافات مع المعتزلة النافين للرؤية .

ثانياً : الإلزامات التي تلزم عن إثبات الرؤية من قبل خصومهم وخاصةً المعتزلة .

فقالوا لهم : إذا كان الله يرى فلابد من المقابلة بين الرئى والمرئى ، ولابد من مكان وجهة للرئى والمرئى .

وبالتالي يوصف الله تعالى بأوصاف المحدثات .

(١) المطالب العالية ٢/٥٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكقولهم : إذا كان يرى فهل يرى كله أم بعضه ، ورؤيته كله أى الإحاطة به ممتنعة ، ورؤية بعضه فيه تبعيض وتجزئة له ، وهو من صفات المحدثات .

وكقولهم : هل إذا رأيناه وأدرنا وجوهنا فى الخلف هل نراه فيها ؟

وهذا ما حدا ببعض الأشاعرة إلى القول بأنه يرى فى كل جهة .

وكان ينجى الأشاعرة من هذه التشنيعات والإلزامات أن يقولوا لخصومهم كما قال السلف الصالح من هذه الأمة : إن الله يرى بكيفية لا نعلمها نحن ، ومادام الله تعالى أخبر عن نفسه أنه يرى وأخبر عنه رسوله ﷺ أنه يرى بالأبصار يوم القيامة فنحن نثبت هذه الرؤية ، أما كيفيتها وصفتها فلا يعلمها إلا الله .، وليس من حقنا الخوض فيها لأنها من العلم الذى حجبه الله عنا .(١)

- **مسألة نفى الجهة عند الأشاعرة : -**

إن الأشاعرة جعلوا يداً مع المعتزلة فأنكروا العلو، وجعلوا يداً مع أهل السنة فأثبتوا الرؤية، فقالوا: إن الله يرى لا في جهة، وهذا غير معقول وغير متصور.

وقد لاحظت مما تقدم من كلامهم أن إثبات الأشاعرة للرؤية ونفي لازمها –أي الجهة - إنما هو نفي للرؤية نفسها حيث أثبتوا ما لا يمكن رؤيته، لأن نفي اللازم نفي للملزوم .، لذلك كان المعتزالة أكثر منطقية مع أنفسهم حين ذهبوا إلى نفي الأمرين فراراً من الوقوع في التناقض الذي وقع فيه الأشاعرة .

(١) عقائد الأشاعرة ص٣٠١ – ٣٠٢ بتصرف يسير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا وإن كان قول الأشاعرة بنفي الجهة فاسداً وممتنعاً، إلا أن مقالة المعتزلة والشيعة بنفي الرؤية والجهة أشد فساداً وأعظم امتناعاً من جهة النقل والعقل .

والذي عليه السلف الصالح أن تلك اللوازم - كالجهة والمقابلة ونحوها - ليست ممتنعة، فإذا كانت المقابلة لازمة للرؤية فهي حق، فما كان حقاً وصواباً فلازمه كذلك، لذا يقول الإمام ابن تيمية : « من ادّعى ثبوت الشيء فقد ادّعى ثبوت لوازمه، ولوازم لوازمه، وهلم جرّاً ضرورة عدم الانفكاك عنه ».(١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك.

فلفظ « الجهة » قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات. وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العال .

ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ «الجهة» ولا نفيه، كما فيه إثبات «العلو» و «الاستواء» و «الفوقية» و «العروج إليه» ونحو ذلك.

وقد عُلم أن ما ثمّ موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .

فيقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ، فالله ليس داخلاً في المخلوقات ؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالَم، بائن من المخلوقات.

(١) تنبيه الرجل العاقل ١/٦٣ ، نقلاً عن مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل ص٧٩ جمع د/عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ، الطبعة الأولى – الناشر : مطابع أضواء المنتدى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك يقال لمن قال : إن الله في جهة : أتريد بذلك أن الله فوق العالم ، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات. فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل .

وكذلك لفظ «المتحيز» ، إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض ....

وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات، أي مباين لها، منفصل عنها ليس حالاً فيها. فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.(١)

فإن أراد الأشاعرة بنفي الجهة أنه ليس في السموات رب ولا فوق العرش إله .، وأن محمداً ﷺ لم يعرج به إلى ربه، وما فوق العالم إلا العدم المحض : فهذا باطل، مخالف لإجماع سلف الأمة وأئمتها .

ثم إن الثابت بالنصوص الصحيحة إثبات الرؤية لله تعالى كرؤية الشمس والقمر، قال ﷺ : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته. .» الحديث. وهما في جهة، وقد شبه ﷺ الرؤية بالرؤية .، ثم قوله ﷺ في الحديث الآخر: « إنكم سترون ربكم عيانا ». إثبات للرؤية البصرية التي لا تتم إلا على ما كان في جهة .

ثم أن إثبات صفة العلو لله تبارك وتعالى ورد بالكتاب والسنة في مواضع كثيرة جدا فلا حرج في إثبات رؤية الله تعالى من هذا العلو الثابت له تبارك

(١) التدمرية تحقيق الإثبات ص ٦٦ وما بعدها لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د/ محمد عودة – الطبعة السادسة الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعالى ولا يقدح هذا في التنزيه، لأن من أثبت هذا أعلم البشر بما يستحق الله تعالى من صفات الكمال .

أما لفظ الجهة : فهو من الألفاظ المجملة التي لم يرد نفيها ، ولا إثباتها بالنص.

هذا هو مذهب الأشاعرة في مسألة الرؤية، وما وقع لهم من تناقض واضطراب في هذا الباب ما هو إلا نتيجة حتمية لمن أقحم العقل في علم الغيب وحكمه فيما لا يصل إليه إدراكه .

وقد أغنى الله سلف هذه الأمة وأئمتها عن كل هذه الإشكالات والاعتراضات ، فأثبتوا الرؤية لله تعالى بدلالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والإجماع اليقينى ، ومنعوا العقل من الخوض في تفصيلاتها ، فآمنوا بالنقل ووضعوا العقل مكانه الذي يجب أن يكون فيه .

ثالثاً : مذهب السلف في إثبات الرؤية : -

ذهب السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن تبعهم من الأئمة أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا مواجهة لهم، بغير إحاطة ولا كيفية .

وهذا مذهب الصحابة والتابعين والأئمة وتابعوهم وأئمة الدين كالأئمة الأربعة -أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد- وسفيان الثوري وأبي عمرو والأوزاعي والليث بن سعد وأبي يوسف وغيرهم من الأئمة والعلماء وكذلك أيضًا سائر الفقهاء وأهل الحديث كلهم على هذا الاعتقاد، يثبتون أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانًا مواجهة، فهم يثبتون رؤية الله بالإبصار ويثبتون أيضًا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفوقية، وأنهم يرون ربهم من فوقهم فهم يثبتون الأمرين يثبتون الفوقية والعلو ويثبتون الرؤية.

وقد واستدلوا بالنصوص الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، واستدلوا أيضاً بالإجماع والعقل الصريح .

١ - الأدلة من كتاب الله تعالى : -

- قول الله تعالى ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ (١) ووجه الدلالة من الآية على أن الله يرى في الآخرة أنه سبحانه وتعالى قد أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله وعداه بأداة إلى الصريحة في نظر العين وأخلى الكلام من قرينة تدل على خلاف موضوعه وحقيقته، فدل على أن المراد النظر بالعين التي في الوجه إلى الرب -جل جلاله .

وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها : إما أن يكون الله سبحانه عنى نظر الاعتبار، كقوله تعالى : { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت} ، أو يكون عنى نظر الانتظار، كقوله تعالى :{ ما ينظرون إلا صيحة واحدة} ، أو يكون عنى نظر التعطف، كقوله تعالى : { ولا ينظر إليهم يوم القيامة} ، و يكون عنى نظر الرؤية.

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكير والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار.

ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه

(١) سورة القيامة : الآية (٢٢ -٢٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه ، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: « انظر في هذا الأمر بقلبك »، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار؛ الذي يكون للقلب، وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم .

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم .

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو أن معنى قوله: {إلى ربها ناظرة} أنها رائية ترى ربها عز وجل . (١)

- قول الله تعالى ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾ (٢) والحسنى المراد بها الجنة، والزيادة النظر وإلى وجه الله الكريم كما جاء تفسير ذلك في الحديث الصحيح عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾ قَالَ: « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ** » قَالَ: « **فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ**» قَالَ: «**فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ،**

(١) الإبانة ١/ ٣٥ وما بعدها .

(٢) سورة يونس : الآية (٢٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ ».(١)

- قول الله تعالى ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٢) ، المؤمنون لهم ما يشاءون فيها أي: الجنة ولدينا مزيد هي رؤية الله في الآخرة .

فسرها العلماء بأن المزيد هو رؤية الله في الآخرة .

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} قَالَ: «يَظْهَرُ لَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».(٣)

قال العلامة الشنقيطى : قال بعض العلماء: المزيد النظر إلى وجه الله الكريم، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، لأن الحسنى الجنة، والزيادة النظر . (٤)

- قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .(٥)

---

(١) صحيح : رواه مسلم برقم ١٨١ ، والترمذي برقم ٢٥٥٢ ، وابن ماجه برقم ١٨٧ ، وأحمد برقم ١٨٩٤١ وغيرهم .

(٢) سورة ق : الآية (٣٥) .

(٣) أخرجه اللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٨١٣ ، والبزار فى مسنده برقم ٧٥٢٨ ، والدارمى فى الرد على الجهمية برقم ١٩٨ .

(٤) أضواء البيان ٤٣١/٧ ، طبعة دار الفكر – بيروت لبنان .

(٥) سورة الأعراف : الآية (١٤٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد تقدم الكلام على وجه الدلالة فى هذه الآية فى الرد على المعتزلة من كلام الإمام ابن أبى العز الحنفى .

- قوله تعالى ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ** ﴾ .(١) ، فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه، كانوا جميعاً عنه محجوبين .

قال الإمام أحمد رحمه الله : فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟(٢)

وقيل لسفيان بن عيينة : إن بشرا يقول: إن الله لا يرى يوم القيمة، فقال: قاتله الله، دويبة، ألم يسمع الله يقول: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} ، فجعل احتجابه عنهم عقوبة لهم فإذا احتجب عن الأولياء والأعداء، فأي فضل للأولياء على الأعداء ؟(٣)

- قوله تعالى: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ (٤)

قال شيخ الإسلام : نفى الإدراك الذي هو الإحاطة وذلك يقتضي كمال عظمته وأنه بحيث لا تدركه الأبصار فهو يدل على أنه إذا رئي لا تدركه الأبصار وهو يقتضي إمكان رؤيته ونفى إدراك الأبصار إياه لا نفي رؤيته فهو دليل على

(١) سورة المطففين : الآية (١٥) .

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٣ ت/صبري بن سلامة شاهين .

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ١/٦٦ .

(٤) سورة الأنعام : الآية (١٠٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إثبات الرؤية ونفي إحاطة الأبصار به وهذا يناقض قول النفاة وأما مجرد الرؤية فليست صفة مدح فإن المعدوم لا يرى ولهذا نظائر في القرآن . (١)

قال ابن القيم : والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية ....

إلى أن قال : فلو كان المراد بقوله لا تدركه الأبصار أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى إن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ... (٢)

- قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام في محاجة قومه في النجوم ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ (٣) .

وجه الدلالة أن الخليل عليه السلام حاج قومه في النجوم وبين أنها تأفل وتغيب، في حين أن الرب لا يغيب ولا يأفل ثم قال في ذلك لا أحب الآفلين ولم

(١) الصدفية ٢/٦٥ .

(٢) حادى الأرواح لابن القيم ص٢٩٤ ، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة .

(٣) سورة الأنعام : الآيات (٧٦ - ٧٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحاجهم بأنه لا يحب ربا يرى، ولكن حاجهم بأن لا يحب ربا يأفل وهذا هو دليل عدم الدوام وهو الذي يمتنع على الله تبارك وتعالى أما الرؤية فلا، حيث لم يجعلها الخليل من موانع الربوبية كالأفول والغيبة . (١)

٢ - الأدلة من السنة : -

عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: « **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ...** ».(٢)

وعنه رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**».(٣)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟**»، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»، **يَجْمَعُ اللهَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، ....** الحديث ».(٤)

ليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه وإلا

(١) انظر : التوحيد للماتدريدى ص٧٨ ، طبعة دار الجامعات المصرية – الإسكندرية .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري برقم ٧٤٣٤ ، ومسلم برقم ٦٣٣ ، وأبو داود برقم ٤٧٢٩ ، والترمذي برقم ٢٥٥١ وغيرهم .

(٣) **صحيح** : رواه البخاري برقم ٧٤٣٥ ، والدارمى في الرد على الجهمية برقم ١٧١ ، والسنة لابن أبى عاصم برقم ٤٦١ ، والتوحيد لابن خزيمة ٢/٤١٣ وغيرهم .

(٤) **صحيح** : تقدم تخريجه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال : يرى لا في جهة. فليراجع عقله .

وإلا فإذا قال يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته ، رد عليه كل من سمعه من أصحاب الفطرة السليمة .

وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**».(١)

وعَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**».(٢)

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : « **... ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ...** الحديث ».(٣) والشاهد في الحديث قوله: (وليس بينه وبينه حجاب) هذا صريح في الرؤية .

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري برقم ٧٤٤٤ ، ومسلم برقم ١٨٠ ، والترمذي برقم ٢٥٢٨ ، وابن ماجه برقم ١٨٦وغيرهم.

(٢) **صحيح** : رواه مسلم برقم ١٨١ ، والترمذي برقم ٢٥٥٢ ، وابن ماجه برقم ١٨٧وأحمد برقم ١٨٩٣٦ وغيرهم .

(٣) **صحيح** : رواه البخاري برقم ١٤١٣ وغيره .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه أمثلة من النصوص المتواترة، وهي كثيرة كما سبق رواها نحو ثلاثين صحابيًا في الصحاح والسنن والمسانيد، وهي صريحة في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة .

٣- أما الإجماع :-

قد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم يقول الإمام عبد الغنى المقدسى : وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالى يرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله . (١)

وقال الإمام ابن أبى العز الحنفي: وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة . (٢)

وقال الإمام النووي : قد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين . (٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما الجهمية من المعتزلة وغيرهم فيمتنع على أصلهم لقاء الله ؛ لأنه يمتنع عندهم رؤية الله في الدنيا والآخرة وخالفوا بذلك ما تواترت به السنن عن النبي ﷺ وما اتفق عليه الصحابة وأئمة الإسلام من أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة . (٤)

---

(١) عقيدة الحافظ عبد الغنى المقدسي ص٥٨ .

(٢) شرح الطحاوى ص١٥٣ ط الأوقاف السعودية .

(٣) شرح النووي على مسلم ٣/ ١٥ .

(٤) مجموع الفتاوى ٦/ ٤٦٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤ - أقوال الأئمة في إثبات الرؤية : -

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله : والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة.(١)

وعن عبد الله بن وهب قال: **قال مالك رحمه الله** : «الناس ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة بأعينهم».(٢)

قال الإمام الحسن : ينظرون إلى الله عز وجل كما شاء بلا إحاطة . (٣)

قال الإمام أبو بكر الخلال فى عقيدة الإمام أحمد رحمه الله : وكان يذهب إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار وقرأ {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ولو لم يرد النظر بالعين ما قرنه بالوجه وأنكر نظر التعطف والرحمة لأن الخلق لا يتعطفون على الله تعالى ولا يرحمونه وأنكر الانتظار من أجل ذكر الوجه ومن أجل أنه تبعيض وتكرير ولأنه أدخل فيه إلى وإذا دخلت إلى فسد الانتظار ... (٤)

عن الوليد بن مسلم، يقول: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية ، فقالوا: «أمروها بلا

---

(١) الفقه الأكبر ص ٥٥ .

(٢) أخرجه الآجرى في الشريعة برقم ٥٧٤ ، واللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة برقم ٨٧٠ ، وابن بطة في الإبانة ٥٢/٧ ، والبغوى في شرح السنة – باب رؤية الله ٢٢٩/١٥ .

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة ٥١/٧ .

(٤) العقيدة للإمام أحمد رواية أبى بكر الخلال ص١١١ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف».(١)

وقال الإمام الطحاوى رحمه الله : والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه . (٢)

وقال الإمام الأصبهانى الملقب «بقوام السنة» : مذهب أهل السنة أن الله عز وجل يكرم أولياءه بالرؤية، يرونه بأعينهم كما شاء فضلاً منه ومنة . (٣)

قال الإمام الأشعري: وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}.(٤)

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلى : ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عز وجل في القيامة، دون الدنيا .. (٥)

---

(١) أخرجه اللالكائى فى شرح السنة برقم ٨٧٥ .

(٢) متن الطحاوية بتعليق الألباني ص٤٣ .

(٣) الحجة فى بيان المحجة ٢/٥٢٤ .

(٤) رسالة إلى أهل الثغر ص١٣٤ .

(٥) اعتقاد أئمة الحديث للجرجانى ص٦٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الإمام ابن القيم : وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية، فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصدّيق، وأبو هريرة الدوسي، وأبو سعيدٍ الخدريُّ، .... ثم ساق نحواً من ثلاثين اسماً للصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

إلى أن قال رحمه الله : فصل : وأما التابعون ، ونزل الإسلام ، وعصابة الإيمان منهم أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التَّصوُّف، فأقوالهم أكثرُ من أن يُحيط بها إلاَّ الله عزَّ وجلَّ ....

ثم ساق الآثار والأقوال عن سعيد بن المسيب ، والحسن البصرى ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وطاووس، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش وسعيد بن جبير ، وكعب الأحبار، وأبي إسحاق السبيعي، وعلي بن المديني، وعبد الله بن المبارك ،وشريك بن عبد الله، والأئمة الأربعة – أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد -، والأوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وسفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجَّراح وقتيبة بن سعيدٍ ، وأبي عبيدٍ القاسم بن سلام ، وغيرهم .، ثم ساق قول جميع أهل اللغة .(١)

هذه هى أهم الأقوال والمذاهب فى مسألة الرؤية إلا أن هناك مذهب رابع ، وهو لبعض المتصوفة من الإتحادية والحلولية كابن عربي وابن الفارض والتلمساني وابن سبعين وغيرهم .

يقولون بأن الله تعالى يرى في الدنيا عياناً كما يرى فى الآخرة عياناً ، وأنه يحاضر ويسامر ، فمن كان عمله أحسن رأى معبوده أحسن .

(١) انظر : حادي الأرواح ٢٩٦ وما بعدها – ٣٣٣ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهؤلاء يرد عليهم بقول الله تعالى جواباً لأحب الخلق إليه في ذلك الوقت وهو موسى عليه السلام وذلك عندما سأل الله جل وعلا رؤيته ﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي** ﴾ أفهم خيرٌ من موسى عليه السلام ، أم أشد من الجبل الذي قال تعالى فيه ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا** ﴾

كما يرد عليهم بحديث النبي ﷺ « **تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ** ». (١) ، ففي هذا دلالة على أن الله جل وعلا لا يرى في الدنيا .

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أنه لا يرى أحد ربه فى الدنيا إلا ما كان من الخلاف فى رؤية النبي ﷺ ربه فى المعراج ، وسيأتي بيان المسألة فى المطلب التالي ، وبالله التوفيق .

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ١٩٦ ، والترمذي برقم ٢٢٣٥ ، وأحمد برقم ٢٣٦٧٢ وغيرهم من حديث عمرو بن ثابت الأنصاري عن بعض أصحاب النبي ﷺ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

مسائل متعلقة بالرؤية

أولاً : رؤية الله في عرصات القيامة :-

اتفق سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من الأئمة المهتدين بهدي سيد المرسلين على الإيمان بأن الله عز وجل يراه المؤمنون في عرصات القيامة وفي الجنة رؤية تنعم وإكرام، بل لا يعدلها نعيم ولا إكرام، فهي أعلى مراتب النعيم في الآخرة، معتمدين في ذلك على النص الصريح من كلام الله عز وجل وكلام نبيه محمد ﷺ ، كما تقدم فى المطلب السابق .

ثم وقع الخلاف بينهم فى الكفار والمنافقين هل يرون ربهم يوم القيامة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه لا يراه إلا المؤمنون :-

وهو مذهب جمهور السلف وعامة الأئمة وقد روي هذا عن الحسن ومالك ومحمد بن عبد الله بن الحكم وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ووكيع وعبد الله بن المبارك والشافعي .

قال شيخ الإسلام : وعليه أكثر العلماء المتأخرين وجمهور أصحاب الإمام أحمد ، ورجحه شيخ الإسلام . (١)

واستدلوا بقوله تعالى ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** ﴾ ، فأخبر الله عز وجل عن حجب الكفار عن الرؤية، فقوله : (يومئذ) يعني : يوم القيامة .

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٤٨٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القول الثاني : إن الله يراه من أظهر التوحيد من هذه الأمة : -

مؤمنهم ومنافقهم في عرصات القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يروه .، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة والقاضي أبو يعلى .

واستدلوا بحديث أبى هريرة : « أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» قَالُوا: لاَ، قَالَ: « **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهَّ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهَّ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ** ... الحديث ».(١) فقالوا : إن هذا الحديث يدل على أنهم يرونه .

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب : -

كاللص إذا رأى السلطان ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم ، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم؛ وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وإلى سهل بن عبد الله التستري .، ورجحه ابن

(١) صحيح : تقدم تخريجه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيم .

واستدلوا لهذا بقوله تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾، بنفس الآية التي استدل بها القائلون بعدم الرؤية، كيف ذلك؟ قالوا : فكونه حُجِبَ يومئذ دلَّ على أنَّه قبل ذلك لم يكن محجوباً؛ لأنَّ الكلام في الآخرة، وأما في الدنيا فالكل محجوب عن رؤية الرب عز وجل .

ومن أراد النظر في أدلة أصحاب كل قول من هذه الأقوال فيرجع إلى : رسالة لشيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى الجزء السادس، وحكى الأقوال الثلاثة أيضاً ابن القيم في حادي الأرواح ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى .

ثم إن المختلفون في رؤية الكفار لله عز وجل يوم القيامة ونفيها متفقون على أمور منها :

- اتفقوا على أن هذه الرؤية ليست رؤية لذة ونعيم وراحة وطمأنينة، بل إنهم يقولون : إنها رؤية عذاب؛ لأن الله سبحانه وتعالى يريهم نفسه ثم يحتجب عنهم، وفي ذلك أشد أنواع العذاب، هكذا قالوا.

- اتفقوا أيضاً على أنهم بعد الانتهاء من الحشر لا يرون الله عز وجل، وإنما يكونون من أهل الجحيم، والعياذ بالله .

والحاصل أن هذه المسألة مما وقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة، فلا يضلل ولا يفسق ولا يكفر المخالف، وإنما يناقش للوصول إلى الحق، كما أنه يجب في هذه المسألة ألا يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم، فإن هذا لا يجوز؛ لأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرؤية إذا أطلقت فإنما يراد إثبات رؤية التنعيم والإكرام؛ فلذلك لا يقال : إن الكفار يرون ربهم على وجه الإطلاق، بل لابد من تقييد ذلك بأنها رؤية يعقبها حرمان، وأنها رؤية عقاب لا رؤية إكرام .

ثانياً : رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل في الدنيا : -

إن لمسألة رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا عدة جوانب :

الأول : مسألة رؤية لربه في الأرض بعينه :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ٣/٣٨٦ : « وقد اتفق المسلمون على أن النبي ﷺ لم ير ربه بعينيه في الأرض وكل حديث فيه أن محمداً ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض، فهذا كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم، وهذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه واحد منهم». اهـ

الثاني : مسألة رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء عندما عرج به إلى السماء:

إن مسألة رؤية النبي ﷺ ربه في المعراج من المسائل الخلافية أيضاً بين أهل السنة، والخلاف فيها قد وقع بين الصحابة رضي الله عنهم أنفسهم على قولين :

القول الأول : أنه رأى ربه فى المعراج :-

وهو قول ابن عباس وأصحابه، وأبى ذر في روايةٍ عنه وأنس بن مالك ، والحسن وعكرمة وكعب الأحبار والزهري ومعمر، ورواية عن أحمد وابن خزيمة، وبه قال الأشعري وعامة أتباعه، ورجحه ابن حزم الظاهري .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستدلوا بحديث ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**».(١)

وأثر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : « أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ».(٢)

وعنه في قوله {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} قال: « رأى ربه فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » .

وعن قتادة أن أنسًا - رضي الله عنه - قال: «رأى محمدٌ ربَّه».

وعن المروزي « قلت لأحمد إنهم يقولون إن عائشة قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ رأيت ربي، قول النبي ﷺ أكبر من قولها ».

ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟

وذلك لأنه وردت آثار بذلك عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: {**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**} و{**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**}، قَالَ: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ» .

---

(١) **صحيح** : أخرجه أحمد برقم ، وابن أبى عاصم فى السنة برقم ٤٣٣ ، والشريعة للآجرى برقم ١٠٣٣ ، واللالكائى في شرح اعتقاد أهل السنة رقم ٨٩٧ ، قال الهيثمى فى المجمع ١/٧٨ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وقال الذهبي في العلو ١/٨١ : إسناده قوى ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٤٦٦ .

(٢) **صحيح** : أخرجه النسائي في الكبرى برقم ١١٤٧٥ ، وابن أبى عاصم فى السنة برقم ٤٤٢ ، والإيمان لابن منده برقم ٧٦٢ ، والتوحيد لابن خزيمة ٢/٤٧٩ ، والدراقطنى في رؤية الله برقم ٢٦١ ، والحاكم برقم ٣١١٤ وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال ابن حجر في الفتح ٨/٦٠٨ : إسناده صحيح ، وصححه الألباني فى ظلال الجنة برقم ٤٤٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} ، قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: « رَآهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ تَرَهُ عَيْنَاهُ ».

وقد جنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد إلى ترجيح الإثبات، وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من قوله إنه إنما رآه بقلبه على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه ، واختاره قوام السنة أبو القاسم الأصبهانى، وأنور شاه الكشميري .

ممن ثبت عنه إطلاق الرؤية كعب الأحبار ، وعكرمة ، والحسن البصري ، والزهري ، ومعمر ، وإبراهيم بن طهمان ، والإمام أحمد في رواية وهو المشهور، والأشعري وعامة أصحابه، والآجرى ، وأبو يعلى ، وابن جرير ، والألوسى ، والسفارينى وغيرهم .

وممن قيدها بالرؤية القلبية وروى عنه ذلك ، كعب الأحبار ، ومجاهد ، وأبو العالية، والربيع بن أنس ، وأبو صالح مولى أم هانئ ، وأحمد فى الرواية الثانية ، والسمعانى ، وغيرهم

وقد اختار شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم وابن حجر وابن كثير وابن أبى العز الحنفي وغيرهم، إلى القول بأن الرؤية قلبيه .

قال الحافظ بن حجر : « وقد جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة، وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها .... وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب ... ».(١)

وقال ابن تيمية : ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه .

وقال أيضًا: وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك: فقال: نور أنى أراه .اهـ(٢)

- **المراد بالرؤية القلبية :**

قال ابن حجر رحمه الله: « ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم؛ لأنه ﷺ كان عالما بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه، كما يخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة خلقها في العين» . (٣)

القول الثاني : أنه لم يرى ربه في المعراج : - وإنما رأى جبريل عليه السلام ، وهو قول عائشة وابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر فيما صح عنه ، والدارمى ، وأبو حيان ، وابن عطية .

أخرج البخاري في الصحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ

(١) فتح الباري ٨/٤٧٤ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٦/٥٠٩ – ٥١٠ ، واجتماع الجيوش الإسلامية ص٤٨ .

(٣) فتح الباري ٨/٤٧٤ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ».

وعَنْ عَبْدِ الله – ابن مسعود -، قَالَ: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١٨]، قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ». رواه البخاري مسلم وغيرهما .

وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَأَى جِبْرِيلَ» .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**».(١)

هذا وقد رجح بعض العلماء إلى التوقف في هذا المسألة ممن ذهب إليه، سعيد بن جبير، والقاضي عياض، والقرطبي كما في المفهم ، والذهبي .

قال القرطبي رحمه الله : «وذهبت طائفة من المشايخ إلى الوقف، وقالوا: ليس عليه قاطع نفيًا ولا إثباتًا، ولكنه جائز عقلاً وهذا هو الصحيح».

وقال في موضع آخر: « ... ثم هل وقعت رؤية الله -تعالى- لمحمد ﷺ ليلة الإسراء أو لم تقع؟ ليس في ذلك دليل قاطع، وغاية ما للمستدل على نفي ذلك أو إثباته التمسك بظواهر متعارضة معرّضة للتأويل، والمسألة ليست من باب العمليات فيكتفى فيها بالظنون، وإنما هي من باب المعتقدات ولا مدخل

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم برقم ١٧٨ ، والترمذي برقم ٣٢٨٢ ، وأحمد برقم ٢١٣٩٢ وغيرهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للظنون فيها» .(١)

ثالثاً : رؤية الله تعالى في المنام :-

رؤية الله تعالى في المنام رؤيا قلبية منامية لا بصرية ، قد حكى غير واحد من العلماء الإجماع على جوازها ووقوعها ، إلا ما كان من بعض المعتزلة فى نفيها ولا ينظر لقولهم .

قال القاضي عياض : اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام لأن ذلك المرئي غير ذات الله تعالى إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم ولا اختلاف الأحوال.(٢)

وقد ثبت من حديث ابن عباس وعبد الرحمن بن عايش وثوبان ومعاذ وأبى رافع وامرأة أبى بن كعب ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ** .... ».(٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وما زال الصالحون وغيرهم، يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلًا ينكر ذلك، فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه؛ إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره، وهذه مسألة معروفة، وقد ذكرها العلماء من

(١) انظر : المفهم للقرطبي ١/٤٠١-٤٠٣ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥/٢٥ .

(٣) **صحيح** : أخرجه أحمد برقم ٣٤٨٤ ، وسنن الدارمى برقم ٢١٩٥، والسنة لابن أبى عاصم برقم ٤٦٧ ، ومسند البزار برقم ٤٧٢٧ ، وأبو يعلى برقم ٢٦٠٨ ، والتوحيد لابن خزيمة برقم ٥٤ ، وغيرهم ، وقد صححه الشيخ /حسين سليم ، والألباني في الصحيحة برقم ٣١٦٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحابنا وغيرهم في أصول الدين، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم، إنكار رؤية الله، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام؛ ولكن لعلهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام، فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم، نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة، كسائر ما يرى في المنام. فهذا مما يقوله المتجهمة، وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها؛ بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم، وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى، وإنما ذلك بحسب حال الرائي، وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه. (١)

وبعد هذا فلا بد في هذه المسألة من أمرين :

١ - التحقق فيمن يدعى رؤية الله تعالى فى المنام، لئلا يأتيه الشيطان فيلبس عليه بذلك، في هل رأى ربه ؟ وهل سمع صوته ؟ أو كلمه ؟ أو أحس بشيء من صفاته ؟

٢ - أن هذه الرؤية إن وقعت لا ينبني عليها أمر اعتقادي ديني من إثبات صفات الله ، أو صورة معينة حصلت للرائى ونحوها .

أو تقرير حكم شرعي جديد ، وإنما غاية ما فيها أنها من المبشرات للمؤمنين.(٢)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ١/٣٢٧.

(٢) انظر : ابن الحنبلى وكتابه الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة ١/٣١٣ (رسالة ماجستر/لعلى بن عبد العزيز بن على الشبل) دراسة وتحقيق وتعليق .، طبعة مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث العاشر

الموافقات والمفارقات

بين السلف والأشاعرة

وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : في الموفقات والمفارقات .

المطلب الثاني : من هم أهل السنة ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الأول

في الموافقات والمفارقات

كان الصراع قبل ظهور الأشاعرة قائم بين السلف – أهل السنة والجماعة – والفرق الأخرى من المبتدعة وعلى رأسهم المعتزلة والرافضة ، حتى ابتلى الإمام أحمد في محنة خلق القرآن ، فثبت على الحق فأضحد الله به أهل البدعة، وقد مات الإمام أحمد سنة ٢٤١ هـ، ولم يكن أبو الحسن الأشعري ولد بعد ، حيث أنه ولد سنة ٢٦٠ هـ ، وتربى على مذهب المعتزلة أربعين عاماً ، ثم تحول لمذهب ابن كلاب سنة ٣٠٠ هـ على ما تقدم بيانه في التعريف بالأشاعرة .

وإنما أردت أن أنوه إلى ذلك ليتبن لك أن الأشعري ، قد تحول عن الإعتزل وذلك بعد وفاة الإمام أحمد بنحو ستين عاماً ، فعلى أي مذهب كان الناس قبل توبة الأشعري، وعلى أي مذهب كان الإمام أحمد رحمه الله ، إنه مذهب سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين مذهب الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة .

وإنني في هذا المطلب سأبين إن شاء الله تعالى الموفقات والمفارقات بين الأشاعرة والسلف من وجه، والأشاعرة والفرق الأخرى من وجهٍ أخر حتى تتضح الصورة لك أيها القارئ الكريم فتعلم مدى قرب القوم وبعدهم من أهل السنة ، وأهل البدعة ، والله المستعان .

أولاً : بين الأشاعرة وأهل السنة : -

فمن الأصول التي وافقوا فيها أهل السنة والجماعة ما يلي:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ ـ **في الصحابة** : فالأشاعرة يوافقون أهل السنة والجماعة في الصحابة ولا يخالفونهم فيهم، فأفضلهم عندهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ويمسكون عن ما شجر بينهم، ويترضون عليهم، ويوالون أهل بيت رسول الله ﷺ .

٢ ـ **في الإمامة** : يرون أنه لا بد من تعيين إمام وطاعته بالمعروف والجهاد معه وذم الخروج عليه .

٣ ـ **في مسائل اليوم الآخر**: من الصراط والميزان والحوض والجنة والنار وأنهما مخلوقتان لا فناء لهما.

٤ - وفقوا أهل السنة في إثبات بعض الصفات لله تعالى ، كالصفات السبع .

٥ - وفقوا أهل السنة في صفة كلام الله في الجملة ، وأنه غير مخلوق، ثم قالوا بالكلام النفسي وخاضوا في هذه المسألة بما يفسد عليهم هذه الموافقة .

٦ – وافقوا أهل السنة في أفعال العباد فقالوا بأنها مخلوقة لله تعالى وهى من كسب العباد، إلا أنهم في تعريفهم الكسب وقعوا في الجبر .

٧- وافقوا أهل السنة في إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة، إلا أنهم عكروا على أنفسهم بفي الجهة ، فهم بقولهم هذا أثبتوا ما لا يمكن رؤيته .

ومن الأصول التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ ـ **في التوحيد** : فهم اقتصروا على توحيد الربوبية، وزعموا أن الغاية من خلق الخلق وإرسال الرسل هو توحيد الربوبية. وأنكروا توحيد الألوهية .، مع أنه التوحيد الذي أرسلت به الرسل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا لا يعني أن أهل السنة يستهينون بأمر توحيد الربوبية، لكنهم يبدأون بما بدأ الله به وما بدأ به رسوله ﷺ، لأن توحيد الربوبية فطري، لا يكاد ينكر بالكلية إلا نادرا وغالب الآيات التي جاءت في تقريره جاءت في سياق الإلزام بتوحيد العبادة والطاعة .

٢- اعتمدوا في إثبات وجود الله تعالى على دليل حدوث الأعراض والأجسام، وهذه طريقة مبتدعة باطلة فى الاستدلال، قد طعن فيها السلف والأئمة وجمهور العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين .

٣ ـ **في الصفات**: فهم لم يثبتوا لله عز وجل إلا سبع صفات ويؤّولون باقي الصفات، وغفلوا عما يترتب على فعلهم هذا من تحريفهم لكلام الله وتعطيل لمعانيه والقول على الله بغير علم، وغير ذلك من المستلزمات التي يقتضيها التأويل وتنافي التسليم لله تعالى إذ كيف يليق أن يقول الله عن نفسه ويقول عنه رسوله ﷺ بصفات لا تليق، أو تقتضي التشبيه والتجسيم، ثم لا يكتشف هذه المسألة إلا المتكلمون بعد القرن الثالث الهجري .

ثم كيف فات هذا الفهم على الصحابة والتابعين وسلف الأمة ثم يدركه المتكلمون؟

٤ ـ **في الإيمان**: زعموا أن الإيمان هو تصديق بالقلب فقط على ما تقدم .

٥ ـ **في القدر**: زعموا أن العبد يكسب الفعل وليس له إرادة واختيار ولا تأثير لقدرة العبد في كسبه، وهو مذهب الجهمية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦ ـ **في العقل والنقل**: من الأصول التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة تعويلهم على العقل والجدل وعلم الكلام (النظر) في صفات الله ومسائل القدر والغيب وتقديمهم العقل ما يسمونه القواطع العقلية - على النقل (الكتاب والسنة) ، في أمور الغيب ومسائل الاعتقاد، بل في مسائل صفات الله تعالى .

٧ – **أول واجب** : قالوا أن أول واجب على المكلف النظر أو جزء من النظر، وليس النطق بالشهاتين أو التوحيد كما هو قول أهل السنة .

٧ ـ **في خبر الواحد**: فهم لا يرون خبر الواحد في مسائل الاعتقاد .

٨ ـ في مسائل التحسين والتقبيح العقليين على ما تقدم بيانه .

كما أنهم خالفوا أهل السنة في أصول أخرى مثل: قولهم في القرآن وكلام الله، والإيمان، والقدر، والنبوات، حيث تأثروا بالأصول الكلامية والفلسفية في نظرتهم لهذه الأمور فجاءت عقيدتهم فيها خليطا من الحق والباطل بين أهل السنة والمعتزلة والفلاسفة، لذا تجدهم كثيرا ما يستخدمون مصطلحات فلسفية وكلامية محتملة للحق والصواب وضدها، وتختلف عن ألفاظ الكتاب والسنة.

وهكذا ... فإن هذه الأمور التي خالف الأشاعرة فيها أهل السنة، وهي من أصول الاعتقاد وفروعه تقتضي من الباحث المنصف عند التدقيق والتحقيق أن يحكم كما هو رأي المحققين من أئمة أهل السنة بأن مذهب الأشاعرة في العقيدة مذهب مستقل في بعض الجوانب عن أهل السنة بأصوله ومناهجه، وتصوراته وأحكامه بخاصة في مسائل الصفات والإيمان والوحي والنبوات والقرآن وكلام الله والقدر ، فالأشاعرة في هذه المسائل وغيرها يوافقون أهل السنة في أمور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويخالفونهم في أخرى .(١)

ثانياً : بين الأشاعرة الماتريدية : -

إن الناظر في عقيدة الأشاعرة والماتريدية يجد بينهما تقارباً كبيراً، وهذا التقارب هو الذي أوجد التقارب الائتلاف بينهما، حتى صار كل منهما يطلق اسم أهل السنة والجماعة على الطائفتين، ولعل ذلك لأن القدح في أحدهما يعد قدحاً في الأخرى لتوافق الأصول بينهما .

وفيما يلي ذكر لأهم المسائل التي وقع الخلاف فيها بين الأشاعرة والماتريدية: -

١ - **معرفة الله** : ذهبت الأشاعرة إلى أنها واجبة بالشرع، وذهبت الماتريدية إلى وجوبها بالعقل .

٢ - **كلام الله** : ذهبت الأشاعرة إلى جواز سماع كلام الله، وذهبت الماتريدية إلى منع ذلك .

٣ - **صفة التكوين** : ذهبت الأشاعرة إلى أن التكوين ليس صفة لله، وذهبت الماتريدية إلى أنها صفة .

٤ - **المشيئة والإرادة** : ذهبت الأشاعرة إلى جواز أنها تقتضي المحبة، وذهبت الماتريدية إلى أنها لاتستلزم ذلك .

- أما في مسائل الإيمان، فأهم الفروق بينهم ما يلي:

١ - **الاستثناء في الإيمان** : ذهبت الأشاعرة إلى وجوب ذلك، وذهبت

(١) موسوعة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ٢/١٤٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الماتريدية إلى منعه .

٢ - **إيمان المقلد** : ذهبت الأشاعرة إلى عدم صحته، وذهبت الماتريدية إلى صحة إيمانه .

- أما في مسائل القدر، فأهم الفروق بينهم ما يلي:

١ - **الحكمة والتعليل** : ذهبت الأشاعرة إلى نفي لزومهما في أفعال الله، وذهبت الماتريدية إلى القول بلزومهما .

٢ - **التحسين والتقبيح** : ذهبت الأشاعرة إلى أنهما شرعيان ، وذهبت الماتريدية إلى أنهما عقليان .

٣ - **تعذيب المطيع** : ذهبت الأشاعرة إلى جواز ذلك عقلاً ، وذهبت الماتريدية إلى منعه .

- أما في مسائل أفعال العباد، فأهم الفروق بينهما ما يلي:

١ - **التكليف بما لا يطاق** : ذهبت الأشاعرة بجواز ذلك ، وذهبت الماتريدية إلى منعه .

٢ - **الاستطاعة** : ذهبت الأشاعرة إلى أنها تكون مع الفعل ، وذهبت الماتريدية إلى أنها قد تتقدم وقد تكون مع الفعل .

٣ - **الكسب** : ذهبت الأشاعرة إلى أن أفعال العباد ليس لهم فيها قدرة، وأنها كسب لهم وليس لها ــ قدرة العبد ــ أثر في الفعل، وذهبت الماتريدية إلى أن قدرة العبد لها أثر في الفعل دون إيجاده . (١)

(١) الفروق بين الأشاعرة والماتريدية ص٢٤ – ٢٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحاصل: أن الماتريدية والأشعرية فرقة واحدة في المنهج وأصول العقائد مخالفة لسائر الفرق مخالفة جوهرية، وما بينهما من الخلاف لا يمنع من اتحادهما؛ وأنهم زملاء في التتلمذ على مشايخهم الجهمية الأولى والمعتزلة، وأخذهم عنهم تعطيل كثير من الصفات وتحريف نصوصها تحت ستار التنزيه، بل إنهم أشقاء رضعوا من ثدي أم واحدة .

ثالثاً : بين الأشاعرة والمعتزلة :-

إن الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة واضح لا لبس فيه، كما أنه ليس بالإمكان الجمع بينهما إذ أن الخلاف بينهما ليس بالبسيط، لذلك نجد فى كتب الأشاعرة جل تركيزهم على الرد على المعتزلة، بل إن معظم مؤلفاتهم فى الرد عليهم .

وهذا لا يمنع أن تكون الأشاعرة قد تأثروا بالمعتزلة، إذ أن إمامهم قد تربى وترعرع على علم الكلام في بين الجبائى ، كما أن جميع المتكلمين قد انطلوا من أصول واحدة، ويعتبر المعتزلة هم من أسس لعلم الكلام .

وعند استعراضنا للمذهب الأشعري نجده تأثر بالمعتزلة في بعض المسائل والاتجاهات منها الآتي :-

١ - **دليل إثبات وجود الله** : أصل هذا الدليل قد أخذه الأشاعرة عن المعتزلة ، وهو العقل .

فإنه بالرجوع إلى كتب المعتزلة، وجد أنهم قد ذكروا طريقة في إثبات وجود الله هي الطريقة نفسها التي سلكها الأشاعرة ومعلوم أن المعتزلة قد سبقوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأشاعرة في الظهور.

وخطوات الاستدلال عند المعتزلة هي:

-إثبات حدوث الأجسام – وهي مستندة على طريقة الأعراض،

والأجسام معلومة الوجود بالضرورة .

-إثبات وجود الأعراض التي هي الأكوان من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون .

-إثبات حدوث الأعراض وإثبات أن الأجسام لا تخلوا عن الأعراض .

- إثبات أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

إثبات امتناع تسلسل الحوادث ، وبه يتم الاستدلال على حدوث الأجسام.

-إثبات أن القديم لا يجوز عليه العدم .

فهذه هي مراحل إثبات وجود الله عند المعتزلة – وهي المراحل عينها التي سلكها الأشاعرة كما تقدم النقل عنهم .

٢ - صفات الأفعال وبعض صفات الذات: وهذه قد وافق فيها الأشاعرة المعتزلة موافقة صريحة، مثل صفات: الاستواء، والغضب، والفرح، والنزول ، والمجيء ، ومثل صفات اليدين ، والوجه ، والقدم والعلو ، والعينين. والغريب أنهم اتبعوا طريقة المعتزلة نفسها لنفيها، وهي طريقة التنزيه المبنية على شبهة حلول الحوادث والجسمية والتركيب.

مع التنبيه هنا على أن المتقدمين من فضلاء الأشاعرة قد أثبتوا أكثر هذه الصفات كالباقلاني والبيهقي وغيرهما.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- اتفاقهم مع المعتزلة على خلق القرآن : كما أوضحناه فى مبحث كلام الله تعالى، فإن الأئمة الأعلام مجمعون على تكفير من قال بخلق القرآن، والأشاعرة قد أظهروا مخالفة المعتزلة في الكلام فقالوا : إن كلام الله غير مخلوق، ولما كان هذا يتعارض مع مسألة نفي حلول الحوادث قالوا: مرادنا بقولنا الكلام غير مخلوق: الكلام النفسي، أما الألفاظ فهي مخلوقة، وهذا يشمل القرآن كما بيناه .

كما أنهم أطلقوا على أنفسهم أهل التوحيد تبعاً للمعتزلة، وقد شاركوا المعتزلة في تسمية ما ابتدعوه من علم الكلام بأصول الدين ، وهم قد علموا أن السلف الصالح والأئمة قد ذموا الكلام وأهله .

تناقض الأشاعرة

إنك عندما تقرأ فى كتب الأشاعرة تجد هذا المذهب يحمل في طياته منذ النشأة مبدأ التناقض، ذلك لاعتماده على منهج التلفيق الذي أراد مؤسسوه أن يبنوا عليه هذا المذهب .

ذلك أن الأشعري أراد أن يجمع بين الإيمان ببعض أصول المعتزلة والجهمية مع إتباع مذهب السلف، ولما كانت خبرته بمذهب السلف قليلة أراد أن يجمع بين تلك الأصول ومذهب السلف الذي حكاه بإجمال، حكى بعضه كما يعتقده، لا كما هو في واقع الأمر .(١)

والتناقض الذي وقع فيه متقدموا الأشعرية، موجود في مذهبهم في الصفات، وكلام الله، والقدر، وغير ذلك من المسائل التي خالفوا فيها أهل

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/ ٨٨١ بتصرف .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السنة.

والشيء الملفت للنظر - أن المتأخرين من الأشاعرة، وهم أكثر تناقضاً - اتهموا المتقدمين من أئمتهم بالتناقض .

وهؤلاء المتأخرون إنما رموا أئمتهم المتقدمين بالتناقض لأنهم كانوا عارفين بالأصول العقلية التي اعتمدها هؤلاء، وأنها تقتضي أن يلتزموا لوازمها وأن لا يهابوا أهل الحديث بل يصرحوا بما تقتضيه هذه الأصول ولوازمها. وهذا هو ما فعله المتأخرون وطبقوه .(١)

واتهام المتأخرين للمتقدمين بالتناقض يدل عليه ما حوته كتبهم التي صرحوا فيها بمخالفة السلف ومخالفة أئمتهم، وما يذكرونه من الأدلة والمناقشات لعقائدهم - وخاصة في مسائل العلو والاستواء، والصفات الخبرية، والرؤية - تحمل في ثناياها الاتهام لشيوخهم وأئمتهم بالتناقض، وهم قد لا يصرحون بذلك لأن هؤلاء هم أئمة المذهب، وبهم يقتدون في المسائل الأخرى التي وافقوهم فيها .

ومع ذلك فأحياناً يصرحون : ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره أبو المعالي الجويني في مسألة الصفات الخبرية كالوجه واليدين، التي أثبتها متقدموا الأشعرية الذين ينفون الصفات الاختيارية عن الله تعالى، ولذلك يؤولون الاستواء والنزول والمجيء، إما بتأويلات صريحة كما فعل المتأخرون، وإما بجعلها من صفات الذات لا من صفات الفعل، وأن الاستواء - مثلا - فعل

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٠٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعله الله في العرش سماه استواء، كما هو قول الأشعري - فالجويني يقول لهؤلاء إذا كنتم أثبتم الصفات الخبرية بظواهر الآيات فيلزمكم أن تثبتوا بقية الصفات كالاستواء والنزول والجنب بظواهر النصوص أيضاً، أما إذا سوغتم تأويل هذه فلا يبعد تأويل الصفات الخبرية (١) : يقول الجويني عن الصفات الخبرية، « ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات بظواهر هذه الآيات ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء والمجيء والنزول والجنب من الصفات تمكساً بالظاهر، فإن ساغ تأويلها فيما يتفق عليه، لم يبعد أيضاً طريق التأويل فيما ذكرناه ». (٢)

فهو يقول : إن تأويل هذه والمنع من تأويل تلك تناقض، فإما إثبات الجميع أو تأويل الجميع. ويلاحظ أن هذا يقال للجويني أيضا.

ومن أمثلة تناقض الأشاعرة ما يلي : -

١ – أن هؤلاء الذي سموا أنفسهم أهل الحق، وأنهم قاموا من تحقيق أصول الدين بما لم يقم به الصحابة، هم متناقضون في الشرعيات والعقليات :

- **أما الشرعيات** : فإنهم تارة يتأولون نصوص الكتاب والسنة، وتارة يبطلون التأويل، فإذا ناظروا الفلاسفة والمعتزلة - الذين يتأولون نصوص الصفات مطلقاً، ردوا عليهم، وأثبتوا لله الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحو ذلك من الصفات - وإذا ناظروا من يثبت صفات أخرى دل عليها الكتاب والسنة كالمحبة والرضا والغضب والفرح والضحك ونحو ذلك

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٨٨٣ – ٨٨٤ .

(٢) الإرشاد للجوينى ص ١٥٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تأولوها، وليس لهم فرق مضبوط بين ما يتأول وما لا يتأول، بل منهم من يحيل على العقل، ومنهم من يحيل على الكشف، فأكثر متكلميهم يقولون: ما علم الله ثبوته بالعقل لا يتأول، وما لم يعلم ثبوته بالعقل يتأول، ومنهم من يقول: ما علم ثبوته بالكشف والنور الإلهي لا يتأول، وما لم يعلم ثبوته بالعقل يتأول، وكلا الطريقين ضلال وخطأ من وجوه ...

وأما تناقضهم في العقليات : فلا يحصى ، مثل قولهم : إن الباري لا يقوم به الأعراض، ولكن تقوم به الصفات والأعراض في المخلوق هو عندهم صفة وهو عندهم عرض، ثم قالوا في الحياة ونحوها هي في حق الخالق صفات وليست بأعراض، إذ العرض هو ما لا يبقى زمانين، والصفة القديمة باقية ....

وكذلك قولهم: إن الله يرى كما ترى الشمس والقمر من غير مواجهة ولا معاينة وأن كل موجود يرى حتى الطعم واللون .

ومثل قولهم: إن القديم لا يجوز عليه الحركة والسكون ونحو ذلك لأن هذه لا تقوم إلا بمتحيز، وقالوا: إن القدرة والحياة ونحوهما يقوم بقديم غير متحيز. وجمهور العقلاء يقولون: إن هذا فرق بين المتماثلين.

وكذلك زعمهم أن قيام الأعراض التي هي صفات قائمة بالرب ولا تدل على حدوثه . (١)

٢ - ومن الأمثلة على تناقض الأشاعرة أنهم في مسألة الترجيح بلا مرجح مرة يقولون: إن القادر المختار يرجح أحد طرفي الممكن بلا مرجح، ومرة

(١) التسعينية ص ٢٥٧ – ٢٥٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقولون بعكس ذلك وأن القادر لا يرجح أحد طرفي الممكن إلا بمرجح، وسبب التناقض اختلاف الحالة التي يستدلون لها: فإنهم إن كانوا في موقع مناظرة الفلاسفة الدهرية حول حدوث العالم، ردوا عليهم بقولهم: إن القادر يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح، وقالوا: إن ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر بغير مرجح يصح من القادر المختار ولا يصح من العلة الواجبة "، ويلاحظ أن هذا جواب للمعتزلة أيضا يجيبون به الفلاسفة. وإن كانوا في موقع الرد على القدرية المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد وأن الله هو الخالق لها ردوا عليهم بقولهم:إنه لا يتصور ترجيح الممكن، لا من قادر ولا من غيره إلا بمرجح يجب عنده وجود الأثر . (١)

٣ - مسألة أصوات العباد، حيث إنهم حينما يردون على المعتزلة يقولون: إنها ليست فعلاً للعباد، فإذا جاءوا إلى مسألة القرآن قالوا: أصوات العباد فعل لهم وهذا تناقض .

٤ – في مسألة النبوات : من ذلك أن بعضهم يقول: إن دلالة المعجزة على التصديق معلومة بالاضطرار، ثم يقولون: إن الله لا يفعل لحكمة، وليست أفعاله تعالى معللة.، وهذا تناقض إذ كيف تدل المعجزة - التي هي من أفعال الله ومفعولاته - على صدق النبي، والله لا يفعل لحكمة أبداً ؟

٥ - ومن تناقضهم في هذا الباب قولهم عن المعجزات: إن الله لا يمكن أن يخلقها على يد كاذب، ثم يقولون: إن الله لا ينزه عن فعل أي ممكن، وأنه لا يقبح

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/٨٨٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه فعل، وحينئذ فيقال لهم قولكم متناقض لأنه إذا جاز أن يفعل الله القبيح جاز أن يخلق المعجزة على يد كذاب .

٦ - ومن الأمثلة على تناقضهم قولهم: إن أول الواجبات هو المعرفة أو النظر ثم يقولون لا واجب إلا بالشرع خلافاً للمعتزلة، وهذا تناقض بين .

٧ – تفريقهم بين نصوص الصفات ونصوص المعاد ، فتفريق الأشاعرة - وغيرهم - بينهما بإثبات هذا ونفي هذه تناقض، بل يلزمهم أن يقروا بكل ما ورد من الصفات كإقرارهم بنصوص المعاد، خاصة وأن نصوص الصفات أكثر، وهذا واضح جداً .

٨- تناقض الأشاعرة في دعواهم أن مذهب السلف هو التفويض مع دعواهم تعارض العقل والنقل .

هذه نماذج لتناقض الأشاعرة في مذهبهم، وفي أقوال أئمتهم، ولا شك أن وجود التناقض وكثرته يدل على ضعف المذهب، وضعف الأدلة التي بني عليها.

لاشك أن وجود هذا التناقض في المذهب وفي طرق الاستدلال له يؤدي إلى عدم الثقة فيه فإذا انضاف إلى ذلك تعظيم شيوخ المذهب وأنهم لا يمكن أن يقولوا إلا ما هو حق موافق للعقل؛ فإن الأمر يتطور إلى الشك والحيرة، والرجوع لمن هدى الله منهم .

فالشك والحيرة - خاصة في المسائل الكبار - من سمات أهل الكلام، وفي مقدمتهم أعلام الأشاعرة، - كالجوينى والرازي وغيرهم وعلى رأسهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأشعري كما تقدم – إن رجوع كثير منهم عما كان عليه وتعويله على الكتاب والسنة فيه دلالة قوية على بطلان ما كانوا عليه، وهو حجة قاطعة على أن تعويل السلف على النصوص الواردة عن الله وعن رسوله ﷺ لم يكن عن جهل بما عداها مما هو موجود في عهدهم من مذاهب اليونان وغيرها، وإنما كان نابعاً من اعتقاد جازم وإيمان عميق أن الهدى والرشاد والطمأنينة القلبية لن تكون إلا بإتباع الوحي المنزل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلب الثاني

من هم أهل السنة

لما كان أهل السنة، هم أصحاب رسول الله ﷺ ومن ابتعهم على ما كانوا عليه من الهدى .

ووجد كثير من الطوائف والفرق أن النجاة لا تكون إلا لمن كان على ما كانوا عليه لقوله ﷺ في حديث افتراق الأمة: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».(١)

لما كان الأمر كذلك ادعى كثير من الطوائف والفرق أنهم هم الفرقة الناجية وأنهم أهل الحق، وتسمى بعضهم باسم «أهل السنة».

فكل طائفة تدعي أنها الفرقة الناجية، وأن الحق معها .

- **أدعاء الشيعة الإمامية الرافضة :-**

تجعل نفسها الفرقة الناجية دون غيرها، وأنها هي المشار إليها في حديث الافتراق.، فقد نقل ابن المطهر الحلي عن شيخه النصير الطوسي أنه سئل عن المذاهب فقال: «بحثنا عنها وعن قول رسول الله ﷺ : ((ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية والباقي في النار)). وقد عين عليه السلام الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر حديث متفق عليه، وهو قوله: ((مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف غرق)).

(١) نقدم تخريجه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فوجدنا الفرقة الناجية هي: الفرقة الإمامية؛ لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد».

وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رداً متيناً مطولاً من ثمانية أوجه(١)، فأفاد وأجاد رحمة الله عليه، وقد بين في «الوجه الخامس» أن قوله ﷺ في حديث الافتراق عن الفرقة الناجية وهي «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وفي رواية: «هم الجماعة»، يناقض قول الإمامية ويقضي أنهم خارجون عن الفرقة الناجية، خارجون عن جماعة المسلمين يكفرون أو يفسقون أئمة الجماعة؛ كأبي بكر وعمر، وكذلك يكفرون أو يفسقون علماء وعباد الجماعة.

وبين رحمه الله أن الإمامية أبعد الناس عن سير الصحابة، وأجهلهم بحديث رسول الله وأعداهم لأهله من أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين.، ثم بين أن الوصف الوارد في الحديث لا ينطبق إلا على أهل السنة؛ لأنهم هم الذين على ما كان عليه الرسول ﷺ وهم أهل الجماعة الذين ما فرقوا دينهم وكانوا شيعاً. ثم بين في «الوجه السادس»أن الحجة التي احتج بها الطوسي على أن الإمامية هي الفرقة الناجية وهي قوله: «لأنهم باينوا جميع المذاهب»، بين رحمه الله أن هذه الحجة كذب في وصفها، كما هي باطلة في دلالتها .

ثم قال في «الوجه السابع»: إن مباينتهم لجميع المذاهب هو على فساد قولهم أدل منه على صحة قولهم، فإن مجرد انفراد طائفة عن جميع الطوائف لا يدل على أن - قولها - هو الصواب، واشتراك أولئك في قول لا يدل على أنه باطل .

(١) انظر : منهاج السنة ٣/ ٤٤٤ وما بعدها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكيف يتخذ الاختلاف والإغراق في الابتعاد عن الآخرين أساساً لنجاة ؟ ولو اتبعنا هذا الأساس لكان الإغراق في الإلحاد أساساً للنجاة ...

وأما استدلاله بحديث «سفينة نوح» فهو يتوقف على صحة الحديث، والحديث ضعيف جداً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٧١ : في إسناد البزار، الحسن بن أبي جعفر الجفري وفي إسناد الطبراني، عبد الله بن داهر وهما متروكان .، وضعفه الذهبي والألباني .

- **إدعاء المعتزلة :-**

يزعمون أنهم أهل الحق وأنهم الفرقة الناجية، يقول مقدمهم وكبيرهم عمرو بن عبيد للخليفة المنصور - وقد سأله أن يعينه بأصحابه : «أظهر الحق يتبعك أهله» -يريد المعتزلة -. فما على المنصور إذا أراد معونتهم إلا أن يرفع رايتهم ويظهر مذهبهم.، ويستدلون على أنهم الفرقة الناجية برواية محرفة لحديث الافتراق فقالوا: روى سفيان الثوري عن ابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ :«ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة»، ولعلهم شعروا بتفردهم بهذه الرواية فاتهموا سفيان بأنه قال لأصحابه: «تسموا بهذا الاسم لأنكم اعتزلتم الظلمة، فقالوا: سبقك بها عمرو بن عبيد وأصحابه - قالوا -: فكان سفيان بعد ذلك يروي: واحدة ناجية» .(١)

ولهؤلاء نقول : من مذهبكم عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في باب الاعتقاد، فكيف سوغتم لأنفسكم الاحتجاج بهذا الحديث مع اتهامكم راوية

(١) انظر : وسطية أهل السنة بين الفرق ١ /٥٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سفيان بأنه تصرف في الحديث بوضع عبارة مكان أخرى؟ ولكن، لا غرابة فإن إحدى علامات أهل البدع: أنهم يأخذون من السنة ما وافق أهواءهم، صحيحاً كان أو ضعيفاً، ويتركون ما لم يوافق أهواءهم من الأحاديث وإن صح وأخرجه الشيخان . (١)

ويزعم المعتزلة أنهم هم المتمسكون بالسنة والجماعة دون غيرهم مع قولهم بعدم حجية حديث الآحاد .

وهكذا سائر الطوائف والفرق، فما من طائفة إلا وتدعي أنها الناجية، وأن الحق معها، وتستكره النصوص على تأييد مذهبها، كما فعلت الشيعة والمعتزلة، كما أوضحنا ذلك.

- **إدعاء الأشاعرة : -**

لا يفتأ أئمة الأشاعرة يذكرون في كتبهم أنهم أهل السنة وأهل الحق، وأنهم هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية. وهذا أمر لا يخفى على من قرأ كتبهم .

قال الباقلانى في صفة الكلام التي خالفوا فيها السلف من أهل الحديث والسنة: «أعلم أن الله تعالى متكلم، له كلام عند أهل السنة والجماعة، وأن كلامه قديم ليس بمخلوق ولا مجعول ولا محدث بل كلامه قديم صفة من صفات ذاته، كعلمه وقدرته وإرادته ونحو ذلك».(٢)

ويقول البغدادي : «ولسنا نجد اليوم من فرق الأمة من هم على موافقة

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٦٨ .

(٢) انظر : الإنصاف ص١٠٨ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحابة رضي الله عنهم غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة ومتكلميهم الصفاتية، دون الرافضة، والقدرية» . (١)

ثم لما بين الأصول التي اجتمعوا عليها ذكرها على منهج الأشاعرة الكلابية، وفيها الكثير من المخالفة لمنهج السلف.

كقوله إن حديث الآحاد يوجب العمل دون العلم، وكقوله في نفي الحركة عن الله عز وجل، واقتصاره على إثبات سبع صفات الله عزك وجل، وكل ذلك على مذهب الأشاعرة والكلابية، أما أهل السنة من سلف الأمة فقولهم في كل ذلك على خلاف ما ذكر كما بيناه من خلال مباحث هذا الكتاب .

وقال الجوينى : في مقدمة كتابه لمع الأدلة : «هذا وقد استدعيتم -أرشدكم الله عز وجل- ذكر لمع من الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة»، ثم ذكر عقيدة الأشاعرة ، كقولهم في كلام الله أنه كلام نفسي ليس بحروف ولا صوت.(٢)

ولا تكاد تقرأ في كتاب من كتبهم إلا وقفت على إدعائهم أنهم أهل السنة والجماعة، ثم يقررون ما يخالف عقيدة أهل السنة وما كان عليه السلف والأئمة .

وهكذا نرى الأشاعرة يعلنون منذ نشأتهم وإلى اليوم أنهم هم أهل السنة، وأنهم الفرقة الناجية دون غيرهم .

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص٣٠٤ ت/محمد محى الدين .

(٢) انظر :وسطية أهل السنة بين الفرق ١/٥٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونراهم ينصون على سبب استحقاقهم هذا اللقب، وكونهم الفرقة الناجية. وهو: إتباعهم لسنة الرسول ﷺ وسنة أصحابه من بعده .

إذن إتباع ما كان عليه ﷺ وأصحابه، هو الضابط لاستحقاق لقب « **أهل السنة** » والفوز بالنجاة.، وهذا ضابط مهم لمعرفة أهل السنة من غيرهم؛ فهل التزم الأشاعرة بذلك وحققوا الإتباع كما ادعوا ؟

أم أنهم قدموا على السنة غيرها، وحكموا فيها العقل، وصرفوها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكرات التأويلات؟

طريق معرفة السنة وإدراكها : -

إذا كانت السنة هي ما كان عليه النبي ﷺ فلا شك أنه لا سبيل إلى معرفتها إلا بالنقل لا غير.، بالنقل الصحيح نعرف ما كان عليه الرسول ﷺ، ولا سبيل للعقل إلى ذلك البتة .

وبالإتباع لما جاء به النقل من ذلك تدرك السنة .

يقول إمام أهل السنة من غير منازع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول، والأهواء؛ إنما هي الإتباع، وترك الهوى».(١)

ويقول الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين (٣٢٤- ٣٩٩ هـ): «أعلم رحمك الله أن السنة دليل القرآن، أنها لا تدرك بالقياس، ولا تؤخذ بالعقول،وإنما

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى برقم ٣١٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هي في الإتباع للأئمة، ولما مشى عليه جمهور هذه الأمة».(١)

فما هو موقف الأشاعرة، من النقل؟ الذي هو السبيل الوحيد لمعرفة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .

إذا تأملنا كتب القوم، تجدهم يجعلون العقل هو الأساس، والنقل تبعًا له، ولا يخلوا النقل مع العقل من إحدى الحالات التي تقدم ذكرها في مبحث مصدر التلقي .

إن الأشاعرة في ماضيهم وحاضرهم، يقفون من النقل والسمع موقفًا ليس لهم سلف فيه إلا المعتزلة .

فقد جعلوا العقل أصلًا يرجع إليه، وجعلوا ما جاءت به الأنبياء تبعًا له؛ فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالفها ردوه، أو تأولوه على مقتضى عقولهم.

فهل هذا الموقف الذي اتخذه الأشاعرة من النقل بصفة عامة، ومن السنة بصفة خاصة، يؤهلهم لأن يكونوا هم أهل السنة؟ كيف وقد عد أهل العلم بالسنة من أهم ما يميز أهل السنة من أهل البدعة تقديم النقل والأثر والاحتكام إليهما؛ كما يقول أبو المظفر السمعاني: «وأعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو: مسألة العقل؛ فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الإتباع والمأثور تبعًا للمعقول .

وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الإتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول، لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله

(١) أصول السنة ١/ ٣٥ ت/ محمد بن عبد الله بن عيسى البخاري .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء» . (١)

وعدوا من أهم علامات أهل السنة أنهم عند التنازع يدعون إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال وعقولها؛ بينما أهل البدع يدعون إلى التحاكم إلى آراء الرجال ومعقولاتها . (٢)

وإذا تبين لك موقف الأشاعرة من قضية النقل، وما ترتب عليه من مخالفة السلف، وموافقة أهل البدع.

اتضح لنا أن دعوى الأشاعرة أنهم أهل السنة واعتبار أنفسهم الفرقة الناجية وزعمهم أنهم هم من بين فرق الأمة الذين على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه .، دعوى عريضة لم يستطيعوا أن يدللوا عليها؛ فهم لم يلتزموا بها .

- **هل الأشاعرة من أهل السنة ؟**

بتتبع كلام أهل العلم من علماء أهل السنة نجد أقوالهم في ذلك متفاوتة ما بين متشدد، دعاه لذلك ما وقف عليه من مخالفة القوم للسنة، وموافقتهم للجهمية والمعتزلة في بعض أقوالهم؛ فبدعهم وحذر منهم ولم ير استحقاقهم للقب «أهل السنة» الذي يدعونه .

وهذا هو مذهب جمهور أهل السنة والجماعة، وقد صرح به غير واحد، كالإمام أبو نصر السجزى صاحب كتاب الصوت والحرف، والإمام ابن بطة صاحب كتاب الإبانة الكبرى، ومحمد بن خويز منداد المالكى ، وأبو العباس بن

(١) الانتصار لأصحاب الحديث ص٨٢ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٦٢٧ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سريج الملقب بالشافعي الثاني، وأبو الحسن الكرجى، والإمام الهروى الأنصارى، ومن المتأخرين الشيخ/ابن سمحان ، والشيخ/عبد الله بن بطين وغيرهما .

وهناك من تساهل فعدهم من أهل السنة، لما رأى من موافقتهم للسنة في بعض المسائل ، وهو قول السفارينى المتوفى سنة ١١١٨ هـ حيث قال : أهل السنة والجماعة ثلاث فرق :

١ - الأثرية : وإمامهم أحمد بن حنبل .

٢ - والأشعرية : وإمامهم أبو الحسن الأشعري .

٣ - والماتريدية : وإمامهم أبو منصور الماتريدي .(١)

وبين هؤلاء وهؤلاء حاول بعض من أهل العلم التدقيق في المسألة والقول فيها بشيء من التفصيل .، وممن تبنى التفصيل العلامة /عبد العزيز بن باز رحمه الله ، والعلامة /صالح الفوزان حفظه الله .

قالوا : بأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه أهل السنة من أبواب الاعتقاد .، وليسوا من أهل السنة في باب الأسماء والصفات . (٢)

وهناك قول رابع اعتبرهم من أهل الإثبات وفرق بين أئمتهم المتقدمين ومتأخريهم .

(١) لوامع الأنوار البهية ١ /٧٣ .

(٢) انظر :وسطية أهل السنة بين الفرق ١ /٨٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يرى : أنهم يعدون من أهل الإثبات؛ لكونهم يثبتون بعض الصفات، وأنهم أقرب إلى أهل السنة من باقي الطوائف، على أنه يفرق بين أئمتهم المتقدمين وبين متأخريهم فعد المتقدمين أقرب إلى السلف وأهل السنة، وجعل المتأخرين أقرب إلى الجهمية والمعتزلة، لعظم موافقتهم لهم في كثير من أقوالهم .

يقول رحمه الله في معرض كلامه عن درجات الجهمية: «وأما الدرجة الثالثة فهم: الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية؛ لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية، أو غير الخبرية ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها، ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام.

ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضًا في الجملة لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول وذل كأبي محمد بن كلاب، ومن أتبعه وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف، وهؤلاء إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج، لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحضة. فإن هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعًا عظيمًا فيما يثبتونه من الصفات، وأما المتأخرون فإنهم والوا المعتزلة وقاربوهم وقدموهم على أهل السنة والإثبات وخالفوا أوليهم» .(١)

(١) انظر : الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/ ٤٠ – ٤٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول الدكتور /محمد باكريم محمد باعبد الله : لا يطلق عليهم أنهم أهل السنة أو من أهل السنة بإطلاق؛ لأنهم ليسوا على السنة المحضة في كثير من أمور السنة في الاعتقاد، ولا يطلق أنهم ليسوا من أهل السنة؛ لأنهم يدخلون في مسمى أهل السنة بالاعتبارات الآتية:

١ - هم من أهل السنة : بالمعنى العام لمصطلح أهل السنة، والذي يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام عدا الرافضة .

٢ - وهم من أهل السنة : في أمور العبادات والعمليات؛ لأن السنة تشمل أمور الاعتقاد والعبادة والأعمال .

والأشاعرة في أمور العبادات ليس لهم من الأقوال ما يخرجهم عن أهل السنة في الجملة .، فبهذه الاعتبارات يعد: الأشاعرة من أِهل السنة .

ولكن لما كان اسم «أهل السنة» إذ أطلق فهم منه أمور العبادات والاعتقادات جميعًا؛ بل هو بأمور الاعتقاد أخص، كما قال شيخ الإسلام في معنى «أهل السنة»: وقد يراد به أهل الحديث والسنة والمحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول القرآن غير مخلوق ، وإن الله يرى في الآخرة ، ويثبت القدر وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة.(١)

ورأينا الأشاعرة ليسوا على السنة المحضة في كل أبواب الاعتقاد، ومسائله التي ذكر الإمام أحمد طرفًا منها وبين أن من خالف فيها لا يعد من أهل السنة

(١) منهاج السنة ٢/١٦٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهل نقول: هم من أهل السنة؛ لأنهم وافقوا السنة في بعض أبواب ومسائل العقيدة، أم نسحب عنهم هذا الاسم لمخالفتهم للسنة في بعض المسائل والأبواب؟ هذا مناط الخلاف في كونهم من أهل السنة أو ليسوا من أهلها .(١)

وبعد أن ساق اختلاف العلماء وأقوالهم في كون الأشاعرة من أهل السنة من عدمه، قال : والذي أميل إليه: أن لا يقال: «الأشاعرة من أهل السنة» إلا بقيد، فيقال: هم من أهل السنة في كذا، في الأبواب التي لم يخالفوا فيها مذهب أهل السنة.

لأننا إذا أطلقنا القول بأنهم من «أهل السنة» التبس الأمر وظن من لا دراية له بحالهم أنهم على مذهب أهل السنة والسلف في كل خصال السنة، والواقع أنهم ليسوا كذلك؛ بل في أقوالهم ما يخالف السنة في كثير من أبواب الاعتقاد؛ فليسوا على السنة المحضة في كل اعتقاداتهم .

وإذا أطلقنا القول بأنهم ليسوا من أهل السنة ، كان ذلك حكمًا بأنهم خالفوا السنة في كل أبواب الاعتقاد، والأمر ليس كذلك فقد وافقوا أهل السنة في أبواب الصحابة والإمامة وبعض السمعيات .

فالعدل والإنصاف يقتضي أن يحكم على كل بما يستحق على ضوء ما رضي لنفسه من قول واختط من نهج . والله تعالى أعلم(٢)

قلت : إن الأشاعرة تلقوا واستمدوا من غير السنة ولم يوافقوها في النتائج

(١) انظر :وسطية أهل السنة بين الفرق ١/ ٨٦ .

(٢) انظر :المصدر السابق ١/ ٩٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكيف يكونون من أهلها .

فالحكم الصحيح في الأشاعرة : أنهم من أهل القبلة لاشك في ذلك، أما أنهم من أهل السنة فلا، وإلا فمما تاب أئمتهم كالجوينى والغزالي والرازي بعد الحيرة والشك ، فإذا كانوا على عقيدة أهل السنة والجماعة فعن أي شيء رجعوا؟ ولماذا رجعوا؟ وإلى أي عقيدة رجعوا؟

لاشك أنهم تابوا من مذهب أهل الكلام والبدعة، وعادوا إلى مذهب السلف والسنة .

ثم إن المراد بالسنة الطريقة المحمدية التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام وتابعوهم بإحسان قبل ظهور البدع وفشوها، فمن تأثر بشيء من الأهواء واستمسك بها لم يصح إطلاق هذا الوصف الجليل عليه.

فإنه لما أخبر النبي ﷺ صفة الفرقة الناجية بأنها« هم من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ».

صار المتمسكون بالإسلام الخالص من الشوائب والأهواء هم أهل السنة والجماعة ومن سواهم أهل البدعة والضلالة .

وبهذا يعلم أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة، كيف ومذاهبهم مخالفة لأهل السنة والجماعة في أمور كثيرة خطيرة .

إذا كيف يكون من أهل السنة من يقدم العقل على النقل .

كيف يكون من أهل السنة من يرد السنة ولا يأخذ بها .

كيف يكون من أهل السنة من ينفى علو الله على خلقه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف يكون من أهل السنة من ينفى صفات الله تعالى .

كيف يكون من أهل السنة من قال بقول المرجئة فى الإيمان .

كيف يكون من أهل السنة من قال بقول الجبرية فى أفعال العباد .

كيف يكون من أهل السنة من ينفى عن الله تعالى الحكمة .

كيف يكون من أهل السنة من خالف أئمة أهل السنة .

كيف يكون من أهل السنة من بنى أصوله على أصول أهل البدعة من الجهمية والمعتزلة .

كيف يكون من أهل السنة من اختلفت أقوالهم وتباينت في أصول السنة .

كيف يكون من أهل السنة من اضطربت أقوالهم في أصولهم .

إن الأشاعرة مخالفون لأهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وفي الإيمان وفي القدر وغير ذلك من كبار مسائل الاعتقاد، وإنما هم يعدون من مبتدعة أهل القبلة ومن محدثة المسلمين وعندهم من الخير والموافقة لأهل السنة والجماعة في بعض المسائل ما كانوا به أقرب من غيرهم ممن توغل في الإحداث والابتداع كالجهمية والمعتزلة وغيرهم .

هدانا الله وإياهم وجميع المسلمين إلى الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

تنبيه مهم :-

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد – يقصد اعتقاد أهل السنة - يجب أن يكون هالكاً فإن المنازع قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية، والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا، وقد لا يكون ناجيا، كما يقال من صمت نجا ».(١)

وفي كلام شيخ الإسلام هذا أبلغ جواب لما قد يستشكله الكثير في مسألة إخراج الأشاعرة أو غيرهم من أهل البدع من الفرقة الناجية ومن أهل السنة والجماعة، وأن ذلك يلزم منه أن يكونوا من أهل النار حتما ومن الهالكين يقينا.

ولا تلازم بين الأمرين على ما بينه شيخ الإسلام هنا إذ النص المتقدم ونحوه من نصوص الوعيد لا يدخل فيها من لم تبلغه الحجة ولم يتبين له السبيل مع إرادته للحق وتحريه له وقد يكون معه حسنات ماحية أو يكون متأولا أو يكون جاهلا معذورا أو نحو ذلك من الأعذار وعلى كل فحكمهم في الدنيا أنهم من أهل البدع والأهواء وأما يوم القيامة فمرجعهم إلى الله يحكم فيهم بمقتضى عدله وحكمته ولا يظلم ربك أحدا.

ثم يقال لمعشر الأشاعرة على الخصوص، أما لكم اسوة بإمامكم وشيخكم ومؤسس مذهبكم، ومن تدعون أنكم أتباعه وعلى طريقته فقد أبان الله له الجادة وهداه إلى الحق، وترك ما أنتم عليه الآن إلى مذهب أهل السنة والجماعة أحمد بن

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٧٩/٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حنبل قائل، فدونكم إن شئتم كتبه الثلاثة الأخيرة لتروا فيها رجوعه إلى الحق وتمسكه به. (١)

قال رحمه الله وغفر له في كتابه الإبانة ص٥٢: «فإن قال لنا قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحلولية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وجليل معظم وكبير مفخم وعلى جميع أئمة المسلمين».

فيقال للأشاعرة هذا إمامكم المقدم وشيخكم المبجل يسجل لكم رجوعه إلى الحق وتمسكه به في ورق مسطر وكلام محرر فهلا بكلام إمامكم اقتديتم وبما هدي إليه اهتديتم .

(١) انظر : زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه لعبد الرزاق البدر - ص ٣٦٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

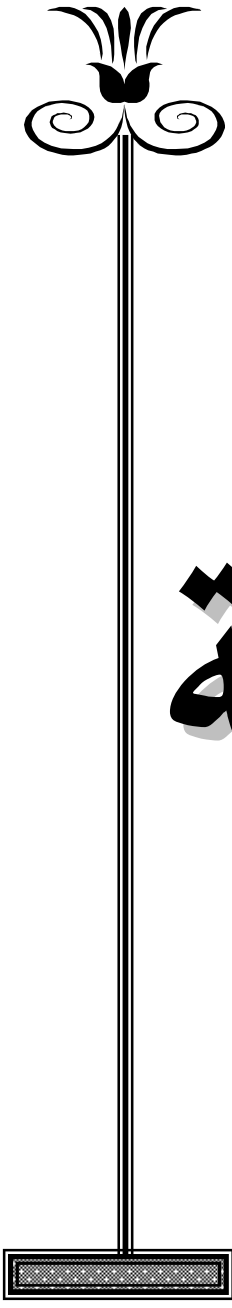

الخاتمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفى خاتمة هذا البحث ، وبعد عرض ومناقشة أهم مسائل العقيدة التي وقع الخلاف فيها بين السلف والأشاعرة ، اتضح لي الآتي :

- أن نشأة الاختلاف والتفرق في الأمة الإسلامية كان لعدة أسباب ومؤثرات خارجية وداخلية .

- أن للسلف الصالح منهج متميز في تلقى العقيدة وتقريرها ، وهو يقوم على أصول راسخة ، وقواعد متينة ، ولذلك تجدهم متفقون على جميع مسائل العقيدة والأصول ، وهذا وحده دليل كافٍ على صحت منهجهم .

- أن منهج الأشاعرة في العقيدة مبنى على خليط من أصول المتكلمين والفلاسفة، ولذلك تجدهم مختلفين في المسألة الواحدة ، وتجد المتأخرين يخالفون المتقدمين منهم ، وتجد لهم في المسألة أكثر من قول ورأى .

- أن كثير من الأشاعرة وقعوا في الحيرة والشك، وكثير منهم تاب وعاد إلى منهج السلف الصالح في تلقى العقيدة، وعلى رأسهم إمامهم أبى الحسن الأشعري .

- أن الأشاعرة وافقوا المعتزلة والجهمية في بعض الأصول، وخالفوا السلف الصالح في مصدر التلقي ، وتقرير الأصول .

- لم يثبت الأشاعرة إلا سبع صفات لله تعالى .

- الأشاعرة توافق المرجئة في مسألة الإيمان .

- الأشاعرة توافق الجبرية في أفعال العباد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- إثبات الأشاعرة للرؤية مع نفى الجهة والمقابلة، هو قول متناقض جعل المعتزلة يسخرون منهم ، والذي دفعهم إلى ذلك هو نفى صفة العلو لله تعالى .

- قالت الأشاعرة أن كلام الله تعالى نفسى ، وأنه معنى واحد قديم أزلى ، وليس له تعلق بمشيئة الله وقدرته، وأنه ليس بحرف ولا صوت ، وأن القرآن العربي عبارة عن كلام الله، وهو مخلوق أتى به جبريل أو محمد .

- أن السلف الصالح يقولون في الأشاعرة بالعدل والإنصاف ، ويعترفون بما معهم من الحق للمجتهد أو طالب الحق منهم، ويذمون الظالم والمتعصب ومن كان متبعاً للهوى .

هذا ملخص ما توصلت إليه في هذا البحث ، علماً بأن الأشاعرة قد خالفوا السلف في مسائل أخرى كثيرة لم أتعرض لها في هذا البحث ، وإنما اقتصرت على ذلك أهم مسائل الخلاف بينهم وبين السلف .

هذا وإنه لا يخفى على مسلم بصير ما تعيشه الأمة اليوم من الاختلاف والتفرق، وذلك بسب الخصومات المذهبية ، والحزبية الفكرية ، والتبعية الغربية، وإذا كان المسلمون اليوم يلتمسون الخلاص من هذه المحنة، والخروج من هذا المأزق، والرجوع بالأمة إلى وحدتها وعزتها ، فلا بد لهم من الرجوع إلى ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه الكرام .

ولا شك أن الإلتزام بما كان عليه النبي ﷺ وسلف الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الدين المهديين ، علماً وعملاً وفهماً وسلوكاً ، ظاهراً وباطناً ، هو السبيل الوحيد لتخليص الأمة مما هى فيه، والطريق الفريد إلى بر نجاتها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فحيهلا إلى هذا الجيل الفريد، الذين أخذوا عن النبي الأطهر الأكرم ﷺ العلوم التي صدرت من مشكاة نبوته في كل حين أكثر من أوراق الأشجار وعدد قطر الأمطار فأخذوا العلوم بأسرها وكمالها ، فوعوها وحفظوها حق الوعي والحفظ وصحبوا النبي ﷺ في السفر والحضر، وشهدوا معه الدعوة والجهاد والعبادات والمعاملات والمعاشرات فتعلموا الأعمال على طريقته بالمصاحبة، فهنيئاً لهم حيث أخذوا العلوم عنه بالمشافهة والعمل بها بلا واسطة، ثم لم يقتصروا على نفوسهم ، بل قاموا وبلغوا كل ما وعوه وحفظوه من العلوم والأعمال حتى ملأوا العالم بالعلوم الربانية والأعمال الروحانية ، فصار العالم دار العلم والعلماء ، والإنسان منبع النور والهداية، ومصدر العبادة والخلافة .

والأئمة المحدثين الذين قاموا بعلوم النبي ﷺ وأصحابه ، وبذلوا أعمارهم في نشرها وإشاعتها ، واحتاطوا فى ألفاظها وأسانيدها ، فميزوا الصحيح من الضعيف والمتصل من المنقطع، وبينوا علل الحديث وغوامضه .

والأئمة المجتهدين الذين كانوا حديث عهد بالنبي ﷺ وأصحابه ، وكانت حقائق الألفاظ القرآنية والأحاديث النبوية موجودة في أذهان الخاصة، والأعمال عليها مروجة في الأمة المحمدية .

هذا وما كان من توفيق فمن الله تعالى وما كان من خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان والله ورسوله من براء ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا ، والحمد لله رب العالمين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

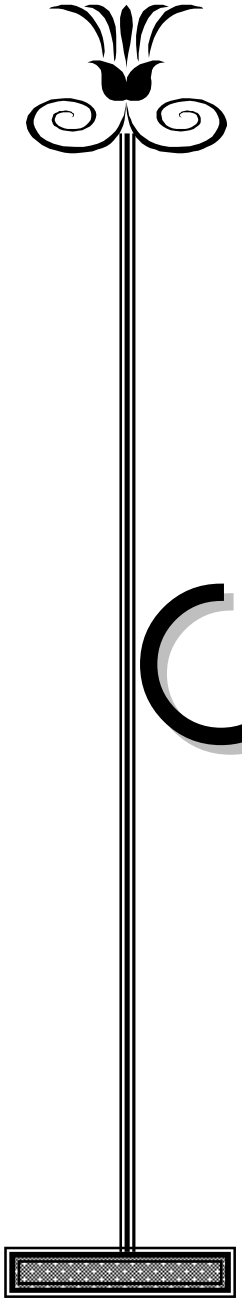

الفهارس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس المراجع و المصادر

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفاسير :-

١ - **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)** تأليف /أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ت/محمد حسين شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت .

٢ - **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)** تأليف/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ت/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر/ دار الكتب المصرية – القاهرة .

٣ - **مفاتيح الغيب (تفسير الرازى)** تأليف/أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤ - **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشرى)** تأليف/أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ،الطبعة الثالثة - ١٤٠٧ هـ ، دار الكتاب العربي – بيروت .

٥ - **روح المعاني (تفسير الألوسى)** تأليف/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، تحقيق/علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٦ - **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، تأليف/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر –

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٧- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تأليف/عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، بدون تاريخ .

٨- **المواهب الربانية من الآيات القرآنية** ، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى : ١٣٧٦هـ) تحقيق . د/عمر بن عبد الله المقبل، طبع بالتنسيق مع موقع الشيخ بتاريخ ١٤٣٢ هـ .

ثالثاً : كتب الحديث وشروحه :-

٩- **صحيح البخاري** ، للإمام / محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

١٠- **صحيح مسلم**، للإمام /مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١١- **سنن أبي داود** ، للإمام/ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

١٢- **سنن الترمذي** ، للإمام/ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ت/ بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، سنة ١٩٩٨ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣- **سنن ابن ماجه** ، للإمام/ ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية .

١٤- **السنن الصغرى للنسائي** ، للإمام/ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب .

١٥- **السنن الكبرى للنسائي** ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٦- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تصنيف/ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٧- **كتاب السنة** ، للإمام/ أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) تحقيق /محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت .، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ .

١٨- **كتاب السنة** ، للإمام/ أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) ت/سالم أحمد السلفي ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

١٩- **مسند البزار المسمى بالبحر الزخار** ، للإمام/ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٠- **مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر**، للإمام/ أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) ، اختصرها /العلامة أحمد بن علي المقريزي ، الناشر: حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢١- **تعظيم قدر الصلاة** ، للإمام المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ) ، تحقيق . د/عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ .

٢٢- **المصنف** ، للإمام/ أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر: المجلس العلمي- الهند ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ .

٢٣- **المصنف في الأحاديث والآثار**، للإمام/ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) ، ت/ كمال يوسف الحوت ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، لطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ .

٢٤- **المعجم الكبير**، للإمام/ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، ت/ حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٢٥- **مسند الشاميين** ، للإمام أبو القاسم الطبراني ، ت/ حمدي السلفي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٦- **مسند عبد بن حميد** ، للإمام/ أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ) الناشر: مكتبة السنة – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٢٧- **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)** ، للإمام / أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، ت/ حسين سليم أسد الداراني ، الناشر: دار المغني ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٨- **السنن الكبرى** ، للإمام/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٩- **شعب الإيمان** ، للإمام /أبو بكر البيهقي ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٣٠- **الإبانة الكبرى لابن بطة** ، للإمام / أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) ، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض .

٣١- **جامع بيان العلم وفضله** ، للإمام/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ، تحقيق: أبي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي، السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

٣٢- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، للإمام/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٣٣- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** ، للإمام/ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م .

٣٤- **صحيح ابن خزيمة** ، للإمام/ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) ، ت- د/ محمد مصطفى الأعظمي ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت .

٣٥- العظمة لأبى الشيخ ، للإمام/ أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ) ، تحقيق/ رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

٣٦- **مستخرج أبي عوانة** ، للإمام/ أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ) ، تحقيق/ أيمن بن عارف الدمشقي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٧- **المستدرك على الصحيحين** ، للإمام/ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م

٣٨- **مسند أبي داود الطيالسي** ، للإمام/ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

٣٩- **صريح السنة** ، للإمام/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، تحقيق/ بدر يوسف المعتوق ، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ .

٤٠- **بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار** ، للإمام/ أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: ٣٨٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٤١- **موطأ الإمام مالك** ، للإمام/مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، تحقيق/ بشار عواد معروف ، الناشر: مؤسسة الرسالة - سنة ١٤١٢ هـ .

٤٢- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، تأليف/ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، الطبعة الأولى - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٣- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، للشيخ الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، دار المعارف ، الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

٤٤- **صحيح أبي داود – الأم** ، للألباني -الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت .

٤٥- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، للألباني -الناشر: المكتب الإسلامي .

٤٦- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، للألباني -الناشر: المكتب الإسلامي .

٤٧- **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام** ، للألباني - الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٥هـ .

٤٨- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** ، للألباني - الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٤٩- **أحكام الجنائز** ، للألباني - الناشر: المكتب الإسلامي ، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٥٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلى** ، للإمام/ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) مجموعة محققين ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥١- **فتح الباري شرح صحيح البخاري لا حجر العسقلانى** ، للإمام/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(المتوفى:٨٥٢ هـ) ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة ١٣٧٩هـ .

٥٢- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** ، للإمام/أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٥٣- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، للإمام/ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ .

٥٤- **المتواري علي تراجم أبواب البخاري** ، للإمام/ أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني (المتوفى: ٦٨٣هـ) ت/صلاح الدين مقبول أحمد ، الناشر: مكتبة المعلا – الكويت ، بدون تاريخ .

٥٥- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، للإمام الحافظ أبى العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبى (المتوفى : ٦٥٦ هـ) مجموعة محققين ، طبعة دار ابن كثير – دار الكلم الطيب ، دمشق – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٥٦- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، للإمام/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ، سنة ١٣٨٧ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٧- **مشكل الحديث وبيانه**، للإمام/ محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ) تحقيق/ موسى محمد علي ، الناشر: عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م .

٥٨- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير** ، للإمام/ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ. ١٩٨٩م.

٥٩- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، للإمام/ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) ت/ حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي – القاهرة ، عام ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

٦٠- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ، للعلامة/ أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٦١- **الاستذكار** ، للإمام/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٦٢- **نيل الأوطار** ، للعلامة/ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث - مصر ، الطبعة الأولى١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٦٣- **جامع العلوم والحكم** ، للإمام/ أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) ، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعاً : كتب العقيدة والمذاهب :-

٦٤- **الفقه الأكبر** ، للإمام/ لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ) ، الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٦٥- **أصول السنة** ، للإمام/ أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) دار المنار - الخرج – السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

٦٦- **أصول السنة لابن أبى زمنين** ، تأليف/أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) ، تحقيق وتخريج وتعليق/عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ .

٦٧- **العقيدة رواية أبي بكر الخلال** ، للإمام/ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ت/عبد العزيز عز الدين السيروان ، الناشر: دار قتيبة – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٦٨- **شرح السنة للمزني** ، للإمام/ إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: ٢٦٤هـ) ت/ جمال عزون ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٦٩- **السنة** ، للإمام/ أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (المتوفى: ٢٩٠هـ) ت – د/ محمد بن سعيد بن سالم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القحطاني ، الناشر: دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٧٠- **شرح السنة** ، للإمام / أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (المتوفى: ٣٢٩هـ) .

٧١- **اعتقاد أئمة الحديث** ، للإمام/أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني (المتوفى: ٣٧١هـ) ت/ محمد بن عبد الرحمن الخميس ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٧٢- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل** ، للإمام/ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) ت/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، مكتبة الرشد - السعودية – الرياض ، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٣- **الشريعة للآجرى** ، للإمام/ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) دار الوطن - الرياض / السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٧٤- **الإيمان لابن منده** ، للإمام /أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ) ت – د/ علي بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٧٥- **التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده** ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه/ د - علي بن ناصر الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧٦- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد** ، للإمام/ أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ،تحقيق/ رشيد بن حسن الألمعي ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٧٧- **الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن** ، للإمام/ أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (المتوفى: ٢٤٠هـ) ت/ علي بن محمد بن ناصر الفقهي ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٧٨- **رؤية الله للدراقطنى** ، للإمام/ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) ، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن ، سنة ١٤١١ هـ .

٧٩- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** ، للإمام/ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ) تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر : دار طيبة – السعودية ، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٨٠- **شرح السنة للبغوى** ، للإمام/ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨١- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** ، للإمام/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ت/ أحمد عصام الكاتب ، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ .

٨٢- **الأسماء والصفات للبيهقي**، الناشر: مكتبة السوادي - جدة - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٨٣- **الإبانة عن أصول الديانة** ، للإمام/ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) ت- د/فوقية حسين محمود ، الناشر: دار الأنصار – القاهرة ، الطبعة: الأولى ١٣٩٧ هـ .

٨٤- **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب** ، للأشعري ، ت/عبد الله شاكر محمد الجنيدي ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة ١٤١٣هـ .

٨٥- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ، للأشعري ، ت/نعيم زرزور ، الناشر: المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٨٦- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ، للأشعري ، ت/هلموت ريتر ، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٨٧- **اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع** ، للأشعري ، تحقيق د/حموده غرابه - مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن، الناشر: مطبعة مصر – القاهرة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨٨- **التوحيد للماتريدى**، للإمام/ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ت- د/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية .

٨٩- **التبصير في معالم الدين** ، للإمام/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، ت/ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل ، الناشر: دار العاصمة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٩٠- **الانتصار لأصحاب الحديث** ، للإمام/ أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ، ت/محمد بن حسين الجيزاني ، مكتبة أضواء المنار – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٩١- **أحاديث في ذم الكلام وأهله** ، للإمام/ أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرىء (المتوفى: ٤٥٤هـ) ت/ الدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع ، دار أطلس للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٩٢- **الرد على الجهمية والزنادقة** ، للإمام/ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ت/ صبري بن سلامة شاهين ، دار الثبات للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى – بدون تاريخ .

٩٣- **الرد على الجهمية** ، للإمام/ أبو سعيد عثمان الدارمي ، تحقيق/ بدر بن عبد الله البدر ، دار ابن الأثير – الكويت ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩٤- **خلق أفعال العباد** ، للإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، (المتوفى: ٢٥٦هـ) ، ت- د/ عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية – الرياض .

٩٥- **كتاب القدر للفريابى** ، للإمام/ أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ) ت/ عبد الله بن حمد المنصور ، الناشر: أضواء السلف ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م .

٩٦- **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، للإمام/أبى عثمان عبد الرحمن بن إسماعيل الصابونى (المتوفى:٤٤٩ هـ) مكتبة ابن عباس – المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ /٢٠١٠ م .

٩٧- **الاقتصاد في الاعتقاد** ، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: ٦٠٠هـ) ت/أحمد بن عطية الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٩٨- **عقيدة الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي** ، ت/عبد الله بن محمد البصيري ، الناشر: مطابع الفردوس، الرياض – السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

٩٩- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، للإمام/ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة .

١٠٠- **الملل والنحل** ، للإمام/أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) ، الناشر: مؤسسة الحلبي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠١- **نهاية الإقدام في علم الكلام** ، للعلامة الشهرستاني ، تحقيق/ أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ .

١٠٢- **ذم التأويل** ، للإمام/أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ، ت/بدر بن عبد الله البدر ، الناشر: الدار السلفية – الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١٠٣- **متن العقيدة الطحاوية** ، للإمام/أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) بتعليق الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ .

١٠٤- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** ، للإمام/ إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) ت/محمد بن ربيع المدخلي ، دار الراية - السعودية / الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

١٠٥- **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل** ، للإمام/ محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) ت/ عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٠٦- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** ، للقاضي الباقلانى (المتوفى :٤٠٣ هـ) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠٧- **مجرد مقالات الأشعري** ، تأليف /شيخ المتكلمين محمد بن الحسن بن فورك (المتوفى: ٤٠٦ هـ) تحقيق د/أحمد عبد الرحيم السايح ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥ م .

١٠٨- **ذم الكلام وأهله** ، للإمام/ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ) ، ت/ عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٨م .

١٠٩- **العرش للذهبي** ، للإمام/شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ت/محمد بن خليفة التميمي ، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

١١٠- **إبطال التأويلات لأخبار الصفات** ، للإمام/ القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : ٤٥٨هـ) ت/ محمد بن حمد الحمود النجدي ، الناشر: دار إيلاف الدولية – الكويت .

١١١- **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة** ، للإمام/عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) ، ت – د/فوقية حسين محمود ، الناشر: عالم الكتب – لبنان ، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١١٢- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة** ، لإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى ، ت – د /محمد يوسف ، على عبد المنعم ، الناشر: مكتبة الخانجى – مصر ، ١٣٦٩ هـ /١٩٥٠ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١٣- **الاقتصاد في الاعتقاد** ، للإمام/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

١١٤- **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، أبو حامد الغزالي الطوسي ، ت/ بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر: الجفان والجابي – قبرص ، الطبعة: الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١١٥- **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار** ، للإمام/أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ) ت/سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١١٦- **أبكار الأفكار في أصول الدين** ، للإمام/علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي .

١١٧- **غاية المرام في علم الكلام** ، لسيف الدين الآمدي ، ت/حسن محمود عبد اللطيف ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .

١١٨- **شرح أسماء الله الحسنى** ، تأليف الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى : ٤٦٥ هـ)، الناشر: دار آزال - بيروت - الطبعة الثانية – ١٩٨٦م .

١١٩- **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري** ، للإمام/ ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ .

١٢٠- **معالم أصول الدين** ، للإمام/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ت/طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي – لبنان .

١٢١- **أساس التقديس** ، للإمام / فخر الدين الرازى ، ت/الدكتور أحمد حجازى السقا ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

١٢٢- **المطالب العالية من العلم الإلهي** ، للإمام/فخر الرازى ، ت/الدكتور أحمد حجازى السقا ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧ م .

١٢٣- **الأربعين في أصول الدين**، للإمام الرازى ، ت/الدكتور أحمد السقا ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

١٢٤- **أصول الدين** ، للإمام أبى المنصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى (المتوفى : ٤٢٩ هـ) ، طبعة مصورة عن دار الفنون التوركية باستانبول، الطبعة الثالثة ـ دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م

١٢٥- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، لعبد القاهر البغدادي التميمي الأسفراييني، (المتوفى: ٤٢٩هـ) ، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٢٦- **المواقف في العقائد** ، للقاضي أبو الفضل عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، الناشر : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م ، تحقيق – د/عبد الرحمن عميرة .

١٢٧- **الكشف عن منهاج الأدلة فى عقائد الملة** ، لأبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ) ، تحقيق - د/ محمود قاسم ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م .

١٢٨- **مجموع الفتاوى** ، للإمام/ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

١٢٩- **درء تعارض العقل والنقل** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٣٠- **الفتاوى الكبرى** ، لشيخ الإسلام لابن تيمية ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

١٣١- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت – د /ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت - لبنان ، الطبعة السابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

١٣٢- **الاستقامة** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت- د/ محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣٣- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت/موسى الدويش ، الناشر: مكنية العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

١٣٤- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت/ محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٣٥- **الإيمان** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت/محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن ، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

١٣٦- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر: دار العاصمة – السعودية ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

١٣٧- **الاحتجاج بالقدر** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق/الألبانى، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ .

١٣٨- **شرح العقيدة الأصفهانية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت/ محمد بن رياض الأحمد ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ .

١٣٩- **التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ت – د/ محمد بن عودة السعوي ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

١٤٠- **التسعينية** ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق/ محمد إبراهيم العجلان ، الناشر : دار المعارف ، الطبعة الأولى : ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٤١- **الرسالة الصفدية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق . د/ محمد رشاد سالم ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ .

١٤٢- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة** ، للعلامة/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ت/ علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر: دار العاصمة، الرياض - السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

١٤٣- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** ، اختصره / محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، ت/سيد إبراهيم ، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١٤٤- **اجتماع الجيوش الإسلامية** ، للعلامة ابن القيم ، تحقيق/ عواد عبد الله المعتق ، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٤٥- **بدائع الفوائد** ، للعلامة/ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

١٤٦- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** ، لشمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان ، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

١٤٧- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** ، لشمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٤٨- **متن القصيدة النونية (الكافية الشافية)** ، لشمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ .

١٤٩- **شرح العقائد النسفية** ، للعلامة/سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: ٧٩٣هـ) ، مكتبة الكليات الأزهرية - الأزهر – القاهرة ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٥٠- **شرح طوالع الأنوار** ، للإمام أبى الثناء شمس الدين بن محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى (المتوفى: ٧٤٩ هـ) الناشر : دار الكتبى ، بدون تاريخ .

١٥١- **شرح عقيدة الغزالى** ، لسيد أحمد زروق ، تحقيق د/محمد عبد القادر نصار ، الناشر : دار الكرز – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .

١٥٢- **شرح أم البراهين** ، لأبى عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسى (المتوفى : ١٣١٨ هـ) الناشر: مطبعة الاستقامة ، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ .

١٥٣- **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد** ، للشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجورى (المتوفى : ١٢٧٧ هـ) تحقيق /عبد الله محمد الخليلي ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٤ م .

١٥٤- **شرح العقيدة الطحاوية** ، للعلامة /صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية ، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٥٥- **شرح العقيدة الطحاوية** ، للعلامة / ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة العاشرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٥٦- **إثبات صفة العلو** ، للإمام/ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : ٦٢٠هـ) ت/أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، الطبعة : الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

١٥٧- **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، للعلامة ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) تحقيق/ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

١٥٨- **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق** ، للعلامة ابن الوزير، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

١٥٩- **الاعتصام للشاطبي** ، للإمام/إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) ت/سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

١٦٠- **العين والأثر في عقائد أهل الأثر** ، تأليف /عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي الأزهري الدمشقيّ، تقيّ الدين، ابن فَقِيه فُصَّة (المتوفى: ١٠٧١هـ) ت/عصام رواس قلعجي، الناشر: دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦١- **شرح الخريدة البهية** ، للعلامة/أبى البركات أحمد بن محمد الدردير (المتوفى : ١٢٠١ هـ) تحقيق/مصطفى رشوان ، الناشر: دار البصائر – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ /٢٠١٠ م .

١٦٢- **غاية الأماني في الرد على النبهاني** ، للعلامة /أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ) ت/أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

١٦٣- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية** ، للعلامة/ شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) ، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٦٤- **شرح الصدور بتحريم رفع القبور**، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٨هـ .

١٦٥- **ابن الحنبلي وكتابه الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة**، (رسالة ماجستر/لعلى بن عبد العزيز بن على الشبل) دراسة وتحقيق وتعليق .، طبعة مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع .

١٦٦- **شرح الأصول الخمسة** ، للقاضي أبى الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمدانى الأسد أبادى المعتزلى (المتوفى: ٤١٥ هـ) ، تحقيق - د/فيصل بدر عون ، الناشر: لجنة التأليف والتعريب والنشر بجامعة الكويت ، الطبعة الأولى – ١٩٩٨ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦٧- **المجموع في المحيط بالتكليف** ، للقاضي عبد الجبار المعتزلى ، تحقيق / يان يترس ، الناشر: دار المشرق – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م

١٦٨- **المغنى في أبواب التوحيد والعدل** ، للقاضي عبد الجبار المعتزلى ، ت/خضر محمد نبها ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

١٦٩- **التجسيم عند المسلمين – مذهب الكرامية** ، تأليف /سهير محمد مختار ، الناشر: شركة الأسكندرية للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م .

١٧٠- **لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول** ، لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي المالكي (المتوفى: ٦٢٦ هـ) ، دار الأنصار – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م بتحقيق- د/ فوقية حسين محمود .

١٧١- **صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام** ، للعلامة جلال الدين السيوطي ، تحقيق د. علي سامي النشار ، د. سعاد علي عبد الرازق ، دار النصر للطباعة – القاهرة .

١٧٢- **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها** ، تأليف / عواد بن عبد الله المعتق ، الناشر: مكتبة الرشاد – الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ /١٩٩٥ م .

١٧٣- **موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة** ، تأليف /سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن ، الناشر : دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ /١٩٩٦ م .

١٧٤- **أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية** ، تأليف – د/عائشة يوسف عمر المناعى ، الناشر : دار الثقافة - ١٩٩١ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٧٥- **مفهوم العدل فى تفسير المعتزلة للقرآن الكريم** ، تأليف الدكتور/محمود كامل أحمد ، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٨٣ م .

١٧٦- **الباعث على إنكار البدع والحوادث** ، للعلامة/أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ) ، ت /عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

١٧٧- **الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع** ، للعلامة/عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ت/ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني ، الناشر: مطابع الرشيد ، عام النشر: ١٤٠٩ هـ .

١٧٨- **السنن والمبتدعات** ، تأليف/محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى: بعد ١٣٥٢هـ) ت/ محمد خليل هراس ، الناشر: دار الفكر .

١٧٩- **الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً** ، للعلامة/محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ، مايو ١٩٧٣م .

١٨٠- **منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات** ، للعلامة الشنقيطي ، الناشر: الدار السلفية – الكويت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٨١- **مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي** ، حققه واختصره/العلامة محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٨٢- **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى** ، للعلامة/محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

١٨٣- **الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع** ، للعلامة / محمد العثيمين ، الناشر: طبع على نفقة فاعل خير، بموجب تصريح من وزارة الإعلام بجدة ، ١٤١٠ هـ .

١٨٤- **شرح العقيدة الواسطية** ، للعلامة/ بن العثيمين ، ت/سعد فواز الصميل ، الناشر: دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية ، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ .

١٨٥- **شرح العقيدة الواسطية** ، للشيخ/عبد الرحيم بن العلياني السلمي ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

١٨٦- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة** ، إعداد /الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠ هـ .

١٨٧- **تبسيط العقائد الإسلامية** ، تأليف/حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار الندوة - بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٨٨- **موقف ابن تيمية من الأشاعرة** ، تأليف/عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

١٨٩- **مناظرات ابن تيمية لأهل الملل والنحل**، جمع وتعليق د/عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، الناشر: مطابع أضواء المنتدى ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

١٩٠- **مصطلحات في كتب العقائد** ، تأليف /محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد ، الناشر: دار بن خزيمة ، الطبعة الأولى – بدون تاريخ .

١٩١- **الإيمان بين السلف والمتكلمين** ، تأليف/أحمد بن عطية بن علي الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م .

١٩٢- **شرح العقيدة الطحاوية** ، للشيخ /عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك ، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس ، الناشر: دار التدمرية ، الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

١٩٣- **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق** ، تأليف /سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ) الناشر: دار طيبة، الرياض - السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

١٩٤- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ، تأليف الشيخ/حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧هـ) ت/ عمر بن محمود أبو عمر ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٩٥- **القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد** ، تأليف /عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، الناشر: دار ابن القيم، الدمام- السعودية / دار ابن عفان، القاهرة، مصر ، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

١٩٦- **أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة** ، تأليف/ سعود بن عبد العزيز الخلف ، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، الطبعة:الأولى ١٤٢٠هـ .

١٩٧- **توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية** ، تأليف /محمد بن عبد الرحمن الخميس ، الناشر: دار الصميعي، الرياض - السعودية ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م .

١٩٨- **الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه** ، تأليف / محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: ١٤١٥هـ) ، الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ .

١٩٩- **صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة** ، للشيخ/علوي بن عبد القادر السَّقَّاف ، الناشر : الدرر السنية - دار الهجرة ، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م .

٢٠٠- **اعتقاد الأئمة الأربعة** ، تأليف/محمد بن عبد الرحمن الخميس ، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٢٠١- **الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها** ، تأليف/محمد بن خليفة التميمي ، الناشر: أضواء السلف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٠٢- **الأشاعرة في ميزان أهل السنة**، تأليف / فيصل بن قزار الجاسم، الناشر: المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة - الكويت ، الطبعة الأولى١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٠٣- **الفروق بين الأشاعرة والماتريدية** ، إعداد: د. حمود إبراهيم حمود السلامه ، ملتقى أهل الحديث .

٢٠٤- **وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراة)** ، تأليف/محمد با كريم محمد با عبد الله ، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

٢٠٥- **رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها** ، تأليف د/أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ /١٩٩١ م ، الناشر : جامعة أم القرى – السعودية .

٢٠٦- **عقائد الأشاعرة** ، تأليف / مصطفى باحو ، تقديم الشيخ / محمد بو خبزه الحسينى ، الناشر : المكتبة الإسلامية – عين شمس - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ /٢٠١٢ م .

٢٠٧- **بحث في أفعال العباد عند الفرق الإسلامية** ، تأليف الدكتور/سعد عبد الله عاشور الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة .

٢٠٨- **الحكمة والتعليل فى أفعال الله تعالى** ، تأليف د/محمد ربيع هادى المدخلى ، الناشر : مكتبة لينه – دمنهور ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ /١٩٨٨ م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٠٩- **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام**، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت .

٢١٠- **الماتريدية دراسة وتقويماً** ، تأليف – د/أحمد بن عوض الله الحربى ، الناشر: دار الصميعى – الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠ م .

٢١١- **عقيدة الأشاعرة دراسة نقدية لجوهرة التوحيد** ، رسالة ماجستير تأليف/حسان بن إبراهيم الرديعان ، الناشر: دار التوحيد للنشر – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ /٢٠١١ م .

٢١٢- **منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى** ، تأليف/خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥م .

٢١٣- **تفنيد أهل السنة والجماعة لمذهب الأشاعرة** ، تأليف/السيد أحمد أبو سيف ، الناشر : مكتبة السنة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ /٢٠٠٩ م

٢١٤- **الشروح الوافية على العقيدة الطحاوية** ، جمعه ورتبه /السيد أحمد أبو سيف ، الناشر : مكتبة الإيمان – المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧ م .

٢١٥- **الانتصار لأهل السنة والحديث** ، تأليف /عبد المحسن العباد البدر ، الناشر: دار الفضيلة – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

٢١٦- **شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي** ، تأليف/عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: غراس للنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢١٧- **المفيد في مهمات التوحيد** ، تأليف الدكتور/ عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، الناشر: دار الأعلام - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ .

٢١٨- **إتباع لا ابتداع - قواعد وأسس في السنة والبدعة** ، تأليف /حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة ، الطبعة: الثانية مصححة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، بيت المقدس – فلسطين .

٢١٩- **البدع الحولية** ، تأليف/عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري ، الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٢٠- **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام** ، تأليف – د/غالب بن علي عواجي ، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية – جدة ، الطبعة: الرابعة١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٢٢١- **مقالة التعطيل والجعد بن درهم**، تأليف/محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ /١٩٩٧م .

٢٢٢- **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة** ، تأليف /عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، قدم له الدكتور: عبد الرحمن بن صالح ، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٢٢٣- **الرد الأسنى على منكري الأسماء الحسنى** ، تأليف /مجدي قاسم – محمد جبر ، الناشر : مكتبة الإيمان – المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ /٢٠١١ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٢٤- **رؤية النبي ﷺ لربه** ، تأليف /محمد بن خليفة بن علي التميمي ، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

٢٢٥- **كبرى اليقينيات الكونية** ، تأليف الدكتور/محمد سعيد رمضان البوطى ، الناشر : دار الفكر – دمشق ، دار الفكر – بيروت لبنان ، الطبعة الثامنة ١٤١٧ هـ /١٩٩٧ م .

٢٢٦- **أصول وتاريخ الفرق الإسلامية** ، جمع وترتيب /مصطفى بن محمد بن مصطفى ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٢٧- **تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد** ، تأليف الشيخ الإمام /محمد أبو زهرة، الناشر : دار الفكر العربي – القاهرة، بدون تاريخ أو طبعة .

٢٢٨- **نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام** ، تأليف الدكتور/على سامى النشار ، الناشر: دار المعارف – ١٩٩٥ م .

٢٢٩- **المعتزلة بين القديم والحديث** ، تأليف /محمد العبده – طارق عبد الحليم ، الناشر: دار الأرقم – برمنجهام ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٢٣٠- **مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة** ، تأليف الدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ، الناشر: دار الوطن – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ

٢٣١- **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة** ، تأليف/ إبراهيم بن محمد البريكان رحمه الله، الناشر : دار ابن القيم - الرياض ، دار ابن عفان -القاهرة ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م .

٢٣٢- **شرح القواعد السبع من التدمرية** ، للشيخ /يوسف محمد الغفيص ، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٣٣- **عقيدة الإسلام والإمام الماتريدى** ، تأليف الدكتور/أبو الخير محمد أيوب البنغلاديشى، الناشر : المؤسسة الإسلامية ، الطبعة الأولى – ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

خامساً : كتب أصول الفقه :-

٢٣٤- **الرسالة** ، للإمام /الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) تحقيق/أحمد شاكر ، الناشر: مكتبه الحلبي – مصر ، الطبعة: الأولى ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

٢٣٥- **الأم** ، للإمام الشافعى ، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، بدون طبعة ، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

٢٣٦- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** ، للإمام /أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) ت /طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة ١٤١٤ هـ /١٩٩١ م .

٢٣٧- **الفروق** ، للإمام/أسعد بن محمد بن الحسين، أبو المظفر، جمال الإسلام الكرابيسي النيسابوري الحنفي (المتوفى: ٥٧٠هـ) ت – د/ محمد طموم ، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢٣٨- **تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية**، تأليف /محمد علي بن حسين المالكي ، مفتى المالكية بمكة المكرمة (المتوفى : ١٣٦٧ هـ)،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو حاشية على شرح ابن الشاط لكتاب الفروق للقرافى ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ /١٩٩٨ م .

٢٣٩- **الإحكام في أصول الأحكام** ، للإمام/أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ت /الشيخ أحمد محمد شاكر ، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت .

٢٤٠- **النبذة الكافية في أحكام أصول الدين** ، للإمام/ابن حزم الظاهري القرطبي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

٢٤١- **الفقيه والمتفقه** ، للحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ت/عادل العزازى ، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية ، الطبعة: الثانية ١٤٢١هـ .

٢٤٢- **الاجتهاد (من كتاب التلخيص لإمام الحرمين)** ، للإمام/عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) ت – د/ عبد الحميد أبو زنيد ، الناشر: دار القلم ، دارة العلوم الثقافية - دمشق ، بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٤٣- **البرهان في أصول الفقه** ، لأبى المعالى الجوينى (المتوفى: ٤٧٨هـ) ، تحقيق/صلاح بن محمد بن عويضة ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٢٤٤- **المعتمد في أصول الفقه** ، لمحمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (المتوفى: ٤٣٦هـ) تحقيق /خليل الميس ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٤٥- **المنخول من تعليقات الأصول** ، للإمام/أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، دار الفكر دمشق – سورية ، الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٢٤٦- **المستصفى** ، لأبو حامد الغزالي الطوسي ، ت/ محمد عبد السلام عبد الشافي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٢٤٧- **المحصول** ، للإمام/أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٢٤٨- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** ، للإمام/محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق/محمد عبد السلام إبراهيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٢٤٩- **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه** ، للإمام/علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٢٥٠- **جمع الجوامع في أصول الفقه** ، للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن على السبكي (المتوفى : ٧٧١ هـ) تحقيق/عبد المنعم خليل إبراهيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣ م .

٢٥١- **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول** ، للعلامة/محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ت/ أحمد عزو ، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٥٢- **منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز** ، للعلامة/محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي - جدة ، بإشراف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، الناشر : دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .

٢٥٣- **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة** ، تأليف /محمد بن حسين بن حسن الجيزاني ، الناشر: دار ابن الجوزي ، الطبعة الخامسة ١٤٢٧ هـ .

سادساً : كتب التاريخ والتراجم والطبقات :-

٢٥٤- **الأنساب** ، تأليف /عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ) ، تحقيق/عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .

٢٥٥- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام** ، للحفظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ت/الدكتور بشار عوّاد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٣ م .

٢٥٦- **سير أعلام النبلاء** ، للحافظ شمس الدين الذهبي ، الناشر: دار الحديث- القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

٢٥٧- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، للحافظ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(المتوفى: ٧٤٢هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م .

٢٥٨- **البداية والنهاية** ، للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٥٩- **مناقب الإمام أحمد** ، تأليف/ الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي ، ت . د/عبد الله بن عبد المحسن التركى، الناشر : هجر للطباعة والنشر - القاهرة ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

٢٦٠- **مقدمة ابن خلدون** ، تأليف /عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين أبو زيد الحضرمى (المتوفى: ٨٠٨ هـ) ، تحقيق /عبد الله محمد الدرويش ، الناشر: دار يعرب – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٢٦١- **تهذيب الأسماء واللغات** ، للإمام /أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) عنيت به/ شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٢٦٢- **الأعلام للزركلى** ، تأليف/ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - ٢٠٠٢ م .

سابعاً : كتب اللغة والمعاجم :-

٢٦٣- **تهذيب اللغة**، للإمام /محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ت/محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٢٦٤- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، للإمام/أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٢٦٥- **المحكم والمحيط الأعظم** ، لأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، ت/عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٦٦- **المفردات في غريب القرآن**، للإمام/أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ت/صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ .

٢٦٧- **مختار الصحاح** ، للعلامة/زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت ، الطبعة: الخامسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٢٦٨- **لسان العرب** ، للعلامة/محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ .

٢٦٩- **كتاب التعريفات** ، تأليف /علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٧٠- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** ، تأليف /أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت .

٢٧١- **القاموس المحيط** ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق/مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٧٢- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ت/مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية – بدون تاريخ .

٢٧٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، للعلامة /مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٧٤- **أبجد العلوم** ، للعلامة/أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) الناشر: دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م .

ثامناً : كتب عامة :-

٢٧٥- **شأن الدعاء** ، للإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) ت/أحمد يوسف الدّقاق ، الناشر: دار الثقافة العربية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٧٦- **ميزان العمل** ، للإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) حققه / الدكتور سليمان دنيا ، الناشر: دار المعارف - مصر ، الطبعة الأولى ١٩٦٤ هـ .

٢٧٧- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** ، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مطبعة المدني – القاهرة .

٢٧٨- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، للإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م .

٢٧٩- **الأذكار للنووي** ، للإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: الجفان والجابي - دار ابن حزم للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

٢٨٠- **تلبيس إبليس** ، للإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

٢٨١- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، للعلامة أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

٢٨٢- **مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى** ، تأليف /حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي التميمي الحنبلي (المتوفى: ١٢٢٥هـ) الناشر: دار ثقيف للنشر والتأليف – الطائف ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٨٣- الوسائل إلى معرفة الأوائل ، تأليف /عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطي (المتوفى : ٩١١ هـ) ، مخطوطة .

- **الموسوعة الحرة ويكيبيديا – شبكة الانترنت .**
- **موقع أهل الحديث على شبكة الانترنت .**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

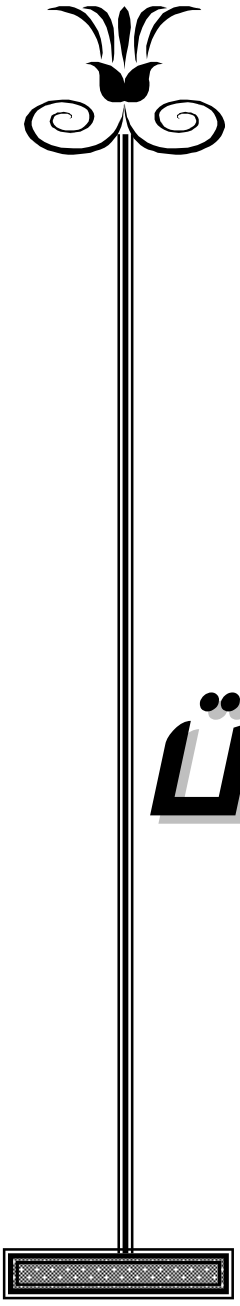

فهرس الموضوعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس الموضوعات

- مقدمة التصنيف ٣
- تمهيد وفيه مطلبان ١١
- **المطلب الأول** : نشأة الفرق الإسلامية . ١٥
- الشيعة ١٧
- الخوارج ١٨
- المرجئة ١٩
- القدرية ٢٠
- الجهمية ٢١
- المعتزلة ٢٣
- الماتريدية ٢٥
- **المطلب الثاني** : تعريف العقيدة والسنة والبدعة . ٢٨
- تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً ٢٨
- تعريف السنة لغة واصطلاحاً ٣٢
- العلاقة بين مسمى العقيدة والسنة ٣٣
- تعريف البدعة لغة واصطلاحاً ٣٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أسباب نشأة البدع ٤٩

- أسباب انتشار البدع ٤٩

- حكم البدعة في الدين ٥٠

المبحث الأول :- التعريف بعلم الكلام، وفيه مطلبان . ٥٣

- **المطلب الأول** : التعريف بعلم الكلام ونشأته . ٥٤

- أولاً : تعريف علم الكلام . ٥٤

- ثانياً : نشأة علم الكلام . ٥٥

- **المطلب الثاني** : ذم الأئمة الأعلام لعلم الكلام . ٦٢

المبحث الثاني :- التعريف بكلا المذهبين ، وفيه مطلبان . ٧١

- **المطلب الأول** : التعريف بالسلف ومنهجهم العقدى . ٧٢

- أولاً : التعريف بالسلف لغة واصطلاحاً . ٧٢

- أسماء السلف الصحيحة الذي أطلقت عليهم . ٧٦

- ثانياً : منهج السلف العقدي . ٧٦

- مزايا وخصائص المنهج السلفي ٧٨

- أشهر الأئمة من السلف الصالح ٨٠

- أهم مؤلفات أهل السنة في بيان العقيدة السلفية ٨١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **المطلب الثاني** : التعريف بالأشاعرة وبيان معتقدهم ، ويشتمل على محورين . ٨٤
- المحور الأول : نشأة المذهب الأشعري وتطوراته . ٨٤
- أولاً : نشأة المذهب الأشعري . ٨٤
- ثانياً : تطورات المذهب الأشعري . ٨٨
- المحور الثاني : معتقد الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين . ٩٧
- مجمل اعتقاد الأشاعرة ٩٨
المبحث الثالث : - مصدر التلقي بين السلف والأشاعرة ، وفيه خمسة مطالب . ١٠٢
- **المطلب الأول** : مصدر التلقي عند السلف . ١٠٣
- أقوال السلف في الحث على التمسك بالكتاب والسنة ١٠٦
- **المطلب الثاني** : مصدر التلقي عند الأشاعرة . ١١٠
- **المطلب الثالث** : مدار العقل بين السلف والأشاعرة . ١١٦
- بيان عدم تعارض العقل والنقل ١١٨
- **المطلب الرابع** : الأخبار بين السلف والأشاعرة . ١٢٥
- **مسألة** : حجية خبر الآحاد وأنه يفيد العلم والعمل ١٢٨
- **المطلب الخامس** : التأويل والتفويض بين السلف والأشاعرة ، ويشتمل على محورين . ١٣٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- المحور الأول : التأويل بين السلف والأشاعرة . ١٣٧
- معنى التأويل عند الأشاعرة ١٣٧
- **مسألة** : المجاز عند الأشاعرة والمتكلمين . ١٣٨
- المجاز في اللغة العربية ١٣٩
- المجاز في القرآن الكريم ١٤٠
- فإنْ قيل: إذا منعتم المجاز في آيات الصفات فما معنى الحقيقة فيها ؟ ١٤٢
- معنى التأويل عند السلف ١٤٣
- المحور الثاني : التفويض بين السلف والأشاعرة . ١٤٧
- أولاً : التفويض عند الأشاعرة . ١٤٧
- ثانياً : معنى التفويض عند السلف . ١٥٠
- ردود العلماء على من قال طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ١٥١
- رد شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥١
- رد العلامة ابن الوزير ١٥١
- رد العلامة السفارينى ١٥٢
- رد العلامة أبو الثناء الألوسى ١٥٣
- رد العلامة صالح العثيمين ١٥٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- رد العلامة الشنقيطى ١٥٤

المبحث الرابع :- الإيمان والمعرفة بين السلف والأشاعرة ، وفيه أربعة مطالب . ١٥٥

- **المطلب الأول** : الإيمان بين السلف والأشاعرة . ١٥٦

- **المسألة الأولى** : معنى الإيمان وحقيقته . ١٥٨

- أولاً : معنى الإيمان لغة . ١٥٨

- معنى الإيمان فى الاصطلاح الشرعي ١٥٩

- معناه الاصطلاحي عند الاشاعرة ١٥٩

- ومما تقدم يتلخص لنا أن عقيدة الأشاعرة في معنى الإيمان وحقيقته ما يأتي ١٦٤

- معنى الإيمان الاصطلاحي عند السلف ١٦٥

- أقوال أئمة السلف ١٦٦

- أدلة اعتقاد القلب ركن من الإيمان ١٧٢

- أدلة إقرار اللسان ركن من الإيمان ١٧٣

- أدلة ركنية الأعمال ١٧٤

- **المسألة الثانية** : زيادة الإيمان ونقصانه . ١٧٥

- من قال من الأشاعرة بأنه لا يزيد ولا ينقص مطلقاً ١٧٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- من قال من الأشاعرة بأنه يزيد ولا ينقص ١٧٧

من وافق السلف من الأشاعرة فقال بأنه يزيد وينقص ١٧٧

- **المطلب الثاني** : أول واجب على المكلف . ١٨٣

- مذهب الأشاعرة ١٨٤

- مذهب السلف ١٨٩

- **المطلب الثالث** : حكم إيمان المقلد . ١٩٨

- تعريف التقليد ١٩٨

- أقوال الأشاعرة فى إيمان المقلد ١٩٩

- إنكار السلف عليهم ٢٠٠

- **المطلب الرابع** : أدلة وجود الله بين السلف والأشاعرة . ٢٠٤

- أولاً : بيان منهج الأشاعرة فى إثبات وجود الله . ٢٠٤

- نقد تأصيل الأشاعرة ٢٠٩

- ثانياً : بيان منهج السلف فى إثبات وجود الله . ٢١٠

- القرآن وتوجيه الخطاب إلى المشاعر ٢١١

- مخاطبة العقل ٢١٣

المبحث الخامس : - توحيد الله بين السلف والأشاعرة ، وفيه مطلبان . ٢١٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **المطلب الأول** : التوحيد عند السلف الصالح . ٢١٩
- أقسام التوحيد عند السلف ٢١٩
- الأدلة على أقسام التوحيد ٢٢٢
- أدلة توحيد الربوبية ٢٢٥
- أدلة توحيد الأسماء والصفات ٢٢٦
- أدلة توحيد الإلهية ٢٢٧
- أقوال النبي ﷺ في توحيد الله تعالى ٢٢٩
- أقوال الأئمة فى التوحيد ٢٣١
- **المطلب الثاني** : التوحيد عند الأشاعرة . ٢٣٦
- قول الشهرستانى ٢٣٦
- قول الرازي ٢٣٧
- قول الآمدى ٢٣٧
- قول البيجورى ٢٣٨
- قول الدردير ٢٣٩
- جواب شيخ الإسلام عليهم ٢٤٠
- أسباب عدم وضوح المنهج الأشعري في التوحيد ٢٤٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث السادس :- الأسماء والصفات بين السلف والأشاعرة ، وفيه تمهيد وثلاثة مطالب . ٢٤٧

- تمهيد ٢٤٨

- الفرق بين الأسماء والصفات ٢٥٢

- قواعد فى أدلة الأسماء والصفات ٢٥٣

- **المطلب الأول** : أسماء الله تعالى بين السلف والأشاعرة . ٢٥٥

- ما وافق فيه جمهور الأشاعرة جمهور السلف ٢٥٥

- بعض الأشاعرة خالفوا جمهور السلف فى بعض المسائل ٢٥٦

- هل الاسم هو المسمى أو غيره ٢٥٧

- خلاصة المطلب ٢٦١

- **المطلب الثاني** : الصفات الإلهية بين السلف والأشاعرة . ٢٦٣

- أولاً : منهج السلف فى الصفات . ٢٦٤

- قواعد صفات الله بأدلتها ٢٦٥

- أقوال أئمة السلف فى الصفات ٢٧٠

- قول الإمام أبو حنيفة النعمان ٢٧٠

- قول الإمام مالك بن أنس ٢٧١

- قول الإمام الشافعي ٢٧٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- قول الإمام أحمد بن حنبل	٢٧٢
- قول الإمامين أبو حاتم وأبو زرعة الرازى	٢٧٣
- قول الإمام البخاري	٢٧٣
- قول الإمام ابن جرير الطبري	٢٧٤
- قول الحافظ أبو بكر الطيب	٢٧٤
- قول الحافظ أبو عمر بن عبد البر	٢٧٥
- قول الإمام البغوى	٢٧٥
- قول الإمام ابن قدامة المقدسي	٢٧٥
- ثانياً : منهج الأشاعرة فى الصفات .	٢٧٦
- أقسام الصفات عند الأشاعرة	٢٧٧
- أقوال الأشاعرة فى الصفات	٢٨١
- أقوال المتقدمين منهم : قول أبو الحسن الأشعري	٢٨١
- قول أبو الحسن الطبري تلميذ الأشعري	٢٨١
- قول القاضي أبو بكر بن الباقلانى	٢٨٢
- أقوال المتأخرين منهم	٢٨٢
- قول أبو حفص النسفى	٢٨٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- قول سيف الدين الآمدى ٢٨٣

- قول أبو المعالي الجوينى ٢٨٣

- قول اللقانى فى الجوهرة ٢٨٥

- قول البيجورى فى الشرح ٢٨٥

- قول الدردير فى الخريدة ٢٨٧

- نقد طريقة الأشاعرة فى التنزية ٢٨٨

- **المطلب الثالث** : الصفات الإلهية بين إثبات السلف ونفى الخلف . ٢٩٠

- أولاً : الصفات الذاتية بين التأويل والإثبات . ٢٩٠

١ - صفة الوجه . ٢٩١

- أقوال الأشاعرة فيها ٢٩١

- إثبات صفة الوجه من الكتاب والسنة ٢٩٢

- أقوال السلف والأئمة ٢٩٤

٢ - صفة العين أو العينين . ٢٩٧

- أقوال الأشاعرة فيها ٢٩٧

- إثبات صفة العين من الكتاب والسنة ٢٩٩

٣ - صفة اليدين واليمين والأصابع . ٣٠٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أقوال الأشاعرة فيها	٣٠٢
- إثبات صفة اليدين واليمين والأصابع من الكتاب والسنة	٣٠٤
- أقوال السلف والأئمة	٣٠٩
٤ - صفة الساق والقدم .	٣١٣
- أقوال الأشاعرة فيهما	٣١٣
- صفة الساق لله تعالى ثابتة في السنة	٣١٤
- إثبات صفة القدم	٣١٦
٥ - صفة النفس .	٣١٧
- أقوال الأشاعرة فيها	٣١٧
- إثبات صفة النفس من الكتاب والسنة	٣١٨
- أقوال السلف والأئمة	٣٢١
- ثانياً : الصفات الفعلية بين التأويل والإثبات .	٣٢٢
١ - صفة الاستواء .	٣٢٢
- أقوال الأشاعرة فيها .	٣٢٣
- إثبات صفة الاستواء من الكتاب والسنة والإجماع	٣٢٧
- أقوال السلف والأئمة	٣٢٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- معنى الاستواء عند السلف	٣٣٢
٢ - صفة النزول .	٣٣٦
- أقوال الأشاعرة فيها	٣٣٦
- إثبات صفة النزول بتواتر الأخبار	٣٣٨
- أقوال الأئمة	٣٤٠
٣ - صفة المجيء والإتيان .	٣٤١
- أقوال الأشاعرة فيها	٣٤١
- إثباتها بالكتاب والسنة	٣٤٦
- أقوال الأئمة فيها	٣٤٧
٤ - صفتي الرضا والغضب .	٣٤٩
- أقوال الأشاعرة	٣٤٩
- إثبات صفتي الرضا والغضب من الكتاب والسنة	٣٥١
- أقوال السلف والأئمة	٣٥٣
٥ - صفة الفرح والعجب والضحك .	٣٥٣
- أقوال الأشاعرة فى هذه الصفات	٣٥٤
- إثبات صفة الفرح	٣٥٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- إثبات صفة العجب ٣٥٥

- إثبات صفة الضحك ٣٥٦

- كلام مفيد للعلامة الشنقيطى في الصفات ٣٥٧

المبحث السابع :- كلام الله عز وجل بين السلف والأشاعرة ، وفيه تمهيد ومطلبين . ٣٦٦

- تمهيد . ٣٦٧

- تنازع الناس فى كلام الله ٣٦٩

- **المطلب الأول** : مسألة كلام الله تعالى بين السلف والأشاعرة . ٣٧٢

- أقوال الأشاعرة ٣٧٣

- عقيدة السلف فى كلام الله تعالى ٣٧٨

أقوال الأئمة من السلف الصالح ٣٨١

- **المطلب الثاني** : مناقشة السلف لما ذهب إليه الأشاعرة . ٣٨٦

- **مسألة** : الكلام النفسى عند الأشاعرة . ٣٨٦

- جواب علماء السلف على حجج الأشاعرة ٣٨٧

- جواب الإمام بن قدامة المقدسي ٣٨٩

- **مسألة** : قدم كلام الله عند الأشاعرة وأن الله لا يتكلم بمشيئته . ٣٩٣

- النصوص الدالة على إثبات صفة الكلام لله على وفق مذهب السلف ٣٩٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **مسألة** : أن كلام الله معنى واحد . ٣٩٩

- وأجيب عليهم فيما ذهبوا إليه بالآتي ٤٠٠

- للكلام اعتبارين بالنسبة إلى المتكلم ٤٠٤

المبحث الثامن :- القدر وأفعال العباد ، وفيه أربعة مطالب . ٤٠٦

- **المطلب الأول** : مسألة الحكمة والتعليل بين السلف والمتكلمين . ٤٠٧

- قول المعتزلة ومن وافقهم ٤٠٧

- قول الأشاعرة ومن وافقهم ٤٠٩

- رد شيخ الإسلام ابن تيمية على حجج الأشاعرة ٤١٢

- قول السلف الذين هم وسط بين الأقوال ٤١٤

- معنى الحكمة وحقيقتها عند السلف ٤١٧

- أدلة السلف على إثبات الحكمة والتعليل ٤١٨

- دلالة العقل والقياس على حكمة الله تعالى في الخلق والتشريع ٤٢١

- **مسألة** : هل الإرادة تقتضي المحبة أم لا ؟ ٤٢٣

- الإرادة نوعان ٤٢٥

- نوع بمعنى المشيئة العامة، وهذه هي الإرادة الكونية القدرية ٤٢٥

- نوع بمعنى المحبة والرضى، وهذه هي الإرادة الدينية الشرعية ٤٢٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **المطلب الثاني** : مسألة التحسين والتقبيح بين السلف والمتكلمين . ٤٢٨
- المراد بالحُسْن والقُبْح ٤٢٨
- تفصيل المذاهب في هذه المسألة :- ٤٢٩
- أولاً : مذهب المعتزلة فى التحسين والتقبيح ٤٣٠
- ثانياً : مذهب الأشاعرة في التحسين والتقبيح ٤٣٤
- ثالثاً : مذهب السلف في التحسين والتقبيح ٤٣٩
- **المطلب الثالث** : بيان خلاف الناس فى أفعال العباد . ٤٤٣
- علاقة مسألة أفعال العباد بالقضاء والقدر ٤٤٤
- مذاهب الفرق في خلق أفعل العباد ٤٤٦
- أولاً : أفعال العباد عند الجبرية ٤٤٦
- ثانياً : أفعال العباد عند القدرية والمعتزلة ٤٤٨
- ثالثاً : القائلون بالكسب :- وهم ثلاثة فرق السلف والأشاعرة والماتريدية. ٤٤٩
- الكسب عند الماتريدية ٤٤٩
- **المطلب الرابع** : مسألة الكسب بين السلف والأشاعرة . ٤٥١
- الكسب لغة ٤٥١
- أولاً : الكسب عند الأشاعرة ٤٥٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- معنى الكسب وحقيقته عند الأشاعرة	٤٥٣
- أدلة الأشاعرة على ما ذهبوا إليه	٤٦٠
- خلاصة مذهب الأشاعرة فى هذه المسألة	٤٦١
- ثانياً : الكسب عند السلف	٤٦٣
- أقوال السلف في أفعال العباد	٤٦٥
- ولكن ما هو أثر قدرة العبد في أفعاله ؟	٤٧١
- مسألة : القدرة والاستطاعة والتكليف بما لا يطاق	٤٧٣
- التكليف بما لا يطاق	٤٧٦
المبحث التاسع :- رؤية الله تعالى بين السلف والأشاعرة ، وفيه مطلبان .	٤٧٨
- **المطلب الأول** : رؤية الله وبيان المذاهب فيها .	٤٧٩
- أولاً : مذهب نفات الرؤية	٤٨٠
- والإدراك ينقسم إلى قسمين	٤٨٣
- جواب الإمام ابن أبى العز الحنفى على أدلة المعتزلة	٤٨٤
- ثانياً : مذهب الأشاعرة ومن نحا نحوهم	٤٨٨
- حقيقة الرؤية عند الأشاعرة	٤٨٨
- مسألة نفى الجهة عند الأشاعرة	٤٩٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ثالثاً : مذهب السلف في إثبات الرؤية	٤٩٦
- الأدلة من كتاب الله تعالى	٤٩٧
- الأدلة من السنة	٥٠٢
- الإجماع	٥٠٤
- أقوال الأئمة في إثبات الرؤية	٥٠٥
- **المطلب الثاني** : مسائل متعلقة بالرؤية .	٥٠٩
- أولاً : رؤية الله في عرصات القيامة	٥٠٩
- ثانياً : رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل في الدنيا	٥١٢
- مسألة رؤية لربه في الأرض بعينه	٥١٢
- مسألة رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء عندما عرج به إلى السماء	٥١٢
- القول الأول : أنه رأى ربه فى المعراج	٥١٢
- ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟	٥١٣
- المراد بالرؤية القلبية	٥١٥
- القول الثاني : أنه لم يرى ربه في المعراج	٥١٥
- من توقف فى المسألة	٥١٦
- ثالثاً : رؤية الله تعالى في المنام	٥١٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث العاشر :- الموافقات والمفارقات بين السلف والأشاعرة ، وفيه مطلبان . ٥١٩

- **المطلب الأول** : في الموافقات والمفارقات . ٥٢٠

- أولاً : بين الأشاعرة وأهل السنة ٥٢٠

- الأصول التي وافقوا فيها أهل السنة والجماعة ٥٢١

- الأصول التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة ٥٢١

- ثانياً : بين الأشاعرة الماتريدية ٥٢٤

- ثالثاً : بين الأشاعرة والمعتزلة ٥٢٦

- تناقض الأشاعرة ٥٢٨

- ومن أمثلة تناقض الأشاعرة ٥٣٠

- وأما تناقضهم في العقليات ٥٣١

- **المطلب الثاني** : من هم أهل السنة ؟ ٥٣٥

- أدعاء الشيعة الإمامية الرافضة ٥٣٥

- إدعاء المعتزلة ٥٣٧

- إدعاء الأشاعرة ٥٣٨

- طريق معرفة السنة وإدراكها ٥٤٠

- هل الأشاعرة من أهل السنة ؟ ٥٤٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الحكم الصحيح في الأشاعرة ٥٤٧

- تنبيه مهم ٥٤٨

- الخاتمة ٥٥١

- الفهارس ٥٥٥

- فهرس المراجع والمصادر ٥٥٦

- فهرس الموضوعات ٦٠٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com